

تفسير

الاصطفاة المسماة

٥

تأليف

العلامة الفقيه الخليلي
آية الله العظمى الخميني

مركز المصطفى والامير
بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير الصراط المستقيم

كاتب:

آيت الله سيد حسين طباطبائي بروجردى

نشرت فى الطباعة:

انصاريان

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	تفسير الصراط المستقيم المجلد ٥
٨	اشارة
٨	اشارة
٨	تتمة سورة البقرة
٨	تفسير الآية ٢٨
١٣	تفسير الآية ٢٩
٣٢	تفسير الآية (٣٠)
٣٢	اشارة
٤٣	في حقيقة الملائكة
٤٥	الملائكة عند الفلاسفة
٤٦	الملائكة عند النصارى و المجوس
٤٧	الملائكة عند أرباب الهياكل
٤٧	قول المشركين في الملائكة
٥٨	بسط في المقام للاشارة إلى عصمة الملائكة عليهم السلام دفعا لبعض الأوهام
٦٤	عصمة الملائكة و حقيقتها
٦٥	تفسير الآية (٣١)
٦٥	اشارة
٦٥	وجه تسمية آدم
٧٠	الأسماء التي علمها الله سبحانه آدم
٧٤	تفسير الآية (٣٢)
٧٥	تفسير الآية (٣٣)
٧٥	اشارة

- ٧٦ الأقوال في نبوة آدم حين تعلم الأسماء
- ٧٨ أسئلة و أجوبة
- ٨٢ فضل الأنبياء على الملائكة
- ٩٤ نقض و إبرام على دفع حجج مفضلي الملائكة على الأنبياء عليهم السلام
- ١٠٢ دلالة الآيات الى المذهب الحق
- ١٠٣ الخلافة من الله سبحانه
- ١٢٢ التناسب بين اللفظ و المعنى
- ١٢٣ تفسير الآية (٣٤)
- ١٢٣ اشارة
- ١٢٤ وقت الأمر بالسجود
- ١٢٤ فى معنى السجود
- ١٢٥ فلسفة سجود الملائكة لآدم
- ١٢٩ الوجوه المحتملة فى «خلق الله آدم على صورته»
- ١٣٥ إبليس كان من الجن
- ١٤٠ ما يستفاد من الآية الكريمة
- ١٤٢ تفسير الآية (٣٥)
- ١٤٢ اشارة
- ١٥٠ فى معنى الشجر لغة
- ١٥١ القراءة
- ١٥١ المراد بالشجرة المنهية
- ١٥٢ تفسير الآية (٣٦)
- ١٥٣ اشارة
- ١٥٤ كيفية دخول إبليس الجنة
- ١٥٧ مدة مكث آدم فى الجنة

١٥٨	تعدّد الأيآام و تغايرها
١٥٨	مكان هبوط آدم و حواء
١٦٧	تفسير الآية (٣٧)
١٦٧	توبة آدم بواسطة الكلمات
١٦٧	القراءة
١٦٨	الكلمات و إطلاقاتها
١٧٠	الكلمات التي تلقّياها آدم (ع)
١٧٧	تفسير الآية (٣٨)
١٨١	تفسير الآية (٣٩)
١٨١	إشارة
١٨٢	بسط في المقام للتنبيه على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام
٢٠٤	مستطرف من الكلام في طرف من احوال آدم (عليه السلام)
٢١٧	تفسير الآية (٤٠)
٢١٧	إشارة
٢١٩	إسرائيل في اللغة
٢٢٩	تفسير الآية (٤١)
٢٢٩	إشارة
٢٣٤	بحث صرفي لغوي نحوي
٢٣٦	تفسير الآية و باطنها و تأويلها
٢٣٨	مسألة فقهية
٢٤٠	فهرس الموضوعات
٢٤١	فهرس الأعلام
٢٤٢	فهرس مصادر التحقيق
٢٤٢	تعريف مركز

تفسير الصراط المستقيم المجلد ٥

إشارة

سرشناسه: بروجردى، حسين بن رضا، ق ١٢٧٦ - ١٢٣٨

عنوان و نام پديد آور: تفسير الصراط المستقيم / تاليف حسين البروجردى؛ صححه و علق عليه غلامرضا بن على اكبر البروجردى
مشخصات نشر: قم: موسسه انصاريان، ١٤١٦ق. = - ١٣٧٤.

وضعت فهرست نويسى: فهرست نويسى قبلى

يادداشت: عنوان ديگر: صراط المستقيم فى تفسير القرآن الكريم.

يادداشت: كتابنامه

عنوان ديگر: صراط المستقيم فى تفسير القرآن الكريم.

عنوان ديگر: صراط المستقيم فى تفسير القرآن الكريم

موضوع: تفاسير (سوره فاتحه)

موضوع: تفاسير (سوره بقره)

موضوع: تفسير

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ق ١٣

شناسه افزوده: مولانا بروجردى، غلامرضا، مصحح

رده بندي كنگره: BP١٠٢/ب٧٤٧

رده بندي ديويى: ٢٩٧/١٨

شماره كتابشناسى ملي: م٧٥-٢٦٣٤

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تتمه سورة البقرة

تفسير الآية ٢٨

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ اسْتَفْهَامٌ فِيهِ إِنْكَارٌ وَ تَعْجَبٌ، وَ تَوِيخٌ لَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَ الْخَطَابُ لَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِلْتِفَاتِ تَسْجِيلًا لِكُفْرِهِمْ بِمَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسَهُمْ.

(و كيف) اسم وضع للسؤال عن الحال التى يكون عليها الشىء، و اشتقوا منه الكيفية كما اشتقوا الكمية من الكم على وجه الانتساب، و إنكار الحال يدل على إنكار ذى الحال على وجه أبلغ، و حيث إنه حقيقة أو ظاهر و لو بمعونة المقام فى السؤال عن جميع الأحوال فالمعنى أنه لا- يصح و لا- ينبغى أن يوجد حال ما لكفركم و قد علمتم ذلك بضرورة عقولكم فأخبروني على أى حال تكفرون و الحال أنكم كنتم أمواتا؟

وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا أَعْدَامًا مُحْضَةً لَا حَظَّ لَهَا مِنَ التَّقْرِيرِ وَ الثَّبُوتِ بِحَسَبِ الْمَاهِيَّةِ وَ الوجود فى شىء من العوالم الكونية و الإمكانية، كما

قال: أَوْ لَا يَذْكُرُ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦

الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئًا «١» أو فاقدين للوجودات الكونية و إن كنتم متميزين باعتبار التقريرات الإمكانية بناء على أنها أمور اعتبارية كما قيل، أو باعتبار كونها مجعولة بالمشيئة الإمكانية على وجه ليس لها حد و نهاية كما هو الحق أو أجساما لا حياة لها قطرات مزية أو سجيته، و رشحات سحائيه، و بسائط عنصرية، و اغذية حيوانيه، و اخلاطا بدنيه و نطفة أمشاجيه، و مضغا مخلقه و غير مخلقه، و عظاما باللحم مكسوة، أو فاقدين للعلم و الشعور و الإدراك الذى به الحياة الانسانية كما قال: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ «٢» أو للايمان و التصديق الذى به الحياة الحقيقية الابدية كما قال: لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَ يَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ «٣»، إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى «٤»، أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ «٥»، أو خاملى الذكر، بناء على ما قيل: من أن العرب تسمى كل أمر خامل ميتا و كل أمر مشهور حيا قال:

فأحييت عن ذكرى و ما كان خاملا و لكن بعض الذكر أنه من بعض فأحياكم بالمشيئة الإمكانية ثم بالمشيئة الكونية ثم فطر عقولكم و أبدع نفوسكم و ركب أرواحكم و أنشأ أبدانكم خلقا من بعد خلق إلى أن أنشأكم خلقا آخر على ما جرى به القدر، و جعل لكم السمع و الأبصار و القدرة و الاختيار، و علمكم بعد الجهالة الجهلاء و نجاكم من الضلالة الظلماء، و هداكم إلى المحجة البيضاء، و كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها و نشر ذكركم و رفع قدركم بعد

(١) مريم: ٦٧.

(٢) النحل: ٧٨.

(٣) يس: ٧٠.

(٤) النمل: ٨٠.

(٥) الانعام: ١٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧

أن كنتم مستضعفين فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فأواكم و أيدكم بنصره. ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عند انقضاء آجالكم الطبيعية و الاحترامية ثُمَّ يُحْيِيكُمْ للسؤال فى القبور و للبعث و النشور يوم ينفخ فى الصور ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ، بالنشور للحساب أو بالمصير إلى الجزء من الثواب أو العقاب.

و إنما عطف الأول بالفاء الدالة على الاتصال و الباقي بضم الدالة على التراخي، لأن الإحياء الأول قد تعقب الموت الذى طرى عليه الحياة بشيء من الوجوه المتقدمة بغير تراخى لاعتبار المقابلة فى معنيهما على ما سمعت، فإن الإحياء قد ترتب على كونهم أمواتا الصادق على ما قبل الإحياء و إن كان له أزمته غير متناهية متحققة أو موهومة من جهة المبدء، و أما الموت فقد تراخى عن الإحياء كما أن الإحياء الثانى فى القبر أو الحشر مترخ عن الموت، و كذا الرجوع على الوجهين.

و الموت عدم الحياة مطلقا او عدم الحياة عما من شأنه الحياة، و يتقابلان بالمعنى المتقدمة، و الحق أنهما مخلوقان لقوله: خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ «١» و لما ورد من ذبح الموت بين الجنة و النار «٢»، نعم الموت بالمعنى الأول و هو العدم الأزلى المطلق المستمر غير مخلوق و لا مجعول.

و الكفر فى الآية يشمل كفر الجحود و العناد و الاعتقاد و العصيان، فىكون الخطاب للمؤمنين و المنافقين و الكفار، و يحتمل الإختصاص بالأخيرين على ما مر، و بعضهم و إن أنكر حياة القبر و البعث فى الحشر و أنه إليه يرجع الأمر، إلا أن تمكنهم عن تحصيل العلم بها بعد نصب الدلائل و إخبار الرسل و تظافر الحجج و شهادة العقول نزلها عندهم منزلة الأمور المعلومة التى لا يحوم حولها

شبهة و ريبه، مع أن

(١) الملك: ٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨

فى الآيه دلالة لطيفة على ما يرشدهم إلى صحتها و التصديق بها، و هو أنه تعالى لما قدر أن أحياءهم أولاً و هم حيارى فى فيافى العدم قدر أن يحييهم ثانياً، فإنّ بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته بل الإعادة أهون عليه.

و يحتمل الحمل على ما يشمل كفر النعمة حيث عدّد عليهم أصول النعم، و هى الوجود و البقاء و الحياة الحقيقية الابدئية و الرجوع إليه سبحانه و إن فصيّلنا عن الحياة الدنيوية بالموت،؟ و لذا؟ أعدّه أيضاً من جملة النعم مع أنه استراحة لقوم إذ به يحصل الفراغ عن الكدورات الحسية و العوائق البدئية، و قد سمعت أن الآيه تشمل المؤمنين أيضاً بل قد يحتمل اختصاص الخطاب بهم لتقرير المنّة عليهم و تبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصوّر منكم و أنتم عالمون باستناد جميع الشؤون إليه متوقعون لنيل جميع الخيرات من لديه.

و الواو فى وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا، للحال و المعنى قد كنتم يا ضمار «قد» فيه كما فى قوله: أَوْ جَاؤُكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ «١» فَإِنَّ الْمَاضِي لِمَا كَانَ بَعِيدًا عَنِ الْحَالِ تَوَصَّلُوا إِلَى تَقْرِيْبِهِ بِدُخُولِ «قَدْ» وَ إِضْمَارِهِ لِيَصْلَحَ لَهَا، أَوْ أَنَّ الْمَعْنَى كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، وَ قَصَّتْكُمْ هَذِهِ وَ حَالَكُمْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ فَمَا أَعْجَبَ كَفْرَكُمْ مَعَ عِلْمِكُمْ بِحَالِكُمْ وَ زَوَالِ الْغَدْرِ عَنْكُمْ.

و قرء يعقوب «٢» ترجعون بفتح التاء فى جميع القرآن.

و الآيه تدلّ على فساد القول بالجبر و نفى الاختيار و أنّ الكفر بأقسامه من قبل العباد لأنّه لو كان هو الخالق للكفر فيهم لما جاز توبيخهم عليه مع إسناد الفعل

(١) النساء: ٩٠.

(٢) هو يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله أبو محمد الحضرمي البصري أحد القراء العشرة مات سنة (٢٠٥) هـ و له (٨٨) سنة.

غاية النهاية ج ٢ ص ٣٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩

إليهم فى قوله كَيْفَ تَكْفُرُونَ كما أنه لا يجوز إسناد الفعل إليهم و لا ذمهم فى الأفعال الخلقية كالطول و القصر و الملاحه و القباحه فلا يقال كيف تكونون طوالاً و قصاراً، ضرورة أنه يقبح من الحكيم أن يخلق فيهم الكفر و يقول لهم: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ، و يمنعهم عن الايمان و يقول لهم: وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا* «١»، فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ «٢»، و يخلق فيهم الإعراض و الإفك فيقول فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّنْذِيرِ مُعْرِضِينَ «٣»، فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ* «٤» إلى غير ذلك من التقريرات الغريبة و التوبيخات الشديده على أن النعمة التى منّ بها عليهم فى الآيه لا تكون نعمة لهم حقيقة بل نعمة عليهم حيث أنه أوجب عليهم بما خلق فيهم و أجبرهم عليه العذاب الدائم و الخسار اللازم مثل من قدم إلى غيره طعاماً مسموماً له حلاوة ظاهرة و أجبره على أكله فإنه لا يعدّ نعمة منه، و هذا ظاهر جداً.

و أما ما يقال: من أن الاستدلال بهذه الوجوه و نظائرها يرجع إلى التمسك بطريقة المدح و الذم و الأمر و النهى و الثواب و العقاب، و نحن أيضاً نقابلها بشبهة العلم الأزلى المتعلق بكفرهم فلو لم يقع لا نقلب علمه جهلاً و هو محال و مستلزم المحال محال، و بأن القدرة على الكفر كانت صالحه للإيمان و امتنع كونها مصدراً لشيء منهما إلا لمرجح راجع إلى العبد و هو محال على ما قرروه أو إلى الله تعالى و هو المطلوب.

ففيه أنه و إن افتخر بعض المشككين من أحزاب الشياطين حتى قال إمامهم الرّازي: «إن المعتزلي إذا طوّل كلامه و فرّع وجوهه في المدح و الذّم فعليك بمقابلتها

(١) الإسراء: ٩٤.

(٢) الانشقاق: ٢٠.

(٣) المدثر: ٤٩.

(٤) الانعام: ٩٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠

بهذين الوجهين فأنهما يهدمان جميع كلماته و يشوشان كلّ شبهاته» (١).

إلّا أنّ الجواب عنهما واضح مشهور و في أصول الامامية مسطور و قد أشرنا إليه فيما تقدّم عند تفسير آية الختم و غيرها، و أمّا الاستدلال بها على التجسّم بظهور الرجوع إليه في التحيز، و على بطلان عذاب القبر بحمل قوله ثمّ يُحييكم على الحياة الاخرية، كما هو أحد الوجهين ضعيف جدّا للمنع عن الظهور إذ المراد الرجوع إلى أمره و حكمه و لذا يسمّى الحشر رجوعاً إليه تعالى كما قال: ثمّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَ هُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٢) و ذلك لأنّه رجوع إلى حيث لا يتولّى الأمر و الحكم غيره تعالى و لذا قال: إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٣)، وَ إِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤)، أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (٥)، يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَ الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (٦).

و أمّا نفى عذاب القبر فليس فيها إشعار عليه بشيء من الدلالات إلّا من جهة عدم التعرض الذي هو أعمّ منه.

مع أنّ فيه دلالة على الحياة البرزخية كما هو الوجه الأظهر فيها، مضافاً إلى أنّه هو المصرّح به في تفسير الامام عليه السلام للآية حيث قال عليه السلام: أنّه قال رسول الله صلّى الله عليه و آله لكفّار قريش، و اليهود كيف تكفرون بالله الّذى دلّكم على طرق الهدى و جنّكم إن أطعتموه سبل الردى و كنتم أمواتاً في أصلاب آبائكم و أرحام أمهاتكم

(١) تفسير الفخر الرّازي ج ١ ص ١٥١.

(٢) الانعام: ٦٢.

(٣) الغاشية: ٢٥.

(٤) ق: ٤٣.

(٥) الشورى: ٥٣.

(٦) الانفطار: ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١

فَأَحْيَاكُمْ أخرجكم أحياء ثمّ يميتكم في هذه الدنيا و يقبركم ثمّ يحييكم في القبور، و ينعم فيها المؤمنون (١) بنبوّه محمّد صلّى الله عليه و آله و ولاية عليّ عليه السلام، و يعذب فيها الكافرون (٢) بهما، ثمّ إليه ترجعون في الآخرة بأن تموتوا في القبور بعد ثمّ تجيئوا (٣) للبعث يوم القيامة، ترجعون إلى ما وعدكم من الثواب على الطاعات إن كنتم فاعليها، و من العقاب على المعاصي إن كنتم مقارفيها (٤).

ف قيل له: يا رسول الله ففي القبر (٥) نعيم و عذاب؟ قال: أي و الّذى بعث محمّداً بالحق نبياً و جعله زكياً هادياً مهدياً و جعل أخاه عليّاً بالعهد و فيا، و بالحق ملياً و لدى الله مرضياً، و إلى الجهاد سابقاً و لله في أحواله موافقاً، و للمكارم حائزاً، و بنصر الله على أعدائه فائزاً، و للعلوم حاوياً و لأوليائه موالياً و لأعدائه معادياً (٦) و بالخيرات ناهضاً (٧)، و للقبائح رافضاً و للشيطان مخزياً، و للفسقة المردة مقصياً

«٨» و لمحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَفْسًا، وَ بَيْنَ يَدَيْهِ لَدَى الْمَكَارِهِ جَنَّةٌ وَ تَرَسًا، آمَنْتَ بِهِ أَنَا وَ أَخِي عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ عَبْدُ رَبِّ الْأَرْبَابِ، الْمَفْضَّلُ عَلَى أَوْلَى الْأَلْبَابِ، الْحَاوِي لِعُلُومِ الْكِتَابِ، زَيْنٌ مِنْ يَوْفَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي عَرَصَاتِ الْحِسَابِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صَفِيِّ الْكَرِيمِ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ، إِنَّ فِي الْقَبْرِ نَعِيمًا يُؤَفِّرُ اللهُ بِهِ حَظُوظَ أَوْلِيَائِهِ، وَ إِنَّ فِي الْقَبْرِ عَذَابًا يَشُدُّدُ اللهُ بِهِ عَلَى أَشْقِيَاءِ أَعْدَائِهِ، إِنَّ الْمُؤْمِنَ الْمَوَالِي لِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الْمَتَّخِذِينَ لِعَلِيٍّ بَعْدَ مُحَمَّدٍ إِمَامَهُ

(١) في تفسير البرهان: المؤمنين.

(٢) في تفسير البرهان: الكافرين.

(٣) في تفسير البرهان: تحيوا.

(٤) البرهان ج ١ ص ٧٢.

(٥) في البحار: ففي القبور.

(٦) في البحار: مناويا.

(٧) في البحار: ناويا.

(٨) في تفسير العسكري المطبوع: مغضبا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢

الَّذِي يَحْتَدِي مِثَالَهُ، وَ سَيِّدَهُ الَّذِي يَصَدِّقُ أَقْوَالَهُ، وَ يَصُوبُ أَفْعَالَهُ، وَ يَطِيعُهُ بِطَاعَةٍ مِنْ يَنْدُبُهُ مِنْ أَطَائِبِ ذَرِيَّتِهِ لِأُمُورِ الدِّينِ وَ سِيَاسَتِهِ إِذَا حَضَرَ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا لَا يَرُدُّ، وَ نَزَلَ بِهِ مِنْ قَضَاءِ اللهِ مَا لَا يَصُدُّ، وَ حَضَرَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ وَ أَعْوَانُهُ وَجَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ مِنْ جَانِبِ، وَ مِنْ جَانِبِ آخِرِ عَلَيَّا سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ، وَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ مِنْ جَانِبِ الْحَسَنِ سَبْطِ سَيِّدِ النَّبِيِّينَ، وَ مِنْ جَانِبِ آخِرِ الْحُسَيْنِ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ أَجْمَعِينَ، وَ حَوَالِيهِ بَعْدَهُمْ خِيَارُ خَوَاصِهِمْ وَ مُحِبِّيهِمُ الَّذِينَ هُمْ سَادَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ سَادَاتِهِمْ، مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الْعَلِيلُ الْمُؤْمِنُ فَيَخَاطِبُهُمْ بِحَيْثُ يَحْجِبُ اللهُ صَوْتَهُ عَنْ آذَانِ حَاضِرِيهِ كَمَا يَحْجِبُ رُؤْيَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ وَ رُؤْيَةَ خَوَاصِّنَا عَنْ عِيُونِهِمْ، لِيَكُونَ إِيْمَانُهُمْ بِذَلِكَ أَعْظَمَ ثَوَابًا لِشِدَّةِ الْمُحَنَّةِ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: يَا أَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي يَا رَسُولَ رَبِّ الْعِزَّةِ، يَا أَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي يَا وَصِيَّ رَسُولِ الرَّحْمَةِ، يَا أَبِي أَنْتَ مَا لَمْ يَأْتِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَ ضَرِغَامِيهِ، يَا وَلَدِيهِ وَ سَبْطِيهِ، يَا سَيِّدِي شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمُقْرَبِينَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَ الرِّضْوَانِ، مَرْحَبًا بِكُمْ مَعَاشِرَ خِيَارِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ وَ وَلَدَيْهِمَا، مَا كَانَ أَعْظَمَ شَوْقِي إِلَيْكُمْ، وَ مَا أَشَدَّ سُرُورِي الْآنَ بِلِقَائِكُمْ، يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا مَلِكُ الْمَوْتِ قَدْ حَضَرَني وَ لَا أَشْكُ فِي جَلَالَتِي فِي صَدْرِي لِمَكَانِكَ وَ مَكَانِ أَخِيكَ مِنِّي، فَيَقُولُ:

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا مَلِكُ الْمَوْتِ اسْتَوْصِ بِوَصِيَّةِ اللهِ فِي الْإِحْسَانِ إِلَى مَوْلَانَا وَ خَادِمَانَا، وَ مَوْثِرِنَا، فَيَقُولُ مَلِكُ الْمَوْتِ: يَا رَسُولَ اللهِ مَرَّةً أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا قَدْ أَعَدَّ لَهُ فِي الْجَنَانِ، فَيَقُولُ لَهُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَنْظِرْ فَيَنْظُرُ إِلَى الْعُلُوِّ وَ يَنْظُرُ إِلَى مَا لَا يَحِيطُ بِهِ الْأَلْبَابُ وَ لَا يَأْتِي عَلَيْهِ الْعَدَدُ وَ الْحِسَابُ، فَيَقُولُ مَلِكُ الْمَوْتِ: كَيْفَ لَا أَرْفُقُ بِمَنْ ذَلِكَ ثَوَابُهُ هَذَا مُحَمَّدٌ وَ عَتْرَتُهُ زُؤَارُهُ يَا رَسُولَ اللهِ لَوْلَا- أَنْ اللهُ تَعَالَى جَعَلَ الْمَوْتَ عَقْبَةً لَا- يَصِلُ إِلَى تِلْكَ الْجَنَانِ إِلَّا مَنْ قَطَعَهَا لَمَّا تَنَاوَلَتْ رُوحَهُ، وَ لَكِنْ لَخَادِمِكَ هَذَا وَ مُحِبِّكَ أَسْوَأَ بِكَ وَ بَسَائِرِ أَنْبِيَاءِ اللهِ وَ رُسُلِهِ وَ أَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ أَذِيقُوا الْمَوْتَ بِحُكْمِ اللهِ تَعَالَى.

ثُمَّ يَقُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يَا مَلِكُ الْمَوْتِ هَاكَ أَخَاهُ قَدْ سَلَّمْنَاكَ إِلَيْكَ فَاسْتَوْصِ بِهِ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣

خَيْرًا ثُمَّ يَرْتَفِعُ هُوَ وَ مِنْ مَعَهُ إِلَى رَوْضِ الْجَنَانِ وَ قَدْ كَشَفَ عَنِ الْغَطَاءِ وَ الْحِجَابِ لِعَيْنِ ذَلِكَ الْمُؤْمِنِ الْعَلِيلِ، فَيَرَاهُمْ الْمُؤْمِنَ هُنَاكَ بَعْدَ مَا كَانُوا حَوْلَ فَرَاشِهِ فَيَقُولُ يَا مَلِكُ الْمَوْتِ الْوَحَا «١» تَنَاوَلْ رُوحِي وَ لَا تَلْبِثْنِي هَاهُنَا فَلَا صَبْرَ لِي عَنْ مُحَمَّدٍ وَ عَتْرَتِهِ وَ الْحَقْنِي بِهِمْ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَنَاوَلُ مَلِكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ فَيَسَلُّهَا كَمَا يَسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنَ الدَّقِيقِ، وَ إِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّهُ فِي شِدَّةٍ فَلَيْسَ فِي شِدَّةٍ بَلْ هُوَ فِي رِخَاءٍ وَ

لذّة، فإذا أدخل قبره وجد جماعتنا هناك، وإذا جاء منكر و نكير قال أحدهما للآخر: هذا محمّد و عليّ و الحسن و الحسين و خيار أصحابهم بحضرة صاحبنا فلننتزع «٢» لهم «٣» فيأتيان و يسلمان على محمّد سلاما تاما منفردا ثمّ يسلمان على عليّ عليه السّلام سلاما تاما منفردا «٤» ثمّ يسلمان على ساير من معنا من أصحابنا ثمّ يقولان قد علمنا يا رسول الله زيارتك في خاصّتك لخادمك و مولاك و لو لا أنّ الله يريد اظهار فضله لمن بهذه الحضرة من أملاكه و من يسمعنا من ملائكته بعدهم لما ساء لنا و لكن أمر الله لا بدّ من امتثاله، ثمّ يسألانه فيقولان: من ربّك و ما دينك و من نبيّك و من إمامك و ما قبلتك «٥» و من إخوانك؟ فيقول: الله ربّي، و محمّد نبيّي و عليّ وصيّي محمد إمامي، و الكعبة قبلتي، و المؤمنون الموالون لمحمّد و عليّ و اوليائهما و المعادون لأعدائهما إخواني، و أشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله و إنّ أخاه عليّا وليّ الله، و أنّ من نصبهم للامامة من أطاب عترته و خيار ذريّته و خلفاء الامّة و ولاة الحقّ و القوامون بالعدل «٦» فيقولان: على هذا حييت و على هذا

(١) كلمة تقال في الاستعجال و معناه: البدار البدار.

(٢) أي فلتندل و لنخشع.

(٣) في البحار: لهما.

(٤) في البحار: ثمّ يسلمان على الحسين سلاما يجمعانهما.

(٥) في البحار: و من شيعتك و من إخوانك؟

(٦) في البحار: بالصدق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤

متّ و على هذا تبعث ان شاء الله و تكون مع من تتولّاه في دار كرامه الله و مستقرّ رحمته.

قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إن كان لأوليائنا معاديا و لأعدائنا مواليا و لأضدادنا بألقابنا ملقبا فإذا جاءه ملك الموت لنزع روحه مثل الله لذلك الفاجر سادته الذين اتّخذهم أربابا من دون الله عليهم من أنواع العقاب ما يكاد نظره إليهم يهلكه، لا يزال يصل إليه من حرّ عذابهم ما لا طاقة له به، فيقول له ملك الموت: أيها الفاجر الكافر تركت أولياء الله إلى أعدائه فاليوم لا يغنون عنك شيئا، و لا تجد إلى مناص سبيلا، فيرد عليه من العذاب ما لو قسم أدناه على أهل الدنيا لأهلكهم، ثمّ إذا أدنى في قبره رأى بابا من الجنّة مفتوحا إلى قبره، فيرى منه خيراتها فيقول منكر و نكير، انظر إلى ما حرّمته من الخيرات، ثمّ يفتح له في قبره باب من الثّار و يدخل عليه منه عذابها، فيقول: يا رب لا تقم الساعة يا رب لا تقم الساعة «١».

و في كتاب الكافئة للمفيد رحمه الله أنّه لما قدم عليّ الكوفة و جلس إليه الناس فسأل عن رجل من الصحابة كان ينزله الكوفة فقال قائل استأثر الله به، فقال عليه السّلام: أنّ الله لا يستأثر بأحد من خلقه إنّما أراد الله جلّ ذكره بالموت إعزاز نفسه و إذلال خلقه ثمّ قرء عليه السّلام و كنتم أمواتا فأحياكم ثمّ يميتكم ثمّ يحييكم ثمّ إليه ترجعون «٢».

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٣٦ و ص ١٧٦ عن تفسير الامام العسكري عليه السّلام ص ٢١٠-٢١٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٣٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥

تفسير الآية ٢٩

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةَ إِنْعَامَهُ عَلَيْنَا بِخَلْقِ ذَوَاتِنَا وَ الْإِفَاضَةَ عَلَيْنَا بِنُورِ الْوُجُودِ وَ نَفْخِ الْأَرْوَاحِ وَ

التنقل إلى الأطوار البرزخية والآخروية عقبها بيان نعمة أخرى لعامة الخلق مترتبة عليها، وهي خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم و به يتم معاشهم من البسيطة الغبراء والمحيطة الخضراء، وما بينهما من الأجسام البسيطة والمركبة، وما يتعلق بها من القوى والأرواح والكيفيات وغيرها من الاعراض التي خلقت لأجل انتفاع الناس بها في دنياهم بان يتمتعوا منها بفنون المطاعم والمشارب والمناكح والملابس والمراكب والمسكن والمناظر وغيرها مما ينتفعون بها في مصالح أبدانهم ودفع المضار عنها وتقويها على الطاعة وحفظ المقاصد المطلوبة وفي دينهم بالنظر فيها والاستدلال بها وبما تتضمنه من عجائب الصنع وغرائب البدع على الصانع الحكيم والقادر العليم.

ولذا روى الامام عليه السلام في هذه الآية عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: أنه خلق لكم لتعتبروا به وتتوصلوا به إلى رضوانه وتوقوا من عذاب نيرانه (١).

والاقتصار عليه في كلامه لكونه الأهم الاعتم من الانتفاعين، وإلا فالآية بعمومها وإطلاقها تدل على جواز انتفاعهم بكل ما فيها من المنافع الخالية عن المضرة، ولذا استدلوا بها على أصالة الإباحة الشرعية حسبما قرّر في الأصول من تطابق العقل والشرع على ذلك وفساد القول بأصالة الحظر فيها قبل ورود الشرع أو بعد بيانه عقلا أو شرعا وفساد القول بالتوقف أيضا، وبالجملة فالأشياء كلها من الأفعال والمطاعم وغيرها على الإباحة الاصلية بل الشرعية إلا ما ورد النص فيه بالحرمة بالخصوص أو بالعموم ولو لكونه من الخبائث كما في الآية أو مما يضر في

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٢ عن تفسير الامام عليه السلام ص ٢١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦

البدن.

كما في خبر المفضل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لم حرّم الله الخمر والميتة والدم ولحم الخنزير؟ قال عليه السلام: إن الله تبارك وتعالى لم يحرم ذلك على عباده وأحلّ لهم ما سواه من رغبة منه فيما حرّم عليهم، ولا زهد فيما أحلّ لهم، ولكنّه خلق الخلق فعلم ما تقوم به أبدانهم وما يصلحهم فأحلّ لهم وأباحه تفضّلا منه عليهم به لمصلحتهم وعلم ما يضرهم فنهاهم عنه وحرّمه عليهم ثم أباحه للمضطر وأحلّه في الوقت الذي لا يقوم بدنه إلا به فأمره أن يتناول منه بقدر البلغة لا غير ذلك (١) الخبر على ما يأتي في تحريم الخمر وأحواتها.

ومما يدل على الأصل المتقدم مضافا إلى الآية وآيات كثيرة تأتي الإشارة إليها قوله عليه السلام: كل شيء مطلق حتى يرد فيه نهى (٢) إلى غير ذلك مما حررناه في الأصول فلا يقدح في الأصل المزبور إمكان تطرق المناقشة في الآية بأنّ الحمل على العموم في المطلقات مشروط بعدم كون المقام مقام الإجمال والإهمال، بل مقام البيان وليس المقام منه إذ المقصود بيان أنّ في خلق الأشياء منفعة لكم لا-بيان أنّها أي شيء وفي أي شيء وبان «ما» وإن كان من ألفاظ العموم إلا أنّ وجوه الانتفاع المستفادة من اللام إما مجمل أو مطلق فلا-وجه للحمل على العموم بالنسبة إليها أيضا سيما بعد ما مرّ في كلام الإمام عليه السلام من تفسيره بالانتفاع في الأمور الدينية وبأنّ غاية ما تدل عليه أنّه خلق الكل للكل لا أنّه خلق كلّ شيء ممّا في الأرض لكل فرد من أفراد الإنسان، فإذا احتمل اختصاص شيء من المنافع بغيره ولو لأسباب طارئة لم يجز استعماله لعدم الدليل سيما مع ما ذكره في مقابلة الجمع

(١) بحار الأنوار ج ٦٥ ص ١٣٤ عن المحاسن.

(٢) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٧٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧

بالجمع إلى غير ذلك من المناقشات التي لا ينبغي الإصغاء إليها بعد اعتضاد الأصل المتقدم بالعقل و النقل بل الإجماع نقلا و تحصيلًا فيما يتعلق بالأعيان و غيرها مع عدم المخصص بأحد الوجهين.

هذا مضافا إلى أنه يمكن الجواب عن الوجوه المتقدمه بظهور ورود الآية في مقام الامتتان الذي هو أعلى مراتب البيان و لذا قالوا بافاده المفرد المنكر في مثله للعموم كما في قوله: وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا «١» و «اللام» و ان كان مطلقا من حيث جهات الانتفاع إلما أن الإطلاق كاف سيمًا في مقام الامتتان، و مجرد الاختصار في تفسير الآية على ذكر البعض غير صالح لشيء من التقييد و التخصيص، و أما مقابلة الكل بالكل فلا دلالة فيها على اختصاص البعض بالبعض و إن علم ذلك من أدلة أخرى، و لذا لم أن يرجع في الإختصاص إلى سائر الأسباب، و به يضعف استدلال أهل الإباحة بالآية على نفى الإختصاص و رفض اسباب الملكية و جواز انتفاع كل أحد بما يجده من المطاعم و الملابس و المناكح و غيرها.

نعم يستفاد منها أن لكل شيء مما في الأرض فائدة و نفعًا و ان لم نعلمها بالخصوص.

و ما يقال من أن ما لا نفع فيه كأنواع السموم و الحيوانات الموزية من الحيات و الأفاعى و العقارب و نحوها خارج عن ذلك ففيه أنه ناش عن التصور و الجهالة، بما أودع الله فيها من الخواص الجليلة و المنافع العظيمة التي لم يزل الناس من أهل الملل و المذاهب يطلعون عليها شيئًا فشيئًا على مر الدهور و الأعصار، و ناهيك في ذلك الاطلاع على جملة مما استنبطه أطباء الافرنج و الأندلس و حكماؤهم من الخواص الغريبة و الآثار العجيبة من تلك العقاقير و النباتات التي ربما يتوهم الجاهل

(١) الفرقان: ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨

خلوها عن المنافع حتى من مثل السموم القاتلة و نحوها و منافع لحوم الأفاعى مفردة و مركبة مع الترياق و غيره غير خفية. ثم إنها و إن دلت على جواز الانتفاع بجميع ما في الأرض نظرا إلى وضع الموصول سيمًا مع كون جميعًا حالًا عنه في المقام، بل و مع كونه توكيدا أيضا و ان كان احتمالاه في غاية البعد لقله التوكيد به و لخلوه عن الضمير إذ لو كان كذا لقل جميعه.

و بالجملة ففيها دلالة على إباحة الانتفاع بما في الأرض إلّا أنه تختلف كيفية الانتفاع به باختلاف الأشياء، فقد يكون في بعضها بالأكل و في بعضها بالشرب، و في بعضها باللبس، و في بعضها بالسكون، و الزراعة و الحراثة و نحوها، فإذا كان للشيء منفعة واحده أو كانت واحده منها ظاهرة فلا ريب في جواز الانتفاع بها، و أما المنافع الغير الظاهرة و التي لم يتداول الانتفاع بها عند الناس أو ما لم يطلعوا عليها قبل ذلك فهل يجوز الانتفاع بشيء منها بعد الإطلاع و حصول الانتفاع و جهان بل قولان: يظهر من البعض العدم لإجمال الآية بالنسبة إلى هذه الصورة نظرا إلى بعض الوجوه المتقدمه، و قد عرفت ضعفها، و منه يظهر أن الأظهر الأول و لذا لا ينبغي التأمل في جواز استعمال العقاقير المختلفة في وجوه الانتفاع التي تطلع عليها الحكماء و غيرهم يوما فيوما على مر الدهور و الأعصار مما لم تكن متداولة في القرون السابقة و الأزمنة المتقدمه.

و منه يظهر أيضا ضعف ما ربما يستدل بالآية على حرمة أكل الطين نظرا إلى أن أكله من المنافع الغير المتداولة مع أنها إنما دلت على إباحة ما في الأرض لا هي نفسها إذ فيه أن أكل الطين و ان كان حراما في الشرع لكن الحرمة غير مستفاده من الآية لا منطوقا كما لا يخفى و لا مفهوما لعدم شيء من المفاهيم المعبرة و إن كان مراد القائل عدم الدلالة على الإباحة لا اثبات الدلالة على الحرمة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩

و أما ما يقال: من أن المراد بالأرض جهة السفلى كما أن المراد بالسما جهة العلو فالمعنى خلق لكم ما في هذه الجهة المقابلة للعلو فيشمل الأرض، و ان من جملة الأرض ما يطلق عليه أنه في الأرض فيكون جامعا للوصفين.

ففيه مع الغرض عمًا فيهما من التكلف أنه لا منفعة في أكل الطين بل المضرة فيه واضحة جدًا كما صرح به الأطباء و غيرهم.

بل في الخبر المحكى عن «العلل» و «المحاسن» و «الكافي» عن ابي جعفر عليه السلام إن أكثر مصائد الشيطان أكل الطين إن أكل الطين يوجب السقم في الجسد و يهيج الداء و من أكل الطين فضعت قوته التي كانت قبل أن يأكله و ضعف عن عمله الذي كان يعمل حوسب على ما بين ضعفه و قوته و عذب عليه «١».

و عن الصادق عليه السلام: من أنهمك في أكل الطين فقد شرك في دم نفسه «٢».

و عنه عن النبي صَلَّى الله عليه و آله من أكل الطين فمات فقد أعان على نفسه «٣»، إلى غير ذلك مما يدل على أنه يوقع الحكمة في الجسد و يورث البواسير و يهيج السوداء و يذهب بالقوة من الساقين و القدمين و غيرها، بل الظاهر من كثير منها و المصرح به في كلام جملة من الأصحاب عدم الفرق في الحرمة بين التراب الخالص و الممزوج بالماء.

و من الغرائب ما في «الجواهر» من اختصاص الحكم بالطين الذي هو الممزوج بالماء، و أما التراب الخالص فلا دليل على حرمة، بل مقتضى الأصول عدمها ضرورة خروجه عن مسمى الطين إلى آخر «٤» ما ذكره هناك حيث تفرد القول

(١) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ١٥٣ ح ١ عن العلل و فيه: إن أكل الطيب يورث السقم.

(٢) العلل ص ٥٣٣ و عنه البحار ج ٦٠ ص ١٥٢ ح ٨.

(٣) المحاسن للبرقي ح ٩٧٥ و عنه البحار ج ٦٠ ص ١٥٤.

(٤) الجواهر ج ٣٦ ص ٣٥٥-٣٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠

بحليته أكله مستدلاله بما لا- دلالة فيه أصلا فلاحظ و تأمل إذ من البين أنه و إن كان الحكم في الاخبار معلقا على الطين الذي هو ظاهر في المخلوط بالماء لكن المستفاد من الاخبار في المقام إرادة مطلق التراب عنه كما أنه المراد أيضا في استثناء طين قبر الحسين عليه السلام بل و كذا في طين الأرمني الذي وقع التصريح بجواز أكله في الأخبار و في كلمات الأصحاب بل الأطباء ذكروا في باب الأدوية المفردة الطين المطلق و الطين الأرمني و المختوم و غيرها و لم يذكروا التراب أصلا بل ربما يحصل القطع بارادة العموم من التأمل في فحوى الأخبار الناهية عن أكله سيما بعد ملاحظة العلل المنصوصة المشتركة بينه و بين التراب و الزمل بل و مطلق وجه الأرض و ان من يأكل ذلك فالغالب أنه يأكل اليبس دون المبلول بالماء.

مضافا إلى ما في «الخصال» عن أبي الحسن الأول قال أربعة من الوسواس:

أكل الطين، و فت الطين «١» إلخ الظاهر في إرادة اليبس منهما و لو بقريته الفت الذي هو الكسر.

و ما في مرفوع البرقي أن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله نهى عن أكل المدر «٢»، بل هو الظاهر أيضا من الاستثناء الوارد في المعبرة المشتملة على حرمة أكل الطين كله إلا طين القبر و طين الحائر الظاهر فيما يؤخذ من الموضع الشريف، كما هو بل لعله الظاهر أيضا مما دل على النهي عن بيعه، و الاستخفاف به، و التعبير في بعض الاخبار و الادعية بأن الشفاء في تربته «٣»، و في بعضها التعبير بطين قبره، بحيث يمكن تحصيل القطع باتحاد المراد منهما الى غير ذلك من الشواهد التي يطول بذكرها

(١) الخصال ص ٢٢١ ح ٤٦ و عنه البحار ج ٦ ص ١٥١ ح ٣.

(٢) البحار ج ٦٠ ص ١٥٨ ح ٢٨ عن معاني الاخبار ص ٢٦٢.

(٣) الوسائل الباب ٦٧ من أبواب المزاح ح ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١

الكلام و انما أشرنا إلى شطر منها في المقام لما في القول المذكور من الغرابة.

بقي الكلام فى شىء و هو أنه قد اختلف أهل العلم فى معنى اللام فى المقام و فى قوله تعالى و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون
«١» و قوله و لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك و لذلك خلقتهم «٢» و غيرها مما يضاهاها.

فأصحابنا الإمامية و أكثر المعتزلة حملوها على ظاهرها من الدلالة على الغاية و الفائدة و لو باعتبار عودها إلى خلقه لا إلى ذاته الذى
هو غنى عن فعله فضلا عن غيره.

و أميا الأشاعرة فقالوا أنه تعالى لما فعل ما لو فعله غيره لكان فعله لذلك الشىء لأجل الغرض لا جرم أطلق عليه ما يدل على الغرض
بقربته المشابهة المسوغة للتجوز، و استدلوا على نفي الغرض بأن من فعل فعلا لغرض كان مستكملا بفعل ذلك الشىء و المستكمل
بغيره ناقص لذاته.

و توهم ان فعله تعالى معلل بغرض غير عايد إليه بل إلى غيره مدفوع بأن عود ذلك الغرض إلى ذلك الغير هل هو أولى لله تعالى من
لا- عود ذلك الغرض أو ليس أولى، فان كان الاول فهو قد انتفع بذلك الفعل فيعود المحذور المذكور، و ان كان الثانى لم يكن
تحصيل ذلك الغرض للغير غرضا لله تعالى فلا- يكون مؤثرا فى فعله و بان من فعل فعلا لغرض كان عاجزا عن تحصيل ذلك إلا
بواسطة ذلك الفعل و العجز محال عليه سبحانه.

و بأنه تعالى لو فعل فعلا لغرض فذلك الغرض ان كان قديما لزم قدم الفعل، و إن كان حادثا كان فعله لذلك الغرض لغرض آخر و
لزم التسلسل و هو محال.

(١) الذاريات: ٥٦.

(٢) هود: ١١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢

و بأنه تعالى لو كان لفعله غرض لكان ذلك الغرض هو رعاية مصلحة المكلفين و لو توقفت فاعليته على ذلك لما فعل ما كان مفسدة
فى حقهم لكنه قد فعل ذلك كلف من علم أنه لا يؤمن.

فهذه هى الوجوه التى استدلت بها الأشاعرة على نفي الغرض على ما حكاه الرازى و غيره، و قد سمعت الجواب عن الاول فى تفسير
الفايحة عند البحث عن حقيقة الاستعانة مع الإشارة إلى ما ينفعك فى تحقيق أصل المسألة.

و الجواب عن الثانى أنه لا دلالة فيه على العجز فان الحكمة قد تقتضى ترتب الغايات على المبادئ التى هى الأفعال، و ان أمكن تعلق
المشيئة بنفس الغايات على أنه ربما ينشأ عدم القبول فضلا عن عدم الحكمة و المصلحة من خصوص المحل كما أشير إليه فى الخبر
المتضمن لخلق الدنيا فى البيضة عن دون أن تصغر الدنيا و لا تكبر البيضة «١».

و عن الثالث أن الفعل لغرض غير حاصل لكنه لا- يجب أن يكون لذلك الغرض غرض آخر مغاير له و لا أن يكون الغرض لنفس
الفعل بل قد يكون نفسه كما فى المشيئة على ما حقق فى محله.

و السؤال عن سبب تخصيص بعض الازمنة دون غيره بخلقها ساقط عندنا بعد ظهور كون الازمنة من متعلقات المشيئة و كذا الأمكنة و
غيرها من متعلقات الفعل فلا أين و لا متى و لا كيف فى صقع انوجد المشيئة فضلا عن إيجادها.

و عن الرابع ان التكليف فى نفسه لطف و مصلحة لعامة المكلفين على ما قرر فى الكتب الكلامية.

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٠ ح ٧ عن توحيد الصدوق ص ١٢٢ ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣

ثم استوى إلى السماء «١» قصد إليها بعلمه و مشيئته و ارادته قصدا تقتضيه الحكمة البالغة و القدرة الشاملة من قولهم: استوى إليه

كالسهم المرسل إذا قصده قصدا من غير أن يلوى على شيء أو أقبل إليها آخذاً في خلقها وإتقانها كما يظهر من تفسير الإمام «٢» عليه السلام، ويؤيده ما عن أحمد «٣» بن يحيى بن ثعلب من أن الاستواء في صفة الله هو الإقبال على الشيء يقال كان فلان مقبلاً على فلان ثم استوى على وإلى يكلمنى على معنى أقبل على وإلى أو استوى وعلا أمره الفعلى إلى ناحية السماء لإيجادها وتساويتها أو استولى وقهر وملك كما ذكروه في قوله: **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ * «٤»** ومنه قوله:

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر و كاسر و قال آخر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق «٥» و المعنى استيلاؤه ملكا و تدبيراً و علماً و قدرةً عليها كغيرها من سائر خلقه. و قيل: إن المراد تفرد بملكها و أنه لم يجعلها كالأرض ملكاً لخلقها و هو ضعيف في المقام كضعف إرادته منه و لو في غيره سيما مع التعدى «بإلى» دون «على» و مرجع الوسطين إلى الأول فلا تغفل، و أما الاستواء بمعنى الانتصاب و الاعتدال الذي ضده الاعوجاج فلا يتصف سبحانه به لأنه من صفات الأجسام.

و المراد بالسماء جهة العلو أو الاجرام العلوية أو خصوص الأفلاك السبعة

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) تفسير الامام العسكري عليه السلام ص ٢١٥.

(٣) احمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوى اللغوى الأديب المعروف بثعلب المتوفى س (٢٩١).

(٤) الأعراف: ٥٤، يونس: ٣.

(٥) مجمع البيان ج ١ ص ٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤

الكليّة أو مع جزئياتها على فرضها، و هى اسم جنس يطلق على القليل و الكثير، و قيل: أنّها جمع سماوة أو سماء.

ثم إن ظاهر هذه الآية و كذا قوله في سورة السجدة: **قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ «١»**، إلى قوله: **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ «٢»**، أنّ خلق الأرض كان قبل خلق السماء مع أنّ مقتضى قوله في سورة و النازعات: **أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَ أَعْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا، وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا «٣»**.

أن التدحية التى هى البسط كانت بعد خلق السماء و لذا أورد بعض الملاحدة تناقضا بين هذه الآيات و أجيب عنه فى المشهور بأن خلق الأرض كان قبل السماء كما هو ظاهر الآيتين إلا أنّ دحواها بعد خلق السماء كما هو صريح الثالثة.

و يدل عليه ما رواه فى «الكافى» بالإسناد عن أبى جعفر عليه السلام فى خبر طويل و فيه انه قال: إن الله سبحانه خلق الشيء الذى جميع الأشياء منه، و هو الماء الذى خلق الأشياء منه، و خلق الريح من الماء، ثم سلط الريح على الماء، فشقت الريح متن الماء حتى صار من الماء زبد على قدر ما شاء أن يثور، فخلق من ذلك الزبد أرضاً بيضاء نقيّة ليس فيها صدع و لا ثقب و لا نقب و لا صعود و لا هبوط و لا شجرة ثم طواها فوضعها فوق الماء، ثم خلق الله النار فشقت النار متن الماء حتى صار من الماء دخان على قدر ما شاء الله أن يثور فخلق من ذلك الدخان سماء صافية نقيّة ليس فيها صدع و لا ثقب و ذلك قوله: **أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا، رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا،**

(١) فصلت: ٩.

(٢) فصلت: ١١.

(٣) النازعات: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥

وَأَغَطَّشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا، وقال: ولا شمس ولا قمر ولا نجوم ولا سحب ثم طواها فوضعها فوق الأرض ثم نسب الخليقتين فرفع السماء قبل الأرض فذلك قوله: عز ذكره وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا يقول بسطها الخبر «١».

و المراد بقوله ثم نسب الخليقتين أنه رتبهما في الوضع وجعل أحدهما فوق الاخرى، أو أنه بين بنسبة خلقهما في كتابه بقوله: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا «٢» فبين أن دحا الأرض بعد رفع السماء، أو أنه رفع الأشرف الألف ثم بسط الأوضع الأخس تحقيقاً لرتبتهما كذا قيل في معنى النسبة لكن الأظهر الاول كما لا يخفى.

و في «الإحتجاج» عن هشام بن الحكم عن الصادق عليه السلام أنه سأله الزنديق عن النهار خلق قبل الليل: قال عليه السلام نعم خلق النهار قبل الليل والشمس قبل القمر والأرض قبل السماء «٣» الى غير ذلك من الاخبار التي ستسمع شطراً منها في تفسير الآيات الآتية. و يؤيده ما رواه في «الدر المنثور» عن ابن عباس أن رجلاً قال له: آيتان في كتاب الله تخالف إحداهما الاخرى، فقال: أنما آتيت من قبل رأيك، اقرء قال:

أ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ «٤»، حتى بلغ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ «٥»، وقوله: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا «٦» قال خلق الله الأرض قبل أن يخلق السماء ثم خلق السماء ثم دحا الأرض بعد ما خلق السماء و انما قوله

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٩٧ ح ٨١ عن الكافي الروضة ص ٩٤ ح ٦٧.

(٢) النازعات: ٣٠.

(٣) الإحتجاج ص ١٩٣ و عنه البحار ج ٦٠ ص ٧٨ ح ١.

(٤) فصلت: ٩.

(٥) فصلت: ١١.

(٦) النازعات: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦

دحاها يعني بسطها «١».

و يؤيده في الجملة ما رواه في «الكافي» عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى خلق الخير يوم الأحد و ما كان ليخلق الشر قبل خلق الخير، و في يوم الأحد و الاثنين خلق الأرضين، و خلق أقواتها في يوم الثلاثاء، و خلق السموات يوم الأربعاء، و يوم الخميس و خلق أقواتها يوم الجمعة و ذلك قوله عز و جل: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ * «٢» آه «٣»، حيث أنها تدل على تقدم خلق الأرضين.

نعم فيها إشكال من وجوه سنشير إليها و إلى الجواب عنها في سورة السجدة.

و في «العلل» عن أبي جعفر عليه السلام قال: أن الله تعالى خلق البيت قبل الأرض ثم خلق الأرض من بعده فدحاها من تحته «٤».

و في «التوحيد» و «مجالس» الصدوق و «الإحتجاج» و غيرها في مناظرة الصادق عليه السلام لابن أبي العوجاء، قال عليه السلام: هذا بيت استعبد الله به خلقه - إلى قوله - خلقه الله تعالى قبل دحا الأرض بألفى عام «٥».

و أما ما رواه القمي عن الصادق عليه السلام: من أنه تعالى كان عرشه على الماء و الماء على الهواء و الهواء لا يحد، و لم يكن يومئذ خلق غيرهما، و الماء يومئذ عذب فرات، فلما أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح، فضربت الماء حتى صار موجاً، ثم أزيد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت ثم جعله جبلاً من زبد، ثم دحى

(١) الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٣١٣.

(٢) الفرقان: ٥٩.

(٣) روضة الكافي ص ١٤٥ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٥٨-٥٩ ح ٣٠.

(٤) العلل ج ٢ ص ٨٥ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٦٥ و فيه: إن خلق البيت قبل الأرض.

(٥) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢١٠ ح ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧

الأرض من تحته فقال الله تعالى: **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا** «١» ثم مكث الرب تبارك و تعالى ما شاء فلما أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى زبدتها «٢»، فخرج من ذلك الموج و الزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء فجعل فيها النجوم و البروج و منازل الشمس و القمر «٣»، الخبر.

فهو و إن كان بظاهره يدل على تقدم الدحو على خلق السماء أيضا إلا أنه لمخالفته لظاهر الآية بل صريحه يجب تأويله بعدم ترتب قوله: فلما أراد أن يخلق السماء على سابقه الذي هو الدحو، بل على ما تقدم من خلق الأرض أو أن الفاء لمجرد الارتباط دون الترتب، فانه لم يلحظ فيه.

كما أنه لم يلحظ فيما ذكره الإمام عليه السلام في تفسيره قال: **إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ الْمَاءَ فَجَعَلَ عَرْشَهُ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ**، فأرسل الرياح على الماء فتفجر «٤» الماء من أمواجه، و ارتفع عنه الدخان و علا فوقه الزبد، فخلق من دخانه السماوات السبع و خلق من زبده الأرضين، فبسط الأرض على الماء، و جعل الماء على الصفا، و الصفا على الحوت و الحوت على الثور، و الثور على الصخرة إلى أن قال: فلما خلق الله الأرض دحاها من تحت الكعبة ثم بسطها على الماء فأحاطت بكل شيء «٥» آه.

و فيما ذكر الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم على ما رواه في «الكافي» قال عليه السلام:

كان كل شيء ماء و كان عرشه على الماء فأمر الله عزّ و جلّ الماء فاضطرم نارا، ثم أمر النار

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) في المصدر: أزيد بها.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٦٩-٧٠ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٧٢ و في المصدر: فبخر الماء.

(٤) و في المصدر: فبخر الماء.

(٥) تفسير الامام عليه السلام ص ١٤٤-١٤٥ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨

فخمدت، فارتفع من خمودها دخان، فخلق الله السماوات من ذلك الدخان، و خلق الأرض من الرماد، آه «١».

و ربما يستشكل هذا الوجه مرة بأن الأرض جسم عظيم فامتنع انفكاك خلقها عن التدحية، فإذا كانت التدحية متأخرة عن خلق السماء، كان خلقها أيضا متأخرا عن خلق السماء، و أخرى بأن الآية في المقام دلت على أن خلق الأرض و خلق كل ما فيها متقدم على خلق السماء، و خلق الأشياء في الأرض لا يكون إلا بعد ما كانت مدحوة فدلّت على تقدم كونها مدحوة فالتناقض بحاله.

و يضعف الاول بوضوح عدم امتناع انفكاك خلقها عن التدحية سيما بعد ما دلت عليه الاخبار الكثيرة حسب ما سمعت شطرا منها.

و المناقشة في اطلاق خلق الأرض على إيجادها غير مدحوة لا ينبغي الإصغاء إليها بعد ما سمعت من الآية و الرواية.

و الثاني بأن تقدم خلق ما في الأرض لا يستلزم تقدم دحوا ضرورة أنه ليس المراد بالموصول خصوص ما يتجدد فيها من أفراد النبات و الثمار و الحيوان و ضروب الانتفاعات الجزئية، فإنها متأخرة عن الجميع كائنة فاسدة بمر الدهور و الازمنة، بل المراد بها أصول أسبابها القابلة الاستعدادية التي كانت قائمة بسنخ الأرض و نوعها بل بالأرض التي كانت كالطينة و الخميرة للأرض المدحية،

ولذا عبر بالدحو الذى هو مجرد البسط والسعة، وبالجملة فالجواب المذكور بمكان من الصحة والقبول. نعم ربما يجاب عن أصل الإشكال بوجوه أخر أيضا: منها أن كلمة «ثم» فى آيتى البقرة والسجدة لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الأرض

(١) روضة الكافى ص ٩٥ ح ٦٨ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٩٨ ح ٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩

كما يقول الرجل لصاحبه: أليس قد أعطيتك ثم رفعت منزلتك ثم بعد هذا كله فعلت كذا وكذا، ومثله قوله: فَكُ رَقِيْبَةً «١» إلى قوله: ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا «٢»، أى و كان فعلى هذا يكون خلق الأرض بما فيها من الأقوات وغيرها متأخرا عن خلق السماء، وهذا الوجه ذكره شيخنا الطبرسى و تبعه الرازى و القاضى و غيرهما.

و منها: أن معنى قوله: وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا «٣» أى مع ما ذكر من خلقها وجعلها مهادا كما فى قوله: عُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيْمٍ «٤» أى مع ذلك، و هو المحكى عن مجاهد و السدى «٥».

و منها ما يرجع إلى سابقه و هو أن تكون كلمة بعد لمجرد الإذكار و تعداد النعم لا- للتأخر الزمانى و الرتبى حيث لا يتعلق لغرض بالاخبار عن الأوقات و الازمته كما تقول: أليس قد أعطيتك كذا وكذا و بعد ذلك أحسنت إليك فى كذا «٦».

و أما كون الظرف للاخبار بعد الاخبار لا المخبر عنه فلا يخلو عن تكلف.

و منها أنه فرق بين التسوية المطلقة للسماء المذكورة فى آيتى السجدة و النازعات و بين تسويتها سبع سماوات المذكورة فى المقام، فتسويتها مطلقا متقدمة على دحو الأرض و المقيدة متأخرة عنه، و أما قوله فى آية السجدة: فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ «٧» فمترتبة على قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ

(١) البلد: ١٢.

(٢) البلد: ١٧.

(٣) النازعات: ٣٠.

(٤) القلم: ١٣.

(٥) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٣٤.

(٦) مجمع البيان ج ١ ص ٧٢.

(٧) فصلت: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠

دُحَانٌ «١»، إلا أنها مبينة لها و يدل عليه ما رواه فى «الدر المنثور» كما تقدم.

و منها: أن كلمتى «بعد» و «ثم» على ظاهرهما من التأخر و التراخى إلا أن المراد بالخلق هو التقدير لا الإيجاد فى العين و إطلاقه عليه شائع كثير، و لذا يقيد الخلق فى الاخبار مرة بالتكوين و أخرى بالتقدير و يؤيده قوله تعالى: الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى «٢» و قوله: إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «٣» و فى الخبر عن الرضا عليه السلام: أفعال العباد مخلوقه لله خلق تقدير لا خلق تكوين «٤».

و على هذا فخلق الأرض و ما فيها متأخر عن خلق السماء كتأخر دحواها عنه إلا أن تقديرها و هندستها متقدم على خلق السماء، و يؤيده أنه سبحانه ذكر فى سورة السجدة خلق الأرض و أقواتها ثم قال: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُحَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انْتَبِيا طَوْعاً

أَوْ كَرِهًا قَالَتْما أَتَيْنَا طَائِعِينَ «٥».

و من البين أن المراد الإتيان من العدم إلى الوجود تعبيراً للخلقة العينية و تصويراً للقدرة الكاملة، و لذا ذهب بعضهم إلى تقدم خلق السماء على الأرض و ما فيها.

و ما رواه الكيدري في شرح النهج، قال ورد في الخبر: أن الله تعالى لما أراد خلق السماء و الأرض خلق جوهرًا أخضر ثم، ذوّبه فصار ماء مضطرباً ثم أخرج منه بخاراً كالمدخان و خلق منه السماء كما قال ثمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ «٦»، ثم فتق تلك السماء فجعلها سبعة ثم جعل من ذلك الماء زبداً فخلق منه

(١) فصلت: ١١.

(٢) الأعلى: ٢.

(٣) آل عمران: ٥٩.

(٤) بحار الأنوار ج ٥ ص ٣٠ ح ٣٨ عن العيون.

(٥) فصلت: ١١.

(٦) فصلت: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١

أرض مكة، ثم بسط الأرض كلها من تحت الكعبة، و لذلك تسمى مكة أم القرى، لأنها أصل جميع الأرض، ثم شق من تلك الأرض سبع أرضين و جعل بين كل سماء و سماء مسيرة خمسمائة عام، و كذلك بين كل أرض و أرض، و كذلك بين هذه السماء و هذه الأرض «١»، الخبر.

و في «الدر المنثور» عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي قَوْلِهِ: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ «٢»، قال: إنَّ الله تعالى كان عرشه على الماء و لم يخلق شيئاً قبل الماء، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء فسما عليه فسماه سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضاً واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين في الأحد و الاثنين، فجعل الأرض على الحوت و هو الذي ذكره في قوله: ن وَ الْقَلَمِ وَ الْحَوْتِ فِي الْمَاءِ عَلَى صِفَاءٍ، وَ الصِفَاءُ عَلَى مَلِكٍ، وَ الْمَلِكُ عَلَى صَخْرَةٍ، وَ الصَّخْرَةُ عَلَى الرِّيحِ وَ هِيَ الصَّخْرَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا لِقَمَانِ لَيْسَتْ فِي السَّمَاءِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ، فَتَحْرُكُ الْحَوْتِ، فَاضْطَرَبَ فَتَزَلَزَلَتِ الْأَرْضُ فَأَرَسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَ فَفَقَرَتْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ «٣» و خلق الجبال فيها و أقوات أهلها و شجرها و ما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء و الأربعاء و ذلك قوله: أ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ «٤» إلى قوله: وَ بَارَكْ فِيهَا يَقُولُ أَنْبَتَ فِيهَا شَجَرَهَا وَ قَدَرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢٩ ح ٤ عن شرح نهج للكيدري.

(٢) البقرة: ٢٩.

(٣) الأنبياء: ٣١.

(٤) فصلت: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢

يقول أقواتها و أهلها في أربعة أيام سواء للسائلين يقول من سال فهكذا الأمر ثمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ «١» فكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع سماوات في يومين في الخميس و الجمعة و انما سمي

يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض «٢» الخبر وهذا الخبر ظاهر في الوجه المتقدم و ان خلق السماء كان أولاً على وجه الدخانية ثم بعد خلق الأرض وأقواتها جعلها سماء واحدة ثم جعلها سبع سموات.

ومنها: أن لا يكون معنى دحيها مجرد البسط بل يكون المراد أنه بسطها بسط مهياً لنبات الأقوات و يؤيده قوله مبيناً للدحو المذكور أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا «٣»، و ذلك لان الاستعداد لا يحصل للأرض إلا بعد وجود السماء فان الأرض كالام و السماء كالأب، و ما لم يحصلها لم تتولد المواليد التي هي المعادن و النباتات و الحيوانات.

ومنها: أن الأرض مقدمة في الخلق و يدفع المنافات المذكورة باعتبار الآية الثالثة بان الفاء في قوله: فَسَوَّاهَا بمعنى ثم أو لمطلق الترتب و المشار إليه بذلك في قوله: وَالْأَرْضَ بَعِيدَ ذَلِكَ دَحَاهَا «٤» و هو بناء السماء و خلقها لا مجموع ما ذكر قبله حتى تسويتها، فيجوز معه تأخر التسوية عن التدحية.

ومنها: أن قوله وَالْأَرْضَ بَعِيدَ ذَلِكَ دَحَاهَا يقتضى تقدم خلق السماء على دحو الأرض و لا يقتضى تقدم تسوية السماء على دحو الأرض فجاز تأخر التسوية عن الدحو فيكون خلق الأرض قبل خلق السماء و خلق السماء قبل الدحو و الدحو

(١) فصلت: ١١.

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ٤٣ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٢٠٤-٢٠٥ ح ١٥٢.

(٣) النازعات: ٣١.

(٤) النازعات: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣

قبل تسوية السماء.

و فيه نظر واضح لدلالة آية الدحو على تأخره عن تسوية السماء إلا أن يرفع التنافي بشيء من الوجوه المتقدمة أو الآتية فيرجع إليه.

ومنها: ما يحكى عن مقاتل أنه قال: خلق الله السماء قبل الأرض و قبل دحوها و خلق أرزاقها و أمّا قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَمَعْنَاهُ ثم كان قد استوى و هي دخان قبل أن يخلق الأرض فأضمر فيه كان كما في قوله تعالى قَالُوا إِن يَسْرِقَ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ «١»، معناه أن يكن سرق.

ومنها: أن تكون دحيها جملة مستأنفة و تنصب الأرض بفعل مقدر دل عليه أ هُمْ أَشَدُّ خَلْقًا «٢» مثل تعرف الأرض و اذكرها و تدبر أمرها بعد ذلك و هو كما ترى.

ومنها: أن يضم الفعل على شريطة التفسير كما هو الظاهر و يكون ذلك إشارة إلى المذكور سابقاً فالشار إلى ذكر خلق السماء لا خلقها نفسه للدلالة على أنه قاصر في الدلالة عن الاول لكنه تتميم كما تقول جملاً ثم تقول بعد ذلك كيت و كيت و مثله شايع في الاستعمال.

ومنها: ما ذكره الشيخ الأمجد الاحسائي طاب ثراه حيث سئل عن ذلك فأجاب بأنه تعالى لما رمق الماء بعين الهيبة فذاب و زبد و ارتفع دخانه و كان الزبد و الدخان فصعد الدخان و كان الدخان قد أخذ في الصعود لطيفة قبل بدء الزبد و ارتفع آخره عند انتهاء الزبد خلق الأرض و أقواتها من الزبد في أربعة أيام ثم توجه وجه المشية إلى الدخان به الصاعد فخلق من وسطه فلك الشمس و ذلك لاستوائه في اللطافة و الغلظ و خلق فلك القمر و فلك زحل و فلك عطارد و فلك المشتري

(١) يوسف: ٧٧.

(٢) الصافات: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤

و فلک الزهرة و فلک المريخ فصار الاستواء إلى السماء بعد الأرض و السماء دخان موجودة و هو قوله تعالى: أَيْنَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ «١» إلى قوله: ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ «٢» فكان كون السماء قبل كون الأرض و كان عين الأرض قبل عين السماء فكلما لطف و علا تأخرت صورة الجسمانية و لذا قلنا فلک القمر و فلک زحل و المراد بالاستواء الالتفات أى توجه وجه المشية و القدر.

و هذا الوجه يساعده فى الجملة ظاهر آية السجدة لكن الأظهر فى دفع التنافى ما ذكرناه أولا، و اما سائر الوجوه فبعضها و إن لم يكن به بأس على وجه الاحتمال إلا أن كثيرا منها لا يخلو من ضعف أو اختلال.

فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ التسوية هو التعديل و جعل الشيتين أو الأشياء على حد سواء، و المعنى خلقهن مصونة من العوج و الأمت و الفطور و التفاوت على أعدل ما يمكن و أقومه و أحسنه و أتقنه، و الضمير للسماء بناء على كونها جمعا أو جنسا على ما مر و إن نوقش فيهما بعدم ثبوت الأول و عدم كفاية الثانى، و لذا قيل:

إن الأولى كونه مبهما يفسره ما بعده كقولهم: ربه رجلا- مع أن فيه حينئذ من التفضيم و التشويق و الإبهام و التفسير و التمكن فى النفس و نحو ذلك ما لا يخفى، و يمكن كونه للسماء باعتبار نواحيها و جهاتها فتكون الواحدة جماعة كما فى قولهم: ثوب اخلاق و امهال أو باعتبار أن السماوات كانت سماء فوق سماء فتكون الجملة واحدة من حيث الاطباق و الاحتواء، أو باعتبار أن المراد بالسماء هو الجوهر الدخانى الذى خلق منه السموات فالافراد باعتبار الوحدة و عدم التميز و التعدد

(١) فصلت: ٩.

(٢) فصلت: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥

يومئذ و التعدد باعتبار الاول و المشاركة هذا مضافا إلى ما قد يقال من جواز اجراء اسماء الأجناس فى الإضمامار و التوصيف على الوجهين كما يقال: أهلك الناس الدراهم البيض و الدنانير الصفر، و السبع للمؤنث كالسبعة للمذكر و اشتقوا منه السبع بضم الباء و سكونها لأنه مضاعف القوى كأنه ضوعف سبع مرات أو لأنه كامل القوى، فإن السبعة عدد كامل مركب من زوج الفرد و فرد الزوج أو زوج الزوج و فرد الفرد، و نصبه على البدل أو التفسير و السموات هى الأفلاك.

و أما ما يحكى عن على بن عيسى من التغير و ان الأفلاك تتحرك و تدور و السموات لا تتحرك و لا تدور لقوله: إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا «١» أى تتحركا فضعيف جدا و معنى الآية نفى زوالها عن مراكزها التى تدور عليها أو نفى رجوعها إلى العدم الاصلى الذى مر مقتضى امكاناتها لأن كل ممكن سيال الوجود دائم الحركة إلى العدم الاصلى، و أما بقاؤه فانما هو بالإضافة السائلة المتجددة الدائمة حسبما هو مقتضى قيومية الفعلية، و بالجملة فالقول المذكور شاذ لا يعرف به قائل غيره.

نعم قد يحكى ذلك أيضا عن الشيخ الكراجكى فى كتابه كنز الفوائد، حيث قال: اعلم أن الأرض على هيئة الكرة و الهواء يحيط بها من كل جهة، و الأفلاك يحيط بالجميع احاطة استدارة، و هى طبقات بعضها يحيط ببعض، فمنها سبعة يختص بالتيرين و الكواكب الخمسة التى تسمى بالمتحيرة، و لكل منها فلک يختص به ثم عدّ الأفلاك السبعة على ما هو المشهور عند الجمهور إلى أن قال: و يحيط بهذه الأفلاك السبعة فلک الكواكب الثابتة و هى جميع ما يرى فى السماء غير ما ذكرنا ثم الفلك المحيط الأعظم المحرك لجميع هذه الأفلاك، ثم السموات السبع تحيط

(١) فاطر: ٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦

بالأفلاك و هي مساكن الأفلاك، و من رفعه الله تعالى الى سمائه من أنبيائه و حججه عليهم السلام انتهى «١».

و هو مع شدوده مردود بالاخبار الكثيرة كالخطبة العلوية المذكورة في «النهج» و فيها: ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها و أدام مربها و اعصف مجراها و أبعد منشأها فأمرها بتصفيق الماء الزخار و آتاره موج البحار فمخضته مخض السقاء و عصفت به عصفها بالفضاء، ترد أوله على آخره و ساجيه على مائة، حتى عبّ عبابه و رمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواء مفتق، و جوّ منفق، فسوى منه سبع سماوات جعل سفلاهن موجا مكفوا، و علياهن سقفا محفوظا و سمكا مرفوعا بغير عمد يدعمها، و لا دسار ينظمها، ثم زينتها بزينة الكواكب، و ضياء الثواب، فأجرى فيها سراجا مستطيرا و قمرا منيرا في فلك دائر، و سقف سائر، و رقيم مائر، ثم فتق ما بين السماوات العلى فملاهن أطوارا من ملائكته منهم سجود لا يركعون، و ركوع لا ينتصبون، و صافون لا يتزايلون «٢»، الخطبة.

حيث دلت على أن السماوات هي المجارى للكواكب و المساكن للملائكة و الاخبار بهذا المعنى كثيرة جدا، و ورد أن زحل مطلع في السماء السابعة، و أنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا «٣» و أن الشمس في السماء الرابعة إلى غير ذلك مما يدل على ما ذكرناه فلا اشكال فيه و ان اختلفوا في أن المراد بالفلك هل هو نفس السماء؟ أو المجرى أو المنطقة أو غيرها مما لا يهمننا البحث عنه في المقام إنما الكلام فيما ذكره الرياضيون من الترتيب بين الأفلاك الكليّة و اثبات أفلاك

(١) كنز الفوائد ج ٢ ص ١٠١-١٠٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة الاولى ص ١.

(٣) البحار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧

جزئية للحركات السبع المشهورة و اثبات فلكين آخرين مضافا إليها فأنها عندهم تسع، سبع منها للسبعة السيارّة على الترتيب المشهور، و ثامنها فلك الثوابت و تاسعها فلك الأفلاك المحرك لجميعها حركة يومية سريعة شريفة و استندوا في ذلك إلى جملة من المشاهدات و الحدسيات و الأصول الطبيعية التي لم يقم على كثير منها برهان، و بالجملة فإنهم لم يأتوا بدليل متين أو بسطان مبين فيما اتفقوا عليه و اختلفوا فيه من اعداد الأفلاك قلة و كثرة، نعم دلّ صريح الكتاب و هو الحجة بأنّها سبعة فجعلوها للكواكب السبعة التي أحسوا باختلاف حركتها طولا في الجميع و عرضا في غير الشمس، فإن لها الميل و هي التيران و الخمسة المتحيرة التي فسر بها قوله تعالى فلا- أقسم بالخنس «١» في العلوى «٢» المروى في «المجمع» و غيره و جعلوا أذناها للقمر و أعلاها لزحل و البواقي على الترتيب المشهور و في بعض الأخبار دلالة على بعضها مثل ما روى عن الصادق عليه السلام من أن زحل مطلع في السماء السابعة و أنه ثقب بضوئه حتى أضاء في السماء الدنيا فمن سماه الله النجم الثاقب «٣» و العلوى المتضمن للخمس المتحيرة على الترتيب الذكري الدال على كونها كذلك حيث قال عليه السلام: أن الخنس خمسة أنجم زحل و المشتري و المريخ و الزهرة و عطارد «٤»، إلّا أنهم استندوا فيما ذكروه من الترتيب إلى وجهين:

الأول الكسف فإن الكوكب الأسفل يكسف الأعلى في المقارنة المرئية بحسب عين الناظر و إن لم تكن باعتبار المركز و يعرف الكاسف بلونه الغالب ككمودة زحل و درية المشتري و حمرة المريخ و بياض الزهرة و صفرة عطارد ثم

(١) التكويز: ١٥.

(٢) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٤٦.

(٣) البحار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

(٤) بحار الأنوار ج ٥٨ ص ٢٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨

أنهم وجدوا القمر يكسف الكواكب و عطارد يكسف الزهرة، و هكذا في الجميع إلا أنه بقي الشك في أمر الشمس فالأكثر على أنها في وسط الأفلاك السبعة فوق الزهرة و عطارد لاقتضاء النظام الطبيعي أن يكون ما هو أبطأ حركةً من الكواكب أكثر بعدا و أعظم مدارا و أن تكون الشمس واسطةً في النظم و الترتيب بمنزلة شمس القلادة بين ما يبعد عنها الابعاد الاربعة و هي المقابلة و أخواتها و بين ما لا- يبعد منها أقل البعد و هو التسديس و لما يحكى عن جماعة أنهم رأوا الزهرة كشامة على صفحتها، و عن آخر أنه رأى شامتين و حسبهما الزهرة.

و هذه الوجوه كلها ضعيفة بل قيل: إنه في وجه الشمس نقطة سوداء فوق مركزها بقليل كالمحو في وجه القمر و لعلها الشامة المرئية، و لذا ذهب بعض القدماء إلى أنها تحتها و بعض المتأخرين إلى أنه فوق عطارد و تحت الزهرة بل جزم به صاحب التحفة لدليل لاح له في الابعاد و الاجرام.

و الثاني اختلاف المنظر لكنه غير جار في الجميع لانفتاحه في العلوية محسوسا و محسوبا و كونه في الشمس في غاية القلة بل عن أبي الريحان و غيره أن اختلاف المنظر لا- يحس إلا في القمر فإنهم صرحوا بأنه في الشمس غير محسوس بالآلات الرصدية أصلا و ان اقتضاه حسابهم بحسابهم و أما السفليتان فلتعذر الوقوف على مواضعهما الحقيقية في الطول و العرض.

ثم أن هذا كله على ما حققه الحكماء السابقون و أما المتأخرون من حكماء الأندلس و الافرنج فقد ذهبوا إلى نفي الأفلاك رأسا، و أن كرة الشمس ساكنة في مركز العالم و أن كرة الأرض من جملة السيارة التي تدور حول جرم الشمس و تكتسب منها النور و الحرارة، و ان كلما من الثوابت المرصودة و غيرها مميّا لا يعلم عددها أحد إلا الله مركز لعالم كلى كالشمس في عالمها و لكل منها أقمار و سيارات مشتملة على عوالم كثيرة و أصناف من المخلوقات كالمواليد و غيرها.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩

و هذا كله رجم بالغيب و مخالفه للنواميس و القواعد الحكيمية على ما أشرنا إليه آنفا نعم قدر ورد في بعض الاخبار تعدد «١» القباب و العوالم و الشموس بل في البصائر عن ابي الحسن عليه السلام قال: إن لله تعالى خلف هذا النطاق زبرجده خضراء فمن خضرتها اخضرت السماء قيل و ما النطاق؟ قال عليه السلام: الحجاب و لله وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الانس و الجن و كلهم يلعن فلانا و فلانا «٢»، و عن الصادق عليه السلام:

إن من وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس فيها خلق كثير، و ان من وراء قمركم أربعين قمرا فيها خلق كثير لا يدرون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه ألهموا إلهاما لعنة فلان و فلان «٣».

و أميا اسماء السماوات و ألوانها فقد روى في «العلل» و «العيون» و «الخصال» في خبر الشامي أنه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك فقال عليه السلام: اسم السماء الدنيا رفيع و هي من ماء و دخان و اسم السماء الثانية قيديم و هي على لون النحاس و السماء الثالثة اسمها الماروم، و هي على لون الشبه، و السماء الرابعة اسمها أرفلون و هي على لون الفضة، و السماء الخامسة اسمها هيفون و هي على لون الذهب و السماء السادسة اسمها عروس، و هي ياقوتة خضراء و السماء السابعة اسمها عجماء و هي درة بيضاء «٤»، الخبر. و روى عن ابن جعفر عليه السلام: السجين: الأرض السابعة و عليون: السماء السابعة «٥».

و في حديث ابن سلام أنه سأل النبي صلى الله عليه و آله فقال اخبرني ما بال السماء الدنيا

(١) البحار: ج ٤٧ ص ١٥٩.

(٢) البصائر ص ٤٩٢ ح ٧ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٣٣٠ ح ١٥.

(٣) البحار ج ٢٧ ص ٤٥.

(٤) البحار ج ١٠ ص ٧٦.

(٥) البحار ج ٥٨ ص ٥١ ح ٤ عن المحاسن ص ٣٣٤ ح ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠

خضراء؟ قال عليه السلام: اخضرت من جبل قاف قال صدقت فاخبرني مما خلق؟ قال صَلَّى الله عليه وآله: من موج مكفوف قال: و ما الموج المكفوف؟ قال: يا ابن سلام ماء قائم لا اضطراب لها و كانت في الأصل دخانا، قال: صدقت يا محمّد، إلى أن قال: فاخبرني عن السماء الثانية ممّ خلقت؟ قال صَلَّى الله عليه وآله: من الغمام قال: صدقت فاخبرني عن السماء الثالثة ممّ خلقت؟ قال: من زبرجد خضراء قال: فالرابعة؟ قال صَلَّى الله عليه وآله: من ذهب احمر قال: فالخامسة؟ قال صَلَّى الله عليه وآله: من ياقوته حمراء، قال: فالسادسة؟ قال: من فضة بيضاء؟

قال: فالسابعة؟ قال: من ذهب قال صدقت، الخبر «١».

و بعض الناس قد تكلم في أمثال هذا الخبر بالتأويل و التوجيه و التطبيق على قواعد الفلاسفة و ترهات الصوفية و الأكاذيب الاحكامية من اثبات الطباع و المنسوبات للأفلاك و الكواكب و الحمل على ظاهرها و السكوت عن التأويل أولى فان كان و لا بد فلعلها كانت مشتهرة عندهم كذلك أو كانت رموزا موروثه عن الأنبياء عليهم السلام.

بقي الكلام فيما قد طال التشاجر بينهم فيه و هو أن السماوات و ما فيها من الكواكب هل هي حية مدركة أم لا؟ فجمهور الحكماء على الاول و اكثر أهل الشرع على الثاني و في الآيات و الاخبار إشارات إلى القولين و لذا قال شيخنا البهائي طاب ثراه في الحديقة الهلالية بعد قوله: أيها الخلق المطيع الدائب السريع المتردد في منازل التقدير المتصرف في ذلك التدبير بعد جملة كلام له: أنه لا يبعد أن يراد بفلك التدبير الفلك الذي يدبره القمر نفسه نظرا إلى ما ذهب اليه طائفة من أن كلّ واحد من السيارات السبع مدبر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان.

قال سلطان المحققين في شرح الإشارات: ذهب فريق إلى أن كلّ كوكب منها

(١) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٤٧-٢٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١

ينزل مع أفلاكه منزلة حيوان واحد ذى نفس واحدة تتعلق بالكوكب أولّ تعلقها و بأفلاكه بواسطة الكوكب كما تتعلق نفس الحيوان بقلبه أولا و بأعضائه الباقية بعد ذلك، فالقوة المحركة منبعثه عن الكوكب الذى هو كالقلب في أفلاكه التى هى كالجوارح و الأعضاء الباقية انتهى كلامه زيد إكرامه إلى أن قال: إن خطابه للقمر و نداؤه له وصفه بالطاعة و الجد و التعب و التردد في المنازل و التصرف في الفلك ربما يعطى بظاهرة كونه ذا حياة و إدراك و لا استبعاد في ذلك نظرا إلى قدرة الله تعالى إلا أنه لم يثبت بدليل عقلى قاطع يشفى العليل او نقلى ساطع لا يقبل التأويل، نعم أمثال هذه الظواهر ربما تشعر به و قد يستند في ذلك بظاهر قوله تعالى: كُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ* «١» فإن الواو و النون لا يستعملان حقيقة في غير العقلاء، و قد أطبق الطبيعيون على أن الأفلاك بأجمعها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها و خالقها و أكثرهم على أن غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه و التقريب إليه جلّ شأنه، و بعضهم على أن حركاتها لورود الشوارق القدسيّة عليها آنا فآنا فهى من قبيل هزة الطرب و الرقص الحاصل من شدة السرور و الفرح، و ذهب جم غفير منهم إلى أنه لا ميت في شىء من الكواكب أيضا حتى اثبتوا لكل واحد منها نفسا على حدة تحركه حركة مستديرة على نفسه، و ابن سينا في «الشفاء» مال إلى هذا القول و رجّحه و حكم به في النمط الخامس من (الإشارات) و لو قال به قائل لم يكن مجازفا و كلام ابن سينا و أمثاله و إن لم يكن حجة يركن إليها الديانيون في أمثال هذه المطالب إلا أنه يصلح للتأييد و لم يرد في الشريعة المطهرة على

الصادع بها أفضل الصلوات و أكمل التسليمات ما ينافي هذا القول، و لا قام دليل عقلي على بطلانه و إذا جاز أن يكون لمثل البعوضة و النملة و ما دونهما حياة فإي مانع من أن يكون لتلك الاجرام

(١) الأنبياء: ٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢

الشريفة أيضا ذلك، و قد ذهب جماعة إلى أن لجميع الأشياء نفوسا مجردة و نطقا و جعلوا قوله تعالى: **وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ** «١» محمولا على ظاهره، و ليس غرضنا من هذا الكلام ترجيح القول بحياة الأفلاك بل كسر سورة استبعاد المصيرين على إنكاره و ردّه و تسكين صولة المشنعين على من قال به و جوزه «٢» انتهى كلامه زيد مقامه، و اعترضه شيخنا المجلسي طاب ثراه بأن هذا الترجيح الذي أبداه في لباس الاحتمال و التجويز مناف لسباق اكثر الآيات و الأخبار الواردة في أحوال الكواكب و الأفلاك و مسيرها و حركاتها و الإشارات التي تمسك بها ظاهر من سياقها أنّها من قبيل المجازات و الاستعارات الشائعة في كلام البلغاء بل في اكثر المحاورات فإنهم يخاطبون الجمادات بخطاب العقلاء و غرضهم تفهيم غيرها كما في هذا الخطاب و خطاب شهر رمضان و وداعه و خطاب البيت و المخاطب فيها حقيقة هو الله تعالى و الغرض إظهار نعمه تعالى و شكره عليها و لم أر أحدا من المتكلمين من فرق المسلمين قال بذلك إلا بعض المتأخرين الذين يقلّدون الفلاسفة في عقائدهم و يوافقون المسلمين فيما لا يضّر بمقاصدهم، ثم حكى عن السيد المرتضى أنه قال في كتاب «الغرر و الدرر»: **قد دلت الدلالة الصحيحة الواضحة على أنّ الفلك و ما فيه من شمس و قمر و نجوم غير متحرك لنفسه و لا طبعه على ما يهذى به القوم و إنّ الله تعالى هو المحرك له و المتصرف باختياره فيه و قال رحمه الله في موضع آخر: لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة من الفلك و ما يشتمل عليه من الكواكب فإنها مسخرة مدبرة متصرفه و ذلك معلوم من دين رسول الله صلى الله عليه و آله ضرورة.**

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ١٨٥-١٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣

أقول: لا يخفى أنّه لو قلنا بأنّ الأشياء من الجمادات و غيرها كلّها مدرّكة شاعرة حيّة مسبحة لله سبحانه حسبما تسمع تمام الكلام فيه عند تفسير قوله:

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ «١»، فلا ريب في القول بذلك في الأفلاك و الكواكب أيضا سيّما مع التصريح بالسموات و ما فيها كما في أوّل الآية و في المسبّحات و غيرها من الآيات و ان حملنا ذلك على التسيح التكويني و قلنا أن الأجسام على قسمين: منها حيّة مدرّكة كالإنسان و منها فاقدة للإدراك و الشعور كالجمادات فمن البين أنّه لم يدل دليل على الحاق الأفلاك و الكواكب بالثاني دون الأوّل بعد ظهور إمكان كلّ من الوجهين فيها فلا ينبغي الجزم بأحد الوجهين من دون حيّة و لذا قال شيخنا الشهيد الأوّل في قواعده كلّ من اعتقد في الكواكب أنّها مدبرة لهذا العالم و موجودة فيه فلا ريب أنّه كافر و ان اعتقد أنّها تفعل الآثار المنسوبة إليها و الله سبحانه هو المؤثر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطئ إذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقلي و لا نقلي «٢» آه.

و مراده كما ترى عدم الثبوت لا ثبوت العدم، و من هنا يظهر ضعف ما ذكره الشيخ الأكبر «٣» في شرح القواعد «٤» مازجا عبارته بعبارة العلامة قائلا: **و عمل التنجيم حرام، و كذا تعلم علم النجوم و الفلكيات، و تعليمه، و علمه بالنظر من غير تعليم مع اعتقاد قدمها لذاتها، و هو كفر الإنكار و الإشراك، أو لقدم علّتها، و حدوثها متّصفة بالعلوم و الإدراكات و صفة الاختيار لها مع الصفات، و هذان**

من كفر إنكار الضروريات انتهى.

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) القواعد للشهيد: ج ٢ ص ٣٥.

(٣) هو الشيخ جعفر بن خضر الجناجى النجفى المتوفى سنة (١٢٢٧) هـ

(٤) هو شرح مبسوط لطهارة «قواعد العلماء» مستقصى فيه كلام الفقهاء.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤

إذ فيه أنّ ضروريّة الأخير غير واضحة، اللهم إنا أن يكون مراده كغيره مّتم يدعى الإجماع عليه، نفى الحياة والشعور والارادة الموجبة للتصرف فى السّيفليات بإيجاد الآثار على وجه الاستقلال أو التشريك أو التفويض أو غيرها، وهذا لا شبهة فى قيام الإجماع بل الضرورة على فساده على أكثر الوجوه، ولعلّ هذا هو المنساق منهم فى نفى الحياة والاختيار، حيث أنّ كلامهم مع الفلاسفة و المنجّمين القائلين باستناد الحوادث بأسرها إليها على وجه الاختيار أو الإيجاب، ولذا قال العلامة «١» أعلى الله مقامه فى «أنوار الملكوت فى شرح الياقوت» «٢»: اختلف قول المنجّمين على قسمين: أحدهما قول من قال: إنّ الكواكب السّبعة حيّة مختارة، والثانى قول من قال: أنّها موجبة، والقولان باطلان، أمّا الأوّل فلأنّها أجسام محدثة فلا تكون، آلهة، ولأنّها محتاجة إلى محدث غير جسم، فلا بد من القول بالصّانع إلى آخر ما ذكره.

فانظر كيف أبطل قولهم بنفى إلهيتها وإثبات الصّانع المحدث لها، وأين هذا من القول بأنّها مصنوعة محدثة حيّة مختارة فى عبادة ربّها، مع عدم استناد شىء من الحوادث إليها بوجه، أو مع القول بإثبات نوع ارتباط لها إليها على وجه لا يمنع من القول به شىء من العقل والنقل.

ولذا قال شيخنا المدقق الورع التستري «٣» دام ظله العالى بعد نقل عبارة الشهيد المتقدّمة ما لفظه: و ظاهره «٤» أنّ عدم القول بذلك لعدم المقتضى له و هو

(١) آية الله العلامة الحلى المتوفى (٧٢٦) هـ

(٢) الياقوت: فى علم الكلام لأبى إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن أبى سهل النوبختى كان من أعلام الشيعة فى عصر الامام الرضا عليه السلام.

(٣) هو الشيخ الأعظم الشيخ مرتضى الانصارى المولود (١٢١٤) هـ و المتوفى (١٢٨١).

(٤) أى و ظاهر كلام الشهيد الأوّل فى قوله: و إن اعتقد أنّها تفعل الآثار المنسوبة إليها، والله تعالى هو المؤثر الأعظم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥

الدليل، لا- لوجود المانع منه، و هو انعقاد الضرورة على خلافه، فهو ممكن غير معلوم الوقوع، ولعلّ وجهه أنّ الضرورى، عدم نسبة تلك الأفعال إلى فاعل مختار باختيار مستقل مغاير لاختيار الله تعالى، كما هو ظاهر قول المفوض.

أمّا استنادها إلى الفاعل بارادة الله المختار بعين مشيئته و اختياره حتّى يكون كالآلة بزيادة الشعور و قيام الاختيار به بحيث يصدّق عليه أنّه فعله و فعل الله تعالى، فلا مانع عنه إذ المخالف للضرورة انكار نسبة الفعل إلى الله على وجه الحقيقة لا إثباته لغيره أيضا بحيث يصدق أنّه فعله.

نعم ما ذكر الشهيد طاب ثراه من عدم الدليل عليه حقّ، فالقول به تحرّص، و نسبة لفعل الله إلى غيره بلا دليل و هو قبيح ثمّ قال سلمه الله: و ما ذكره قدّس سرّه كأنّ مأخذه ما فى «الاحتجاج» عن هشام «١» بن الحكم قال سأل الرّنديق أبا عبد الله عليه السّلام، فقال: ما

تقول فيمن يزعم أن هذا التدبير الذى يظهر فى هذا العالم تدبير النجوم السبعة؟ «٢» قال عليه السلام: يحتاجون إلى دليل أن هذا العالم الأكبر والعالم الأصغر من تدبير النجوم التى تسبح فى الفلك «٣» و تدور حيث دارت متبعة، لا تفتقر «٤» و سائرة لا تقف، ثم قال: عليه السلام: و إن كل نجم منها موكل مدبر فهى بمنزلة العبيد

(١) هشام بن الحكم الكوفى الواسطى البغدادى المتوفى سنة (١٧٩) هـ

(٢) و هى الشمس و القمر، و زحل و المريخ و المشتري، و عطارد و الزهرة، بناء على رأى القدماء.

(٣) الفلك (بضم الفاء و سكون اللام): جمع فلك (بفتح الفاء و اللام) و هى المدارات حول الشمس.

(٤) تفتقر: فعل مضارع على وزن يقعد و يجلس أى لا تضعف.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦

المأمورين المنهيين، فلو كانت قديمة ازلية لم يتغير من حال إلى حال «١» الخبر.

و الظاهر أن قوله بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين يعنى فى حركاتهم لا أنهم مأمورون بتدبير العالم بحركاتهم، فهى مدبرة باختيارها المنبعث عن أمر الله.

ثم حكى عن المحدث «٢» الكاشانى. أنه قال فى «الوافى» فى توجيه البداء كلاما ربما يظهر منه مخالفته للمشهور حيث قال: اعلم أن القوى المنطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعة واحدة لعدم تناهى تلك الأمور، بل إنما تنقش فيها الحوادث شيئا فشيئا، فإن ما يحدث فى عالم الكون و الفساد إنما هو من لوازم حركات الأفلاك و نتائج بركاتهما، فهى تعلم أنه كلما كان كذا كان كذا انتهى ما حكاه عن الكاشانى «٣».

ثم قال: و ظاهره «٤» أنها فاعلة بالاختيار لمزومات الحوادث، و بالجملة فكفر المعتقد بالربط على هذا الوجه الثانى لم يظهر من الأخبار، و مخالفتها لضرورة الدين لم يثبت أيضا، إذ ليس المراد العلية التامة كيف و قد حاول المحدث الكاشانى بهذه المقدمات اثبات البداء «٥»، أقول: و هو جيد و جيه فيما ذكره من المنع عن قيام الإجماع و الضرورة على نفى الحياة و القول بالتأثير فى الجملة، و إن كان لا يخلو من نظر فيما ذكره فى معنى الخبر حسبما سنشير إليه و الى ما يرد على المحدث الكاشانى فى تفسير الآيات

(١) الاحتجاج ط النجف الأشرف ج ٢ ص ٧٢.

(٢) هو العالم الفاضل الكامل الحكيم المتأله محمد بن المرتضى المدعو بالمولى محسن القاشانى توفى سنة (١٠٩١) هـ

(٣) الوافى: ج ١ ص ١١٢.

(٤) أى و ظاهر كلام المحقق الكاشانى.

(٥) المكاسب ج ٢ بتعليق الكلانتر ص ٣٣١-٣٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧

المتعلقة بها.

ثم أن قوله عليه السلام فى الخبر المتقدم بمنزلة العبيد المأمورين المنهيين ظاهر فيما ذكرناه من الحياة و الإختيار على كلا الوجهين فى معنى الخبر فلا تغفل، فقد ظهر مما مر أنه ليس لهم الاستناد فى نفى الحياة إلى الإجماع و الضرورة و أما الوجوه التى ربما يحكى عن المتكلمين فهى بمكان من الضعف و القصور، و لذا قال السيد المرتضى «١» فى أجوبة «٢» المسائل السلارية أنه قد سطر المتكلمون طرقا كثيرة فى أن النجوم ليست بحية و لا-قادرة، أكثرها معترض، و أشف ما قيل فى ذلك أن الحياة معلوم أن الحرارة الشديدة كحرارة النار تفنيها و لا-تثبت معها، و معلوم أن حرارة الشمس أشد و أقوى من حرارة النار بكثير، لأن الذى يصل إلينا على بعد

المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حرارة النار و لما كان بهذه الصفة من الحرارة يستحيل كونه حياً. أقول: و هو كما ترى، ثم لا يخفى أن شيخنا المجلسي طاب ثراه قد صرح في موضع آخر بأن للأشياء كلها شعورا و اختيارا و تسبيحا إراديا حملا للآيات و الاخبار الناطقة بذلك على ظاهرها، و قد مرّت حكاية عبارته، فاعتراضه في المقام على شيخنا البهائي طاب ثراه لا يخلو من غرابة، سيما مع ما ربّما يوهمه كلامه من التعريض عليه أو على غيره.

(١) هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم الامام موسى الكاظم عليه السلام توفي لخمس بقين من ربيع الاول سنة (٤٣٦) هـ

(٢) كتاب في المسائل التي سألتها عن السيد المرتضى تلميذه حمزة بن عبد العزيز الديلمي أبو يعلى سلار المتوفى (٤٦٣) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨

ثم أن ما ذكره شيخنا التستري دام علاه في تحقيق الفاعلية بقسميه و المنع من أحدهما دون الآخر لعله ينفك في تقريب ما مرّت الإشارة إليه من معنى وساطة النبي و آله الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين للفيوض الإلهية و بايبتهم و شفاعتهم و أنه غير التفويض الذي نقول بكفر معتقده حسبما مر غير مرّة.

و هو بكلّ شئٍ عَلِيمٌ لَمَّا وصف نفسه بكمال القدرة و الاستيلاء قرن ذلك بكمال العلم ليعلم وقوع الفعل منه على النمط الأتقن و الوجه الأحسن، فإنّ القادر العالم بوجوه الصّنع و هندسة المقادير لا يختار في فعله بالحكمة البالغة إلّا الأكمل الأجمل، و هذا من الاستدلال بالعلّة على المعلول، و يحتمل العكس تنبيها على أنّ من كان فعله على هذا النظم العجيب و النسق البديع مع اتّصال الإمداد و سيلان الفيض منه عليه الموجب لبقائه بقيوميته المطلقة فهو متّصف بكمال العلم بجميع ما في الإمكان و الأكوان، فإنّ إتقان الأفعال و إحكامها و اختيار الوجه الأحسن الأتقن فيها أدلّ دليل على العلم و الحكمة.

و فيه تهديد شديد على من قابل الإحسان بالكفران حيث ختم به الامتنان عليهم بخلق أنفسهم و التفضل عليهم بما فيه حياتهم في العاجل و الآجل بعد توبيخهم على كفرهم في صدر الآيّة السابقة فكأنّه هدّهم بأنّ عقبتهم السؤى لعلمه بقبح فعالهم و سوء مقالهم و نظيره قوله: وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ «١».

(١) التوبة: ٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٩

و من هنا ينقذ أن فيها إشارة إلى دفع الشبهة المختلجة في صدورهم الجارية على ألسنتهم من أنّ الأبدان بعد ما تفتتت و تفرقت أجزاءها و تمزقت كلّ ممزق و اتّصلت أجزاءها البسيطة بما يشاكلها في مراكزها و عادت إلى ما منه بدأت عود ممازجة لا عود مجاورة، فكيف يجمع أجزاء كلّ بدن مرّة ثانية بحيث لا يشد منها شىء و لا ينضم إليها غيرها، فأجاب بأنّه سهل يسير لمن له القدرة الكلية و الإحاطة العلميّة كما في قوله: قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ «١»، و قوله: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي ارْتَبْتُكُمْ بِمِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صِيحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ «٢» و ذلك بعد ما أشار في الآيّة السابقة إلى أنّ مواد الأبدان قابلة للجمع و التفريق و الحياة بعد الموت، و أنّ القادر على انشائها أول مرّة قادر على احيائها في الآخرة، فصحّ دلالة الآيتين على صحّة الحشر.

و قد ظهر ممّا مرّ وجه التعبير بصيغة الفاعل دون الفاعل، و لذا قال سيويوه «٣»:

إذا أرادوا المبالغة عدلوا إلى فاعل نحو عليم و حكيم، و قد سکن نافع «٤» من طريق قالون «٥»، و أبو عمرو «٦»، و الكسائي «٧» الهاء في نحو (فهو) و (هو) تشبيها له بعضه،

(١) يس: ٧٩.

(٢) لقمان: ١٦.

(٣) هو عمرو بن عثمان الفارسي البضاوي الفارسي النحوي المتوفى (١٨٠) هـ.

(٤) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم أبو رويم المدني المتوفى (١٦٩) أحد القراء السبعة.

(٥) هو عيسى بن مينا بن وردان الملقب بقالون قارئ المدينة توفى سنة (٢٢٠) هـ.

(٦) هو زيان بن العلاء بن عمار ابو عمرو البصري المتوفى (١٥٤) أحد القراء السبعة.

(٧) هو ابو الحسن علي بن حمزة الكوفي المقرئ النحوي (المتوفى (١٧٩) أحد القراء السبعة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٠

و في نحو (فهى) و (هى) تشبيها له بكتف، تنزيلا للأوائل منزلة الأواسط، حيث جعلوا الواو و الفاء كأنهما من نفس الكلمة، و هى لغه فصيح.

تفسير الآية (٣٠)

إشارة

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً شَرَعْتُ فِي ذِكْرِ بَدءِ خَلْقِ آدَمَ وَ كَيْفِيَةِ تَكْرِيمِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ قَبْلَ ظُهُورِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، حَيْثُ بَشَّرَ بِهِ مَلَائِكَتَهُ وَ نَوَّهَ بِاسْمِهِ وَ أَهْلَهُ لِلخِلَافَةِ الْكَلِيَّةِ، وَ أَوْدَعَهُ عِلْمَهُ وَ حِكْمَتَهُ، وَ النُّورَ الَّذِي هُوَ السَّبَبُ الْكَلِّيُّ لِإِبْجَادِهِ وَ تَكْرِيمِهِ وَ أَمْرِهِ بِسُجُودِ مَلَائِكَتِهِ لَهُ، وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتِي، وَ ذَلِكَ النُّورُ هُوَ نُورُ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ الْأَنْمَةِ الطَّاهِرِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، فَالْآيَةُ إِشَارَةٌ إِلَى مَنْنِهِ الَّتِي لَا تَحْصَى وَ لَا تَسْتَقْصَى عَلَيْهِ وَ عَلَى ذَرِيَّتِهِ الطَّيِّبِينَ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، حَيْثُ إِنَّهُ سَبَّحَانَهُ آتَاهُ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، ثُمَّ عَلَى خُصُوصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ الَّذِينَ هُمْ شِيَعَتُهُمْ وَ مَحْبُوهُمْ حَيْثُ خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَاضِلِ طِينَتِهِمْ، وَ عَجَنَهُمْ بِمَاءِ وَلَايَتِهِمْ، ثُمَّ عَلَى عَمُومِ بَنِي آدَمَ حَيْثُ خَصَّيَهُمْ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظْمَى مِنْ بَيْنِ أَهْلِ الْعَالَمِ، فَأَنَّهُ مِنْ أَدَلِّ الدَّلَائِلِ عَلَى عَنَايَةِ الْبَارِي سَبَّحَانَهُ بِشَأْنِ هَذَا النُّوعِ.

وَ إِذْ فِي الْأَصْلِ ظُرْفُ لِلزَّمَنِ الْمَاضِي، وَ اسْتِعْمَالُهُ لِلِاسْتِقْبَالِ فِي نَحْوِ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا «١» قَلِيلٌ، أَوْ مَوْءُولٌ، وَ تَلْزِمُهُ الْإِضَافَةُ إِلَى الْجَمَلِ، فَأَشْبَهَ الْحُرُوفَ بِإِفْتِقَارِهِ الْأَصْلِي، ثُمَّ أَنَّهُ قَدْ يَخْرُجُ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ الْمُحَضَّةِ لِكثْرَةِ دَوْرِهِ فِي

(١) الزلزال: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥١

الكلام، فيستعمل للتعليل للمناسبة بينه و بين الظرف، و قد يحذف عامله نحو وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ «١» أَى وَ إِذْ لَمْ يَهْتَدُوا ظَهَرَ عِنَادَهُمْ، ثُمَّ تَوَسَّعُوا فِيهِ بِاسْتِعْمَالِهِ بِمَعْنَى الْوَقْتِ مُطْلَقًا، فَنُصِبَ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ بِتَقْدِيرِ إِذْ كَر، كَمَا فِي الْآيَةِ وَ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَوَائِلِ الْقِصَصِ، أَوْ عَلَى الْبَدَايَةِ كَقَوْلِهِ أَذْكَرُوا نِعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ «٢» وَ خَفَضَهُ بِإِضَافَةِ الْأَرْمَنِ خَاصَّةً إِلَيْهِ، فِي نَحْوِ حَيْثُ نَزَلَ وَ يَوْمَئِذٍ وَ بَعَدَ إِذْ هَدَيْتَنَا «٣».

وَ أَمَّا رَفْعُهُ بِالْفَاعِلِيَّةِ وَ نَحْوَهَا فَالْجَمْهُورُ عَلَى عَدَمِ جَوَازِهِ، حَسْبَمَا يَحْكِي عَنْهُمْ لَكِنِ الْأَظْهَرُ وَفَاقًا لِكَثِيرٍ مِمَّنْ تَأَخَّرَ جَوَازُهُ، وَ لِذَا وَجَّهَ الزَّمْخَشَرِيُّ «٤» قِرَاءَةَ بَعْضِهِمْ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا «٥» بِكَوْنِهِ فِي مَحَلِّ الرِّفْعِ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ حَمَلًا لَهُ عَلَى إِذَا فِي

قولهم: أخطب ما يكون الأمير إذا كان قائما «٦» للتسوية بين المبتدأ والخبر، ولا غرابة في ذلك بعد مساعدة القليل، وهو اتفاقهم على التصرف والخروج عن الظرفية، ومن هنا يظهر أنه لا يحتاج إلى سماع خاص، فلا يقدح فيه عدم التصريح به، ولعل فيما يأتي من عبارة الإمام عليه السلام دلالة على ما اخترناه فلاحظ، والتزام ظرفيته دائما حتى في مثل المقام تكلف جدا، بل قيل: إنه وهم فاحش، لاقتضائه حينئذ الأمر بالذكر في الوقت الذي قد مضى مع أن امتثال الأمر في الحال أو الاستقبال، بل من البين أن المراد في مثل المقام ذكر الوقت نفسه

(١) الأحقاف: ١١.

(٢) المائة: ٢٠.

(٣) آل عمران: ٨.

(٤) هو ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي المعتزلي المتوفى (٥٣٨) هـ.

(٥) آل عمران: ١٦٤.

(٦) الكشف ج ١ ص ٤٧٧ ط بيروت دار الفكر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٢

لا الذكر في الوقت.

وجعله ظرفا للحادث المحذوف، كما توهمه البيضاوي «١» بأن يكون التقدير واذكر الحادث، إذ قال ربك، مع كونه خلاف المنساق عن السياق واشتماله على التكلف الظاهر مردود بأولوية المجاز من الإضمار.

وأوهن من الجميع القول بكونه زائدا في مثل المقام كما عن أبي عبيدة «٢» وغيره.

وعامله في الآية اذكر على أن يكون مفعولا- به له، لا- على ما قيل من التأويل، وتكون الجملة عطفا على قوله: وَبَشِّرِ «٣» من عطف القصة على القصة، من غير التفات إلى ما فيها من الجمل إنشاء وإخبارا، والمتخلل من تمام القصة، أو جار مجرى الاعتراض، وعطفا على فتدبر، ونحوه مقدرا بعد قوله: وهو بكل شئ عليم، كأنه قال بعد تعداد النعم والاستدلال بالعلّة على المعلول، أو العكس على ما تقدم فتدبر ذلك واذكر.

ويحتمل أن يكون الفاعل فيه قوله في هذه الآية: قالوا، فيكون على حقيقة الظرفية، والمعنى قالت الملائكة إذ قال ربك لهم إني جاعل في الأرض خليفة: أ تجعل، وإن يكون ظرفا لمضمحل دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل: وبدأ خلقكم.

(١) هو القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الفارسي الأشعري الشافعي توفي بتبريز سنة (٦٨٥) هـ- الكنى والألقاب ج ٢ ص ١٠٠.

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى البصري النحوي اللغوي المتوفى (٣٠٩) أو ٢١١.

(٣) سورة البقرة: ٢٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٣

لكن في تفسير الإمام عليه السلام ما استفاد منه كونه ظرفا لقوله: خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ حيث قال عليه السلام: لما قيل لهم: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً «١» قالوا: متى كان هذا؟ قال الله عز وجل: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إبداعي هذا الخلق: لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً حين قال ربك «٢».

بناء على أحد الوجهين فيه، والوجه الآخر خروجه عن الظرفية بكونه خبرا عن قوله ابداعي، ولذا عبر عنه بلفظ حين وجعله مسندا، و

لعل المراد أنهم لما سألو عن الوقت أجيبوا بأنه حيث لم يكن لكم وجود، ولا قوة اعانته له في خلق معاشكم، ولا لسان سؤال منه بل كان حين التفضل عليكم بالإخبار من إرادة خلق أبيكم و تكريمه بكذا و كذا، فالظرف هو الزمان الممتد قبل خلق آدم، وإن كان خلق ما في الأرض في طرف منه، والقول في آخر تنبيها على أنه هو المبتدئ بالنعم قبل الاستحقاق وقبل وجود المستحق. والقول موضوع لحكاية لفظ أو فعل أو حال باللفظ الدال عليه، وقد يعم في الحكاية كالمحكي بناء على التوسعة فيه عما وضع له في اصل اللغة، ويقال: قال بيده أى أشار، وهو منه تعالى بما يفيد الإفهام من وحى أو إلهام أو خلق صوت و كلام، أو نصب دليل على المرام.

وقد مرّت الإشارة إلى معانى الرّب في الفاتحة و الأنسب منها في المقام هو المرّبى يا يصال الفيوض و المتفضل بالإمدادات الظاهرة و الباطنة مع دفع العوائق إلى أن يصل إلى الكمال اللاتق، و أضافته إلى ضمير الخطاب المكنى به عن النبي صلى الله عليه و آله للإشارة إلى أنه هو المقصود الاصلى و السبب الكلى في خلق آدم و ان ذلك من تمام

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) تفسير المنسوب الى الإمام العسكرى عليه السلام، نقل عنه تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٤

تربيته و ارادة ظهوره في هذا العالم، فانه كالثمره المقصوده من هذه الشجرة، و التنبية على أنه صلى الله عليه و آله كان مقيما على حدّ العبودية متمكنا في مقام الشهود الدائم، و لذا شافهه كفاحا.

و الملائكة جمع ملك، و أصله ملائكة، بل قيل: أنه لا خلاف في ذلك و قد جاء الأصل في نحو.

و لست لإنسى و لكن لملائك تنزل من جو السماء يصب و أما اختلفوا في ملائكة فعن الكسائي و ابن السكيت «١» و الليث «٢» أصله مألِك بتقديم الهمزة من الألوک، و هى الرسالة، ثم قلبت بتقديم اللام، ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فلما جمعه ردوها إليه فقالوا ملائكة و ملائك أيضا، و عن أبى عبيدة أنه فعل من لأك إذا أرسل، قال فى القاموس: الملائك و الملائكة الرسالة و أكنى إلى فلان أبلغه عنى، أصله التكنى، حذف الهمزة و ألقيت حركتها على ما قبلها، و الملائك الملك، لأنه يبلغ عن الله تعالى و وزنه مفعول و العين محذوفة، و ألزمت التخفيف إلاً شاذاً، و هذا لسلامته من القلب سيما مع شيوع استعماله أجود من الأول، و توهم ضعفه مدفوع بثبوت النقل و الاستعمال، مع أنه المحكى عن ابن الأنبارى «٣» و ابن

(١) ابن السكيت (بكسر السين و تشديد الكاف): أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقي الهموازي النحوى اللغوى المقتول بأمر المتوكل سنة (٢٤٤) ه الكنى و الألقاب: ج ١ ص ٣١٤.

(٢) الليث بن خالد أبو الحارث البغدادي المقرئ من جلة أصحاب الكسائي توفى سنة (٢٤٠) ه غاية النهاية: ج ٢ ص ٣٤.

(٣) هو ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار اللغوى النحوى الأديب المستوفى (٣٠٤) أو ٣٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٥

الهيثم «١» و غيرهما، فلا ينبغى التأمل فى ثبوته لعدم نصّ الجوهري «٢» و غيره و عن ابن كيسان «٣» أنه من ملك لدوران المادة مع القوة و الشدة يقال: ملكت العجين أى شددت عجنه، و ملك النبعة، و هى اسم شجرة صلبها و ذلك إذا يبسها فى الشمس مع قشرها، و ملكت بالطعنة كفى أى شددت، و معنى القوة ظاهر فى المالك و الملك و ما تصرف منهما، و منه ملك الدابة بضم الميم و اللام لقوائمها، و ملك الطريق بالتثنية لمعظمه، بل قد يرجح هذا على الأولين بأن معنى الشدة و القوة يعم جميع الملائكة، و ناهيك فى ذلك قوله تعالى: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ «٤»، أى قوة أعظم من ذلك و أنه سبحانه جعلهم وسائل جلّ أو كلّ ما يظهره

في هذا العالم بديع حكمته و باهر قدرته من الفيوض التكوينية و الاحكام التشريعية.

و أما الرسالة فلقوله تعالى: اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ «٥».

و أما قوله جاعل الملائكة رُسُلًا «٦» فمخصص جمعا بل و ضرورة إلا مع التجوز في معنى الرسالة، و يشكل حينئذ بجمعه هذا الجمع إلا باعتبار أصله الذي هو ملاك على أن الهمزة مزيدة فيجمع على ملائك كشمأل و شمائل، و أما الحاق التاء ففيل: إنه لتأكيد تأنيث الجماعة، و أوسط الأقوال أوسطها لسلامته من القلب

(١) هو داود بن الهيثم بن إسحاق ابو سعيد التنوخي الأنباري اللغوي النحوي المتوفى (٣١٦).

(٢) الجوهرى: ابو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي: المتوفى سنة (٣٩٣) ه على الأشهر.

(٣) هو ابو الحسن محمد بن احمد بن ابراهيم بن كيسان البغدادي النحوي المتوفى (٢٩٩) ه

(٤) الأنبياء: ٢٠.

(٥) الحج: ٧٥.

(٦) فاطر: ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٦

و قلته البناء على فعأل فلا يرتكب مثله إلا لظهور الاشتقاق كما في شمأل، مضافا إلى ظهور المناسبة، و عدم اطرادها على فرضه غير قادح.

و المراد بهم هذا الخلق المعروف الذين هم أجسام نورانية على ما تأتي إليها الإشارة، و الجعل إما بمعنى الخلق أو بمعنى الصيرورة، فله مفعولان دخل على المبتدأ و الخبر، «في الأرض خليفة» عمل جاعل فيهما لكونه بمعنى الاستقبال معتمدا على المسند اليه، و هو ضمير المتكلم فى أنى، و «الخليفة» فعيلة من استخلف فى الأمر مكان من قبله فكانه خلف غيره و قام مقامه، كما أن الامام مأخوذ من الأّم الذى هو القصد، أو من الامام لتقدمه فهو المتقدم الذى يقتدى به، و زيدت الهاء للمبالغة.

و المراد به خصوص آدم لأنه كان خليفة الله فى أرضه فى عمارة الأرض و نشر الشرائع و الأحكام و تكميل الأنام و سياستهم و تنفيذ أمره فيهم.

أو لأنه خليفة من سكن الأرض قبله من الملائكة حيث كانوا يعبدون الله فى الأرض فلما قال لهم: إئتى جاعل فى الأرض خليفة بدلا منكم و رافعكم منها اشتد ذلك عليهم لأن العبادة عند رجوعهم الى السماء تكون أثقل عليهم، كما فى تفسير الإمام عليه السلام «١». أو من بنى الجان و النسناس و غيرهم ممن سكن الأرض و اشتغل بالسفك و الإفساد فأكلوا رزقه و عبدوا غيره. و أن المراد به هو الخاتم لاختصاصه بالخلافة الكليّة المحمّدية و لذا نكره تعظيما له و تفخيما لشأنه.

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الامام العسكري عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٧

أو كلّ نبى أو الحجية بعد الحجية فى كلّ زمان حيث إنّ الأرض لا تخلوا فى كلّ زمان من حجة معصوم أو آدم و ذريته، و ستسمع تفصيل الكلام فيه، و أفراد اللفظ على بعض الوجوه ظاهر للوحدة الشخصية أو الوجودية فى كلّ عصر و على غيره فعلى تأويل من يخلف أو خلقا يخلف، أو للاستغناء بذكر الأب الجسماني أو الروحاني عن ذكر نبيه، كما استغنى بذكر أبى القبيلة فى قولهم: هاشم، و لؤى، و مضر، على أنه قد يقال بمعنى فاعلة اسم يصلح للواحد و الجمع و المذكر و المؤنث.

و قرأ خليفة بالقاف و هو فى الأصل مصدر يطلق على الخلاق يقال هم خليفة الله و هم خلق الله و على الطبيعة لاختصاص هذا النوع

بطبيعه لا يشاركه فيها شيء من الخلق و إن شارك الكُل في طبائعهم في الجملة، و التاء ... باعتبار تعدد الموصوف أو تأنيثه، فإنه قد استعمل بمعنى المفعول.

و المراد بالأرض تمام البسيط من البرارى و البحار، فإن للإنسان الخلافة في الجميع هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ «١» و كذا تمام الجهات الأربعة من الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب لظاهر الآية و تحقق الدحو قبل الخطاب.

و أما ما روى من طرق العامة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله أَنَّهُ قَالَ: دَحِيَّتِ الْأَرْضُ مِنْ مَكَّةَ وَ كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَ هِيَ أَوْلُ مَنْ طَافَ بِهَا، وَ هِيَ الْأَرْضُ الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً «٢» فضعيف سنداً، و لو صحَّ فلعَلَّ تخصيص أرض مكة بالذكر لتبعيته غيرها لها خلقاً و شرفاً، فلعَلَّ إشارة إلى أن المقصود من

(١) يونس: ٢٢.

(٢) تفسير الفخر الرازى ج ٢ ص ١٦٥ رواه عن عبد الرحمن بن سابط، عن النبي و عبد الرحمن توفى سنة (١١٨) فخره مرسل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٨

تلك الخلافة بل من خلق آدم و غيره هو الخلافة الكلية الثابتة لنبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله، حيث إنه بعث في الأميين لينذر أم القرى و من حولها، فكما أن الأرض دحيت من مكة، فكذلك أعلام العلم و الهداية تشرف منها، و لعل هذا هو السر في إعلام الملائكة بخلق آدم الذى هو طليعة ظهور الخاتم الذى هو علمه و وجود العالم، لأنه المخاطب بقوله: «لولاك لما خلقت الأفلاك» «١» ففي الإيثار بوجوده قبل خلقه و استحقيقه الخلافة الالهية و جامعته المطلقة، سيما مع إزاحة ما ربما يختلج في صدورهم من الشك في فضله أو التردد في سببه إشارات إلى تعظيمه و تكريمه و اظهار لفضله الزاجح على ما فيه من المفاسد، سيما مع كونه مستودعا للأنوار الالهية و الأشباح القدسية التي هي أنوار الأئمة عليهم السلام.

بقى الكلام في أمور: أحدها أنه لا خلاف بين المئين القائلين بحدوث العالم في تأخر خلقه آدم عن هذا العالم الجسماني، و اختلفوا في قدر تأخره، كما أنهم قد اختلفوا في قدر بقائه فالاحكاميون منهم بنوا ذلك على ما اصطلحوا عليه من حساب الأدوار، و ذلك أنهم أجمعوا على أن الكواكب السبع السيارة كانت في بدو خلق العالم مجتمعاً مقترنة في أول نقطة برج الحمل و ان أوجاتها و جوزهريتها كانت مقترنة معها في أول دقيقة من الحمل، بل و كذا الثوابت على رأى المتأخرين الذين ذهبوا إلى أن لها حركة بطيئة، و تنقسم الأدوار عندهم إلى أدوار الألوف و أدوار الفصول، و للأول أقسام أربعة: أعظم و اكبر و أوسط و أصغر، و لكل منها تيسير و انتهاء، و لهم في ذلك كلام طويل لا طائل تحت التعرض له، و زعموا أن مقدار عمر

(١) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٤٠٦ عن المناقب لابن شهر آشوب.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٥٩

الدنيا هو ما بين القران الكلى للسبع في دقيقة أول الحمل إلى قران آخر مثله، فاعتمدوا في معظم الحوادث على القرانات الكلية، سيما التي بين العلويين إلى غير ذلك من هذياناتهم التي لا ينبغي الإصغاء إليها، و ذكر بعضهم في تاريخ صنفه في سنة تسعمائة و احدى و أربعين من الهجرة النبوية أنه قد انقضى من حركة الأفلاك و الكواكب ثمان مائة و ست عشر ألف سنة و ثلاثمائة و اثنان و ثمانون سنة، و من أول أيام العالم الذى هو عبارة عن اجتماع السبع السيارة في أول نقطة من الحمل و هو المسمى عندهم بالقران السباعى مائة و أربع و ثمانون ألف سنة و ستمائة و اثنان و سبعون سنة، و من خلقه الجن و الشياطين ست و ستون ألف سنة و تسعمائة و أربع و عشرون سنة، و من كتابة الصخرة أربعون ألف سنة و اربع و ثلاثون سنة، و من بناء هرمان بمصر ثلاثة عشر ألف سنة و ستمائة و ثلاث و أربعون ألف سنة، و من هبوط آدم على نبينا و آله و عليه السلام سبعة آلاف سنة و مائة و اربع سنين، إلى آخر ما ذكره.

وليت شعري من أين قدر هذه الأوقات، ثم إن المشهور أن بناء الهرمين كان بعد الهبوط و ان بانيه كان من بنى أبينا آدم أبى البشر، و إن اختلفوا فى بانيها على أقوال قال فى القاموس: الهرمان بالتحريك بناء آن أوليان بناهما إدريس عليه السّلام لحفظ العلوم فيهما عن الطّوفان، أو بناء سنان بن المشثل أو بناء الأوائل لما علموا بالطوفان من جهة النجوم، و فيهما كلّ طبّ و طلسم و هنالك أهرام صغار كثيرة انتهى.

و لعلّ توهم تقدّمه على الهبوط مبنّى على ما اشتهر فى الألسنة أو وجد مكتوبا هناك، أو فى موضع آخر من أنه بنى الهرمين و التّسر طائر فى السرطان،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٠

و عدّه فى «تحفة العالم» حديثا و هو وهم.

و بالجملة فأقولهم فى ذلك على اختلافها لا عبرة بشيء منها لفقد الحجّة عليها، و أمّا الأخبار فهى مختلفة أيضا فى «المشارك» و غيره أنه سئل مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام عن عمر الدنيا فقال عليه السّلام يقال سبعة آلاف ثم لا تحديد «١».

و لعلّ المراد أن تلك المدّة المذكورة كانت من آدم إلى الخاتم، كما لعلّه يومئذ إليه خبر أبى ليلى «٢» المتقدّم فى تفسير «ألم» و أمّا نفى التحديد فمن مبعث النبىّ صلّى الله عليه و آله إلى قيام الساعة.

و فى «جامع الاخبار» عن النبىّ صلّى الله عليه و آله أن موسى عليه السّلام سأل ربّه عز و جل أن يعرفه بدء الدّنيا منذ كم خلقت؟ فأوحى الله تعالى إلى موسى تسألنى عن غوامض علمى؟

فقال: يا ربّ أحبّ أن أعلم ذلك، فقال: يا موسى خلقت الدّنيا منذ مائة ألف ألف عام عشر مرّات «٣»، الخبر على ما مرّ مع اخبار آخر فى تفسير قوله ربّ العالمين.

و روى العياشى عن عيسى بن أبى حمزة قال: قال رجل لأبى عبد الله عليه السّلام جعلت فداك إنّ الناس يزعمون أنّ الدّنيا عمرها عشرة آلاف سنة فقال ليس كما يقولون، إنّ الله خلق لها خمسين ألف عام فتركها قاعا قفرا، حاوية عشرة آلاف، ثمّ بدا لله بداء فخلق فيها خلقا ليس من الجنّ و لا من الملائكة و لا من الانس، و قدر لهم عشرة آلاف عام فلما قربت آجالهم أفسدوا فيها فدمر الله عليهم تدميرا ثمّ تركها

(١) بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٢٧ عن ارشاد القلوب ج ٢ ص ١٨٦-١٨٧.

(٢) البحار ج ٥٢ ص ١٠٦ و ابو ليلى هو البحرانى الهجرى المخزومى من أصحاب الباقر عليه السّلام.

(٣) البحار: ج ٥٧ ص ٣٣١ عن جامع الاخبار.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦١

حاوية عشرة آلاف عام ثمّ خلق فيها و قدر لهم عشرة آلاف عام فلما قربت أفسدوا فيها و سفكوا الدّماء و هو قول الملائكة: أ تَجْعَلُ فيها مَنْ يُفْسِدُ فيها وَيَسْفِكُ الدّماءَ كما سفكت بنو الجان، فاهلكهم الله تعالى ثمّ بدا لله فخلق آدم و قدر له عشرة آلاف، و قد مضى من ذلك سبعة آلاف عام و مائتان و أنتم فى آخر الزمان «١».

و فى «الخصال» و «المعاني» عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: إنّ الله تبارك و تعالى خلق نور محمّد صلّى الله عليه و آله قبل أن يخلق السّّموات و الأرض و العرش و الكرسي و اللّوح و القلم و الجنّة و النّار و قبل أن يخلق آدم و نوحا و ابراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و موسى و عيسى و داود و سليمان و قبل أن يخلق الأنبياء كلّهم باربعمائة ألف سنة و أربع و عشرين ألف سنة «٢».

و فى الاختصاص عنهم عليهم السّلام: أنّ الله خلقنا قبل الخلق بألف عام فسبحنا فسبحت الملائكة بتسييحنا «٣»، الخبر.

و فى البحار: عن أبى الحسن البكرى «٤» استاد الشهيد الثانى فى كتاب الأنوار عن مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال كان الله و

لا شيء معه، فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلى الله عليه وآله قبل خلق الماء والعرش والكرسى والسموات والأرض واللوح والقلم والجنّة والنار والملائكة وآدم وحواء باربعة وعشرين واربعمائة ألف عام، فلما خلق الله تعالى نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله بقى ألف عام بين يدي الله عز وجل واقفا يسبحه ويحمده،

(١) تفسير العياشى ج ١ ص ٣١ وعنه تفسير البرهان ج ١ ص ٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٧٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ١ ح ٢ عن الاختصاص.

(٤) هو الشيخ الجليل أحمد بن عبد الله بن محمد البكرى صاحب كتاب الأنوار فى مولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكتب آخر، توفى سنة (٩٥٣) هـ بمصر ودفن جنب قبر الشافعى وبنوا عليه قبة عظيمة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٢

والحق تبارك وتعالى ينظر اليه ويقول: يا عبدى أنت المراد والمريد، وأنت خيرتى من خلقى، وعزتى وجلالى لولاك ما خلقت الأفلاك، من أحبيك أحببته ومن أبغضك أبغضته، فتلاّأ- نوره وارتفع شعاعه فخلق الله تعالى منه اثنى عشر حجابا أولها حجاب القدرة، ثم حجاب العظمة، ثم حجاب العزة، ثم حجاب الهيبة، ثم حجاب الجبروت، ثم حجاب الرحمة، ثم حجاب النبوة، ثم حجاب الكبرياء، وفى بعض النسخ الكرامة، ثم حجاب المنزلة، ثم حجاب الرفعة، ثم حجاب السعادة، ثم حجاب الشفاعة، ثم إن الله تعالى أمر نور رسول الله صلى الله عليه وآله أن يدخل فى حجاب القدرة فدخل وهو يقول سبحان العلى الأعلى، وبقى على ذلك اثنى عشر ألف عام، ثم أمره أن يدخل فى حجاب العظمة فدخل وهو يقول: سبحان عالم السرّ وأخفى أحد عشر ألف عام، ثم دخل فى حجاب العزة وهو يقول: سبحان الملك المئان عشرة آلاف عام، ثم دخل فى حجاب الهيبة وهو يقول: سبحان من هو غنى لا يفتقر تسعة آلاف عام، ثم دخل فى حجاب الجبروت وهو يقول: سبحان الكريم الأكرم ثمانية آلاف عام، ثم دخل فى حجاب الرحمة وهو يقول: سبحان ربّ العرش العظيم سبعة آلاف عام، ثم دخل فى حجاب النبوة وهو يقول: سبحان ربك ربّ العزة عمّا يصفون ستة آلاف عام، ثم دخل فى حجاب الكبرياء وهو يقول:

سبحان العظيم الأعظم خمسة آلاف عام، ثم دخل فى حجاب المنزلة وهو يقول:

سبحان العليم الكريم، أربعة آلاف عام، ثم دخل فى حجاب الرفعة وهو يقول:

سبحان ذى الملك والملكوت ثلاثة آلاف عام، ثم دخل فى حجاب السعادة وهو يقول: سبحان من يزيل الأشياء ولا يزول ألقى عام، ثم دخل فى حجاب الشفاعة وهو يقول سبحان الله العظيم ألف عام، قال الامام على بن أبى طالب عليه السلام: ثم إن الله تعالى خلق من نور محمد صلى الله عليه وآله وعشرين بحرا من نور، فى كلّ بحر علوم لا يعلمها إلا الله تعالى، ثم قال لنور محمد صلى الله عليه وآله: أنزل فى بحر العزّ فتزل،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٣

ثم فى بحر الصبر، ثم فى بحر الخشوع، ثم فى بحر التواضع، ثم فى بحر الرضا، ثم فى بحر الوفاء، ثم فى بحر العلم، ثم فى بحر التقى، ثم فى بحر الخشية، ثم فى بحر الإنابة، ثم فى بحر العمل، ثم فى بحر المزيد، ثم فى بحر الهدى، ثم فى بحر الصيانة، ثم فى بحر الحياء، حتى تقلب فى عشرين بحرا، فلمّا خرج من آخر الأبحر قال الله تعالى: يا حبيبي وسيد رسلى ويا أول مخلوقاتي ويا آخر رسلى أنت الشّفيع يوم المحشر، فخرّ النور ساجدا ثم قام فقطرت منه قطرات كان عددها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قطرة، فخلق الله تعالى من كلّ قطرة من نوره نبيا من الأنبياء، فلمّا تكاملت الأنوار صارت تطوف حول نور محمد صلى الله عليه وآله كما تطوف الحجّاج حول بيت الله الحرام، وهم يسبحون الله ويحمدونه ويقولون: سبحان من هو عالم لا يجهل، سبحان من هو حليم لا يعجل،

سبحان من هو غني لا يفتقر، فناداهم الله تعالى:

تعرفون من أنا؟ فسبق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل الأنوار و نادى: أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، ربّ الأرباب و ملك الملوك، فإذا بالنساء من قبل الحق أنت صفيى و أنت حبيبي و خير خلقي، أمتك خير أمية أخرجت للناس ثم خلق من نور محمد صلى الله عليه وآله جوهره، و قسمها قسمين: فنظر الى القسم الأول بعين الهيبة فصار ماء عذبا، و نظر إلى القسم الثاني بعين الشفقة فخلق منه العرش فاستوى على وجه الماء، فخلق الكرسي من نور العرش، و خلق من نور الكرسي اللوح، و خلق من نور اللوح القلم الى آخر الخبر (١).

و بالجملة فالأخبار الدالة على بدو العالم و مقدار كينونته مختلفة جدا بحيث لا يمكن الجمع بينها إلا بالتأويلات البعيدة التي لا داعي إلى ارتكابها في المقام، بل الأولى ردّ علمه إلى أهله.

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ١٩٨ - ٢٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٤

ثم أن غير الملتين أيضا مقالات في ذلك و أكثرهم على القدم بل على إنكار آدم أبي البشر، حيث زعموا أنه لا أول لنوع البشر بل و لا لغيرهم من الأنواع المتوالدة كما هو المحكى عن الفلاسفة، و أما الهنود و البراهمة فأكثرهم على نفى الأفلاك و استقلال الكواكب سيما السيارة و خصوصا الشمس في الآثار الواقعة و إيجاد الكينونات الحادثة و زعموا أنه تعالى خلقها و فوض إليها تدبير العالم و اختفى هو في الملاء الأعلى و ربما يظهر لبعض المصالح في صور بعض الحيوانات و أكثر ما يظهر في صورة البقر، و لذا يبالبغون في تكريمه و إعظامه، و لهم غلو في القول بالحلول و التناسخ و إنكار المعاد، و قالوا: إن العالم ليس له أول و لا آخر، و لا يزال يدور بين أدوار أربعة فالامتداد للدور الأول ألف سنة و سبعمائة ألف سنة و عشرون ألف سنة، و للدور الثاني ألف سنة و مائتا ألف سنة و تسعون ألف سنة، و للدور الثالث ثمانمائة ألف سنة و أربعة و ستون ألف سنة، و للزابع أربعمائة ألف سنة و اثنان و ثلاثون ألف سنة، و زعموا أنه قد مضى من الدورة الرابعة ما يقرب من خمسة آلاف سنة، و أنه إذا انقضت الأدوار فلا بد أن ينقلب العالم و يفنى أهله، ثم يبتدأ من الدور الأول أيضا من دون فصل، و زعموا أنه قد كانت الأعمار الطبيعية لنوع البشر في الدورة الأولى مائة ألف سنة، و في الثانية عشرة آلاف سنة، و في الثالثة ألف سنة، و أنه كان آدم و نوح في أواخر تلك الدورة، و في الرابعة مائة و عشرين سنة. و حكى شيخنا المجلسي عن الهنود: أن من كان منهم على رأى الفلاسفة فهو يوافقهم في القول بالقدم، و من لم يكن منهم على رأى الفلاسفة و قال بحدوث العالم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٥

لم يثبت آدم، و يقول: إن الله تعالى خلق الأفلاك و خلق فيها طباعا محركة لها بذاتها، فلما تحركت و حشوها أجسام، لاستحالة الخلاء، و كانت الأجسام على طبيعة واحدة، فاختلفت طبيعتها بالحركة الفلكية، و كان القريب من الفلك أسخن و أطف، و البعيد أبرد و أكتف، ثم اختلطت العناصر و تكونت منها المركبات، و مما تكون منه نوع البشر، كما يتكون الدود في الفاكهة و اللحم و البق في البطايح و المواضع الغضة، ثم تكون البشر بعضه من بعض بالتوالد، و نسي التخليق الأول الذي كان بالتولد، و من الممكن أن يقول: يتكون بعض البشر في بعض الأراضي القاصية بالتولد و إنما انقطع التولد لأن الطبيعة إذا وجدت للكون طريقا استغنت عن طريق ثان. قال: و أما المجوس فلا يعرفون آدم و لا نوحا و لا ساما و لا حاما و لا يافث و أول متكون من البشر عندهم كيومرث، و لقبه كوهشاه أى ملك الجبل، و قد كان كيومرث في الجبال و منهم من يسميه گلشاه أى ملك الطين، لأنه لم يكن يومئذ بشر يملكهم، و قيل: تفسير كيومرث حتى ناطق ميت قالوا و قد رزق من الحسن ما لا يقع عليه بصر حيوان إلا وله و أغمى عليه، و يزعمون أن مبدء تكونه و حدوثه أن يزدان و هو الصانع الأول عندهم فكر في أمر «أهرمن» و هو الشيطان عندهم فكرة أوجبت أن عرق جبينه فمسح العرق و

رمى به، فصارت منه كيومرث، و لهم خبط عظيم في كَيْفِيَّةِ تَكْوُنِ أهرمن عن فكرة يزدان، او من إعجابه بنفسه، أو من توخّشه، ثم إنهم قالوا بعد هذيانات غريبة، أنه قطر من كيومرث قطرتا نطفة على الأرض فنبت منها ريباستان في جبل باصطخر، ثم ظهرت على تينك الرّيباستين الأعضاء البشرية في أول الشهر التاسع و تمت أجزاءه فتصوّر منها بشران ذكر و أنثى، و هما ميسا و ميشانه، تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٦

و هما بمنزلة آدم و حواء عند الملائين و يسمّيهما مجوس خوارزم: مرد و مردانه، و زعموا أنّهما مكثوا خمسين سنة مستغنين عن الطعام و الشراب منعّمين غير متأذيين بشيء، حتى ظهر لهما أهرمن في صورة شيخ كبير فحملهما على تناول فواكه الأشجار و أكل منها و هما يبصرانه شيخا فعاد شابا، فأكلا منها حينئذ، فوفا في البلايا و ظهر فيهما الحرص حتى تزوجا و ولد لهما ولد، فأكلاه حرصا ثم القى الله تعالى في قلوبهما رافة فولد بعد ذلك ستّة أبطن، كلّ بطن ذكر و أنثى و أسماؤهم في كتاب زردشت معروفة «١». الى غير ذلك من خرافاتهم التي لا تليق بالذكر، و أما اليهود و النصارى فالمحكى عنهم الاتفاق على ما أجمع عليه المسلمون لكن المحكى عن كثير من نصارى الفرنسة و الأرض الجديدة الميل إلى مذاهب الدهريّة و التناسخ، و انكار المعاد و غير ذلك من الإلحاد.

ثانيها: في الإشارة إلى ما خلقه الله تعالى في هذه الأرض من التّسناس و بنى الجان و غيرهما.

روى الرّاوندى في «قصصه» في الصحيح عن أبي جعفر عليه السّلام قال سئل أمير المؤمنين عليه السّلام هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى يعبدون الله قبل آدم عليه السّلام و ذرّيته؟ فقال: نعم قد كان في السموات و الأرض خلق من خلق الله تعالى يقّدسون الله و يسبحونه و يعظّمونه بالليل و النّهار لا- يفترّون فإنّ الله عزّ و جلّ لمّا خلق الأرضين خلقها قبل السموات، ثم خلق الملائكة روحانيّين لهم أجنحة يطرون بها حيث

(١) بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٢٦٦-٢٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٧

يشاء الله، فأسكنهم فيما بين أطباق السّموات يقّدسونه بالليل و النّهار و اصطفى منهم اسرافيل و ميكائيل و جبرئيل، ثم خلق عزّ و جلّ في الأرض الجنّ روحانيّين لهم أجنحة فخلقهم دون خلق الملائكة، و خفضهم أن يبلغوا مبلغ الملائكة في الطيران و غير ذلك، فأسكنهم فيما بين أطباق الأرضين السّبع و فوقهنّ يقّدسون الله اللّيل و النّهار لا يفترّون ثم خلق خلقا دونهم لهم أبدان و أرواح بغير أجنحة يأكلون و يشربون، نسناس اشباه خلقهم و ليسوا بإنس، و أسكنهم أوساط الأرض على ظهر الأرض مع الجنّ يقّدسون الله اللّيل و النّهار لا- يفترّون، قال عليه السّلام و كان الجنّ تطير في السماء فتلقى الملائكة في السموات فيسلمون عليهم و يزورونهم و يستريحون إليهم و يتعلّمون منهم الخبر، ثم إن طائفة من الجنّ و النسناس الذين خلقهم الله و أسكنهم أوساط الأرض مع الجنّ تمردوا و عتوا عن أمر الله تعالى فمرحوا و بغوا في الأرض بغير الحق و علا- بعضهم على بعض في العتوّ على الله تعالى حتى سفكوا الدماء فيما بينهم، و أظهروا الفساد و جحدوا ربوبيّة الله.

قال: و أقامت الطائفة المطيعون من الجنّ على رضوان الله و طاعته، و باينوا الطائفتين من الجنّ و التّسناس الذين عتوا عن أمر الله تعالى، قال: فحط الله تعالى أجنحة طائفة من الجنّ الذين عتوا عن أمر الله و تمردوا و كانوا لا يقدرّون على الطيران إلى السّماء و إلى ملاقات الملائكة لما ارتكبوا من الذّنوب و المعاصي.

قال: و كانت الطائفة المطيعّة لأمر الله من الجنّ تطير إلى السماء اللّيل و النّهار على ما كانت عليه، و كان إبليس و اسمه الحارث يظهر للملائكة أنّه من الطائفة المطيعّة ثم خلق الله خلقا على خلاف خلق الملائكة، و على خلاف خلق الجنّ،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٨

و على خلاف خلق النّسناس يدبّون كما يدبّ الهوام في الأرض يأكلون و يشربون كما تأكل الأنعام من مراعى الأرض كلّهم ذكران ليس فيهم إناث، لم يجعل الله فيهم شهوة النساء و لا حبّ الأولاد و لا الحرث و لا طول الأمل و لا لذة عيش و لا يلبسهم الليل و لا يغشاهم النّهار ليسوا ببهائم و لا هوام لباسهم ورق الشجر و شربهم من العيون الغزار و الأودية الكبار، ثمّ أراد الله أن يفرقهم فرقتين فجعل فرقة خلف مطلع الشمس من وراء البحر، فكوّن لهم مدينة أنشأها تسمّى «جابلقا» طولها اثني عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ، و كوّن عليها سورا من حديد يقطع الأرض إلى السماء ثمّ أسكنهم فيها، و أسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر و كوّن لهم مدينة أنشأها تسمّى «جابلقا» طولها اثني عشر ألف فرسخ في اثني عشر ألف فرسخ و كوّن لهم سورا من حديد يقطع إلى السماء فأسكن الفرقة الأخرى فيها، لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا، و لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابرسا، و لا يعلم بهم أهل أوساط الأرض من الجنّ و النّسناس، فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرض من الجنّ و النّسناس فينتفعون بحرّها و يستضيئون بنورها، ثمّ تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت، و لا يعلم أهل جابرسا إذا طلعت، لأنّها تطلع من دون جابرسا و تغرب من دون جابلقا.

ف قيل: يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون و يحيون و كيف يأكلون و يشربون و ليس تطلع الشمس عليهم؟ فقال عليه السلام: إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشدّ ضوء من نور الشمس، و لا يرون أن الله تعالى خلق شمسا و لا قمرا و لا نجوما و لا كواكب لا يعرفون شيئا غيره، ف قيل: يا أمير المؤمنين فأين إبليس عنهم؟ قال لا يعرفون

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٦٩

إبليس و لا سمعوا بذكره، لا يعرفون إلّا الله وحده لا شريك له لم يكتسب احد منهم قطّ خطيئة و لم يقترف إثما، لا يسقمون و لا يهرمون و لا يموتون إلى يوم القيامة يعبدون الله لا يفترون، الليل و النّهار عندهم سواء، قال عليه السلام: ثمّ إن الله تعالى أحبّ أن يخلق خلقا و ذلك بعد ما مضى للجنّ و النّسناس سبعة آلاف سنة فلما كان من شأن الله أن يخلق آدم للذي أراد من التدبير و التقدير فيما هو مكوّنه في السماوات و الأرضين كشط «١» عن أطباق السماوات ثمّ قال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقى من الجنّ و النّسناس هل ترضون أعمالهم و طاعتهم لى، فلما أطلعوا و رأوا ما يعملون فيها من المعاصى و سفك الدماء و الفساد في الأرض بغير الحقّ أعظموا ذلك و غضبوا لله و أسفوا على أهل الأرض و لم يملكوا غضبهم و قالوا يا ربنا أنت العزيز الجبار القاهر العظيم الشأن، و هؤلاء كلّهم خلقك الضعيف الذليل فى أرضك، كلّهم يتقلبون فى قبضتك و يعيشون برزقك، و يتمتّعون بعافيتك و هم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تغضب و لا تنتقم منهم لنفسك بما تسمع منهم و ترى، و قد عظم ذلك علينا و أكبرناه فيك، قال: فلما سمع الله تعالى مقالة الملائكة قال: إنى جاعل فى الأرض خليفته فيكون حجّتى على خلقى فى أرضى فقالت الملائكة:

سبحانك ربنا أتعجل فيها من يُفسد فيها و يسدّ فيك الدماء و نحن نسيح بحمدك و نقدّس لك فقال الله تعالى: يا ملائكتى إنى أعلم ما لا تعلمون أنى أخلق خلقا بيدى و اجعل من ذريته أنبياء و مرسلين و عبادا صالحين و ائمة مهتدين، و اجعلهم خلفائى على خلقى فى أرضى ينهونهم عن معصيتى، و يندرونهم من

(١) كشط: أى كشف.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٠

عذابى، و يهدونهم إلى طاعتي، و يسلكون بهم طريق سيلى، أ جعلهم حجّة لى عذرا و ندرا و أنفى الشياطين من أرضى و اطهرها منهم، فأسكنهم فى الهواء و أقطار الأرض و فى الفيافى، فلا يراهم خلقى و لا يرون شخصهم، و لا يجالسونهم و لا يخالطونهم و لا يواكلونهم و لا يشاربونهم و انفرّ مردة الجنّ العصاة من نسل بريّتى و خلقى و خيرتى فلا يجاورون خلقى، و اجعل بين خلقى و بين الجنّ حجابا فلا يرى نسل خلقى شخص الجنّ و لا يجالسونهم و لا يشاربونهم و لا يتهجمون تهجمهم، و من عصانى من نسل خلقى

الذى عظّمته و اصطفيته لغبى أسكنهم مساكن العصاء و أوردهم موردهم و لا أبالى، فقالت الملائكة: لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

فقال للملائكة: إني خالق بشرًا من صلصالٍ من حمًا مسنونٍ فإذا سويته و نفخت فيه من رُوحى ففَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ «١»، قال و كان ذلك من الله تقدمة للملائكة قبل أن يخلقه احتجاجا منه عليهم، و ما كان الله ليغير ما بقوم إلا بعد الحجة عذرا أو نذرا فأمر تبارك و تعالى ملكا من الملائكة فاغترف غرفة يمينه فصلصلها فى كفه فجمدت فقال الله عزّ و جلّ منك أخلق «٢». الخبر على ما يأتى ان شاء الله.

و فى «الخصال» و تفسير «العياشى» و غيرهما عن محمد بن مسلم قال:

سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لقد خلق الله عزّ و جلّ فى الأرض منذ خلقها سبعة عوالم ليس هم من ولد آدم خلقهم من أديم الأرض فأسكنهم فيها واحدا بعد واحد مع عالمه، ثم

(١) الحجر: ٢٨-٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٢٢-٣٢٥ ح ٥ عن قصص الراوندى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧١

خلق الله عزّ و جلّ آدم أبا البشر و خلق ذريته منه، و لا و الله ما خلقت الجنة من أرواح المؤمنين منذ خلقها و لا خلقت النار من أرواح الكفار و العصاة منذ خلقها عزّ و جلّ، لعلكم ترون أنه إذا كان يوم القيامة و صير الله أبدان أهل الجنة مع أرواحهم فى الجنة و صير أبدان أهل النار مع أرواحهم فى النار انّ الله تبارك و تعالى لا يعبد فى بلاده و لا يخلق خلقا يعبدونه و يوحدونه؟ بلى و الله ليخلقنّ الله خلقا من غير فحولة و أناث يعبدونه و يوحدونه «١». الخبر و فى العلل عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله تعالى لما أحبّ أن يخلق خلقا بيده، و ذلك بعد ما مضى من الجنّ و النسناس سبعة آلاف سنة ... الى أن قال عليه السلام: فاغترف تبارك و تعالى غرفة من الماء العذب الفرات، فصلصلها فجمدت، ثم قال لها: منك أخلق النّبيين و المرسلين و عبادى الصالحين و الأئمة المهتدين الدعاة إلى الجنة و اتباعهم إلى يوم القيامة، و لا أبالى و لا أسأل عمّا أفعل و هم يسألون، يعنى بذلك خلقه أنه سيسألهم، ثم اغترف غرفة من الماء المالح الأجاج فصلصلها فجمدت، ثم قال لها: منك أخلق الجبارين و الفراعنة و العتاة اخوان الشياطين و الدعاة إلى النار يوم القيامة و اتباعهم و لا أبالى و لا أسأل عمّا افعل و هم يسألون.

قال: و شرط فى ذلك البدء و لم يشترط فى أصحاب اليمين البدء ثم خلط المائين فصلصلهما ثم ألقاهما قدام عرشه، و هما ثلثه من طين ثم أمر لملائكة الجهات الأربع: الشمال و الدبور و الصبا و الجنوب، أن حوّلوا على هذا السلالة الطين و أبرئوها و أنشئوها ثم جزوها و فصلوها و اجرؤا فيها الطبائع الأربعة الريح و المرة

(١) الخصال: ج ٢ ص ٣٥٨-٣٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٢

و الدّم و البلغم قال: فجالت الملائكة عليها و هى الشمال و الصباء و الجنوب و الدبور فأجرؤا فيها الطبائع الاربعة قال و الريح فى الطبائع الأربعة فى البدن من ناحية الشمال قال و البلغم فى الطبائع الأربعة فى البدن من ناحية الصبا قال و المرة فى الطبائع فى البدن من ناحية الدبور قال و الدّم فى الطبائع الاربعة فى البدن من ناحية الجنوب قال فاستقلت النّسمة و كمل البدن قال فلزمه من ناحية الريح حبّ الحياة و طول الأمل و الحرص و لزمه من ناحية البلغم حبّ الطعام و الشراب و اللين و الرفق و لزمه من ناحية المرة الغضب و السفه و الشيطنة و التجبر و التمرد و الفجلة و لزمه من ناحية الدّم حبّ النساء و اللذات و ركوب المحارم و الشهوات قال عمرو بن أبى المقدم أخبرنى جابر أن أبا جعفر عليه السلام قال: وجدناه فى كتاب من كتب على عليه السلام «١».

أقول و رواه القمي بأدنى تغيير مع اشتماله على زيادة و نقصان «٢» و لعلنا نوردته بعبارة ان شاء في سورة الحجر.

في حقيقة الملائكة

ثالثها: في الإشارة الى حقيقة الملائكة و أصنافها و وجودها في الجملة من ضروريّ الدين عند جميع المسلمين بل كثير من الملتين، فيجب الايمان بها و التصديق بوجودها.

قال الله سبحانه: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ «٣»

(١) علل الشرائع: ص ١٠٤-١٠٦ و عمرو بن أبي المقدم هو عمرو بن ثابت بن هرمز، يروي الكثير عن الإمامين الهمامين الباقر و الصادق عليهما السلام توفي سنة (١٧٢) هـ

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٣٦.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٣

و قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله حين سئل عن الايمان أن تؤمن بالله و ملائكته و كتبه و رسله «١».

و أما البحث عن أنها روحانية محضة أو جسمانية محضة، أو مركبة من القسمين، و بتقدير كونها جسمانية فكثيفة أو لطيفة نورانية أو هوائية أو على الاختلاف كما ذهب إلى كل طائفة، فقد يقال: إنه ليس بواجب لأن مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في أنفسهم، بل هو اضافتهم إليه تعالى من حيث أنهم عباد مكرمون من شأنهم التوسط بينه تعالى و بين الرسل بانزال الكتب و إلقاء الوحي.

و فيه نظر إذ قد علم من الأخبار المتواترة كونها قادرة على التجسد و التشكل بالاشكال المختلفة و لذا كان جبرئيل قد يرى بصورة دحية الكلبي «٢»، بحيث ربما كان يراه بعض الناس أو كل من كان حاضرا عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله و قال الله سبحانه: وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَشَرُ عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ «٣».

و هذا كله يناقئ كونها روحانية محضة من قبيل العقول و النفوس، و لذا ادعى شيخنا المجلسي طاب ثراه إجماع الامامية بل جميع المسلمين على وجودها و أنهم أجسام لطيفة نورانية أولى أجنحة مثني و ثلاث و رباع و أكثر، قادرون على التشكل بالاشكال المختلفة، و أنه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما شاء من الأشكال و الصور

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ١ ص ٤٦٢، سبل الهدى و الرشاد: ج ١١ ص ٤٨٦.

(٢) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي الصحابي نزل المزة و مات في خلافة معاوية.

التقريب: ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) الانعام: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٤

على حسب الحكم و المصالح، و لهم حركات صعودا و هبوطا و كان يراهم الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام.

قال: و القول بتجردهم و تأويلهم بالعقول و النفوس الفلكية و القوى و الطبائع، و تأويل الآيات المتظاهرة و الأخبار المتواترة، تعويلا على شبهات واهية و استبعادات وهمية زيغ عن سبيل الهدى و اتباع لأهل الغواية و العمى.

أقول و يمكن أن يقال: إن روحانيتهم لا تنافي تجسدهم متى شاءوا باذن الله سبحانه، إلا أن الظاهر من الأخبار كونهم أجساما متحيزة

مثل ما ورد عن الصادق عليه السلام من أنه ليس في السماء موضع قدم إلّا وفيها ملك يسبحه ويقده، ولا في الأرض شجر ولا مدر إلّا وفيها ملك موكل بها يأتي الله كل يوم بعملها والله أعلم بها، وما منهم أحد إلّا و يتقرب كل يوم إلى الله تعالى بولائنا أهل البيت ويستغفر لمحبتنا و يلعن أعدائنا «١».

وفي «التوحيد» و «الخصال» أنه سئل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام عن قدرة الله جلّت عظمتها فقام خطيباً فحمد الله و اثنى عليه ثم قال: إن لله تبارك و تعالى ملائكة لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه و كثرة أجنحته و منهم من لو كلفت الجن و الانس أن يصفوه ما وصفوه لبعده ما بين مفاصله و حسن تركيب صورته و كيف يوصف من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكبيه و شحمه أذنيه، و منهم من يسد الأفق بجناح من أجنحته دون عظم يديه، و منهم من السماوات إلى

(١) بصائر الدرجات: ص ٨٩ بحار الأنوار: ج ٢٤ ص ٢١٠ ح ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٥

حجزته و منهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الأسفل و الأرضون إلى ركبته و منهم من لو ألقى في نفرة إبهامه جميع المياه لو سعتها، و منهم من لو ألقى الشفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، فتبارك الله فتبارك الله أحسن الخالقين «١».

و في الخطبة الشريفة العلوية المذكورة في النهج: ثم خلق سبحانه لإسكان سماواته و عمارة الصفيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته، و ملأ بهم فروج فجاجها، و حشا بهم فتوق أجوائها، و بين فجوات تلك الفروج زجل المسبحين منهم في حظائر القدس، و سترات الحجب، و سرادقات المجد، و وراء ذلك الرّيح الذي تستك منه الأسماع سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها، فتقف خاسئته على حدودها، أنشأهم على صور مختلفات، و أقدار متفاوتات ... إلى قوله عليه السلام: و منهم من هو في خلق الغمام الدّلع، و في عظم الجبال الشّمخ، و في فترة الظلام الأبهم، و منهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى، فهي كرايات بيض، قد نفذت في مخارق الهواء، و تحتها ريح هفافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية .. إلى أن قال: و ليس في أطباق السماوات موضع أصاب إلّا و عليه ملك ساجد أو ساع حافد «٢».

و في التوحيد عن النبي صلى الله عليه و آله: إن في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عزّ و جلّ و الماء إلى ركبهم، ليس منهم ملك إلّا و له ألف و أربعمائة جناح، في كل جناح أربعة وجوه في كل وجه

(١) الخصال: ص ٣٦ و التوحيد ص ٢٠١ و عنهما البحار ج ٥٩ ص ١٧٨.

(٢) نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد: ج ٦ ص ٤٢٣ خ ٩٠ المعروفة بخطبة الأشباح.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٦

أربعة ألسن ليس فيها جناح و لا وجه و لا لسان و لا فم إلّا و هو يسبح الله تعالى تسبيح لا يشبهه نوع منه صاحبه «١».

و في الخرائج و غيره عن أبي جعفر عليه السلام قال: نحن الذين تختلف الملائكة إلينا فمنا من يسمع الصوت و لا يرى الصورة، و أنّ الملائكة لتراحمنا على تكأنتنا و إنّنا لناخذ من زغبهم فنجعله سخبا لأولادنا «٢».

و روى القمي عن الصادق عليه السلام قال: خلق الله الملائكة مختلفة و قد رأى رسول الله صلى الله عليه و آله جبرئيل و له ستمائة جناح على ساقه الدرّ مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السماء و الأرض «٣».

و قال عليه السلام: إذا أمر الله تعالى ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السماء السابعة و الأخرى في الأرض السابعة، و أنّ لله تعالى ملائكة أنصافهم من برد و أنصافهم من نار، يقولون: يا مؤلفا بين البرد و النار ثبت قلوبنا على طاعتك، و أنّ الله تعالى ملكاً بعد ما بين شحمه أذنه إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير «٤».

وقصة دردايل و صورته كغيره من الملائكة مشهورة «٥». وفي النبوي المشتهر أطل السماء حق لها أن تنظ ما فيها موضع قدم إلّا وفيه

(١) البحار: ج ٥٨ ص ١٨٢.

(٢) البحار: ج ٥٩ ص ١٨٥.

(٣) البحار: ج ٤ ص ٤٣.

(٤) البحار: ج ٥٩ ص ١٧٤.

(٥) البحار: ج ٥٩ ص ١٩٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٧

ملك ساجدا أو راع «١».

إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التي يمكن تحصيل القطع منها بأنها أجسام نورانية و ان كانت غير مرئية إلّا بأسباب خاصّة و ان لها أمكنة و أحيازا و أعضاء و جوارح و قوّة و نشاطا و قوتا من التسييح و التهليل و حركة و سكونا و اجتماعا و افتراقا و قياما و قعودا و ركوعا و سجودا و أصواتا و كلاما و عظما و أقدارا و غير ذلك من أحكام الأجسام و خواصها.

و حمل ذلك كلّ على الاستعارة و التشبيه و أنّه لو تجسّم بمقدار قوّته لكان كذا و كذا خروج عن الظواهر المتظافرة التي هي الحجّة من غير حجّة، و المؤمن الموحّد لا يتجاسر على أدنى من ذلك، فكيف بما هنالك، و لو ساع في الشريعة فتح باب أمثال هذه التأويلات و الاحتمالات المشتملة على ما لا يخفى من التكلّف و التحمّل لما اخضرّ للدين عود، و ما قام للإسلام عمود، لكنهم قد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله و لذا تراهم يتلاعبون بأحكام الشريعة و يستخفون باهلها، و يتصرّفون بعقولهم القاصرة و فطرتهم المعيّرة و أحلامهم الناقصة في أحكامها الظاهرة بلا برهان و لا دليل، فأضلوا كثيرا و ضلّوا عن سواء السبيل.

و بالجملة يجب التصديق و الإذعان بما صحّ عنهم فيما لا تصل إليه عقولنا، و قد سمعت أنّ الظاهر من الكتاب و السنّة كونهم أجساما لطيفة نورانية كما عليه أكثر المسلمين، نعم لا نأبي من القول بأن يكون هناك أصناف آخر من الملائكة غير جسمانية، و لا متعلقة بالأجسام، بل يكون فوق عالم الأجسام كملائكة العالمين

(١) البحار: ج ٥٩ ص ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٨

و الكروبيين، و الزوح الذي هو من أمره سبحانه دون الذي على ملائكة الحجب.

الملائكة عند الفلاسفة

بقي الكلام في سائر الأقوال التي ذكروها في حقيقتها و هي عديدة منها: ما يحكى عن الفلاسفة و هي أنّها جوهره قائمة بنفسها ليست بمتحيّزة البتّة، و أنّها بالمهيّة مخالفة لأنواع النفوس الناطقة البشريّة، و أنّها أكمل قوّة منها و اكثر علما و أنّها للنفوس البشريّة جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء، ثم أنّ هذه الجواهر على قسمين: منها ما هي بالنسبة إلى اجرام الأفلاك و الكواكب كالنفوس الناطقة بالنسبة إلى أبداننا، و منها ما هي أعلا شأننا من تدبير اجرام الأفلاك بل هي مستغرقة في معرفة الله مشغلة بطاعته و هذا القسم هم الملائكة المقربون، و نسبتهم إلى الملائكة الذين يدبرون السماوات كنسبة أولئك المدبرين إلى نفوسنا الناطقة فهذان القسمان قد اتفق الفلاسفة على إثباتها، و منهم من أثبت نوعا آخر من الملائكة و هي الملائكة الأرضية المدبّرة لأحوال هذا العالم السفلي، ثم أنّ

مدبرات هذا العالم و إن كان خيرة فهم الملائكة، و إن كانت شريرة فهم الشياطين، و هذا القول ربما مال إليه بعض الإسلاميين كالسيد الداماد و الصدر الأجل الشيرازي و غيرهما.

قال السيد: إن القول بتجسم الملائكة إنما هو ممشى الخارجين عن دائرة التحصيل، و أما ما هو صريح الحق و عليه الحكماء الإلهيون و المحصّلون من أهل الإسلام فهو أنّ الملائكة على قبائل: سفلية و علوية أرضية و سماوية، جسمانية و قدسائية، و في القبائل شعور و طبقات كالقوى المنطبقة و الطبائع الجوهرية و أرباب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٧٩

الأنواع و النفوس المفارقة السماوية، و الجواهر العقلية القادسة بطبقات أنواعها و أنوارها، و منها روح القدس النازل بالوحي النافث في أرواح أولى القوة القدسية باذن الله سبحانه.

و قال الصّيدر الأجل بعد الإشارة إلى دعاء الصحيفة المشتمل على اصناف الملائكة و قبائلها: إن قوله «اللهم و حملة عرشك» إشارة إلى الملائكة المقرّبين و الجواهر المقدّسين الواقعين في سلسلة العقول المفارقة، و قوله: «و الروح الذي هو على ملائكة الحجب و الروح الذي هو من أمرك» إشارة إلى الأرواح المهيمنة الذين يستغرقون في شهود جمال الأزلية و ليس لهم رسالة من الله إلى خلقه، و لذا سمّاهم بالروح و لم يطلق عليهم اسم الملك لأنه مشتق من الألوكة بمعنى الرسالة و كلّ روح مفارق لا رسالة له فهو ليس بملك و إنما هو روح فقط، و قوله: «على الملائكة الذين من دونهم» إشارة إلى الملائكة الموكّلين بالأجرام السماوية و النفوس المدبرة للجواهر الفلكية و الكوكبية، قوله: «و على الروحانيين من ملائكتك» إشارة إلى الملائكة العقلية الواسطة في سلسلة اسباب الوجود بينه و بين ملائكة السماء و لهذا قال في الدعاء: «و أسكنتهم بطون أطباق سمواتك» فإنّ بطون أطباق السماوات هي نفوسها المحركة لها إذ لكل نفس فلكي جوهر عقلي مفارق مسكنه قلب ذلك الفلك و نفسه الناطقة كما أنّ قلب المؤمن بيت الله أي نفسه الناطقة مكان معرفة الله سبحانه و قوله: «و خزّان المطر» آه إشارة إلى ملائكة الأرضين و هم مبادئ الصور التوعية للأنواع الطبيعية العنصرية، فكل ملك من جنس ما يدبره و يحركه باذن الله تعالى و أمره: فملك الرياح من باب الرياح، و ملك الأمطار من باب الأمطار، و ملك الجبال

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٠

من باب الجبال، و كذا ملك النار من باب النار، و ملك الماء و ملك الأرض كلّ هؤلاء من نوع ضمّه و مسمّى باسمه فملك الأرض أرض لعالم الغيب و الملكوت و ملك الماء ماؤه و ملك الهواء هوائه و ملك النار ناره بل ما من موجود في هذا العالم إلّا و له صورة طبيعية محرّكة و نفس تدركه و عقل يسخره و اسم إلا هي يبدعه و إذا ترقيت بذهنك إلى عالم الملكوت الأعلى شاهدت الماء هناك و هو حياة كلّ شيء و الهواء عشق كلّ ذي روح و شوقه و النار قدر كلّ حي و قهره و الأرض قوة تمسكه لكلّ جوهر و مديله انتهى.

و أنت ترى أن هذا كلّه رجم بالغيب و ما كلّنا بالتصديق بأمثال هذه التخريجات الظّنية و الاعتبار الوهمية إن هم إلّا يظنون و إن هم إلّا يخرسون.

الملائكة عند النصارى و المجوس

و منها ما يحكى عن النصارى و هو أنّ الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة بذاتها المفارقة لأبدانها على نعت الصفاء و الخيرية، و ذلك لأنّ هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة، و إن كانت خبيثة كدره فهي الشياطين.

و منها: قول معظم المجوس و الثنوية و هو أنّ هذا العالم مركّب من أصلين أزليين، و هما النور و الظلمة، و هما في الحقيقة جوهران شفافان حسّاسان مختاران قادران، متضادّا النفس و الصورة، مختلفا الفعل و التدبير، فجوهر النور فاضل خير، تقى طيب الرّيح كريم

النفس، يسرّ ولا يضر، وينفع ولا يمنع، ويحيى ولا يبلى،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨١

و جوهر الظلمة على ضد ذلك، ثم إن جوهر النور لم يزل يولد الأولياء وهم الملائكة لا- على سبيل التناكح، بل على سبيل تولد الحكمة من الحكيم، والضوء من المضيء و جوهر الظلمة لم يزل يولد الأعداء وهم الشياطين على سبيل تولد السفه من السفه.

الملائكة عند أرباب الهياكل

و منها: أرباب الهياكل و عبدة الأصنام، فإنهم قالوا: إن الملائكة في الحقيقة هي هذه الكواكب المتصرفه في هذا العالم بصورها و أشكالها و تشكلاتها و أرواحها المحركة لها المدبرة للعالم السفلى، لا على وجه القصد و الالتفات، فإن العالى لا يلتفت إلى السافل، بل على وجه الإشراق و التجلى، و لذا زعموا أن لها أرواحا عالية قاهرة قوية، و هي مختلفة بجواهرها و مهياتها، و كما أن لكل روح من الأرواح البشرية بدنا معيناً، فكذاك لكل روح من الأرواح الفلكية بدن و هو ذلك الفلك، و له قلب و هو الكواكب المركوز فيه، فتعلق الروح الفلكية أولاً بقلبه، ثم ينبعث من جرم الكوكب خطوط شعاعية تتصل بها قوة ذلك الكوكب و نوره إلى أجزاء العالم، و كما أن بواسطة الأرواح الفائضة من القلب و الدماغ إلى أجزاء البدن يحصل في كل جزء منها قوى مختلفة كالقوى الحيوانية من السامعة و الباصرة و الشمامة و الذائقة و اللامسة، و كالقوى الطبيعية، كالجاذبية و الدافعة و الغازية و غيرها، فتكون هذه القوى كالتائج و الأولاد لجوهر النفس المدبرة لكليه البدن، فكذاك بواسطة الخطوط الشعاعية المنبثه من الكوكب الواصلة إلى أجزاء هذا العالم يحصل في تلك الأجزاء

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٢

على حسب التأثيرات الجزئية و خصوصيات القوابل و الفواعل نفوس جزئية مخصوصة مثلا نفس زيد و نفس عمرو و نحوهما، و هذه النفوس كالتائج و الأولاد لتلك النفوس الفلكية، و لما اختلفت النفوس الفلكية اختلافا نوعيا من حيث جواهرها و مهياتها فكذاك النفوس المتولدة من نفس فلك زحل مثلا صنف من الناس متجانسة متشاكله في افرادها و جزئياتها، إلا أنها متخالفة اختلافا ضيقا للنفوس المنتسبة إلى روح المشتري مثلا ثم نسبوا إلى كل من الكواكب شيئا من أصناف الناس و سائر الحيوانات و الأقاليم و الأزمنة و الساعات و الأيام و الليالي و الألوان و الطعوم و الأثمار و النباتات و الزواجر و غير ذلك مما ملئت منه كتب الأحكاميين.

ثم أنهم قالوا إن تلك الأرواح الفلكية كالأب المشفق و السيدان المرابي لموليدها و منسوباتها، و لذا سمّوها بالآباء العلوية فتعين أولادها على صلاحها و نجاحها، و لذا سوّلت لهم نفوسهم أن بنوا لكل منها بصورها المتوهمه لها هياكل و اشكالا و صوراً عظموها و استشفعوا بها و تقربوا إليها بالسجود إليها و غيره من أنواع التعظيم و التكريم، حتى آل أمرهم إلى عبادتها، و هذا الأصل الذى سمعت هو الذى بنوا عليه علم أحكام النجوم، فسحقا لهم بما سوّلت لهم أنفسهم ان سخط الله عليهم و فى العذاب هم خالدون.

قول المشركين فى الملائكة

و منها: ما تقوله بعض المشركين ككفار قريش و أحزابهم، حيث قالوا: إن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٣

الملائكة بنات الله، و جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا، و جعلوا له من عباده جزء فرد الله عليهم فى محكم كتابه، إلى غير ذلك من الأقوال التى لا جدوى للتعرض لها و لا لإبطالها بعد قيام ضرورة الدين و اجماع المسلمين على ما سمعت الدال على وجودهم أيضا فى الجملة، و لذا كتنا فى غنى عن التكلف لإثباتها بما تجسّمه بعض الناس من الأدلة الاقناعية التى استدلل بها الرازى و غيره من أنه يبعد فى العقل أن يحصل الحياة و العقل و النطق فى هذا العالم الكدر الظلمانى و لا يحصل فى ذلك العالم الذى هو عالم

الأضواء و الأنوار و أنه أشرف أنواع الحي فهو أولى بالوجود من الأوسط الذي هو الحيوان الناطق و الأحسن الذي هي البهائم و نسي أصحاب المشاهدات و المكاشفات و المجاهدات شاهدوها في مشاهدهم التورانية و أصحاب الحاجات و الضرورات أثبتوها من عجائب آثارها في الهداية إلى المعالجات النادرة الغريبة و الاختراعات البديعة العجيبة و تركيبات المعجونات و استخراج صفة الترياقات و غيرها من الآثار و الأسرار، لكنها كما ترى قاصرة عن افادة المطلوب، و أما المعتمد ما سمعت، و أما مواد وجوداتهم و كينوناتهم فالأصل فيها هو الرحمة الكليّة و الكلمة الالهية و المراد بها نور نبينا محمّد و آله الطاهرين صلّى الله عليهم، و لذا ورد في الاخبار الكثيرة التي مرّت إلى جملة منها الإشارة إلى أنّ الملائكة و الأنبياء خلقوا جميعا من أشعة أنوارهم و من فاضل طينتهم، و أنّ الملائكة العالين الذين هم أفضل أصناف الملائكة قوم من شيعتهم من الخلق الأول، بل ورد أنّ سبب قربهم سبقهم و مبادرتهم إلى الإقرار بالولاية.

و قال الصادق عليه السلام: إنّ الله سبحانه و تعالى عرض ولايتنا على الملائكة فمن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٤

بادر إليها و عقد قلبه عليها صار من المقرّين.

و في «مصباح الأنوار» عن النبي عليه السلام أنّ العرش خلق من نور النبي عليه السلام و أنّ الملائكة خلقوا من نور عليّ عليه السلام. و عن أبي جعفر عليه السلام أنّه خلق الله الملائكة و أسكنهم السماء ثمّ ترائى لهم الله تعالى ثمّ أخذ عليهم الميثاق له بالزبويّة و لمحمّد بالنبوة و لعليّ بالولاية فاضطربت فرائض الملائكة فسخط الله عليهم و احتجب عنهم فلاذوا بالعرش سبع سنين يستجرون الله من سخطه و يقرون بما أخذ عليهم و يسألونه الرضا فرضى عنهم بعد ما أفترّوا بذلك و أسكنهم بذلك الإقرار السماء و اختصهم لنفسه و اختارهم لعبادته، ثمّ أمر الله تعالى أنورنا أن تسبح فسبحت فسبحوا بتسبيحنا، و لو لا تسبيح أنورنا ما دروا كيف يسبحون الله و لا كيف يقصدونه، الخبر.

ثمّ أنّ هاهنا موادّا آخر لوجودهم و لذا ورد في كثير من الأعمال الحسنه و الطاعات المقبولة أنّ الله تعالى يخلق منها الملائكة فيسبحون لصاحبها.

ففي خبر وضوء مولانا أمير المؤمنين أنّه قال لمحمّد بن حنيفة يا محمّد من توضع مثل وضوئي و قال مثل قولي خلق الله له من كلّ قطرة ماء ملكا يقده و يسبحه و يكبره فيكتب الله له ثواب ذلك إلى يوم القيامة «١».

و في تفسير الامام عليه السلام أنّ من قال في آخر وضوئه أو غسله من الجنابة سبحانك اللهم و بحمدك ... الدعاء تحات عنه ذنوبه كما تحات أوراق الشجر و خلق الله بعدد كلّ قطرة من قطرات وضوئه او غسله ملكا يسبح الله و يقده و يهلله

(١) المحاسن: ص ٤٥- عن البحار ج ٨٠ ص ٣١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٥

و يكبره و يصلّي على محمد و آله الطيبين و ثواب ذلك لهذا المتوضى «١».

بل قد روى عن النبي صلّى الله عليه و آله على ما رواه في «الأنوار» عن ابن عباس أنّه لما أسرى به الى السماء انتهى به جبرئيل الى نهر يقال له النور و هو قول الله عزّ و جلّ و خلق الظلمات و النور فلما انتهى به إلى ذلك النهر فقال له جبرئيل اعبر يا محمّد على بركة الله فقد نور الله لك بصرك و مدّ لك ملكك فانّ هذا نهر لم يعبره أحد لا ملك مقرّب و لا نبي مرسل غير أنّ لي في كلّ يوم اغتماسة فيه ثمّ اخرج منه فانفض أجنحتي فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلّا خلق الله تبارك و تعالى منها ملكا مقرّبا له عشرون ألف وجه و أربعون ألف لسان في كلّ لسان يلفظ بلغه لا يفهمها اللسان الاخر فعبر رسول الله عليه السلام حتّى انتهى إلى الحجب و الحجب خمسمائة حجاب من حجاب إلى حجاب مسيرة خمسمائة عام «٢»، الخبر بطوله.

وفيه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةَ نَهْرًا يُقَالُ لَهُ الْحَيَوَانُ يَدْخُلُ فِيهِ جِبْرَائِيلُ كُلَّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ فَإِذَا خَرَجَ انْتَفَضَ انْتِفَاضَةً جَرَفَ عَنْهُ سَبْعُونَ أَلْفَ قَطْرَةٍ فَيَخْلُقُ اللهُ مِنْ كُلِّ قَطْرَةٍ مَلَكًا فَيُؤْمَرُونَ أَنْ يَأْتُوا الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ فَيَصَلُّونَ فِيهِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ أَبَدًا «٣».

و لا يخفى أَنَّ الملائكةَ المخلوقةَ من أفعال العباد وغيرها من الموادِّ أيضا مخلوقةٌ من أشعةِ أنوارِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ و لو بواسطةٍ أو وسائطٍ بحسبِ القربِ من المبدءِ و البعدِ عنه، و أمَّا استقصاءُ الكلامِ في ذكر

(١) تفسير الإمام، ص ٢٣٩ و عنه البحار ج ٨٠ ص ٣١٦.

(٢) أمالي الصدوق: ص ٢١٣- و عنه البحار ج ١٨ ص ٣٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٥ ص ٥٥ عن تفسير الطبرسي ج ٩ ص ١٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٦

أصناف الملائكة و مراتبهم و أوصافهم و شؤونهم و عصمتهم و غير ذلك من أحوالهم فسيأتي كلُّ في موضعه من الآيات المتعلِّقة بها.

بقي الكلام في أنَّ المراد بالملائكة في الآية هل هو الكل نظرا إلى دلالة الجمع المحلِّي على العموم الاستغراقي فيشمل جميع الأفراد أو البعض المطلق لكون اللام إشارة إلى الماهية الجنسية الصادقة على الكلِّ و البعض، و المراد أنَّه خاطب هذا الجنس من أجناس العالم، أو خصوص من حارب منهم بنى الجان و أسروا إبليس، فيكون اللام للعهد بأحد الوجهين و أن لم يجر له ذكر في خصوص ظواهر الآيات و جوه بل أقوال.

و قد مرَّ في العلوي المروي عن القصص أنه سبحانه كشط عن أطباق السماوات ثمَّ قال للملائكة أنظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجنِّ و النَّسَناس هل ترضون أعمالهم و طاعتهم لى فلما اطلعوا و رأوا ما يعملون فيها من المعاصي و سفك الدماء و الفساد في الأرض بغير الحقِّ أعظموا ذلك و غضبوا لله «١» إلى آخر ما مرَّ الظاهر في كون الخطاب متوجِّها إلى الجميع و العمدة عموم الكتاب الذي لم يظهر له مخصَّص مضافا إلى ما ستسمع من كون المأمور بالسجود هو الجميع.

و لا- يقدح فيه ما ورد عن أنَّ أهل المدينتين اللتين بالشرق و المغرب لم يطلعوا على خلق آدم «٢» لاستغراقهم في عبادته سبحانه و لعدم كونهم من الملائكة.

و كذا لا ينافيه ما روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: مررنا ليلة المعراج بملائكة من

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٢٤ عن قصص الراوندي.

(٢) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٧

ملائكة الله عزَّ و جلَّ خلقهم الله تعالى كيف شاء، و وضع وجوههم كيف شاء، و ليس شيء من أطباق وجوههم إلَّا و هو يسبح الله و يحمده من كلِّ ناحية بأصوات مختلفة، أصواتهم مرتفعة بالتسبيح و البكاء من خشية الله تعالى، فسألت جبرائيل عنهم فقال:

كما ترى خلقوا أنَّ الملائكة منهم إلى جنب صاحبه ما كلمه قطَّ، و لا- رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقهم، و لا خفضوا رؤوسهم إلى ما تحتهم، خوفا من الله تعالى و خشوعا، فسلمت عليهم فردوا على إيماء براء و سهم و لا ينظرون إلَّيَّ من الخشوع، فقال لهم جبرائيل عليه السلام: هذا مُحَمَّدٌ نبيُّ الرحمة أرسله الله إلى العباد رسولا و نبيا و هو خاتم الأنبياء و سيدهم أفلا تكلمونه، قال: فلما سمعوا ذلك من جبرائيل أقبلوا علىَّ بالسلام و بشروني و أكرموني بالخير لى و لأمتي «١».

و أمّا ما رواه العامية عن ابن عباس من أنه سبحانه إنما قال هذا القول للملائكة الذين كانوا محاربين مع إبليس لأنّ الله تعالى لما أسكن الجنّ الأرض فأفسدوا فيها و سفكوا الدماء و قتل بعضهم بعضا فبعث الله إبليس في جند من الملائكة فقتلهم إبليس بعسكره حتى أخرجوهم من الأرض و الحقوهم بجزائر البحر فقال تعالى لهم إنّي جاعل في الأرض خليفة «٢».

ففيه أنك ستسمع فيما يأتي أنّ إبليس لم يكن من الملائكة، و أنّه لم يقاتل الجنّ بل قوتل بالملائكة فقتل حزبه و أسروا نفسه، و أمّا كون المخاطبين خصوص المحاربين فهو غير واضح ايضا، سيّما بعد ما سمعت من الكشط عن أطباق

(١) بحار الأنوار: ج ١٨ ص ٣٢٤.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ج ٢ ص ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٨

السموات «١» الظاهر في إرادة الجميع.

نعم في تفسير الامام عليه السلام أنّه قال ذلك للملائكة الذين كانوا في الأرض مع إبليس و قد طردوا عنها الجنّ بنى الجان «٢» الخبر على ما يأتي، و في بعض الاخبار الآتية ما يدلّ عليه ايضا، لكنّها لا تقاوم الأخبار الدالة على العموم المؤيّد بظاهر الكتاب و بوقوع الاستدلال في كثير من الأخبار على فضل البشر على الملائكة بسجودهم لآدم.

بل في العيون عن النبي صلى الله عليه و آله إنّ الله فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين، و فضّلني على جميع النبيين و المرسلين، و الفضل بعدى لك يا عليّ و للأئمة من بعدك إلى أن قال صلى الله عليه و آله: ثمّ أنّ الله تبارك و تعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، و أمر الملائكة بالسجود له تعظيما لنا و إكراما، و كان سجودهم لله عزّ و جلّ عبوديّة و لآدم إكراما و طاعة، لكوننا في صلبه فكيف لا تكون أفضل من الملائكة و قد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون «٣».

و هو كما ترى صريح في العموم مع زيادة التأكيد لكن لا دلالة فيه على كون المقول لهم أو القائلين هم جميع المأمورين بالسجود بل في «العلل» عن الصادق عليه السلام فيما يأتي في حجج الحشوية أنّه تعالى لما أراد خلق آدم قال للملائكة: إنّي جاعل في الأرض خليفة فقال ملكان من الملائكة أ تجعل فيها من يفسد فيها

(١) البحار: ج ٥٧ ص ٣٢٤.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٢٧ عن تفسير الإمام عليه السلام

(٣) عيون الاخبار: ص ١٤٥ و عنه البحار ج ١١ ص ١٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٨٩

و يسفك الدماء فوق الحجب بينهما و بين الله عزّ و جلّ الخبر «١» على ما يأتي.

رابعها: في الإشارة إلى معاني الخلافة التي تختلف باختلاف مراتب الاستخلاف و هي عديدة منها: مجرّد إذهاب قوم بالإهلاك أو الإجماع أو غيرهما و اقامه غيرهم مقامهم في مساكنهم و أماكنهم و مكاناتهم كما في قوله: إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ «٢» عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظّر كيف تعملون «٣» و الخلافة بهذا المعنى تطلق مع القيام بمقتضاها من الايمان و العبوديّة و عدمه، و لذا أطلق على الكافر في قوله: هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ «٤» و قوله: وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ «٥» وَ اذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ «٦» إلى غير ذلك من الإطلاقات الكثيرة الواردة في القرآن و غيره و في الدعاء: «و يهلك ملوكا و يستخلف آخرين»، و بمثل هذه الإطلاقات أطلقت على الخلفاء الثلاثة و خلفاء بنى أمية و بنى العباس و غيرهم من المنافقين المتخلفين، و عليه يحمل ما وضعوه و

افتروه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ أَنَّهُ قَالَ:
الخلافة بعدى ثلاثون سنة، وَا فَهْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَسْتَخْلَفْ أَحَدًا بَعْدَ وَفَاتِهِ،

(١) علل الشرائع: ص ١٤٠ و عنه البحار ج ١١ ص ١٠٩ ح ٢٣.

(٢) الانعام: ١٣٣.

(٣) الأعراف: ١٢٩.

(٤) الانعام: ١٦٥.

(٥) الأعراف: ٦٩.

(٦) الأعراف: ٧٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٠

ولذا اعترض عليهم المأمون لعنه الله في مجلس عقده للمناظرة معهم بمحضر الرضا عليه السلام فقال لهم و هم زهاء أربعين رجلا من علمائهم من أصحاب الحديث و أهل الكلام: أليس قد روت الأئمة بإجماع منها أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ «١» قالوا: بلى قال و رووا عنه عليه السلام أنه قال من عصى الله بمعصية صغرت أو كبرت ثم اتخذها دينا و مضى مصرا عليها فهو مخلد بين أطباق الجحيم، قالوا: بلى: فخبروني عن رجل تخاره الأئمة فتنصبه خليفه هل يجوز أن يقال له خليفه رسول الله عليه السلام و من قبل الله عز و جل و لم يستخلفه الرسول؟ فإن قلت نعم كما برتم، و إن قلت لا و جب أن أبا بكر لم يكن خليفه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ لَا كَانَ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ، و أنكم متعرضون لأن تكونوا ممن و سمه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بدخول النار، و خبروني في أي قولكم صدقتم أفي قولكم مضى عليه السلام و لم يستخلف أو في قولكم في أبي بكر يا خليفه رسول الله، فإن صدقتم في قولين فهذا مما لا يمكن كونه إذ كانا متناقضين، و إن صدقتم في أحدهما بطل الآخر.

إلى أن قال: خبروني عن النبي عليهما السلام هل استخلف حين مضى أم لا؟ فقالوا:

لم يستخلف، قال: فتركه ذلك هدى أم ضلال؟ فقالوا هدى، قال: فعلى الناس أن يتبعوا الهدى و يتنكبوا الضلال، قالوا: قد فعلوا ذلك، قال و لم استخلف الناس بعده و قد تركه هو و ترك فعله ضلال و محال أن يكون خلاف الهدى، و إذا كان ترك الاستخلاف هدى فلم استخلف أبو بكر و لم يفعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و لَمَّا جَعَلَ عَمْرُؤُا بَعْدَهُ شُورَى بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ خِلَافًا عَلَى صَاحِبِهِ؟ وَ زَعَمْتُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يَسْتَخْلَفْ

(١) هذا الحديث مروى عن الفريقين في كتبهم منها: كنز العمال ج ٣ ص ٣٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩١

و إن أبا بكر استخلف و عمر لم يترك الاستخلاف كما تركه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بزعمكم و لم يستخلف كما فعل أبو بكر و جاء بمعنى ثالث فخبروني أي ذلك ترونه صوابا؟ فإن رأيتم فعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ صوابا فقد خطأتم أبا بكر، و كذلك القول في بقيه الأقاويل، و خبروني أيهما أفضل ما فعله النبي بزعمكم من ترك الاستخلاف أو ما صنعت طائفة من الاستخلاف؟ و خبروني هل يجوز أن يكون تركه من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هدى و فعله من غيره هدى فيكون هدى ضد هدى فأين الضلال حينئذ؟ و خبروني هل ولي أحد بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ باختيار الصحابة منذ قبض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى اليوم فإن قلت لا فقد أوجبتم أن الناس كلهم على ضلالة بعد النبي و إن قلت نعم كذبتهم الأئمة و أبطل قولكم الوجود الذي لا يدفع إلى آخر ما ذكره

على ما رواه في العيون (١).

ثم أن الخلافة بهذا المعنى ثابتة لنوع البشر لأن كل قرن منهم خلف أو خلف لسلف، ولآدم وذريته أيضا لأن الله تعالى قد استخلفهم في الأرض بعد إهلاك التسناس و بنى الجان وغيرهم على ما مضى ويأتي، وهذا المعنى هو الظاهر من بعض اخبار الباب. ومنها: الولاية من الله تعالى بلا واسطة أو معها في تبليغ الاحكام و نشر الشرائع و القضاء بين الناس بشرط كون الولاية خاصة ناصبة من الله سبحانه و لو بلسان الرسول صلى الله عليه و آله مع اقترانها بالعلم و الفضيلة و العصمة فيكون الولي بهذا المعنى حجة على غيره ممن استخلف عليه، و هذا المعنى هو الظاهر من الآية على ما يستفاد من بعض الأخبار كالخبر المروي في «الكافي» و «العلل» و «تفسير القمي» و غيرها و فيه: أنه قال جل جلاله: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً تَكُونُ حِجَّةً لِي**

(١) العيون للصدوق: ج ٢ ص ١٩٧-١٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٢

في أرضى على خلقى و لذا قالت الملائكة أ تجعل فيها من يفسد فيها كما أفسد هؤلاء المردة من الجن و التسناس الذين كانوا في الأرض و يفسدك الدماء كما فعل هؤلاء و يتحاسدون و يتباغضون فاجعل ذلك الخليفة منا فانا لا نتحاسد و لا نتباغض و لا نسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقس لك قال تبارك و تعالى **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَ خَلْقًا يَبِيدُ وَ اجْعَلْ فِي ذُرِّيَّتِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَ الْمُرْسَلِينَ وَ عِبَادَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَ أُمَّةً مَهْدِيَّةً وَ اجْعَلْهُمْ خُلَفَاءَ عَلَى خَلْقِي فِي أَرْضِي يَهْدُونَهُمْ إِلَى طَاعَتِي وَ يَنْهَوْنَهُمْ عَنِ مَعْصِيَتِي وَ اجْعَلْهُمْ حِجَّةً لِي عَلَيْهِمْ عَذْرًا وَ نَذْرًا الْخَبْرُ (١) على ما يأتي إن شاء الله، حيث أن الظاهر منه ارادة الخلافة على الوجه المذكور و هو المراد ايضا في قوله: **وَ قَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ وَ لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ** (٢)، و قوله: يا داود **إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ** (٣).

و لذا ورد أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام رابع الخلفاء، ففي «العيون» و غيره عن مولانا ابى الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آباءه عن أمير المؤمنين قال بينا أنا أمشى مع النبي صلى الله عليه و آله في بعض طرقات المدينة إذ لقينا شيخ طوال كثر اللحية طويل ما بين المنكبين فسلم على النبي صلى الله عليه و آله و رحب به ثم التفت إلي و قال السلام عليك يا رابع الخلفاء و رحمة الله و بركاته أ ليس هو كذلك يا رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه و آله بلى ثم مضى فقلت: يا رسول الله ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ و تصديقتك له قال صلى الله عليه و آله:

(١) كنز الدقائق: ج ١ ص ٣٣٠-٣٣١ عن تفسير على بن ابراهيم.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) ص: ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٣

أنت كذلك و الحمد لله إن الله عز و جل قال في كتابه: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** (١) و الخليفة المجمعول فيها آدم عليه السلام و قال عز و جل يا داود **إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ** (٢) فهو الثاني و قال عز و جل حكاية عن موسى قال له هارون **اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ أَصْلِحْ** (٣) فهو هارون إذا استخلفه موسى عليه السلام في قومه و هو الثالث و قال عز و جل: **وَ أَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ رَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ** (٤) و كنت أنت المبلغ عن الله عز و جل و عن رسوله و أنت وصي و وزير و قاضي ديني و المؤدى عني و أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي فأنت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ أ و لا تدري من هو؟ قلت: لا قال: هو أخوك الخضر عليه السلام (٥).

والخلافة بهذا المعنى ثابتة للأئمة الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين سيما قائمهم وخاتمهم عجل الله فرجه فإنه المضطر الذي يجب إذا دعي، و يكشف السيء و يجعله خليفته في أرضه و اليه الإشارة بقوله: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ «٦» و هو الموعود بالخلافة و التمكين في قوله: وَعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) ص: ٢٦.

(٣) الأعراف: ١٤٢.

(٤) التوبة: ٣.

(٥) عيون الاخبار: ج ٢ ص ٩ - ١٠.

(٦) النمل: ٦٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٤

خَوْفِهِمْ أَمَّنَّا «١»، الآية.

و في الكافي عن ابى الحسن عليه السلام قال الأئمة خلفاء عز و جل في أرضه «٢» و فيه عن محمد بن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبى الحسن الأول عليه السلام الا تدلني إلى من آخذ عنه ديني. فقال: هذا ابني عليّ إن أبى أخذ بيدي فادخلني إلى قبر رسول الله صلى الله عليه و آله فقال يا بنى ان الله عز و جل قال: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً و ان الله عز و جل إذا قال قولاً وفي به «٣». و فيه دلالة على أن المراد بالخلافة هي الخلافة المتصلة في كل عصر كما أشير إليها بقوله: وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ «٤».

و من فروع هذه الخلافة ما ثبت للنائب العام في زمن غيبة الإمام عليه السلام في نشر الاحكام و بيان الحلال و الحرام و القضاء بالحق بين الأنام و اقامة الحدود و ولاية الأيتام.

و لذا ورد في النبوي على ما رواه في «العيون» و «المعاني» من الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: اللهم ارحم خلفائي ثلاث مرات فقل: يا رسول الله و من خلفائك؟ قال: الذين يأتون من بعدى و يروون عني أحاديثي و سنتي فيعلمونها الناس من بعدى، و مثله في «الفقيه» و «المجالس» عن امير المؤمنين عنه صلى الله عليه و آله.

(١) النور: ٥٥.

(٢) اصول الكافي: ج ١ ص ٣١٢ ح ٤.

(٣) اصول الكافي: ج ١ ص ٣١٢ ح ٤.

(٤) القصص: ٥١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٥

و منها الولاية في الأمور التكوينية و في شؤون الربوبية إذ مربوب باذن الله سبحانه، و هذه الخلافة ثابتة فيما شاء الله سبحانه لمن شاء من عباده كالملائكة الذاريات و المقسمات و المعقبات و النزاعات و الزاجرات و غيرهم من الملائكة الموكلين بمصالح العالم و حفظ بنى آدم، و هذه الخلافة ثابتة ايضاً للنبي محمد و آله الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين فيما أشهدهم على خلقه و اتخذهم أعضادا على ما يستفاد من فحوى الآية و صريح قول الحجة عجل الله فرجه في دعاء رجب بأعضاء و أشهاد «١»، و غير ذلك من

الأخبار التي مرّت إلى جملة منها الإشارة في تفسير الفاتحة.

و أما الخلافة الكليّة المحمّدية الثابتة له ولأوصيائه الطيّبين فهي إشارة إلى ذلك مضافا إلى المعنى السابق من وساطتهم في التبليغ إلى جميع الأكوان في جميع العوالم ولذا ورد عنهم: إنّ لله تعالى ألف ألف عالم و ألف ألف آدم و نحن الحجج على جميع تلك العوالم و هؤلاء الآدميين.

و في الكافي: عن أبي جعفر الثاني: أنّ الله لم يزل متفرّدا بوحدانيته ثم خلق محمّدا و عليّا و فاطمة فمكثوا ألف ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فاشهدهم خلقها و أجرى طاعتهم عليها و فوّض أمورها إليهم فهم يحلون ما يشاءون و يحرمون ما يشاءون و لن يشاءوا إلّا أن يشاء الله تبارك و تعالى «٢».

(١) بحار الأنوار: ج ٩٨ ص ٣٩٣.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٢٥ بتفاوت سير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٦

و في «الاختصاص» في خبر المفضّل عن الصادق صلّى الله عليه و آله على ما رواه في البحار عنه صلّى الله عليه و آله: إنّ الله تبارك و تعالى توخّذ بملكه، فعزّف عباده نفسه، ثم فوّض إليهم أمره، و أباح لهم جنّته، فمن أراد الله أن يطهر قلبه من الجحّ و الانس عزّفه و لا يتنا، و من أراد الله أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفتنا، ثم قال يا مفضّل و الله ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده و ينفخ فيه من روحه إلّا بولاية علىّ عليه السّلام و ما كلّم الله موسى تكليما إلّا بولاية علىّ عليه السّلام و لا أقام عيسى بن مريم آية للعالمين إلّا بالخضوع لعلىّ عليه السّلام، ثم قال عليه السّلام: أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلّا بالعبودية لنا «١».

و هذه الخلافة هي المعبر عنها بالقيام في سائر العوالم في الأثناء مقامه في الخطبة العلوية الغديرية على ما رواه شيخ الطائفة في «المتهجّد» على ما مرّت لكنّها هو المسك ما كرّرت يتضوّع، و فيها: و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله استخلصه في القدم على سائر الأمم، على علم منه به انفراد عن التّشاكل و التّمائل من أبناء الجنس، و انتجبه «٢» أمرا و ناهيا عنه، أقامه في سائر عالمه في الأثناء مقامه.

إلى أن قال عليه السّلام: و إنّ الله تعالى اختصّ لنفسه من بعد نبّيه عليه السّلام من برّيته خاصّة علاّمه بتعليته، و سما بهم إلى رتبته، و جعلهم الدّعاة بالحقّ إليه، و الأدلّاء بالإرشاد عليه، قرن قرن و زمن زمن.

أنشأهم في القدم قبل كلّ مذروء و مبروء أنوارا أنطقها بتحميده، و ألهمها

(١) البحار ج ٢٦ ص ٢٩٤ ح ٥٦ عن الإختصاص ص ٢٥٠.

(٢) في البحار: و اتّمنه.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٧

شكره و تمجّده، و جعلها الحجج على كلّ معترف له بملكه الربوبيّة و سلطان العبوديّة، و استنطق بها الخرسان بأنواع اللّغات بخوعا له بأنّه فاطر الأرضين و السّماوات، و اشهدهم خلق خلقه، و ولّاهم ما شاء من أمره، و جعلهم تراجم مشيّته، و السن إرادته عبيدا لا يسبقونه بالقول: و هم بامرهم يعملون «١» آه.

و منها: جامعته للنشئات الكونيّة و مظهريّة للأسماء الالهية و الصّيفات الفعلية على ما تأتي إليه الإشارة في قوله: و علّم آدم الأسماء كلّها «٢» و إنّ كان مرجعه إلى سابقه في ركنه الأعظم الذي هو العمدة في معنى الخلافة قالوا: أ تجعلّ فيها من يفسد فيها و يشفك الدّماء استفهام على وجه الاستعلام عن وجه الحكمة و المصلحة في استخلاف أهل المعصية مكان أهل الطاعة ليعلموا الحكمة في

ذلك مفضيلا بعد ما علموه مجملا من علمه و حكمته، أو تعجب عن السير الناهض و الحكمة التي أوجبت استخلاف من يفسد في الأرض لغرض عمارتها و إصلاحها، مع أن الإفساد و السفك على طرف الضد من المطلوب على أن ما هو المقصود الاصلى من الخلق و هو العبادة إنما يتأتى منا لا منهم و لذا قالوا: وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ أَرَادُوا أَنَّهُمْ مَعْصُومُونَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، مداومون على طاعته، لا يستكبرون عن عبادته، و لا يستحسرون، يسبحون الليل و النهار لا يفترون، فاستكشفوا عن الحكمة العجيبة التي غلبت تلك المفاصد و الغتها و ترجحت على مصلحة استخلافهم على ما هم عليه من دوام الطاعة حتى أهملتها، و كان مقصودهم

(١) البحار: ج ٩٧ ص ١٣١-١١٤ ح ٨.

(٢) البقرة: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٨

في ذلك هو الاستفسار و الاستخبار، لا الافتخار و الاستحغار.

و السفك: الصب و الإهراق و ان اختص بحسب الإطلاق في الدم و الدمع، فيطلق فيهما كما يطلق السبك في الجواهر المذابة، و السفع في الصب من أعلى، و الشن في الصب من فم القربة، و كذلك السن بالمهملة، فالجميع مشترك في جنس و الخصوصية مستندة إلى الوضع أو الإطلاق و الآتى منه يسفك بالكسر، و قرئ يسفك بالضم، و يسفك من أسفك و يسفك من سفك و يسفك على البناء للمفعول، فيكون الراجع إلى من سواء جعل موصولا أو موصوفا محذوفا أى يسفك الدماء فيهم. و الدم أصله دمو بالتحريك من دمي يدمى كرضى يرضى، و لذا ابدلوا الواو ياء، و قيل: إن أصله الياء و جاء تثنيته على دميان و دومان، و عليهما فجمعه على الدماء مخالف لنظائره.

و قال سيويه: أصله دمي بالتسكين لأنه يجمع على دماء و دمي مثل ظبي و ظباء و ظبي، و دلو و دلاء و دلى.

و المراد بالإفساد أن كان هيج الحروب و الفتن حيث ان فيه فساد حال الإنسان الذى هو أشرف المواليد و يتبعه فساد الآخرين و لذا قال: وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ «١»، فالعطف للبيان أو مطلق إحداث الفساد الذى هو ضد الصلاح فمن تعقيب العام بالخاص الذى هو اظهر افراده، و أشدها فى بابه، و أبقحها فعلا، و أهمها تركا، و ربما يفسر بالشرك فيغير السفك.

(١) البقرة: ٢٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٩٩

و التسييح التنزيه و أصله تبعيد الله عن السوء من سبح فى الأرض إذا ذهب فيها و ابعده، و منه السباحة للقوم، و فرس سابع كثير الجرى، و لذا قيل: إن السبح فى الأصل سرعة الذهاب فى الماء، ثم استعير لجرى النجوم فى الفلك، و لجرى الفرس، ثم لسرعة التسييح و الطاعة.

و الواو فى قوله: وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ لِلْحَالِ، و الجملة حالية مقررة للاشكال على ما مر، و العامل فيها أ تجعل كأنه قال أ تجعل فيها من يفسد فيها و هذه حالنا و بحمدك فى موضع الحال أى متلبسين بحمدك على ما ألهمتنا من معرفتك و وقفتنا لتسيحك، أو بحمدك بمعنى و الحمد لك، نظير ما أنت بنعمة ربك بمجنون «١» أى و النعمة له، و لعل مرجعه إلى الأول، و المراد تدارك ما أوهمه اسناد التسييح إلى أنفسهم و تنجيز الشكر على التوفيق للعبادة، أو نسبه لما هو عليه من المحامد ذاتا و فعلا، و المراد كونه محمودا أو نسبه بالتكلم بالحمد له، فإن النطق بالحمد لله تسييح له كما قيل فى قوله: وَ الْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ التسييحات الأربع يطلق عليها التسييح، و إن كان بعضها تحميد او تهليلا و تكبيرا و على هذا فيكون بيانا للتسييح متعلقا به.

و هذا كله مع إرادة التنزيه من التسبيح، و يمكن ان يراد به الصلاة و رفع الصوت و التكلم كما قيل، اى نصلّى لك كما فى قوله: فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ «٢» أى من المصلّين او نرفع أصواتنا بذكرك، و منه قول جرير «٣»:

(١) القلم: ٢.

(٢) الصافات: ١٤٣.

(٣) جرير بن عطية بن حذيفة اليربوعي الشاعر المتوفى (١١٠) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٠

قبح الإله و جوه تغلب كلما سبح الحجيج و كبروا إهلالا أو نتكلم بحمدك و نطق به لكن فى تفسير الامام عليه السلام: ننزهك عما لا يليق بك من الصفات و نقّس لك نظهر أرضك ممّن يعصيك «١».

و هو من قدس فى الأرض إذا ذهب فيها و أبعد، و منه القدس بالسكون و بالضم للطهر فإنّ الطاهر بعيد عن الأقدار، و المطهر مبعده عنها، و المراد به ما مرّ فى كلام الإمام عليه السلام.

و قيل: ننزهك عما لا يليق بك من صفات النقص و لا نضيف إليك القبائح، فاللام زائدة اى نقديسك، و قيل: نصلّى لأجلك، و قيل: نظهر أنفسنا من الخطايا و المعاصى، كأنهم قابلوا الفساد المفسّر بالشرك على ما مرّ بالتسبيح كما قابلوا سفك الدماء الذى هو أعظم قبائح الأفعال بتطهير النفس عن الذنوب الذى هو أساس محامد الخصال، أو أنّهم جعلوا سفك الدماء نهاية الإفساد بمعناه العام و قابلوه بالتقديس الذى قيل إنّه ابلغ فى التنزيه من التسبيح، حيث إنّ النظر فى التسبيح إلى أنّ العارف أنّى استطاع فى التنزيه على حسب معرفته و فى التقديس إلى أنّ الذات الكاملة التى لا يمكن فى الوجود و التصور ممّا يدانيها فى شىء من الكمال لها الطهارة عن كلّ سوء أطلق عليه لفظ دالّ أم لم يطلق، فقد لوحظ فى الأوّل العارف و فى الثّانى المعروف.

و يمكن أن يكون الفعلان اشارة إلى ركنى الكمال من صفات الجمال و الجلال فإنّ التسبيح بالحمد اشارة إلى تمجيده بمحامده الكثيرة الذاتية و العقائية فى المراتب

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الإمام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠١

الأربع المشار إليها فى الدعاء بقوله: و الحمد لله كلما حمد الله شىء و كما يحبّ الله أن يحمد، و كما هو أهله، و كما ينبغى لكرم وجهه و عزّ جلاله «١» إلخ على ما مرّت إليه الإشارة فى تفسير الحمد، و التقديس اشارة إلى تنزيهه عما لا يليق به من صفات الإمكان و الأكوان.

و لا- يخفى أنّ قضية الإطلاق هو الحمل على ما مرّ و غيره يمكن حمل اللفظ عليه، فلا وجه لتخصيص البعض بالحمل عليه، و فى إضافة هذه الأفعال إلى أنفسهم و تمدحهم بها و صدقهم فى تنزيهه و تقديسه و إضافة الإفساد و السفك إلى المجعول فيها على وجه يشعر بالذم. و الحوالة فى الجواب عن مقالهم إجمالا إلى علمه و تفصيلا إلى علم المستخلف دون أن يقول إنّى أفعل ما أشاء لانتفاء الحسن و القبح و انتساب الكلّ إلى جوه من الدلالة على ما هو المختار من العدل و الاختيار، و فساد القول بالإجبار و الاضطرار، و المناقضة بمسألة الدّاعى و العلم مدفوعة بما مرّ مرارا، و أمّا إخبار الملائكة عن الإفساد و السفك فلعله مستند إلى مطالعة اللوح المحفوظ أو الألواح الجزئية السماوية حيث إنّه قد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، و ذلك لا يوجب سقوط سؤالهم رأسا مع علمهم بجواز البداء او كون السؤال للاستفسار عن وجه الحكمة على ما مرّ، أو إلى إخبار الله سبحانه حيث إنّه أعلمهم أنّه إذا كان فى الأرض خلق عظيم أفسدوا فيها و سفكوا الدماء أو أخبرهم به بالخصوص لما يروى عن ابن مسعود و غيره أنّه تعالى لمّا قال للملائكة

إني جاعل في الأرض خليفة قالوا: ربنا و يكون الخليفة؟، قالوا تكون له ذرية يفسدون في

(١) بحار الأنوار: ج ٨٦ ص ٤٤ ح ٥٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٢

الأرض و يتحاسدون و يقتل بعضهم بعضا فعند ذلك قالوا: ربنا أ تجعل فيها، أو أنهم علموا أن العصمة من خواص نوعهم لا نوع آخر و أن أتصف بها منه أفراد كثيرة أو أنهم قاسوا أحد الثقلين بالآخر لما رأوا من حال الجن الذين كانوا قبل آدم في الأرض كما يحكى عن ابن عباس و الكليني قيل و يؤيده ما فى تفسير الامام عليه السلام:

فقالوا ربنا أ تجعل فيها من يفسد فيها و يفسك الدماء كما فعلت الجن بنوا الجن الذين قد طردناهم عن هذه الأرض «١» آه و هو كما ترى إذ غاية التنظير و اين هو من القياس الذى لم يجعل طريقا لاحد من الخلق إلى معرفة شىء سيما مع ما تضمن القدح و التعيب و غيره بل من المشهور المستفيض ان أول من قاس إبليس فكيف استعملته الملائكة قبله.

و أما ما يحكى عن تفسير العياشى عن الصادق عليه السلام قال: و ما علم الملائكة بقولهم أ تجعل فيها من يفسد فيها و يفسك الدماء لو لا أنهم قد كانوا رأوا من يفسد فيها و يفسك الدماء «٢» فالظاهر أن المراد أنهم رأوا ذلك مكتوبا فى الألواح السماوية، أو أنهم علموا ذلك و لو بطرق آخر من رأى بمعنى علم، أو أنهم رأوا ذلك رأى العين بناء على تجردهم و إحاطتهم بالأزمنة و ما فيها، بلا فرق بين الماضى و الحال و الاستقبال، أو لأن معنى الخلافة هو النيابة عن الله تعالى فى الحكم و القضاء و إنما يكون الاحتياج إليه عند التنازع و التظالم، فالإخبار عن وجود الخليفة كأنه إخبار عن وقوع الشر و الفساد بطريق الالتزام، أو أنه لما خلق الله النار خافت الملائكة

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣.

(٢) البرهان ج ١ ص ٧٤ عن العياشى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٣

خوفا شديدا فقالوا: ربنا و سيدنا لمن خلقت هذه النار؟ قال: لمن عصانى من خلقى و لم يكن يومئذ لله خلق إلا الملائكة، فلما قال: إني جاعل فى الأرض خليفة عرفوا أن المعصية منهم، أو لأنهم علموا أن المجمعول خليفة يكون له ثلاث قوى عليها مدار أمره: شهوية و غضبية تؤدىان به إلى الفساد و سفك الدماء، و عقلية تدعوه إلى المعرفة و الطاعة و استخدام الأوليين بعد تسخيرهما و تعليمهما ما علمها الله تعالى فى مقاصدها، لكن قضيه التركيب هو التغالب و التقاهر فكل منها بين قاهر غالب أو مقهور مغلوب، و لذا نظروا إليها كما هى مرددة بين الحالين و قالوا: ما الحكمة فى استخلافه، و هو باعتبار تينك القوتين لا تقتضى الحكمة إيجاد فضل عن استخلافه و أما باعتبار القوة العقلية ففى استخلافنا ما يترتب عليه تلك المقاصد سليمة عن معارضة تلك المفسد، و لذا قال الله سبحانه فى جوابهم إني أعلم ما لا تعلمون «١» من أن الملائكة و ان منحوا بالجنبه الروحانية و لوازمها من الإشارات و اللذات العقلية إلا أنه ليس لهم جنبه جسمانية و لا استعدادات كلية لدرجات متفاضلة، و لا إحاطة فطرية او كسبية لإدراك النشآت المختلفة، و أما الإنسان فإنه محيط بجميع المراتب المختلفة محتو على ما فى العوالم المترتبة سائر فى الأطوار المتباينة من الجمادية و النباتية و الحيوانية و الملكية مستفيدا بصورته التركيبية التى استعدت بها للمنح الالهية و الفيوض الربانية لما تقصر عنه الأحاد كالأحاطة بالجزئيات و استنباط الصناعات و استخراج منافع الكائنات من القوة إلى الفعل و قوة التصرف فيها بالتسخير و التدبير و التدمير و له الترقى عن جميع تلك المراتب بان

(١) البقرة: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٤

يتحقق له في مرتبة الجمعية الكلية والجامعية الربانية والكليّة الالهية بحيث لا يشغله شأن عن شأن ولا يحجبه ناسوت عن ملكوت فيتجاوز حينئذ عن أفق الملائكة، فهو النسخة الجامعة لحقائق الملك والملكوت، والمظهر الكلي لحضرة الرحمت، والمعجون المركب من القبضات المأخوذة من عالم الملكوت في صقع الناسوت.

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «إن الله تعالى ركب في الملائكة عقلا بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم» (١).
و في تفسير الإمام عليه السلام: إني أعلم من الصلاح الكائن فيمن أجعله بدلا منكم ما لا تعلمون، وأعلم أيضا أن فيكم من هو كافر في باطنه لا تعلمونه وهو إبليس لعنه الله (٢).

بسط في المقام للإشارة إلى عصمة الملائكة عليهم السلام دفعا لبعض الأوهام

اعلم أن المشهور الذي عليه الجمهور هو عصمة الملائكة من صغائر الذنوب و كبائرهما بلا فرق بين الملائكة الأرضية والسموية، بل ادعى كثير من الفرقة المحقة عليه الإجماع وافقهم عليه أكثر المخالفين، واستدلوا عليه بأن المعصية في الحقيقة

(١) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٣٩٩- عن علل الشرائع ج ١ ص ٥.

(٢) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٥

عبارة عن مخالفة القوة السافلة للقوة العلية فيما لها أن يفعل الغرض الأعلى عند تخالف الأغراض والدواعي، ومع بساطة القوة وفقد التركيب من الأجزاء المختلفة لا يتصور التنازع والتمانع، وبالإجماع القطعي من الفرقة المحقة عليه ولذا لم ينسبوا الخلاف إلا إلى الحشوية، وبظاهر الآيات الكثيرة كقوله: لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (١) بل عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (٢) إلى قوله: وهم من خشية مشفقون (٣) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (٤) لا يستكبرون عن عبادته ولا يستخسرون (٥) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٦) وغيرها من الآيات التي لا تخفى وجوه الدلالة فيها بملاحظة الإطلاق والعموم على ما هو المطلوب بل في هذه الآية أيضا دلالة عليه أيضا حيث إنهم طعنوا باليسير من المعصية ولو كانوا من العصاة لما حس منهم ذلك الطعن، سيما عند من لا تخفى عليه خافية هذا مضافا إلى جملة من الاخبار الدالة على عصمتهم ودوام طاعتهم كما في الخطبة العلوية المروية في النهج وفيها انشائهم على صور مختلفات، وأقدار متفاوتات، جعلهم الله فيما هنالك أهل الامانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه، وعصمهم من ريب

(١) التحريم: ٦.

(٢) الأنبياء: ٢٧.

(٣) الأنبياء: ٢٨.

(٤) النحل: ٥٠.

(٥) الأنبياء: ١٩.

(٦) الأنبياء: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٦

الشبهات، فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته «١».

و في تفسير فرات معننا عن الحسن بن علي عليهما السّلام في خبر طويل وفيه أنّه سبحانه جعل في كلّ سماء ساكنا من الملائكة خلقهم معصومين من نور من بحور عذبة و هو بحر الرّحمه و جعل طعامهم التّسبيح و التهليل و التّقدیس، الخبر «٢». و في «العيون» عن الرضا عليه السّلام: إنّ الملائكة معصومون محفوظون من الكفر و القبائح بألطف الله تعالى قال الله فيهم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمّرون «٣» و قال عزّ و جلّ و له من في السّماوات و الأرض و من عنده - يعنى الملائكة - لا يسئّون الله ما أمرهم و لا يخفى إنّ استدلاله بظاهر الآيتين ممّا يؤكّد دلالتهما على ذلك إلى غير ذلك من الاخبار الكثيره و قال الامام عليه السّلام في تفسيره ردّا على العامه فيما ذكره من قصيه هاروت و ماروت ما لفظه: معاذ الله من ذلك أنّ ملائكة الله تعالى معصومون عن الخطأ محفوظون من الكفر و القبائح بألطف الله تعالى فقال الله عزّ و جلّ فيهم لا يعصون الله «٤»، الآية «٧» إلى آخر ما يأتي الإشارة إليه في تلك القصه و غيرها.

و احتجت الحشويه مضافا إلى ما يأتي من توهم أنّ إبليس كان منهم و قد كفر

(١) نهج البلاغه: خ ٩٠ - المعروفه بخطبه الأشباح.

(٢) البحار: ج ٥٧ ص ٩٢ عن تفسير الفرات.

(٣) التحريم: ٦.

(٤) الأنبياء: ١٩.

(٥) البحار: ج ٥٩ ص ٢٧٢.

(٦) التحريم: ٦.

(٧) بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٣٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٧

و من قصيه هاروت و ماروت على ما اشتهر بهذه الآية حيث اشتملت على وجوه من الدّلاله، حتّى أنهاها بعضهم إلى ثمانية عشره خصله ذميه كانت كامنه فيهم، و قد ظهرت بالاختيار الذي هو الاخبار عن خلق الخلفاء و الأخيار و ذلك لا يتم اعتراضوا على الله الحكيم في فعله، و ذلك من أعظم الذنوب، و طعنوا في بنى آدم بالإفساد و سفك الدماء و هى الغيبه التى هى من الكبائر، و تمدحوا بخلو أنفسهم عنهما، و باشتغالهم بالتحميد و التقديس، بل و بانحصار ذلك بهم، حتّى كأنهم نفوا كون غيرهم كذلك و هو يشبه العجب و الغيبه اللذين هما من المهلكات و الكبائر، مع ما يظهر منه من التزكيه و سوء الظن، و التّفحص عن معائب الغير، و حسدهم على فضيلته و صلاحيته للخلافه، و حرصهم عليها، و اضافتهم العباده إلى أنفسهم لا إلى حول ربهم و قوته و توفيقه و عصمته، و اعتمادهم على القياس و الاستنباط، و القول بغير علم سيما فى القدح على الغير، و فى الاعتراض على الحكيم و ذلك لأنّ علمهم بذلك لو كان مستندا إلى الوحي لم يكن لإعادة ذلك الكلام فائده مع أنّ قوله:

أَنْبِئْنِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «١» يدلّ على أنّهم كانوا كاذبين فيما قالوا و أنّ قوله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ «٢» يدلّ على أنّهم ما كانوا عالمين بذلك قبل هذه الواقعة، و أنّهم كانوا شاكين فى كونه تعالى عالما بكلّ المعلومات، و إنّ قولهم: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا «٣» يشبه الاعتذار و لو لا تقدم الذنب لما اشتغلوا بالعدر،

هذا مضافا

(١) البقرة: ٣١.

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) البقرة: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٨

إلى الاخبار الكثيرة الدالة على ذلك من طرق الفريقين في تفسير الآية.

ففى العلل عن أحدهما عليهما السلام أنه سئل عن ابتداء الطواف فقال: إن الله تبارك و تعالى لما أراد خلق آدم قال للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة فقال ملكان من الملائكة: أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء فوقعت الحجب فيما بينهما و بين الله عزّ و جلّ و كان الله تبارك و تعالى نوره ظاهرا للملائكة فلما وقعت الحجب بينه و بينهما علما أنه سخط قولهما فقالا للملائكة: ما حيلتنا و ما وجه توبتنا فقالوا ما نعرف لكما من التوبة إلا أن تلودا بالعرش قال فلاذا بالعرش حتى انزل الله عزّ و جلّ توبتهما، و رفعت الحجب فيما بينه و بينهما و أحبّ الله تبارك و تعالى أن يعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت فى الأرض و جعل على العباد الطواف حوله و خلق البيت المعمور فى السماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة (١).

و فيه بالإسناد عن عليّ بن الحسين عليهما السلام فى سبب كون الطواف سبعة أشواط قال: لأنّ الله تبارك و تعالى قال للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة فردوا على الله تبارك و تعالى و قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء، قال الله إني أعلم ما لا تعلمون: و كان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة فرحمهم و تاب عليهم و جعل لهم البيت المعمور الذى فى السماء الرابعة فجعله مثابة و أمنا و وضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس و أمنا فصار الطواف سبعة أشواط واجبا على العباد لكلّ ألف سنة شوطا

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١١٠ عن العلل.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٠٩

واحدا (١) فيه، و فى العيون فى علل محمّد بن سنان قال: كتب الرضا عليه السلام إليه علّة الطواف بالبيت أن الله تبارك و تعالى قال للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيه و يسفك الدماء فردوا على الله تبارك و تعالى هذا الجواب فعلموا أنهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش و استغفروا، الخبر قريبا ممّا مرّ و فى «الكافى» عن ابى جعفر عليه السلام فى خبر طويل قال عليه السلام: أمّا بدء هذا البيت فإنّ الله تبارك و تعالى قال للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة فردت الملائكة على الله تعالى فقالت: أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء فاعرض عنها فرأت أن ذلك من سخطه فلاذت بعرشه فأمر الله تعالى ملكا من الملائكة أن يجعل له بيتا فى السماء السادسة يسمّى الضّراح يازاء عرشه (٢).

الخبر و فيه عنه عليه السلام أنهم لمّا ردّوا عليه بقولهم: أ تجعل فيها .. إلخ قال الله تبارك و تعالى: انى أعلم ما لا تعلمون فغضب عليهم ثمّ سأله التوبة فأمرهم أن يطوفوا بالضّراح و هو البيت المعمور و مكثوا يطوفون سبع سنين يستغفرون الله عزّ و جلّ ممّا قالوا ثمّ تاب الله عليهم من بعد ذلك و رضى عنهم، فهذا كان أصل الطواف ثمّ جعل الله البيت الحرام حذو الضّراح توبة لمن أذنب من بنى آدم و طهورا لهم (٣).

و فى المجمع عن الصادق عليه السلام: إن الملائكة سألت الله تعالى أن يجعل الخليفة منهم و قالوا نحن نقدّسك و نطيعك و لا نعصيك كغيرنا قال فلما أجبوا بما ذكر فى القرآن علموا أنهم تجاوزوا ما لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً فأمر الله تعالى آدم

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١١٠-١١١ عن العلل ص ١٤١.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ١١٠ عن العلل و العيون.

(٣) البحار: ج ٩٩ ص ٢٠٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٠

بعد هبوطه أن يبني له في الأرض بيتا يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقربون فقال الله للملائكة إني أعرف بالمصلحة منكم و هو معنى قوله: «أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ.» (١) و روت العامة عن ابن عباس أنه قال سبحانه للملائكة الذين كانوا جندا لإبليس في محاربة بنى الجان إني جاعل في الأرض خليفة فقالت الملائكة محيين له سبحانه: أ تجعل فيها من يفسد فيها ثم علموا غضب الله عليهم فقالوا: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا «٢».

و في بعض رواياتهم أنهم لما قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها أرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم.

بل يمكن الاستدلال أيضا بما في «الإكمال» وغيره عن النبي صلى الله عليه و آله: إن لله تبارك و تعالى ملكا يقال له دردايل كان له ستة عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح هواء و الهواء كما بين السماء و الأرض فجعل يوما يقول في نفسه أفوق ربنا جل جلاله شيء فعلم الله تبارك و تعالى ما قال فزاده أجنحة مثلها فصار له اثنان و ثلاثون ألف جناح ثم أوحى الله عز و جل إليه أن طر فطار مقدار خمسمائة عام فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش فلما علم الله عز و جل اتعابه اوحى إليه أيها الملك عد إلى مكانك فانا عظيم فوق كل عظيم و ليس فوقى شيء و لا اوصف بمكان فسلبه الله أجنحته و مقامه من صفوف الملائكة فلما ولد الحسين عليه السلام هبط جبرئيل عليه السلام في

(١) البحار: ج ٩٩ ص ٢٠٦.

(٢) البقرة: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١١

ألف قبيل من الملائكة لتهنئة النبي صلى الله عليه و آله فمرّ بدردايل فقال له سل النبي صلى الله عليه و آله بحق مولوده أن يشفع لى عند ربه فدعا له النبي صلى الله عليه و آله بحق الحسين فاستجاب الله دعائه و ردّ عليه أجنحته و ردّه إلى مكانه «١».

و في البصائر عن أبي عبد الله عليه السلام: قال إن الله تعالى عرض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها الملائكة و اباهها ملك يقال له فطرس فكسر الله جناحه فلما ولد الحسين بن عليّ عليه السلام بعث الله جبرئيل في سبعين ألف ملك إلى محمد صلى الله عليه و آله يهنيهم بولادته فمرّ بفطرس فقال له فطرس يا جبرئيل إلى أين تذهب قال بعثني الله تعالى الى محمد صلى الله عليه و آله اهنيهم بمولود ولد في هذه الليلة فقال له فطرس احملني معك و سل محمدا يدعو لى فقال له جبرئيل اركب جناحي فركب جناحه فاتى محمدا فدخل عليه و هنأه فقال له يا رسول الله أن فطرس بينى و بينه أخوة سألتنى أن أسألك أن تدعو الله له أن يرد عليه جناحه فقال رسول الله صلى الله عليه و آله لفطرس أتقبل؟ قال نعم فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه و آله ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها فقال رسول الله شأنك بالمهد فتمسح به و تمرغ فيه قال فمضى فطرس إلى مهد الحسين بن عليّ عليهما السلام و رسول الله صلى الله عليه و آله يدعو له قال قال رسول الله صلى الله عليه و آله: فنظرت إلى ريشه و أنه ليطلع و يجرى منه الدّم و يطول حتى لحق جناحه الاخر و عرج مع جبرئيل إلى السماء و صار إلى موضعه «٢».

و الجواب أما عن قصة إبليس و الملائكة فسيأتي، و أما عن الآية فبالمنع من

(١) البحار: ج ٤٣ ص ٣٤٩.

(٢) البحار: ج ٢٦ ص ٣٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٢

دلالتها على المقصود بشيء من الوجوه المتقدمة، ضرورة أنّ سؤالهم لم يكن للإنكار ولا لتنبية الله عزّ وجلّ على شيء لا يعلمه ولا للاعتراض عليه في فعله، بل إنّما المقصود من ذلك أمور منها ما مرّت إليه الإشارة من السؤال عن وجه الحكمة فإنّ إبداء الأشكال طلبا للجواب غير محذور فكأنهم قالوا ربنا أنت الحكيم الذي لا تفعل السفه البتّة وتمكين الظلم من الظلم والفساد قبيح من الحكيم فضلا عن خلقه فما الحكمة في ذلك فأجابهم الله تعالى بقول: **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** «١» أي من الخيرات الكثيرة التي لا يتركها الحكيم لأجل الشرور القليلة.

ومنها: أنّ ذلك مسألة منهم ان يجعل الأرض أو بعضا لهم ان كان ذلك صلاحا نحو قول موسى: **أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا** «٢» أي لا تهلكنا فأجابهم الله عزّ وجلّ بأنّي أعلم من صلاحكم وصلاح هؤلاء ما لا تعلمون و إنّ الأصلح لكم السماء ولهم الأرض، وقد مرّ في الأخبار المتقدمة أنّهم سألوه أن يجعل الخليفة منهم فأجيبوا بذلك «٣».

ومنها: أنّه تعالى أخبر الملائكة أنّه سيكون من ذريّة هذا الخليفة من يعصى و يسفك الدماء على ما يحكى عن ابن مسعود وغيره، والغرض في اعلامه أيّاهم أن يزيدهم ايمانا و يقينا بعلمه بالغيب، أو ليعلموا أنّ آدم أنّما خلق للأرض لا للجنة فقالت الملائكة أ تجعل فيها من يفعل كذا وكذا على وجه التعرف لما فيه من الحكمة ولعله يرجع إلى الأوّل إلّا أنّه يقتضى أن يكون حذف في أوّل الكلام و يكون التقدير

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) الأعراف: ١٥٥.

(٣) البحار ج ٩٩ ص ٢٠٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٣

إنّي جاعل في الأرض خليفة و إنّي عالم أنّه سيكون في ذريّته من يفسد فيها و يسفك الدماء فحذف اختصارا للقرينة. ومنها ما قيل أيضا في تأويلها و إن لم يخلو من ضعف مثل أنّ سؤالهم كان على وجه المبالغة في إعظام الله تعالى حيث أنّ العبد المخلص لشدة حبه لمولاه يكره أن يكون له عبد يعصيه و إنّ هذا الاستفهام خارج مخرج الإيجاب كقول جرير: «ألستم خير من ركب المطايا» أي أنتم كذلك، و إلّا لم يكن مدحا فكأنهم قالوا: إنك تفعل ذلك و نحن مع هذا نسبح بحمدك لأننا نعلم في الجملة أنّك لا تفعل إلّا الحكمة و الصواب فقال تعالى: **إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ** من الاحاطة بظواهرهم و باطنهم و ما يؤول إليه أمرهم و أمّا أنتم فأنما علمتم ظواهرهم و هو الفساد و القتل أو من الاحاطة و العلم بجميع افراد هذا النوع حيث أنّ فيهم من هو المقصود الأعظم من خلق الملائكة و سائر العالم، و أمّا أنتم فأنما نظرتم إلى بعض الأفراد الموجودة بالتبعيّة لمصالح آخر، و أمّا القدر فيهم بالغيب فالامر فيه واضح ضرورة أنّ المقصود صدور الفعل من بعضهم و مثله لا يعدّ غيبه سيمّا بالنسبة إلى من لم يوجد بعد سلمنا لكنّه غيبه للفساق و هي جائزة، هذا مضافا إلى عدم تسليم حرمة ذكر مثله لعلّام الغيوب لا سيمّا من الملائكة الذين جملة منهم موكّلون بتفتيش اعمال الخلائق و إثباتها في الصّحف و الشهادة عليها مع أنّ إيراد السؤال يوجب التعرّض لمحلّ الأشكال و أمّا التمدح فلعله لإظهار النعمة و شكرها و لتتميّة تقرير الشبهة، و أمّا العجب و هو سوء ظنّ بهم، و أمّا سوء الظنّ فقد مرّ الكلام في مستند أخبارهم، و أمّا التركية و الفحص و الحسد و الحرص و غير ذلك ممّا مرّ فتطرق المنع إلى استفادتها

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٤

من الآية واضح، و قد مرّ أنّ في قوله نسبح بحمدك دلالة على تحميدهم له بالتوفيق على ذلك مضافا إلى ما فيه من اظهار الاختيار و تنزيهه عن الإجمار و قوله: «ان كنتم صادقين» أي في زعمكم الأحقيّة بالخلافة و قوله: «ألم أقل لكم» لظهور فضيلة آدم بعد الإعلام به

مجملاً، و الاعتذار غير ظاهر و على فرضه فلا يستلزم الذنب، بل لعلّه اظهر للنعمه و إقراراً على أنفسهم بالعجز و العبودية فان كان و لا يد فاستناده إلى ترك الأولى اولى جمعاً بينه و بين ما دلّ على العصمة و ردّاً للمتشابه إلى الآيات المحكمة، و أمّا الاخبار ففيها مع التضمن عن ضعف سند الأ-كثر أنّها قاصرة الدلالة لأنّ اطلاق الاحتجاب و التوبة و الاستغفار لا دلالة في شيء منها على صدور المعصية و ارتكاب الخطيئة سيّما في شأن المقرّبين الذين يتحرّجون و يردّون على أنفسهم بأقلّ من ذلك، إذ حسنات الأبرار سيئات المقرّبين مع أنّهم ربما يجبرون بمثل ذلك ما يستشعرون من أنفسهم من القصور دون التقصير، و سيأتي الإشارة إلى جميع ذلك، على أنّه قد ورد أنّهم ظنّوا الاحتجاب كما في «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: انّ الله عزّ و جلّ لما قال للملائكة إنّي جاعل في الأرض خليفَةً ضجت الملائكة من ذلك و قالوا يا ربّ ان كنت لا بدّ جاعلاً في أرضك خليفَةً فاجعله منّا من يعمل في بطاعتك فردّ عليهم إنّي أعلم ما لا تعلمون فظنّت الملائكة أنّ ذلك سخط من الله عزّ و جلّ عليهم فلاذوا بالعرش يطوفون به فأمر الله عزّ و جلّ له بيت من مرمر سقفه ياقوته حمراء و أساطينه الزبرجد يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه بعد ذلك إلى يوم الوقت المعلوم «١»، الخبر.

(١) البحار: ج ٩٩ ص ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٥

إلّا أنّ ظاهرة صدق ظنهم فلا يبعد حملة على العلم سيّما بعد ملاحظة الاخبار المتقدّمة و عصمتهم عن الخطأ في الاعتقاد لكن الخطب في ذلك كلّ سهل بعد قيام الإجماع لو لم ندع الضرورة على عصمتهم و تظافر الآيات و الاخبار على ذلك فلا بدّ من تأويل هذه الاخبار على فرض صحّتها و تمامية دلالتها أو طرحها، كما أنّه المتعيّن ايضاً في الاخبار بل الآيات الدالة على الطعن في الأنبياء و تخطئتهم و نفي العصمة عنهم سيّما مع مخالفة الاخبار المتقدّمة للآيات الدالة على عصمتهم و براءة ساحتهم عن اقتراف الذنوب و المعاصي على ما مرّت الإشارة إليها.

و قد استفاض عنهم و جوب العرض على كتاب الله سبحانه، فقالوا إنّ ما وافق الكتاب فخذوه و ما خالف الكتاب فذرّوه فدعوه فاضربوه على الحائط «١».

فان قلت أنّ الاخبار الدالة على نفي عصمتهم ايضاً توافق ظاهر الكتاب كهذه الآية و المتضمّنة لقصة الملكين و إبليس و غير ذلك، قلت قد سمعت أنّه لا ظهور في الآية أصلاً و أنّه من الآيات المتشابهة التي يجب ردّها إلى المحكمات و لو بقريته الإجماع و غيره على عدم ابقائها على ظواهرها.

و من هنا يظهر الجواب عمّا يمكن إيراده في المقام من أنّ قضية تخصيص العام بالخاصّ حمل الآيات الدالة على العصمة على غير مورد هذه الآية الخاصّة بحسب المورد و الزمان و المعصية و غيرها من الخصوصيات إذ فيه أنّ تخصيص بعد احراز حجية الخاص و ظهور دلالته و هو في المقام أول الكلام.

و توهم اعتضاد دلالتها بظواهر الاخبار المتقدّمة المتضمّنة لتفسيرها سيّما مع

(١) البحار: ج ٢ ص ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٦

تكرّرها في أصول الإمامية و اشتغالها على الإبناء عن بدو بناء البيت حسبما هو المشهور بين الطائفة المحقّقة، مدفوع بأنّ المحكمات حاكمة عليها فلا ينفعها الاعتضاد بالاخبار التي سبيلها سبيل الاخبار الواردة في تفسير الآيات المتضمّنة للخبر و التشبيه و غيرها ممّا يلزم فيه رفع اليد عن الظواهر كما في المقام و لو للإجماع و غيره، فان قلت إنّ الإجماع ممنوع في المقام فإنّ المحكى منه غير معلوم

الحجّية سيّما في مثل المسألة التي هي من فروع الأصول دون الفروع التي يجري فيها دليل الانسداد وغيره و المحقق منه غير معلوم التحقّق لو لم نقل إنّ المحقّق انتفاؤه فإنّ هذه الاخبار المتعلّقة بهذه القصّة أو المتضمّنة لتوبة درنايل و أخويه قد تعرض لتقلها العصابة من دون اشارة إلى ردّها أو طرحها أو التأويل فيها بما لا ينافي العصمة على أنّ الشيخ أبا جعفر الطوسي رحمه الله قد اختار في تبيانه كون إبليس مع تمرّده و عصيانه من جملة الملائكة و استدللّ على ذلك بما يأتي و أيضا يظهر ممّا يحكى عن محمّد بن بحر الشيبانيّ الدّهنيّ و هو من أجلة الامامية في كلامه المحكى في «العلل» و غيره في تفضيل الأنبياء على الملائكة اتّفاق جميع المفسّرين من الأئمّة على كون إبليس و هاروت و ماروت من الملائكة و لم يحك الخلاف في ذلك عن أحد من الامامية بل العامة أيضا إلّا عن الحسن البصريّ و نسبه إلى الشذوذ عن أقوال سائر المفسّرين و لعلّه يستفاد من كلامه دعوى الإجماع على نفي العصمة فكيف يمكن دعوى الإجماع عليها قلت لم نرد بالإجماع مجرّد الاتّفاق الذي يقدر فيه أمثال هذه الأقوال الشاذة بل المراد به ما هو الحجّية عند الامامية لكونه كاشفا عن قول المعصوم و رضاه و هو محقق في المقام بحيث لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٧

يصغى معه إلى أمثال هذه الاخبار و الأقوال الشاذة التي لم تكن معروفة و لا مذكورة عند الامامية و لذا ادّعى المفيد الإجماع على عدم كون إبليس من الملائكة، و لعمرى أنّه من الواضح بمكان يمكن دعوى ضرورة المذهب عليه على ما ستعرف بل و لعلّه كذلك بالنسبة إلى الملكين و لذا قال أيضا الصدوق بعد حكاية كلام الدّهنيّ في «العلل» ما لفظه إنّما أردت أن تكون هذه الحكاية في هذا الكتاب و ليس قولي في إبليس؛ أنّه كان من الملائكة، بل كان من الجنّ، إلّا أنّه كان يعبد الله بين الملائكة و هاروت و ماروت ملكان، و ليس قولي فيهما قول أهل الحشو بل كانا عندي معصومين إلى آخر ما ذكره رحمه الله «١».

عصمة الملائكة و حقيقتها

و بالجملة لا ينبغي الإشكال في أصل العصمة و عدم صدور المعصية بعد قيام الإجماع و إنّما الكلام في أنّهم قادرون على الشرور و المعاصي أولا فالمحكي عن جمهور الفلاسفة و كثير من الجبرية أنّهم خيرات محض لا قدرة لهم على شيء من ذلك بل الظاهر منهم أنّ أفعالهم كالأفعال الطبيعية الصادرة عن فاعلها من دون كلفة و مشقّة، بل قد يحكى عنهم: أنّهم جعلوها نفس الطّابع التي تصدر عنها الأفعال من دون شعور و اختيار، و لقد فرغنا عن الكلام في إبطاله على ما مرّ و ظاهر المتكلمين و الفقهاء بل صريح بعضهم أنّهم قادرون على كلّ من الطّاعة و المعصية، إلّا أنّهم باختيارهم و ارادتهم بل و استلذاذهم و ميلهم يختارون الطّاعة على المعصية كما يستفاد من هذه القصّة المتضمّنة لترك الأولى و من قوله: و مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي

(١) علل الشرائع ص ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٨

إِلَهٌ «١»، الظاهر في قدرتهم على ذلك، بل هو الظاهر أيضا من التمدّح بالتسبيح و التقديس في هذه الآية، و من قوله: لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ «٢»، و قوله: و مَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ «٣»، إلى غير ذلك من الآيات الظاهرة في ذلك.

بل قد استدللّ أيضا بأنهم لو لم يكونوا قادرين على ترك الخيرات لما كانوا ممدوحين بفعلها لأنّ الملجأ إلى الشيء و من لا يقدر على ترك الشيء لا يكون ممدوحا بفعل الشيء.

قال الرازي: و لقد استدللّ بهذا بعض المعتزلة فقلت له: أليس أنّ الثواب و العوض واجبان على الله تعالى، و معنى كونه واجبا عليه أنّه لو تركه للزم من تركه إمّا الجهل و إمّا الحاجة و هما محالان، و المفضى إلى المحال محال، فيكون ذلك التّرك محالا من الله، و

حينئذ فيكون الفعل واجبا منه، فكون الله تعالى فاعلا- للثواب والعوض واجب و تركه محال مع أنه تعالى ممدوح على فعل ذلك، فثبت أن امتناع الترك لا يقدح في حصول المدح، قال فانقطع و ما قدر على الجواب «٤».

و الجواب عنه واضح ضرورة ظهور الفرق بين كون الترك مستندا إلى الاختيار، بحيث لا- يختار الفعل أصلا أبدا و لو للحكمة او العصمة، و كونه مستندا على العجز و انتفاء القدرة و انتفاء المدح إنما هو في الثاني دون الأول الذي يثبت معه

(١) الأنبياء: ٢٩.

(٢) التحريم: ٦.

(٣) الأنبياء: ٢٩.

(٤) تفسير مفاتيح الغيب ج ١ ص ١٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١١٩

القدرة و الاختيار على مذهب العدليّة، إلا أن الرجل ليس منهم بل من الذين يظنون بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء.

تفسير الآية (٣١)

إشارة

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا شروع في بيان الجواب عن سؤال الملائكة على وجه التفصيل بعد ما أجمل الجواب عنهم، و تمهيد للاستدلال على أفضليّة آدم عليهم بما خصّه من العلم.

و التعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا، و هو في حقّه تعالى يكون بالتكوين و بالوحي و الإلهام، أو بمطلق الإعلام، و إطلاق المعلم عليه غير سائغ لتوقيفيه الأسماء، و غلبه إطلاقه فيما يكون بأدوات و لهوات، و إن أطلق عليه ما اشتقّ منه كما في المقام، و في قوله: وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ «١»، عَلَّمَ الْقُرْآنَ «٢»، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ «٣».

وجه تسمية آدم

و «آدم» إمّا اسم أعجمي بل في «الكشاف»: و ما آدم إلّا اسم أعجمي و اقرب أمره أن يكون على فاعل كآزر، و عازر، و عابر، و شالخ، و فالغ، و أشباه ذلك.

و إمّا عربي مشتقّ من أديم الأرض، بمعنى وجهها لما روى من أنه تعالى لما

(١) الأنبياء: ٨٠.

(٢) الرحمن: ٢.

(٣) العلق: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٠

أراد أن يخلقه أمر أن يقبض قبضة من جميع الأرض سهلها و جبلها فخلق منها آدم، فلذلك يأتي بنوه أحيافا اي مختلفين من قولهم: الناس أحياف، و يقال لإخوة الأم أحياف، لاختلافهم في نسب الآباء.

و في خبر ابن سلام عن النبي صلى الله عليه و آله أنه سأله عن آدم لم سمي آدم؟ قال: لأنه خلق من طين الأرض و أديمها، قال: فأدم

خلق من الطين كله او من طين واحد؟

قال: بل من الطين كله، و لو خلق من طين واحد لما عرف الناس بعضهم بعضا، و كانوا على صورة واحدة قال: فلهم في الدنيا مثل؟ قال: التراب فيه أبيض، و فيه اخضر، و فيه أشقر و فيه اغبر، و فيه احمر، و فيه أزرق و فيه عذب و فيه ملح و فيه خشن و فيه لين و فيه أصهب فلذلك صار الناس فيهم لين و فيهم خشن، و فيهم أبيض، و فيهم اصفر، و احمر و أصهب و أسود على ألوان التراب «١».

و في «الاختصاص» عن الصادق عليه السلام أنه خلق آدم من صفحة الطين «٢».

أو بمعنى باطنها من الأدمة بالتحريك لباطن الجلد، و باطن الأرض كما في «القاموس»، أو خصوص الأرض الرابعة كما قال الصدوق في «العلل» بعد قول الصادق عليه السلام: إنما سمى آدم لأنه خلق من أديم الأرض: إن اسم أرض الرابعة أديم و خلق آدم منها فلذلك قيل: خلق من أديم الأرض «٣».

و ان قيل إنه لم يوجد له أثر في كتب اللغة و لعله وصل إليه بذلك خبر، لكن في «قصص الأنبياء» بعد نقل خبر يأتي ذكره ما لفظه: و قيل: أديم الأرض أدنى

(١) علل الشرائع ص ١٦١ و عنه البحار ج ١١ ص ١٠١.

(٢) البحار ج ١١ ص ١٠٢ عن الاختصاص.

(٣) علل الشرائع ج ١ ص ١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢١

الأرض الرابعة إلى اعتدال، لأنه خلق وسط بين الملائكة و البهائم، و ستمسح ما فيه من الإشارة.

و في «الاحتجاج» عن أبي بصير قال: سأل طاوس اليماني أبا جعفر عليه السلام لم سمى آدم آدم؟ قال: لأنه رفعت طينته من أديم الأرض السفلى «١».

و هذا الخبر يحتمل كلاً من الوجوه الثلاثة و غيرها.

أو من الأدمة بمعنى الألفة و الاتفاق يقال: أدم الله بينهما أي أصلح و ألفت و كذلك أدم الله بينهما فعل و أفعل بمعنى، و منه الخبر: فإنه أحرى أن يؤدم بينكما «٢» يعني أن يكون بينكما المحبة و الاتفاق و لعله الأنسب بما في «العلل» قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام يهودي فقال: لم سمى آدم آدم؟ قال عليه السلام: لأنه خلق من أديم الأرض، و ذلك أن الله تبارك و تعالى بعث جبرئيل و أمره أن يأتيه من أديم الأرض أربع طينات: طينة بيضاء، و طينة حمراء، و طينة غبراء، و طينة سوداء، و ذلك من سهلها و حزنها ثم أمره أن يأتيه بأربع مياه: ماء عذب، و ماء ملح و ماء قر و ماء منتن، ثم أمره أن يفرغ الماء في الطين و آدمه الله بيده فلم يفضل شيء من الطين يحتاج إلى الماء و لا من الماء شيء يحتاج إلى الطين و جعل الماء العذب في حلقه، و جعل الماء المالح في عينيه، و جعل الماء المرّ في أذنيه، و جعل الماء المنتن في انفه «٣». الخبر.

(١) الاحتجاج ص ١٧٩ و عنه البحار ج ١١ ص ١٠٠.

(٢) في لسان العرب ج ١٢ ص ٨: في الحديث عن النبي صلى الله عليه (و آله) و سلم أنه قال للمغيرة بن شعبة و خطب امرأة: لو نظرت إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما قال الكسائي: يؤدم بينكما يعني ان تكون بينهما المحبة و الاتفاق.

(٣) علل الشرائع ص ٢ ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٢

و صدره و ان وافق الأخبار المتقدمه إلا أن قوله: ادمه الله يومئ إلى ما سمعت، و كذا قوله في الخبر الآتي عن تفسير فرات فخلقه من

أديم الأرض لأنه لما عجن بالماء استأدم «١»، و ان كان محتملا- لغيره من الوجوه، بل صدره ظاهر فيما تقدم، و لعل فيه إشارة إلى سببين للتسمية.

و ربما يقال بكونه مشتقا من الأدمه بالفتح بمعنى الأسود و هي القدوة لأنه يقتدى به ذريته أو الملائكة و يعرف به افراد هذا النوع، قال في «القاموس»: و هو آدم اهله و ادمتهم و يحرك و أدامهم: أسوتهم الذي به يعرفون، و قد أدمهم كنصر صار كذلك انتهى.

أو من الأدمه بالضم بمعنى السمرة لأنه عليه السلام كان أسمر اللون على ما قيل، و أورد عليه بأنه لا يناسب ما ورد من براعة جماله و ان يوسف عليه السلام كان جماله على الثلث منه.

و فيه ضعف واضح فإن الأدمه لا ينافي البراعة في الحسن، أو بمعنى القرابة و الوسيلة يجعلها في ذريته بالتوالد إلى غير ذلك مما لا يأبى عنه اللغه و الاستعمال و ان كان ظاهر النصوص هو ما سمعت.

و اما المناقشة في أصل الاشتقاق نظرا إلى اختصاصه بلغات العرب، ثم في عربيته و قد روى من أنه عليه السلام كان يتكلم بالسريانية مضافا إلى وضوح حدوث اللغات العربية.

(١) تفسير فرات: ٦٥ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٣

فمدفوعة بالمنع من الاختصاص و قد روى أنه عليه السلام كان يتكلم بكل لسان و إن كان الغالب هو البعض، و حدوث اللغه العربية بعد إسماعيل غير مسلم، و قد روى ان الكتب السماوية كلها باللغه العربية و ان وقعت في الأسماع بلغات أخرى، و الظاهر ان التسمية بآدم كانت من الله سبحانه.

و بالجملة لا ينبغي التأمل في عربيته سيما بعد ما سمعت من الأخبار و لذا قال الجواليقي «١»: اسماء الأنبياء كلها أعجمية إلا اربعة: آدم، و صالح، و شعيب، و محمد عليهم السلام.

بل في الخبر: أول من تكلم بالعربية آدم عليه السلام «٢».

و أميا ما رواه في المعاني و الخصال عن النبي صلى الله عليه و آله: ان أربعة من الأنبياء سريانيون آدم و شيث و إدريس و نوح «٣» فمحمول على غلبة تلك اللغه على لسانه، و ألا فقد ورد ان الله تعالى انزل عليه ألف ألف لسان لا يفهم فيه اهل لسان من أهل لسان حرفا واحدا بغير تعليم «٤».

بل في «الاختصاص» مثل ما سمعت عن «المعاني» و «الخصال» ثم قال

(١) هو ابو محمد إسماعيل بن ابي منصور موهوب بن احمد البغدادي، كان بعد أبيه امام اهل الأدب بالعراق، توفي سنة «٥٣٩» هـ.

(٢) قال السيوطي: عن ابن العباس: أول من تكلم بالعربية المحضه هو إسماعيل عليه السلام و أراد به عربيته قريش التي نزل بها القرآن، و اما عربيته قحطان و حمير فكانت قبل إسماعيل - المزهري للسيوطي ج ١ ص ٢٧.

(٣) الخصال: ج ٢ ص ٥٢٤.

(٤) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٥٧ ح ٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٤

و كان لسان آدم العربية و هو لسان أهل الجنة فلما عصى ربه أبدله بالجنة و نعيمها الأرض و الحرث و بلسان العربية السريانية «١».

إلى غير ذلك مما تأتي إلى بعضها الإشارة.

و من جميع ما مرّ قد ظهر ضعف ما ذكره الزمخشري من القطع بعجمته، و ان استدّل عليه غيره بما لا يخلو من ضعف واضح، ثم إنهم

صَرَّحُوا بِأَنَّ أَصْلَهُ بِهَمْزَيْنٍ، لِأَنَّهُ أَفْعَلٌ لَكُنْهُمْ لِيُنَوِّا الثَّانِيَةَ، وَإِذَا حَرَّكَتْ جَعَلَتْ وَأَوَا فَيَجْمَعُ عَلَى أَوَادِمٍ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا أَصْلٌ فِي الْيَاءِ مَعْرُوفٌ فَجَعَلَتْ الْغَالِبَ عَلَيْهَا.

و فِي «الْمَجْمَعِ» أَنَّهُ إِنْ أَخَذَ مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ صَرْفًا بِالتَّنْكِيرِ، أَوْ مِنْ أَدَمِ اللَّوْنِ وَالصِّفَةِ فَإِذَا سَمَّيْتَ بِهِ فِي هَذَا الْوَجْهِ ثُمَّ نَكَرْتَهُ لَمْ تَصْرَفْ «٢» وَالْوَجْهُ وَاضِحٌ.

ثُمَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْنَى أَبُو الْبَشْرِ، وَرَوَى أَبُو مُحَمَّدٍ أَيْضًا فِي «الْبَحَارِ» عَنْ نَوَادِرِ الرَّوَنْدِيِّ بِالإِسْنَادِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ آبَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أَهْلُ الْجَنَّةِ لَيْسَتْ لَهُمْ كُنْيَةٌ إِلَّا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَنَّهُ يَكْنَى بِأَبِي مُحَمَّدٍ تَوْقِيرًا وَتَعْظِيمًا «٣».

و الْمُرَادُ بِالاسْمِ مَا يَدُلُّ عَلَى الشَّيْءِ فِي مَرْتَبَةِ الدَّاتِ وَالكَيْنُونَةِ أَوْ فِي مَرْتَبَةِ الْفِعْلِ وَطَبِيعَةِ الْخَوَاصِّ، أَوْ فِي مَرْتَبَةِ الْأَلْفَاظِ الْمَوْضُوعَةِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنَ الْحُرُوفِ، وَ لِذَا يَنْقَسِمُ إِلَى أَقْسَامٍ ثَلَاثَةٍ بَلْ أَرْبَعَةٍ حَسَبَمَا مَرَّتْ إِلَيْهَا الْإِشَارَةُ فِي تَفْسِيرِ الْبِسْمَلَةِ.

«و الْكَلِّ» لَفْظٌ يَدُلُّ عَلَى الْإِسْتِعَابِ وَالْإِحَاطَةِ بِالْأَجْزَاءِ، وَ يُؤَكِّدُ بِهِ مِثْلُ أَجْمَعُونَ إِلَّا أَنَّهُ يَبْدَأُ فِي الذِّكْرِ بِكُلِّ كَمَا فِي قَوْلِهِ: فَسَيَجِدُ الْمَلَائِكَةَ كُلَّهُمْ*»

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٥٦ عن الاختصاص.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٧٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٠٧ عن نوار الراوندي ص ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٥

أَجْمَعُونَ* «١»، لِأَنَّ الْكَلَّ قَدْ يَلِي الْعَوَامِلَ، وَ أَجْمَعُونَ لَا يَكُونُ إِلَّا تَابِعًا وَ التَّأَكِيدُ بِالِاسْتِعَابِ إِمَّا بِاعْتِبَارِ أَنْوَاعِ الْإِسْمِ حَسَبَمَا سَمِعْتَ، أَوْ أَفْرَادِ كُلِّ نَوْعٍ، وَ الْأَوْلَى اعْتِبَارُ الْعُمُومِ مِنَ الْجِهَتَيْنِ، سَيِّمًا مَعَ تَأَكِيدِ الْجَمْعِ الْمُحَلِّيِّ، أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْأَسْمَاءِ مَسْمِيَّاتِهَا بِتَقْدِيرِ الْمُضَافِ إِلَيْهَا، فَتَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَكْوَانِ، وَ أَفْعَالِهَا، وَ خَوَاصِّهَا وَ آثَارِهَا، وَ أَصُولَ الْعُلُومِ وَ الصَّنَاعَاتِ، وَ أَنْوَاعَ الْمُدْرَكَاتِ مِنَ الْمَعْقُولَاتِ وَ الْمَحْسُوسَاتِ، وَ غَيْرِهَا مِمَّا عَلَّمَهَا اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ تَعْلِيمًا إلهَامِيًّا مَرْتَبًا عَلَى كَمَالِ الْإِسْتِعَادِ الْحَاصِلِ مِنَ التَّعْلِيمِ التَّكْوِينِيِّ، فَأَنَّهُ جَعَلَ وَجُودَهُ وَ كَيْنُونَتَهُ نَسْخَةً مَخْتَصِرَةً مُشْتَمِلَةً عَلَى كَلِّيَّاتِ مَا فِي الْعَوَالِمِ الْمَلَكُوتِيَّةِ وَ النَّاسُوتِيَّةِ، وَ لِذَا وَرَدَ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ مِنْ جَمِيعِ الْقَبْضَاتِ الْمَأْخُودَةِ مِنَ السَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِينَ.

فَفِي «الْكَافِي» عَنِ الصِّيدَاقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَ جِبْرَائِيلَ فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقَبَضَ بِيَمِينِهِ قَبْضَةً، فَلَبِغَتْ قَبْضَتَهُ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَ أَخَذَ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ تَرَبُّهً، وَ قَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى مِنَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ الْعُلْيَا إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ الْقُصُويِّ، فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَلِمَتَهُ فَأَمْسَكَ الْقَبْضَةَ الْأَوْلَى بِيَمِينِهِ، وَ الْقَبْضَةَ الْآخِرَى بِشِمَالِهِ، فَفَلَقَ الطِّينَ فَلَقَّتَيْنِ، فَذَرَا مِنَ الْأَرْضِ ذَرَاوًا وَ مِنَ السَّمَوَاتِ ذَرَاوًا، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: مِنْكَ الرُّسُلُ وَ الْأَنْبِيَاءُ وَ الْأَوْصِيَاءُ وَ الصِّدِّيقُونَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ السَّعْدَاءُ وَ مِنْ أَرِيدَ كَرَامَتَهُ، فَوَجِبَ لَهُمْ مَا قَالَ كَمَا قَالَ، وَ قَالَ لِلَّذِي بِشِمَالِهِ: مِنْكَ الْجَبَّارُونَ وَ الْمُشْرِكُونَ وَ الْكَافِرُونَ وَ الطَّوَاعِيتُ وَ مِنْ أَرِيدَ هَوَانَهُ وَ شَقْوَتَهُ، فَوَجِبَ لَهُمْ مَا قَالَ كَمَا قَالَ ثُمَّ إِنَّ الطِّينَتَيْنِ خَلَقْتَا

(١) الحجر: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٦

جميعاً «١»، الخبر على ما يأتي.

فَإِنَّ الْمُرَادَ بِيَوْمِ الْجُمُعَةِ يَوْمَ اجْتِمَاعِ فِيهِ خَلْقِ الْعَالَمِ، وَ تَمَّ فِيهِ مَرَاتِبُ الْوُجُودِ الْكَلِّيَّةِ مِنَ الْعُلُويَّةِ وَ السِّفَلِيَّةِ عَلَى مَا أُشِيرَ إِلَيْهِ فِي الْأَخْبَارِ

المتضمنة لبيان خلق السموات والأرض في ستة أيام.

و أما ما يقال في بيان تفصيل القبضات التي يستفاد من بعض الأخبار كونها عشرة من أنها في المؤمن قبضة من محدد الجهات خلق منها قلبه وقبضة من الكرسي خلق منها صدره، وقبضة من فلك زحل خلق منها عقله، وقبضة من فلك المشتري خلق منها علمه، وقبضة من فلك المريخ خلق منها وهمه، وقبضة من فلك الشمس خلق منها وجوده، الثاني، وقبضة من فلك الزهرة خلق منها خياله، وقبضة من فلك عطارد خلق منها فكره، وقبضة من فلك القمر خلق منها حياته، وقبضة من أرض الدنيا خلق منها جسده، وفي الكافر قبضة من الحوت المذى على البحر تحت الأرضين فخلق منها قلبه، وقبضة من الثور فخلق منها صدره، وقبضة من الأرض السابعة القصوى أرض الشقاوة فخلق منها دماغه، وقبضة من الأرض السادسة خلق منها علمه، وهي أرض الإلحاد وقبضة من الأرض الخامسة أرض الطغيان خلق منها وهمه، وقبضة من الأرض الرابعة أرض الشهرة خلق منها وجوده الثاني، وقبضة من الأرض الثالثة أرض الطبع خلق منها خياله، وقبضة من الأرض الثانية أرض العادة خلق منها فكره، وقبضة من الأرض الأولى أرض النفوس خلق منها جسده، وقبضة من سماء الدنيا خلق منها حياته.

(١) بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٨٧ عن الكافي ج ٢ ص ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٧

فهو مبني على مقدمات و اصول لا يخلو بعضها عن ضرب من الحدس و التخمين على ما أشرنا إليه سابقا.

لكن القدر المعلوم من ملاحظة أخبار الباب كقول الصادق عليه السلام: ان الصيرة الانسانية هي مجموع صور العالمين و هي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ «١» و قول العالم عليه السلام: خلق الله عالمين فعالم علوى و عالم سفلى و ركب العالمين جميعا في ابن آدم «٢» و الشعر المنسوب إلى مولانا أمير المؤمنين عليه السلام:

أترعم انك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر إلى غير ذلك مما مرت إليه الإشارة في تفسير الفاتحة «٣».

هو ان الإنسان جامع بجمعيته الكونية لجميع النشآت الكلية، محتو على روحانيات العوالم الملكية و الملكوتية، مطرح لاشعة نجوم الدرارى العلوية و قوى الأجسام السفلية، و لذا استعدد بكيونتها لإدراك ما فيها و التخلق باخلاقها.

قال مولانا أمير المؤمنين في الخطبة المذكورة في النهج: ثم جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها، و عذبها و سبخها تربة سنّها بالماء حتى خلصت، و لاطها بالبلية حتى لزبت، فجل منها صورة ذات أحناء و وصول، و أعضاء و فصول، أجمدها حتى استمسكت، و أصلدها حتى صلصت، لوقت معدود و أجل معلوم، ثم نفخ فيها من روحه، فمثلت إنسانا ذا أذهان يجيلها، و فكر يتصرف بها، و جوارح يخدمها، و أدوات يقبلها، و معرفة يفرق بها بين الحق و الباطل، و الأذواق و المشام

(١) شرح الأسماء الحسنى ج ١ ص ١٢.

(٢) الاختصاص ص ١٤٢.

(٣) تفسير الصراط المستقيم ج ٣ ص ٤١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٨

و الألوان و الأجناس، معجوننا بطينته الألوان المختلفة، و الأشباه المؤتلفه، و الاضداد المتعادية، و الأخلاط المتباينة، من الحرّ و البرد، و البله و الجمود، و المسائة و السرور، الخطبة «١».

و في تفسير فرات عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: أنه سبحانه لما خلق السموات و الأرض و الليل و النهار و النجوم و الفلك و جعل الأرضين على ظهر حوت أثقلها فاضطربت فأثبتها بالجبال فلما استكمل خلق ما في السموات و الأرض يومئذ خالية ليس فيها

أحد قال للملائكة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، فبعث الله جبرئيل عليه السلام فأخذ من أديم الأرض قبضة، فعجنه بالماء العذب والمالح، وركب فيه الطبايع، قبل أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من أديم الأرض فلذلك سمى آدم، لأنه لما عجن بالماء استأدم فطرحة في الجبل، كالجبل العظيم، وكان إبليس يومئذ خازنا على السماء الخامسة، يدخل في منخر آدم ثم يخرج من دبره، ثم يضرب يده على بطنه فيقول لاي أمر خلقت؟ لأن جعلت فوقى لا أعطتك، وان جعلت أسفل منى لا أعينك، فمكث في الجنة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من ماء وطين، ونور وظلمة، وريح ونور من نور الله تعالى، فأما التور فتورثه الإيمان، واما الظلمة فتورثه الكفر والضلالة، وأما الطين فيورثه الرعدة والضعف والاقشعرار عند اصابة الماء، فينبعث به على اربع

(١) نهج البلاغة: الخطبة الاولى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٢٩

طبايع: على الدم، والبلغم، والمرار، والريح «١»، الخبر.

إلى غير ذلك مما يستفاد منه كونه مخلوقا من الطبايع السفلية والأرواح العلوية الفلكية والناطقة القدسية والكليئة الالهية حسبما تسمع الكلام فيها عند تفسير قوله تعالى: فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي * «٢».

الأسماء التي علمها الله سبحانه آدم

و هذا التعليم تعليم تكويني للأسماء التي هي كليات العوالم و جزئياتها، و هي مظاهر للأسماء الالهية التي هي النعوت الكمالية و الصفات الجمالية و الجلالية باعتبار غلبة ظهور الصفة التي اشتمل عليها ذلك الاسم فيه، و هي التي تسمى كلياتها بالمهيات و الحقائق، و جزئياتها بالهويات عند قوم، و تسمى عند آخرين بالفيض الذي ينقسم عندهم إلى الفيض الأقدس و الفيض المقدس، و بالأول يحصل إمكانات الأعيان و استعداداتها بالمشيئة الامكانية، و بالثاني يحصل تلك الأعيان في عالم الأكوان، مع لوازمها و توابعها و آثارها و ارتباطاتها بالمشيئة الكونية، و لهذا كلما كانت أفراد هذا النوع أكمل كان مظهريتها للأسماء الالهية أظهر، و نبينا محمداً و آله الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين أفضل الموجودات و أكمل البريات.

و لذا ورد في الأخبار الكثيرة أنهم أسماء الله الحسنى التي لا يقبل الله من احد إلا بولايتهم و معرفتهم و كرامتهم لأن الله تعالى جعلهم أبوابه و حجابه و دلائل معرفته

(١) تفسير فرات ص ٦٥ و عنه البحار ج ٥٧ ص ٩٤.

(٢) الحجر: آية ٢٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٠

و وسائل فيضه و كرامته، فهم الأعراف الذين لا يعرف الله تعالى إلا بسبيل معرفتهم، و هم الأسماء الذين علمهم الله تعالى آدم و شرفه بهم، و أكرمه بإسجاد الملائكة تعظيماً لهؤلاء الأنوار، و تكريماً لآدم و عبوديته لله سبحانه.

ففى «الإكمال» و غيره عن الصادق عليه السلام قال الله تبارك و تعالى علم آدم اسماء حجج الله كلها ثم عرضهم و هم أرواح على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين انكم أحق بالخلافه فى الأرض لتسيحكم و تقديسكم من آدم قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال الله تبارك و تعالى:

يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره، فعلموا أنهم أحق بأن يكونوا خلفاء الله فى

ارضه و حججه على بريته ثم غيبيهم عن ابصارهم واستعبدهم بولايتهم و محبتهم و قال لهم أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ «١»، الآية. و في تفسير الامام عليه السلام: و علم آدم الأسماء، كلها أسماء أنبياء الله و أسماء محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و الطيبين عن آلهم و أسماء خيار شيعتهم و عتاء أعدائهم «٢».

و فيه عن سيد الشهداء قال: إن الله تعالى لما خلق آدم و سواه و علمه أسماء كل شيء و عرضهم على الملائكة جعل محمدا و عليا و فاطمة و الحسن

(١) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٢٨٣ ح ٣٨ عن إكمال الدين.

(٢) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الإمام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣١

و الحسين عليهم السلام أشباحا خمسة في ظهر آدم «١»، إلى آخر ما يأتي في الأمر بالسجود له. و في «المجمع» عن الصادق عليه السلام أنه سأل عن هذه الآية فقال: الأرضين و الجبال و الشعاب و الأودية ثم نظر إلى بساط تحته فقال و هذا البساط مما علمه الله «٢».

و رواه العياشي في تفسيره و فيه أنه سئل الصادق عليه السلام عن الأسماء في قوله:

وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ما هي؟ فقال عليه السلام: أسماء الأودية و النبات و الشجر و الجبال من الأرض «٣».

و فيه عن داود بن سرحان العطار قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدعا بالخوان فتغدينا، ثم جاءوا بالطست و الدست شويه «٤» فقلت: جعلت فداك و علم آدم الأسماء كلها الطست و الدست شويه منه؟ فقال: الفجاج و الأودية و أهوى بيده كذا و كذا «٥».

و في تفسير القمي قال: أسماء الجبال و البحار و الأودية و النبات و الحيوان.

و قد ظهر لك مما لوحننا إليه الجمع بين اخبار الباب، بل بينها و بين ما قيل:

من أن المراد بالأسماء هي الأسماء الالهية أو الحقائق الكونية التي هي لها مظاهر كلية، و ذلك لأنه قد تواتر عنهم أنه تعالى خلق أول ما خلق أنوار محمد و آل محمد و أرواحهم عليهم السلام، ثم خلق من أشعة أنوارهم سائر الحقائق الكلية من المجرد و المادية العلوية و السفلية، على حسب درجاتها و مراتبها و قربها من ينبوع الرحمة الكلية

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٥٠ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٧٦.

(٣) البحار ج ١١ ص ١٤٧ عن تفسير العياشي.

(٤) الدست شويه: كلمة فارسية اي الإناء الذي يغسل فيه الايدي.

(٥) البحار ج ١١ ص ١٤٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٢

و بعدها عنه، كما أشير اليه فيما مرّ نقله من كتاب «الأنوار» و غيره، و قد علمها الله تعالى آدم بأن جعل تكوينه من القبضات المأخوذة من جميع العوالم الكلية، و جعل طينه مستعدة لظهور الحجج و الأنبياء سيما محمد و آل الطيبين صلوات الله عليهم أجمعين. منها في هذه النشأة الدنيوية، فعلمه الأسماء الكلية و الحقائق الكونية تعليما تكوينيا، و جعلها مستعدة لإدراك كل حقيقة من الحقائق بما فيه من القبضات المأخوذة من تلك النشأة و التجلي الحاصل من ذلك الاسم، فكان أنموذجا و خلاصة مأخوذة من جميع العوالم، فخلق في عالم التياسوت بعد خلق جميع اجزائه الكونية، لأن ما هو متقدم في الخلقة الملكوتية متأخر في الظهور التاسوتي فيتعاكس التقدم

الدَّهْرِي وَ الزَّمَانِي، فَلَمَّا دَارَتِ الأَدْوَارُ وَ تَمَّتِ الأَكْوَارُ ظَهَرَ الإنسان، مُحِيطًا عَلَى جَمِيعِ الشُّؤُونِ وَ النِّشَآتِ، مَجْمَعًا لَجَمِيعِ الاقْتِضَاءَاتِ وَ الاستعداداتِ، قَابِلًا لِلتَّرْقِيَّاتِ مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ، فَهُوَ ثَمْرَةُ شَجَرَةِ الوجودِ، وَ القَابِلُ لِإشْرَاقِ أشْعَةِ أنوارِ الشُّهُودِ، فَكَمَا أَنَّ الثَّمْرَةَ تُعْبَرُ عَلَى أَجْزَاءِ الشَّجَرَةِ كُلِّهَا حَتَّى تَظْهَرَ عَلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ بَعْدَ تَمَامِهَا، كَذَلِكَ عَبَّرَ آدَمُ عَلَى جَمِيعِ أَجْزَاءِ شَجَرَةِ الوجودِ حَتَّى ظَهَرَ فِي هَذِهِ النِّشَأةِ الدِّانِيَةِ السَّافِلَةَ فِي كِسْوَةِ النَّاسُوتِ.

وَ أَمَّا المَلَائِكَةُ فَكُلٌّ مِنْهُمْ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ لَا يُتَعَدَّاهُ، وَ لَا يَدْرِكُ مَا سِوَاهُ، وَ لَا يُعْبَدُ اللهُ سِجَّانَهُ إِلَّا بِلسَانِ وَاحِدٍ، وَ لَا يَدْعُوهُ إِلَّا بِاسْمِ وَاحِدٍ، وَ أَمَّا سَائِرُ الأَسْمَاءِ الالهيَّةِ فَمُحْجُوبَةٌ عَنْهُمْ لَا يَدْرِكُونَهَا أَصْلًا نَعَمَ رُبَّمَا كَانَ الأِسْمُ الَّذِي يَدْعُوهُ بِهِ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَغَايِرًا لِمَا يَدْعُوهُ بِهِ الأَخَرُ لَكِنَّهَا مُتَّفِقَةٌ فِي نَوْعِ الأِتِّحَادِ بِخِلَافِ الإنسانِ، فَإِنَّهُ يَدْعُوهُ بِأَسْمَائِهِ الحَسَنِيَّةِ وَ أَمْثَالِهِ العُلِيَّاءِ وَ نَعْمَةُ الَّتِي لَا تُحْصَى المَفْسِرَةُ فِي الأَخْبَارِ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٣

الكثيرة بالنبي و الأئمة عليهم الصلاة و السلام.

وَ مِنْ هُنَا يُتَّضَحُّ تَفْسِيرُ الأَسْمَاءِ بِالأَنْبِيَاءِ وَ الحُجُجِ وَ بِتِلْكَ الحَقَائِقِ الكَلِيَّةِ وَ الأَعْيَانِ المَوْجُودَةِ الخَارِجِيَّةِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِالأَرْضِيَّةِ وَ الجِبَالِ وَ النَّبَاتِ وَ الحَيَوَانَ وَ غَيْرِهَا مِمَّا هِيَ تَعْيِنَاتٌ لِتِلْكَ الحَقَائِقِ البَسِيطَةِ وَ المَرْكَبَةِ.

وَ قَرِئَ: وَ عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ عَلَى البِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلَائِكَةِ عَرْضَ هُؤُلَاءِ الأَسْمَاءِ الفِعْلِيَّةِ الَّذِينَ هُمْ نَفْسُ الحَقَائِقِ الكَوْنِيَّةِ المُشْتَمَلَةُ عَلَى ذَوَاتِ العُقُولِ الَّذِينَ هُمْ الأَصُولُ لَهَا وَ لَوْ بِاعتِبَارِ الشَّرْفِ وَ سَبْقِ الخَلْقَةِ وَ وَساطَةِ الفَيْضِ تَكْوِينًا وَ تَشْرِيعًا عَلَى التَّحْوِ المَقْرَّرِ، أَوْ مَسْمِيَّاتِ الأَسْمَاءِ اللَّفْظِيَّةِ المَدْلُولِ عَلَيْهَا ضَمْنَا بِاعتِبَارِ حَذْفِ المِضَافِ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ: «وَ عَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ» لِذِلَالَةِ المِضَافِ عَلَيْهِ، وَ تَعْوِيزِ اللّامِ عَنْهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ: وَ اسْتَعْلَ الرَّأْسُ شَيْئًا «١»، فَيَنْتَظِمُ حِينَئِذٍ قَوْلُهُ: عَرَضَهُمْ وَ قَوْلُهُ: بِأَسْمَاءِ هُؤُلَاءِ وَ لَمْ يَجْعَلِ المَحْذُوفَ مُضَافًا إِى مَسْمِيَّاتِ الأَسْمَاءِ لِيَنْتَظِمَ تَعْلِيقُ الإِنْبَاءِ عَلَى الأَسْمَاءِ فِيمَا ذَكَرَ بَعْدَ التَّعْلِيمِ وَ عَلَى الوَجْهِينِ فَالمرادُ أَشْبَاحُ المَخْلُوقَاتِ وَ حَقَائِقُهَا فَرْدًا فَرْدًا فِي عَالَمِ المَلَكُوتِ، فَإِنَّ السُّؤالَ عَنْ أَسْمَاءِ المَعْرُوضَاتِ، فَلَا يَكُونُ المَعْرُوضُ نَفْسُ الأَسْمَاءِ سِوَا أَرِيدَ بِهَا الأَلْفَاظُ أَوْ الأَثَارُ وَ اللُّوْازِمُ وَ الفَوَائِدُ.

وَ تَذْكِيرِ الضَّمِيرِ إِذَا لَأَنَّ لِكُلِّ مِنْهَا عَقْلًا وَ شَعُورًا فِي عَالَمِهِ، وَ لَذَا نَسَبَ إِلَيْهِمْ

(١) مريم: ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٤

التَّسْبِيحِ وَ ذَكَرَهُمْ فِي قَوْلِهِ: وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ «١»، وَ إِذَا لِتَغْلِيْبِ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنَ العَقْلَاءِ لِمَا مَرَّ كَمَا فِي قَوْلِهِ: وَ اللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ «٢»، وَ إِذَا لَكُونِ الضَّمِيرِ لِلنَّبِيِّ وَ الأئمة الطاهرين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَ لَذَا قَالَ الامامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَفْسِيرِهِ: عَرْضَ مُحَمَّدًا وَ عَلِيًّا وَ الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى المَلَائِكَةِ إِى عَرْضَ أَشْبَاحِهِمْ وَ هُمْ أَنوارُ فِي الأُظْلَةِ «٣».

وَ فِي الخَبَرِ المُتَقَدِّمِ: عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَ حُجُجِ اللهُ كُلِّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ وَ هُمْ أرواحُ عَلَى المَلَائِكَةِ «٤».

وَ قَرَاءَةُ أَبِي «٥» «ثُمَّ عَرَضَهَا»، وَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: ثُمَّ عَرَضَهُنَّ، وَ يَظْهَرُ الوَجْهَ فِيهِمَا مَا مَرَّ.

وَ العَرْضُ مُصَدَّرٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَرَضْتُ المَتَاعَ عَلَى البَيْعِ، وَ عَرَضْتُ الجُنْدَ عَلَيْهِ، وَ عَرَضْتُ البَعِيرَ عَلَى الحَوْضِ، وَ إِنْ كَانَ هَذَا مِنَ المَقْلُوبِ، وَ أَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ النَّاحِيَّةِ مِنْ نِوَاحِي الشَّيْءِ، وَ مِنْهُ العَرْضُ بِالفَتْحِ خِلَافَ الطَّوْلِ، وَ بِالكَسْرِ يِقَابِلُ بِهِ المَالَ، فَإِنَّهُ

(١) الإسراء: ٤٤.

(٢) النور: ٤٥.

(٣) تفسير البرهان ج ١ ص ٧٣ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٤) البحار ج ٢٦ ص ٢٨٣ عن إكمال الدين.

(٥) هو أبي بن كعب ابو المنذر الأنصاري سيد القراء، توفي سنة (١٩) ه العبر للذهبي ج ١ ص ٢٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٥

ناحيته التي يصونها عن المكروه، ثم أطلق على الإظهار الذي يعرف به جهة الشيء و ناحيته، ثم على مجرد الإظهار.

نعم قد يقال: إنه يختص بالمحسوسات بالعين يقال: عرضت الجند، عرض العين إذا أمرتهم عليك و نظرت ما حالهم، كما عن الجوهري، و هذا مما يؤيد كون المعروض نفس المسميات لا الأسماء التي هي المسموعات او ما في حكمها، و المعنى أظهرهم على الملائكة بكشف الحجب عن الأرواح و اراءه الأشباح و هم في أصقاع الملكوت و سرادقات الجبروت متوجهين إلى الحي الذي لا يموت فقال الله سبحانه لملائكته تعجزوا و تبكيتم لهم، و تنبها على قصورهم عن أمر الخلافة او تكليفا مطلقا أو مشروطا:

أَنْبِئُونِي أَخْبِرُونِي عَلَى وَجْهِ الْإِحَاطَةِ الْعَلْمِيَّةِ الَّتِي لَا تَأْتِي إِلَّا بِالْإِحَاطَةِ الْكَوْنِيَّةِ أَوْ أَنَّ الْمُرَادَ مَجْرَدَ الْإِخْبَارِ، فَإِنَّ الْإِنْبَاءَ إِخْبَارٌ فِيهِ إِعْلَامٌ وَ لَذَا يَجْرَى مَجْرَى كُلِّ مِنْهُمَا بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الْحَجَجِ الَّذِينَ لَوْلَاهُمْ لَمْ يَخْلُقْكُمْ اللَّهُ تَعَالَى، وَ لَا أَرْضًا وَ لَا سَمَاءً، وَ لَا شَيْئًا مِنَ الْأَكْوَانِ الْمَجْرُودَةِ وَ الْمَادِيَّةِ، وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ هُمُ الْعِلَلُ الْغَائِيَّةُ وَ الْمَقَاصِدُ الْأَصْلِيَّةُ مِنْ خَلْقِ الْعَالَمِ وَ آدَمَ، وَ هُمُ الْمُخْتَصُونَ بِالْخِلَافَةِ الْكَلِيَّةِ وَ الْوَسَائِطُ الْأَوَّلِيَّةُ لِلْفِيضِ الْإِلَهِيِّ أَوْ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ الَّتِي بِمَا خَلَقْتَ هَذِهِ الْأَشْبَاحَ، فَأَنَّهُ بِتَمَامِهَا كَانَتْ مَحْجُوبَةً عَنِ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا نَوْعًا وَاحِدًا لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ أَوْ بِخَوَاصِّ تِلْكَ الْمَسْمِيَّاتِ وَ آثَارِهَا وَ وَجْهِ اسْتِنْبَاطِ مَنَافِعِهَا وَ أفعالِهَا وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَوَقَّفُ عِمَارَةُ الْأَرْضِ وَ الْإِنْتِفَاعُ بِمَا فِيهَا عَلَيْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّكُمْ أَوْ حَقًّا بِالْخِلَافَةِ مِنْ ذَرِيَّتِهِ لِعَصْمَتِكُمْ أَوْ اشْتِغَالِكُمْ بِالتَّسْبِيحِ وَ التَّقْدِيسِ عَلَى مَا يَسْتَفَادُ مِنْ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٦

خبر «الإكمال» المتقدم «١».

أَوْ أَنَّ جَمِيعَكُمْ مَطِيعُونَ مُنْقَادُونَ وَ لَيْسَ فِيكُمْ مِنْ يَعِصِي اللَّهَ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ لَشُمُولِ الْخِطَابِ لِلْجَمِيعِ، وَ لَذَا قَالَ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَفْسِيرِهِ: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَنَّ جَمِيعَكُمْ تَسْبِحُونَ وَ تَقْدِّسُونَ، وَ إِنْ تَرَكَكُمْ هُنَا أَصْلَحَ مِنْ إِيْرَادِ مِنْ بَعْدِكُمْ، إِيْ فَكَمَا لَمْ تَعْرِفُوا غَيْبَ مَنْ فِي خِلَالِكُمْ فَالْحَرَى أَنْ لَا تَعْرِفُوا الْغَيْبَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ كَمَا لَا تَعْرِفُونَ أَسْمَاءَ أَشْخَاصٍ تَرَوْنَهَا. أَوْ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّهُ لَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقًا إِلَّا وَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ مِنْهُ وَ أَفْضَلُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ فَقِيلَ: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي هَذَا الظَّنِّ فَأَخْبِرُوا.

او ان المراد. إن كنتم صادقين فيما تخبرون به من اسمائهم فأخبروا بها و معناه هو التعليق بالعلم على أحد الوجهين اللذين تأتي إليهما الإشارة.

أو في أن خلقهم و استخلافهم مع أن من شأنهم الإفساد و القتل لا يليق بالحكيم و على هذا فقولهم: أَوْ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ وَ إِنْ كَانَ إِشْءٌ إِلَّا أَنْ التَّصْدِيقَ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، بَلْ بِاعْتِبَارِ مَا يَلْزَمُ مَدْلُولَهُ مِنَ الْإِخْبَارِ.

ثم الأمر في قوله: أَنْبِئُونِي يحتمل كونه توطينا امتحانيا محضا بمعنى أنه لم يتعلّق الغرض بطلب فعل المأمور به أصلا و لو على وجه الاشتراط، فالأمر و ان كان أمرا في الصورة إلا أن المراد به هو البعث على التصديق و الإذعان بحكمته تعالى و علمه بالغيوب او بفضل آدم عليهم على ما يأتي على حدّ سائر الأوامر الامتحانية التي ليس هناك في الحقيقة طلب أصلا.

(١) تقدّم عن البحار ج ٢٦ ص ٢٨٣ عن الإكمال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٧

و يقرب من ذلك ما قيل: من كونه للتبكيّ تنبيها على عجزهم عن اقامة رسم الخلافة، فإنّ التصرف و التدبير و القضاء بالقسط متوقّف على تحقّق المعرفة و الوقوف على مراتب الاستعدادات و قدر الحقوق.

و يحتمل كونه أمرا حقيقيا مشروطا بصدقهم أى بعلمهم على ما مرّ و يأتي أو بغيره ممّا لم يتحقّق بعد كى يتنجز الأمر بالنسبة إليهم، او حقيقيا مطلقا فى الحقيقة و إن كان مشروطا فى الظاهر، و ذلك لتحقّق الشرط الذى علق عليه الأمر و هو صدقهم فيما أخبروا عنه من عبادتهم، او كون ذريّة آدم ممّن يفسد فيها و يسفك الدماء، و الامتثال على هذا الوجه و ان لم يكن مقدورا لهم بالذات لجهلهم بتلك الأسماء إلّا أنّهم مقدور لهم بواسطة رجوعهم إلى آدم و تعليمهم منه، و لذا أمر الله تعالى آدم بتعليمهم إزاحة للعلّة و تنبيها على فضل آدم عليهم و عدم استغنائهم عنه فى عبوديتهم و طاعتهم لله سبحانه و هذا الوجه و إن لم أجد من تعرّض له من المفسّرين إلّا أنّه لا بأس به بعد المحافظة على استقامة الكلام و احراز الفائدة.

نعم قال شيخنا الطبرسى بعد تأويل الاشتراط بالصدق إلى ارادة العلم بالخبر على ما مرّ و الإشارة إلى أنّ معنى الأمر هو التنبيه او أنّه يكون أمرا مشروطا ما لفظه: و لا يجوز أن يكون ذلك تكليفا لأنّه لو كان تكليفا لم يكن تبينا لهم ان آدم يعرف اسماء هذه الأشياء بتعريف الله إيّاه و تخصيصه من ذلك بما لا يعرفونه فلما أراد تعريفهم ما خصّ به آدم من ذلك علمنا أنّه ليس بتكليف انتهى «١» كلامه زيد مقامه.

(١) مجمع البيان ج ١ ص ٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٨

و فيه ان ارادة تعريفهم ما خصّ به آدم من ذلك ليس مانعا عن كونه تكليفا لهم، بل لعلّه يؤكّده من حيث إنّهم لما أمروا بالإنباء و لم يقدروا عليه إلّا من جهة التعلّم من آدم ثمّ أنبأهم آدم بها بامرهم سبحانه علموا أنّ له الفضل و الشرف بالعلم و زيادة حقّ التعليم لهم فيما توقّف عليه طاعتهم و تقربهم إليه سبحانه، فهذا تنبيه على شرفه و فضله عليهم على وجه ابلغ كما لا يخفى.

و ممّا يومئ إلى ما ذكرنا أنّ كلّا من الاشتراط و التوطين خلاف الظاهر من الأمر، و من البين أنّ المتعين هو الحمل على الظاهر الذى هو الإطلاق إلّا أن يمنع عنه مانع، و الأصل بل الظاهر ايضا عدمه مضافا إلى أنّ اعتذارهم بعدم العلم دليل على عدم فهم الاشتراط من الخطاب بل كأنّهم فهموا الطّلب على وجه الإطلاق فاعتذروا بعدم العلم فازاح الله عذرهم بأنّ امر آدم بتعليمهم و انبائهم.

تفسير الآية (٣٢)

قالوا سُبْحَانَكَ لا- عَلِمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا تنزيه منهم له سبحانه عن أن يكون فعله على غير وجه الحكمة او أن يعلم الغيب أحد سواه و اعتذار عن الاستفسار مع الإشعار بأنّه لم يكن للاعتذار بل لمجرد الاستخبار و اعتراف بالعجز و القصور عن الاحاطة بوجوه الحكمة فى أفعاله، و أنّه قد ظهر له ما خفى عليهم من علم الإنسان و فضله و الحكمة فى خلقه و مراعاة للأدب حيث مجدّوه أوّلا بالتنزيه الذى هو ابلغ من اثبات الكمال، إذ ربّما لا يخلو عن شوب التّوهم و التشبيه، و لذا قال سبحانه: سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٣٩

يَصِفُونَ «١»، ثمّ نفوا العلم بجنسه المستوعب بجميع أفرادهم و نسبوه إليه، ثمّ أظهروا شكر نعمته بما منحهم به منه، و لذا أضافوا إلّا ما عَلَّمْتَنَا إلى قولهم: لا- عَلِمَ لَنَا مع الاكتفاء به فى الجواب، فإنّهم أرادوا أن يضيفوا إلى ذلك التعظيم له و الاعتراف بانعامه عليهم بالتعليم و ان جميع ما يعلمونه إنّما يعلمونه من جهته، و أنّ هذا ليس من جملة ذلك، ثمّ حقّقوا الاعتراف بعلمه و حكمته و أكّده

بقولهم: إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ذَاتِيًّا لَمْ يَعْضُ وَلَا يَزُولُ الْحَكِيمُ الْمَصِيبُ فِي كُلِّ فِعْلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ، الْمُحْكَمُ لِمَبْدَعَاتِهِ عَلَى أَتَمِّ الْوُجُوهِ وَ أَتَقْنَهَا.

و من هنا يظهر أنَّ مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم، فلا تكرر، و أنَّ في الفعل من المبالغة ما ليس في الفاعل، و أنَّ تقديم الأول على الثاني طبيعي.

و (سبحان) مصدر كغفران، أو اسم للتسبيح يقوم مقامه، و لا يكاد يستعمل إلَّا مضافا منصوبا بفعل مضمر كمعاذ الله، و هو هنا مضاف إلى المفعول، دون الفاعل، و يضاف إلى الضمائر الثلاثة و إلى الظاهر، و يستعمل مقطوعا للتعجب، تقول العرب: سبحان من كذا إذا تعجبوا منه، و منه قول الأعشى «٢»:

أقول لما جاءني فخره سبحان من علقمته الفاخر قال الجوهري: و إنما لم ينون لأنه معرفة عندهم و فيه شبه التأنيث «٣».

و المراد به في المقام الأشعار بتنزيهه تعالى على ما مرَّ أو اظهارهم التعجب

(١) الصفات: ١٨٠.

(٢) هو عامر بن الحارث الباهلي، شاعر جاهلي و أشهر شعره «رأيت في رثاء أخيه لأمه: المنتشر ابن وهب أوردها البغدادي برمتها في خزائن الأدب ج ١ ص ٩.

(٣) الصحاح ج ١ ص ٣٧٢ في سبج.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٠

عن سؤالهم عما لا يعلمونه، أو معناه السريعة إليه و الخفة في طاعته على ما صرح به في «القاموس» أخذنا له من السباحة للقوم، و منه السباحات للسفن، أو أرواح المؤمنين أو النجوم.

و «لا» لنفي الجنس تفيد بنفيه نفي جميع الأفراد، و الظرف بمتعلقه في موضع الرفع على الخبرية، و الموصول بدل من اسم «لا» و العائد محذوف، و «أنت» فصل فلا موضع له من الاعراب، أو مبتدأ خبره «العليم الحكيم» و الجملة خبر إنَّ أو تأكيد للكاف كما في قولهم: مررت بك أنت.

تفسير الآية (٣٣)

إشارة

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ أَخْبَرَهُمْ بِالْحَقَائِقِ الْكَلِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ مَحْجُوبَةً عَنْهُمْ، وَ الْمَعَارِفِ الْيَقِينِيَّةِ الَّتِي لَمْ تَنْكَشِفْ لَهُمْ مِمَّا لَدِيهِمْ مِنَ الْعُلُومِ الْخَاصَّةِ بِهِمْ، وَ الطَّرِيقِ الْمَوْصَلَةِ لَهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ كَيْ يَعْرِفُوا جَامِعِيَّتَكَ بَيْنَ الصِّفَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ وَ الْأَسْمَاءِ الْمُتَبَايِنَةِ وَ قَابِلِيَّتِكَ لِلْخِلَافَةِ الْكَلِيَّةِ وَ الْمَوْهَبَةِ الرَّبَّانِيَّةِ وَ ظُهُورِ أَنْوَارِ الْأَنْبِيَاءِ وَ الْأَوْلِيَاءِ سَيِّمًا نَبِيَّنَا خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَ آلِهِ الطَّيِّبِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مِنْ صَلْبِكَ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْجِسْمَانِيِّ الَّذِي هُوَ مَجْمَعُ التَّضَادِّ وَ مَطْرَحُ الْأَشْعَةِ.

و قرىء بقلب الهمزة ياء و بحذفها، و الهاء فيهما مكسورة، و هما من الشواذ، بل و كذا ما يحكى عن ابن عامر «١» من تفرده بكسر الهاء مع الهمزة كما عن بعض

(١) هو عبد الله بن عامر أبو عمران الدمشقي أحد القراء السبعة، ولى قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، مات سنة (١١٨) هـ الأعلام ج ٤ ص ٢٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤١

العرب، وقرأ الباقون بضمّ الماء معها بناء على أنّ الأصل في هاء الضمير أن تكون مضمومة، و أنّما تكسر إذا وليها كسرة أو ياء نحو بهم، و عليهم، و في خبر أسؤله عبد الله بن سلام «١» عن النبي صلى الله عليه و آله أنّه قال: يا محمد أخبرني كم خلق الله نبيا من بني آدم؟ قال: يا بن سلام خلق الله مائة ألف نبي و اربعه و عشرين ألف نبي، قال: صدقت يا محمد أخبرني آدم كان نبيا مرسلا؟ قال: نعم أ فمأ قرأت في التوراة قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم، الآية قال صدقت يا محمد صلى الله عليه و آله «٢».

الأقوال في نبوة آدم حين تعلم الأسماء

أقول و ظاهر هذا الخبر أنّه صلى الله عليه و آله كان يومئذ نبيا مرسلا، و هو أحد الأقوال في المسألة، و به قالت المعتزلة نظرا إلى أنّ ما ظهر من آدم من علمه معجزة دالة على نبوته لكونه خارقا للعادة، و إذا ثبت كونه معجزا ثبت كونه رسولا في ذلك الوقت، و أجيب بأننا لا نسلّم كونه خارقا لأنّ حصول العلم باللغّة لمن علّمه الله و عدم حصوله لمن لا يعلمه الله ليس بخارق للعادة و الاولى أن يقال بعد تسليم ذلك أنّ اظهار الخارق إنّما يكون دليلا على النبوة مع اقترانه بالدعوى و التحدى و هو غير واضح في المقام. و ثانياً الأقوال كونه مرسلا إلى حواء خاصة يومئذ ثمّ على ولده بعد خروجه

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرايلى أبو يوسف - صحابى أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه و آله المدينة و كان اسمه الحصين، فسماه النبي صلى الله عليه و آله عبد الله مات سنة (٤٣) هـ. الأعلام ج ٤ ص ٢٢٣.
(٢) البحار ج ٥٧ ص ٢٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٢

من الجنّة و تجددهم، و ذلك لكونهم من أفراد نوعه و لأنهم هم المحتاجون في معاشهم و عبادتهم إلى تبليغه، و أمّا اشتراك حواء معه في الخطاب بقوله: و لا تقرّبا هذه الشجرة «١» حيث يدلّ على تلقّيها الوحي لا بواسطته فلا يقدر في رسالته إليها لأنّ ذلك من قبيل اشتراك النبي مع المؤمنين في الخطابات العامة كقوله: أقيموا الصلاة و اتّوا الزكاة*.

و فيه بعد الغضّ عمّا في الجواب من المناقشة أنّه يبقى اصل القول دعوى بلا دليل، و النبوى المتقدم مع ضعفه معارض بأقوى منه سنداً و عدداً و دلالة على ما يأتي، و اطلاق ما دلّ على نبوته عليه السلام لا ينهض حججه على إثباتها يومئذ للانصراف. و ثالثها: القطع بأنّه عليه السلام لم يكن في ذلك الوقت نبيا لقوله: ثمّ اجتباه ربّه «٢» الدال على أنّه تعالى إنّما اجتباه بعد الزلّة فقبل الزلّة لم يكن مجتبي فلم يكن رسولا لأنّ الاجتباء و الرسالة متلازمان، فإنّ الاجتباء هو التخصيص بأنواع التشريعات و كلّ من جعله الله رسولا فقد خصّه بذلك لقوله: الله أعلم حيث يجعل رسالته «٣» و لأنّه لو كان نبيا في ذلك الزمان لكانت قد صدرت المعصية بعد النبوة، و ذلك غير جازم فوجب أن لا يكون نبيا في ذلك الزمان، و الملازمة بينة بعد القول بكون تلك الزلّة من الكبائر، و لأنّه لو كان رسولا لكان إمّا مبعوثا إلى حواء و هو باطل، لأنّها عرفت التكليف لا بواسطته أو إلى غيرها من الجنّ و الملائكة، و من البين أنّه ما كان في السماء أحد من الجنّ، و أمّا الملائكة فهم أفضل من البشر و لا

(١) البقرة: ٣٥.

(٢) طه: ١٢٢.

(٣) الانعام: ١٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٣

يجوز جعل الأدون رسولا إلى الأشرف.

وهذه الوجوه بمكان من الضعف والقصور، وأمّا حكاية الاجتباء فلأنّ المراد به على ما ذكره المفسّرون هو الحمل على التوبة والتوفيق له، كما في قوله في صاحب الحوت فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ «١» والاجتباء يكون قبل النبوة كما في غير الأنبياء وبعدها كما في قوله: وَ لَكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِيْ مِنْ رُّسُلِهِ مَنْ يَّشَاءُ «٢».

و أمّا الثاني فهو واضح الفساد بناء على ما أجمعنا عليه من عدم صدور المعصية من الأنبياء قبل النبوة وبعدها.

و أمّا الثالث فقد سمعت الجواب عنه مضافا إلى أنّ البشر عندنا أفضل من الملائكة، نعم يمكن الاستدلال لهذا القول بما رواه في «الأمالى» عن الرضا عليه السّلام حيث سئل عن زلّة آدم و منافاتها لعصمته عليه السّلام فقال عليه السّلام: إنّ الله خلق آدم حجّة في ارضه و خليفه في بلاده و لم يخلقه للجنّة و كانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض لتتم مقادير أمر الله تعالى فلما أهبط إلى الأرض و جعل حجّة و خليفه عصم بقوله عزّ و جلّ: إنّ الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين «٣». «٤» و في العيون عنه عليه السّلام في خبر يأتي في كفيته وسوسه إبليس و صدور الزلّة منه

(١) القلم: ٥٠.

(٢) آل عمران: ١٧٩.

(٣) آل عمران: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٤

قال عليه السّلام: و كان ذلك من آدم قبل النبوة و لم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ به دخول النار و إنّما كان من الصغائر الموهوبة التي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباه الله و جعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة و لا كبيرة قال الله عزّ و جلّ: وَ عَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَىٰ «١» و قال عزّ و جلّ: إنّ الله اصطفى آدم الآية «٢».

أقول: و يظهر من الخبرين صحّة الاستدلال بالآيتين أيضا إلّا أنّ الظاهر ورودهما مورد التقيّة لاشتغالهما على ما علم فساد من ضرورة مذهب الامامية من جواز ارتكاب الذنب قبل النبوة، اللهم إلّا أن يؤوّل بترك الأولى، أو يقال: إنّ رفع اليد عن بعض الخبر لتقيّة أو غيرها لا يوجب رفع اليد عن غيره، و لذا قال الاصوليون: أنّه كالعام المخصّص حجّة فيما بقي منه بعد التخصيص. و احتمال أنّ المراد بما في الخبرين كونه حجّة في الأرض بعد التوبة فلا ينافي كونه حجّة في السّماء أو على الملائكة قبل الهبوط، مدفوع، لمخالفته لظاهر الخبرين سيّما الثاني.

و في تفسير الامام عليه السّلام قال الله عزّ و جلّ: يا آدم أنبئ هؤلاء الملائكة بأسمائهم أسماء الأنبياء و الأئمّة قال عليه السّلام: فلما أنبأهم بأسمائهم فعرفوها أخذ عليهم لهم العهد و الميثاق بالإيمان بهم و التفضيل لهم على أنفسهم قال الله تبارك و تعالى عند ذلك: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ، سَرَّهُمَا وَ أَعْلَمُ مَا

(١) طه: ١٢١-١٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٧٨ عن العيون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٥

تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَ مَا كَانَ يَعْتَقِدُهُ إِبْلِيسُ مِنَ الْإِبَاءِ عَلَى آدَمَ إِنَّ أَمْرَ بَطَاعَتِهِ وَ إِهْلَاكِهِ إِنَّ سَلْطَ عَلَيْهِ، وَ مِنْ عَقْدَادِكُمْ أَنَّهُ لَا أَحَدَ يَأْتِي بَعْدَكُمْ إِلَّا وَ أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْهُ، بَلْ مُحَمَّدٌ وَ آلُهُ الطَّيِّبُونَ أَفْضَلُ مِنْكُمْ الَّذِينَ أَنْبَأَكُمْ آدَمَ بِأَسْمَائِهِمْ «١».

و فِيهِ تَفْصِيلٌ وَ اسْتِحْضَارٌ لِقَوْلِهِ: «أَعْلَمُ مَا لَا- تَعْلَمُونَ وَ تَنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْعَالِمُ بِأَسْرَارِ الْمَلِكِ وَ الْمَلَكُوتِ مِمَّا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْ غُيُوبِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَوْ ظَهَرَ لَهُمْ مِنْ أَحْوَالِهِمُ الظَّاهِرَةِ وَ الْبَاطِنَةِ، وَ قِيلَ: مَا تَبْدُونَ مِنْ نَسْبَةِ الْإِفْسَادِ وَ السَّفْكِ وَ مَا تَكْتُمُونَ مِنْ اسْتِبْطَانِكُمْ أَنْكُمْ الْإِحْقَاءَ بِالْخِلَافَةِ أَوْ مَا تَبْدُونَ مِنَ الطَّاعَةِ وَ مَا تَكْتُمُونَ مِنْ اسْرَارِ إِبْلِيسِ الْمُعْصِيَةِ، وَ لَا يَقْدَحُ فِيهِ اخْتِصَاصُ الْخُطَابِ بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ لَيْسَ مِنْهُمْ إِبْلِيسُ لِأَنَّهُ لَمَّا عَمَّهُمُ التَّكْلِيفُ جَازَ أَنْ يَذَكَرَ فِي جَمَلَتِهِمْ مَعَ أَنَّهُ كَانَ يَرَى لِلْمَلَائِكَةِ أَنَّهُ مِنْهُمْ، وَ كَانَ ذَلِكَ مَعْتَقَدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ عَلَى مَا يَأْتِي.

قال في «المجمع»: و قد رويت روايات تدلّ عليه «٢» و الاولى الحمل على العموم الشامل لجميع ما مرّ و غيره حتّى ما قيل: من انّ الله تعالى لما خلق آدم مرّت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الرّوح و لم تكن رأته مثله فقالوا لن يخلق الله تعالى خلقا إلّا كُنّا أكرم منه و أفضل.

و روى العياشى عن الصادق عليه السّلام قال: لَمَّا أَنْ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ فِي أَنْفُسِهَا: مَا كُنَّا نَنْظُرُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا فَنَحْنُ جِيرَانُهُ، وَ نَحْنُ أَقْرَبُ خَلْقُهُ إِلَيْهِ فَقَالَ اللَّهُ الْمَ أَلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا

(١) تفسير البرهان: ج ١ ص ٧٣.

(٢) مجمع البيان ج ١ ص ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٦

تَبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ فِيمَا أَبَدُوا مِنْ أَمْرِ بَنِي الْجَانِ وَ كَتَمُوا مَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَلَاذَتْ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا بِالْعَرْشِ «١».

وَ فِي خَبَرٍ آخَرَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مَنُّوا عَلَى اللَّهِ بِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي سَجُودِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا كُنَّا نَنْظُرُ أَنَّ يَخْلُقُ اللَّهُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنَّا نَحْنُ خَزَانُ اللَّهِ وَ جِيرَانُهُ وَ أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ قَالَ اللَّهُ: وَ أَعْلَمُ مَا تَبْدُونَ مِنْ رَدِّكُمْ عَلَيَّ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ مِنْ ظَنِّكُمْ إِنِّي لَا- أَخْلُقُ خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكُمْ فَلَمَّا عَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ أَنَّهَا وَقَعَتْ فِي خَطِيئَةٍ لِأَذْوَابِ الْعَرْشِ وَ أَنَّهَا كَانَتْ عَصَابَةً مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ لَمْ تَكُنْ جَمِيعَهُمْ «٢».

أَسْئَلُهُ وَ أَجُوبُهُ

ثمّ أنّه ربما يورد في المقام وجوه من السؤال منها: أنّ آدم على نبينا و آله و عليه السّلام أنّما علّم الأسماء بتعليم الله سبحانه، و الملائكة أيضا كانوا قائلين لذلك، و لذلك أنبأهم آدم بما جهلوه من تلك الأسماء، فهلّا علّمهم الله تعالى أوّلا ثمّ أمرهم بتعليم آدم عليه السّلام، و الرّد إلى حكمته البالغة و ان خفيت المصلحة علينا مشترك بينه و بين ما أخبرهم به أوّلا- من خلق آدم و اختصاصه بالخلافة فلم يظهر من هذا التفصيل مصلحة اخرى غير الرّد إلى الحكمة الذي يقتضيه الايمان بالغيب.

و توهم ان الملائكة لم يكونوا مستعدين لأخذ تلك العلوم بلا واسطة بل إنّما

(١) البحار: ج ١١ ص ١٤٨ عن تفسير العياشى.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩٩ ص ٢٠٥ ح ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٧

علموها بواسطة آدم عليه السلام و هو المراد بالفضيلة مدفوع بأن الملائكة هم الرسل إلى الأنبياء و هم الملقيات ذكرا عذرا أو نذرا فهم الوسائط في العلوم الإلهية الواصلة إلى البشر.

و الجواب أنه قد مرّت الإشارة إلى أن هذا التعليم كان تكويتيا مختصا بآدم دون الملائكة الذين ليس في طبيعتهم و جبلتهم خلط و تركيب بل هم وحدانيّة الصّيفة فردانيّة القوّة لا يفعل كلّ صنف منهم إلّا فعلا واحدا و ما منهم إلّا لهم مقام معلوم، فإنّي لهم الاحاطة بجميع العوالم و العلوم، فإنّ مثالهم مثال القوى البسيطة كالحواس حيث انّ البصر لا يزاحم السمع في مدركاته و هي الأصوات و لا السمع البصر في المرئيات و لا هما يزاحمان الشّم و لا الذّوق و لا شيء منهما يزاحم شيئا من الأولين و أمّا آدم فكان صفوة العالم و قد خلقه الله تعالى من أجزاء مختلفة و قوى متباينة حتى استعدّ بذلك لإدراك انواع المدركات من المحسوسات و المعقولات و التمييز بينها و الحكم عليها بما يليق بها و التوسط في الفيوض الواصلة إليها و العبور عنها جميعا إلى مركزه الاصلى و عالمه الكلى فصلح بذلك لتحليل أعباء الخلافة في جميع النشآت و العوالم فجعله الله مستودعا لأنوار علمه و حكمته و معرفته و أودع فيه أنوار النّبى محمد و اهل بيته الطاهرين و غيرهم من الأنبياء و المرسلين صلى الله عليهم أجمعين، و لذا كان آدم مخصوصا بمعرفة الأسماء كلّها و الملائكة لا علم لهم إلّا بما علمهم ربهم من خصوصيات جهات كينوناتهم، ثم ان الله سبحانه قد نبه على ما أراد التنبيه عليه من شرف آدم و فضله عليهم بان علمه أوّلا بلا واسطة احد منهم ثم أمرهم بالرجوع إليه في اقتباس العلوم و اقتناص المعارف فله الفضل عليهم من

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٨

حيث التقدّم في المعرفة و تعليمه لهم و كون علمه الذي هو أشرف الفيوض الالهية و المنح الزبانية مفاضيا عليهم بلا واسطة أصلا و علومهم متأخرا مع الواسطة، فبته بذلك على عدم تأهلهم لأخذ تلك العلوم إلّا بواسطته عليه السلام، ثم أنه يمكن أن يكون المراد هو التنبيه على تفزده بعلم الغيوب و احاطته بجهات المصالح و الحكم و ذلك أنه أمرهم بالأخبار عن الأسماء التي لا يعرفونها كى يعترفوا بالعجز و يقروا بقصورهم عن نيل معرفتها فينتبههم على أنهم إذا لم يعرفوا ذلك و لم يعلموا باطن ما شاهدوا فهم من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد، و من أن يحيطوا علما بمصالح جعل الخليفة و اسرار الخليفة أعجز.

و على هذا فمعظم المقصود هو التنبيه على تفزده بعلم المصالح، و أنه يجب على كافة العبيد الإذعان و التسليم لأمره، و ان استفيد منه ايضا و لو على جهة الاستبعا شرافة آدم و فضله عليهم.

و منها: أنه تعالى كيف أمر الملائكة أن يخبروا بما لا يعلمون مع أن من شرايط التكليف القدرة على الامتثال و من البين انتفاؤها في المقام.

فان قلت: إن الممتنع هو التكليف المنجز لاستحالة الطلب حينئذ و قبح التكليف بما لا يطاق، و أمّا المشروط فلا بأس به ما لم ينتجز التكليف، و أمّا القدرة شرط التنجز، و هو في المقام مشروط بكونهم صادقين فيما ادّعوه، و حيث لم يتحقّق الشرط لم يتحقّق المشروط.

قلت: لم يظهر وجه لارتباط الأمر بالإنباء بهذا الشرط الذي هو صدقهم، و ما المراد بهذا الصدق المنتفى في حقهم؟ و ما الذي ادّعت الملائكة حتى خوطبوا بهذا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٤٩

الخطاب؟

و الجواب انّ الشرط هو علمهم بما سئلوا عنه فالمراد بالصدق صدقهم فيما ادّعوه من العلم بالصّراحة او بالالتزام حسبما مرّ أو صدقهم في الخبر المذى كلّفوا بالأخبار عنه و ذلك بعلمهم بالصدق، و لا- يكون إلّا بالعلم بالمخبر عنه فكأنه قال لهم: أخبروا بذلك إن علمتموه و متى رجعوا إلى نفوسهم فلم يعلموا فلا تكليف عليهم، و هذا كما يقول القائل لغيره: أخبرني بذلك ان كنت تعلمه، أو ان

كنت تعلم أنك صادق فيما تخبر به عنه، و بالجمله فالامر مشروط بالعلم المنتفى في حقهم فلا تكليف، و بهذا قد ظهر المراد بالصدق و ارتباط الأمر بالانباء به.

و أميا فائدة الأمر حينئذ على وجه الاشتراط مع علمه سبحانه بأنهم لا يتمكنون من ذلك لفقد علمهم به فالوجه فيها هو أن يكشف بإقرارهم على أنفسهم بالجهل و اعترافهم بعدم تمكنهم من الاخبار بالأسماء ما أراد الله سبحانه بيانه من استتاره بعلم الغيب و انفراده بالاطلاع على وجوه المصالح في الدين.

و قد أجاب السيد المرتضى رضى الله عنه عن اصل الأشكال بوجه آخر و هو ان الأمر و ان كان أمرا بصورته و ظاهره إلا أنه ليس بأمر في الحقيقة بل المراد به التقرير و التنبيه على مكان الحجة قال: و تلخيصه ان الله تعالى لما قال للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها و يفسدك الدماء و نحن نسيح بحمدك و نقدر لك فقال لهم: إني أعلم ما لا تعلمون أي اتي مطلع من مصالحكم و ما هو انفع لكم في دينكم على ما لا تطلعون عليه، ثم أراد التنبيه على أنه لا- يمتنع ان يكون غير الملائكة مع أنها تسبح و تقدس و تطيع و لا تعصى أولى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٠

بالاستخلاف في الأرض، و ان كان في ذريته من يفسد فيها و يفسدك الدماء، فعلم آدم عليه السلام اسماء جميع الأجناس أو أكثرها و قيل: اسماء النبي محمد و الأئمة من ولده صلى الله عليهم أجمعين و فيه أحاديث مروية، ثم قال للملائكة: أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين مقررًا لهم و متبها على ما ذكرناه و دالا على اختصاص آدم بما لم يخصوا به، فلما أجابوه بالاعتراف و التسليم إليه علم الغيب الذي لا يعلمونه فقال تعالى لهم: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات و الأرض و أعلم ما تُبدون و ما كنتم تكتمون متبها على أنه تعالى هو المنفرد بعلم المصالح في الدين، و ان الواجب على كل مكلف أن يسلم لأمره، و يعلم أنه لا يختار لعباده إلا ما هو الأصلح لهم في دينهم علموا وجه ذلك أم جهلوه، قال: و على هذا الجواب يكون قوله: إن كنتم صادقين محمولا- على كونهم صادقين في العلم بوجه المصلحة في نصب الخليفة أو في ظنهم أنهم يقومون بما يقوم به هذا الخليفة و يكونون له فلو لا أن الأمر على ما ذكرناه و أن القول لا- يقتضى التكليف لم يكن لقوله تعالى بعد اعترافهم و إقرارهم: ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات و الأرض و أعلم ما تُبدون و ما كنتم تكتمون معنى لأن التكليف الأول لا يتغير عن حاله بان يخبرهم آدم عليه السلام بالأسماء و لا يكون قوله: إني أعلم غيب السماوات و الأرض إلى آخر الآية إلا مطابقا لما ذكرناه من المعنى دون معنى التكليف فكأنه قال إذا كنتم لا تعلمون هذه الأسماء فأنتم عن علم الغيب أعجز و بأن تسلموا الأمر لمن يعلمه و يدبر أمركم بحسبه أولى (١).

(١) الأمالي للسيد المرتضى: ج ٢ ص ٦٩-٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥١

أقول: و مرجعه إلى كون الأمر امتحانيا محضا غير مشتمل على التكليف أصلا و لو في صورة الاشتراط، و الفرق واضح بينه و بين الأمر المشروط و لو مع علم الأمر و المأمور بانتفاء الشرط و ذلك لأن مطلوبية الفعل و محبوبيته حاصل في الأمر المشروط على فرض حصول الشرط، و ان كان عالما بانتفائه بخلاف الأمر التوطيني الذي هو بمجرد الامتحان او غيره من المصالح الخارجة التي لا تعلق لها بالمأمور به، بل المقصود حاصل بنفس الأمر.

فان قلت: إنه لا- سبيل في المقام إلى شىء من الوجهين لعلم كل من الأمر و المأمور بانتفاء الشرط بالنسبة إلى جميع المكلفين في جميع أزمنة الامتثال فيلغوا الاشتراط و ينتفى فائدة الامتحان و الابتلاء على أن السيد رضى الله عنه و ان جوز الوجهين في المقام إلا أن مذهبه في الأصول على خلاف ذلك فإنه قد صرح بان الشروط إنما يحسن فيمن لا يعلم العواقب و لا طريق له إلى علمها، فأما العالم بالعواقب و بأحوال المكلف فلا يجوز أن يأمره بشرط إلى آخر ما ذكره رحمه الله فكيف التوفيق.

قلت: التحقيق على ما قرّر في محلّه هو جواز الأمر المشروط مع علم الأمر و المأمور بانتفاء الشرط إذا كان هناك فائدة للتعلّق، و لا وجه للقول بعدم الجواز حينئذ، إذ قصارى ما يستدلّ به لذلك بعد وضوح عدم كونه تكليفاً بالمحال لقضية الاشتراط و انتفاء الموضوع أنّ فعله عبث قبيح فيستحيل صدوره من الحكيم، إذ المفروض اتّحاد الأحوال و عدم حصول القدرة على الشرط و علم المأمور بذلك فلا يتأتّى منه التّوطين و العزم على الفعل مضافاً إلى أنّ الأمر المشروط لا بدّ فيه من اعتبار الطّلب و تعلّقه بالفعل و لو معلّقاً على الشرط و هو محال على الحكيم العالم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٢

بالحال، ضرورة أنّ طلب المحال محال و الجواب:

أنّ مدار الجواز على حصول الفائدة التي بها يخرج الفعل عن العبث، و من البين أنّ الفائدة غير منحصرة في التّوطين، بل ربما يكون المقصود اقرار المخاطب بالعجز و القصور كما في المقام، و هو غرض صحيح يتعلّق به أمور مقصودة، و من هنا يتّجه ان يقال إنّّه و ان نسب إلى أصحابنا القول بعدم جواز التعلّق من العالم بالنسبة إلى العالم إلّا أنّ كلامهم مقصور على ما انتفت فيه الفائدة كما ينادى به دليلهم، و اّمّا مع تحقّقها فمذهبهم فيه هو الجواز، فالنزاع معهم صغرى في وجود الفائدة و عدمها لا كبرى في الجواز على فرضها، و عليه ينزل كلام السيّد أيضاً في المسألة الأصولية فيرتفع التنافي بين الكلامين على أنّ كلامه في المقام لبيان الجواب عن الأشكال و لو على مذاق غيره، و قد ظهر ممّا قرّرناه جواز تعلّق الأمر على كلّ من الوجهين بلا فرق بين تعلّق القصد على وجه التعلّق و عدمه، بل قد سمعت فيما مرّ أنّه يحتمل أن يكون الأمر مطلقاً بسبب تحقّق الشرط و هو صدقهم فيما نسبوه إلى ذريّة آدم أو أضافوه إلى أنفسهم على ما مرّت الإشارة إليها.

و نزيد في المقام وجهاً ثالثاً و هو: أن يكون الشرط صدقهم في الخبر أي علمهم بما يخبرون عنه على ما حقّقناه سابقاً فيكون الحاصل تنجّز التكليف بالاخبار بشرط القدرة التي إليها مرجع العلم أيضاً، و من البين أنّه مقدور لهم بواسطة التعلّم من آدم و الرجوع إليه، و لذا أمر سبحانه آدم بتعليمهم تحقيقاً للاستطاعة و ازاحةً للعلّة و ابانهً للفضيلة، و هذا جواب آخر عن اصل الأشكال و الله أعلم بحقيقة الحال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٣

و منها ما أورده السيّد رضی الله قال: و لم نجد أحداً ممّن تكلم في تفسير القرآن و لا في متشابهه و مشكله تعرّض له و هو من مهم ما يسأل عنه، و ذلك أن يقال من اين علمت الملائكة لما خبرها آدم عليه السّلام بتلك الأسماء صحّة قوله و مطابقتها للأسماء للمسمّيات، و هي لم تكن عالمةً بذلك من قبل، إذ لو كانت الملائكة عالمةً بالأسماء لأخبرت بالأسماء و لم تعترف بفقد العلم، و الكلام يقتضى أنّهم لما أنبأهم آدم بالأسماء علموا صحّتها و مطابقتها للمسمّيات و لو لا ذلك لم يكن لقوله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ معنى و لا كانوا مستفيدين بذلك نبوته و تميزه و اختصاصه بما ليس لهم إذ كلّ ذلك إنّما يتمّ مع العلم دون غيره ثمّ أجاب عنه: بأنّه غير ممتنع من أن تكون الملائكة في الأوّل غير عارفين بتلك الأسماء فلما أنبأهم آدم عليه السّلام بها فعل الله تعالى لهم في الحال العلم الصّورى بصحّتها و مطابقتها للمسمّيات إمّا عن طريق أو ابتداء بلا طريق، فعلموا بذلك تميزه و اختصاصه و ليس لأحد أن يقول: إنّ ذلك يؤدّي إلى أنّهم علموا نبوته اضطراراً، و في هذا منافاةً لطريقة التكليف و ذلك أنّه ليس في علمهم بصحّة ما أخبر به ضرورة ممّا يقتضى العلم بالنبوة ضرورة، بل بعده درجات و مراتب لا بدّ من الاستدلال عليها، و يجري هذا مجرى ان يخبر أحدنا نبى، بما فعل على سبيل التفصيل على وجه يخرق العادة، و هو و ان كان عالماً بصدق خبره ضرورة لا بدّ له من الاستدلال فيما بعد على نبوته، لأنّ علمه بصدق خبره ليس هو العلم بنبوته لكنّه طريق يوصل إليها على ترتيب.

و وجه آخر و هو أنّه لا يمتنع أن تكون للملائكة لغات مختلفة فكلّ قبيل منهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٤

يعرف اسماء الأجناس في لغة دون لغة غيره، إلا أنه يكون احاطة عالم واحد لأسماء الأجناس في جميع لغاتهم خارقة للعادة، فلما أراد الله تعالى التنبيه على نبوة آدم عليه السلام علمه جميع تلك الأسماء فلما أخبرهم بها علم كل فريق مطابقة ما خبر به من الأسماء للغة، وهذا لا يحتاج فيه إلى الرجوع إلى غيره و علم مطابقة ذلك لباقي اللغات لخبر كل قبيل إذا كانوا كثيرة و خبروا بشيء يجرى هذا المجرى علم بخبرهم، فإذا أخبر كل قبيل صاحبه علم من ذلك في لغة غيره ما علمه في لغته.

و هذا الجواب يقتضى أن يكون قوله انبئوني بأسماء هؤلاء اى ليخبرنى كل قبيل منكم بجميع هذه الأسماء.

و هذان الجوابان جميعا مبنيان على أن آدم عليه السلام لم يتقدم لهم العلم بنبوته و ان اخباره بالأسماء كان افتتاح معجزاته، لأنه لو كان نبيا قبل ذلك و كانوا قد علموا تقدم ظهور معجزات على يده لم يحتج إلى هذين الجوابين لأنهم يعلمون إذا كانت الحال هذه مطابقة الأسماء للمسميات بعد أن يعلموا ذلك بقوله الذى قد آمنوا به فيه غير الصدق «١».

أقول و لعل الأولى من جميع ذلك هو العلم بصدقه بتصديق الله سبحانه له فيما أخبر به حيث قرر ذلك بقوله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

و منها أنه ما الفائدة في سبق الأعلام بخلق آدم و تسميته خليفه؟

و الجواب أنه نوع ابتلاء للملائكة و تمهيد لتمييز إبليس من جملتهم، ليتبين

(١) أمالى السيد المرتضى ج ٢ ص ٧٥-٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٥

بذلك من يقصد الطاعة كالملائكة ممن يضرر العداوة له و المخالفة لأمره سبحانه، كإبليس على ما يأتى تمام الكلام فيه نقلا عن الصدوق «١».

مضافا إلى ما فيه من إظهار شرف آدم و التمهيد لبيان فضله على الملائكة، حيث إنه تعالى نوه باسمه و بشر ملائكته بخلافته قبل أن يخلقه بسبعمائه عام على ما رواه الصدوق فى «الإكمال» و فيه أيضا صيانة للملائكة عن اعتراض الشبهة عليهم فى وقت استخلاف آدم و الحجج من ذريته عليهم.

و أميا ما يقال من ان الغرض تعليم عباده المشاورة فى أمورهم قبل أن يقدموا عليها فهو بمكان من الوهن و السقوط، و كأنهم أرادوا أن يستأنسوا بمثله لما وقع من الثانى من الشورى فى أمر الخلافة و هو كما ترى.

بقى الكلام فى امور يستفاد من الآيات المتقدمة ينبغى التنبيه عليها فى فصول:

فضل الأنبياء على الملائكة

الفصل الأول: يستفاد من هذه الآيات و غيرها تفضيل الأنبياء على الملائكة و قد طال التشاجر فى هذه المسألة بين المسلمين، فالذى عليه الإمامية هو أن الأنبياء و الأئمة عليهم السلام أفضل من جميع الملائكة العلوية و السفلية، و وافقهم عليه أكثر الاشاعرة و اصحاب الحديث، و ربما يقال إن الخلاف فى فضلهم على الملائكة العلوية، و أما السفلية فالأنبياء أفضل منهم بالاتفاق كما أن عامة البشر من المؤمنين

(١) إكمال الدين: ج ١ ص ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٦

أيضا أفضل من عامة الملائكة عندهم، و المحكى عن المعتزلة و الفلاسفة و بعض الاشاعرة تفضيل الملائكة، ثم أنهم ربما عنونوا

البحث بتفضيل البشر على الملائكة أو العكس، و ليس المراد بتفضيل كل فرد من أحدهما على جميع افراد الآخر، و لا التطبيق بين افراد النوعين بتفضيل كل فرد على ما يقابله، بل المراد تفضيل الأنبياء و الأئمة على الملائكة او تفضيل المعصومين من البشر، فيدخل فاطمة عليها السلام و سائر الأوصياء أيضا على جميع الملائكة، و ان كانوا كلهم معصومين من الصغائر و الكبائر على ما أشرنا إليه، او تفضيل الجنس و لو باعتبار النوع الأشرف على الجنس، فلا ينافي ذلك تفضيل بعض الملائكة او كلهم على بعض المؤمنين بل على الفساق و الكفار، ثم المراد بالأفضل الأكثر ثوبا و الأرفع درجة، و الأقرب إلى الله تعالى منزله الأكمل باعتبار العلم و العمل و سائر الكمالات.

إذا عرفت هذا فاعلم أن الحق ما ذهب إليه الامامية لوجوه، الأول: الإجماع القطعي الكاشف عن قول الإمام عليه السلام و رضاه حيث ان الطائفة المحقة كانوا قديما و حديثا متفقين على تفضيل الأنبياء و الأئمة عليهم السلام على الملائكة من دون نكير منهم في ذلك، حتى أنهم كانوا معروفين بهذا المذهب يعرفه منهم المخالفون لهم في المذهب كما يعرفون منهم القول بحلية المتعة، و وجوب المسح على الرجلين و نفى العول و التعصيب، فلا يبعد دعوى ضرورة المذهب عليه بل هو كذلك.

و لذا قال شيخنا الصدوق في «العقائد»: اعتقادنا في الأنبياء و الحجج و الرسل عليهم السلام أنهم أفضل من الملائكة «١» و قال المفيد: اتفقت الامامية على أن أنبياء

(١) البحار ج ٥٧ ص ٢٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٧

الله و رسله من البشر أفضل من الملائكة و وافقهم على ذلك اصحاب الحديث و أجمعت المعتزلة على خلاف ذلك، و زعم الجمهور منهم ان الملائكة أفضل من الأنبياء و الرسل و قال نفر منهم سوى من ذكرناه بالوقف في تفضيل أحد الفريقين على الآخر «١» إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

و قال السيد المرتضى رضى الله عنه: المعتمد في القطع على أن الأنبياء أفضل من الملائكة على اجماع الشيعة الامامية على ذلك لأنهم لا يختلفون في هذا بل يزيدون عليه و يذهبون إلى أن الأئمة أفضل من الملائكة أجمعين و إجماعهم حجة لأن المعصوم في جملتهم و قد بينا في مواضع من كتبنا كيفية الاستدلال بهذه الطريقة و رتبناه و أجبنا عن كل سؤال يسأل عنه فيها و بينا كيف الطريق مع غيبة الامام إلى العلم بمذاهبه و أقواله و شرحنا ذلك فلا معنى للتشاغل به هاهنا «٢».

و ممن ادعى عليه اتفاق الامامية العلامة الحلبي في «أنوار الملكوت» «٣» و العلامة المجلسي في مواضع من البحار و الرازي «٤» و الدواني و غيرهم من علماء الفريقين فلا ينبغي التأمل في تحقق الإجماع عليه.

الثاني: الآيات الكثيرة الدالة عليه بظواهرها التي هي الحجية حتى في غير الفروع العلمية الذي لا يجرى فيه دليل الانسداد على بعض الوجوه، و ذلك لما حققناه في المقدمات من حجية ظواهر الكتاب و هي كثيرة.

(١) البحار ج ٥٧ ص ٢٨٥ عن عقائد الصدوق.

(٢) البحار: ج ٥٧ ص ٢٨٧- عن الغرر و الدرر للسيد المرتضى ج ٢ ص ٣٣٣.

(٣) البحار ج ٥٧ ص ٢٨٦ عن أنوار الملكوت.

(٤) مفاتيح الغيب للرازي ج ٢ ص ٢١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٨

منها: قوله تعالى: وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، القصة بتمامها الدالة عليه بوجوه من الدلالة حيث أنه سبحانه

جعل آدم خليفة له، والمراد منه خلافة الولاية في التبليغ أو في التكوين، أو في وجوب الطاعة والانقياد كما يومى إليه قصيدة داود و هارون وغيرهما، ومن البين أن أعظم الناس منصبا عند الملك من كان قائما مقامه، في كل من التبليغ والولاية والتصرف ووجوب الطاعة حتى سماه خليفة له، ثم أنه تعالى تبه على فضله وشرفه بتعليمه الأسماء وتخصيصه بعلمها دونهم، وجعله معلما للملائكة فكان عنده من العلوم الفاضلة ما لم يكن عندهم وقد قال الله سبحانه: وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿١﴾، وَ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَلْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَلْمُونَ ﴿٢﴾، ثم أنه تعالى أمرهم بالسجود لآدم تكريما وتعظيما له، ومن البين أن السجود نهاية التواضع وتكليف الأشرف الأفضل بنهاية التواضع للأدون مستقيح عقلا.

فان قلت: إن قضية خلافته كونه أشرف من كل من في الأرض، و أين هذا من الدلالة على فضله على جميع الملائكة حتى من في السموات؟

و أما علمه بالأسماء فهو و ان كان عالما بها و هم لم يعلموها لكن لعلمهم كانوا عالمين بعلوم اخرى لم يكن آدم عالما بها. و اما الأمر بالسجود فلعل آدم قبله لهم في عبادتهم له سبحانه على أن الحكمة قد تقتضى تواضع الأشرف للشريف لبعض المصالح التي من جملتها

(١) المجادلة: ١١.

(٢) الزمر: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٥٩

الامتحان و كسر سورة العجب و الأنانية، و اظهار نهاية الطاعة و غيرها.

قلت: قضية عموم الجمع المحلى شمول الملائكة للجميع و ظاهر اطلاق الخلافة كونها بالنسبة إليهم جميعا، و لو بمعونه ما مرت إليه الإشارة و تأتي الأخبار الدالة عليه من أن المقصود من خلق آدم ظهور أنوار محمد، و آله الطيبين الذين لهم الخلافة الكلية على جميع ملائكة الأرضين و السموات و الحجب و السرادقات و حملة العرش و غيرهم، و أما التشكيك في علميته باحتمال ان لهم علوما آخر فغريب جدا فكيف يندفع المحقق بالمحتمل بل لعله كالرد عليه سبحانه حيث أنه سبحانه و تعالى جعل تعليمه لآدم و جعله معلما لهم في معرفة الأسماء الالهية التي هي أشرف العلوم دليلا على فضله عليهم، و تنبيها لهم على وجوب رجوعهم إليه، و تحقيقا لحسن ما اختاره من إثارة عليهم.

و اغرب من الجميع أن الرازي بعد ما أجاب عن الحجة بما سمعت فسادة قال: و الذى يحق هذا أنا توافقنا أن محمدا صلى الله عليه و آله أفضل من آدم عليه السلام مع أن محمدا صلى الله عليه و آله لم يكن عالما بهذه اللغات بأسرها، و أيضا فان إبليس كان عالما بان قرب الشجرة مما يوجب خروج آدم عن الجنة و آدم لم يكن كذلك، و لم يلزم منه كون إبليس أفضل من آدم، و الهدهد قال لسليمان أخطت بما لم تحط به ﴿١﴾، و لم يلزم ان يكون أفضل من سليمان ﴿٢﴾. و هو على ما ترى من الضعف و القصور، و لكن من لم يجعل الله له نورا فماله

(١) النمل: ٢٢.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٢ ص ٢٣٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٠

من نور، و أما احتمال كون السجود له على وجه القبلة و الجهة او مجرد الامتحان من دون التكريم و التعظيم أصلا فيدفعه أنه لو كان كذلك لم يجز أنفة إبليس من ذلك بل قوله: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ﴿١﴾ و قوله: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ

طين* (٢) و غير ذلك من مساق ما ورد في بيان هذه القصّة يدلّ على أن امتناع إبليس عن السجود أنّما هو لاعتقاد التّفضيل به و التّكرمه له، فلو لم يكن الأمر على ذلك لوجب على الله إعلامه بأنّه ما أمره بالسجود على وجه تعظيمه له و لا تفضيله عليه، بل على الوجه الآخر الذي لا حظّ للتّفضيل فيه، و قضية اللّطف عدم جواز إغفاله مع كونه سبب معصية إبليس و ضلالته.

هذا مضافا إلى الاخبار الكثيرة الدّالة على كونه على وجه التعظيم و التّكريم لآدم حسبما تأتي إلى جملة منها الإشارة، ثمّ أنّه بعد ما ثبت تفضيل آدم على جميع الملائكة بمقتضى ما تضمّنته هذه القصّة يثبت أيضا تفضيل سائر الأنبياء و المرسلين و الأئمّة الطّاهرين صلّى الله عليهم أجمعين عليهم أيضا لإطلاق الخليفة عليهم على بعض الوجوه و لأفضليّتهم بعضهم كأولى العزم و غيرهم أيضا على آدم، و لعدم القول بالفصل بين آدم و غيره من الأنبياء.

و لذا قال السيّد رضی الله عنه في الغرر و الدرر أنّه كلّ من قال إنّ آدم عليه السّلام أفضل من الملائكة ذهب إلى أنّ جميع الأنبياء أفضل من جميع الملائكة و لا أحد من الأئمّة فضّل بين الأمرين (٣).

(١) الإسراء: ٦٢.

(٢) الأعراف: ١٢.

(٣) الغرر و الدرر: ج ٢ ص ٣٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦١

قلت و أمّا الأئمّة عليهم السّلام فاصحابنا مجمعون على تفضيلهم على كثير من الأنبياء، بل الحقّ المستفاد من الاخبار و غيرها أنّهم أفضل من جميع الأنبياء سوى نبينا صلّى الله عليه و آله.

و منها قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (١)، و المراد بال إبراهيم و آل عمران إمّا الأنبياء منهم او المعصومون أو غيرهم بناء على اجرائه على إطلاقه او عمومه، و الثالث باطل بالإجماع لأنّ فيهم الفسّاق و الكفّار، فيتعيّن أحد الأوّلين و العالم يطلق على ما سوى الله تعالى و الجمع المحلى باللام يفيد العموم، فدلت الآية على أفضليّته هؤلاء المذكورين على جميع العالمين و فيهم الملائكة و غيرهم، و تخصيص العالمين على فرضه في قوله خطابا لنبى إسرائيل و أنّي فضّلتمكم على العالمين مع شموله لنبينا و آله و سائر اولى العزم صلى الله عليهم أجمعين، و في قوله خطابا لمريم و اصطفاك على نساء العالمين مع شمولها لفاطمه عليها السّلام ليس دليلا على التزامه في المقام أيضا بعد فقد الدليل عليه مع أنّه قد يفسّر العالمين فيهما على عالمى ذلك العصر و الزّمان فيندفع الأشكال عنهما و إن كان هذا أيضا بنوع من التّخصيص، و أمّا آية الاصطفاء فهي على عمومها للأصل، سلّمنا لكنّ الملائكة كانوا موجودين في اعصاره هؤلاء الأنبياء و في زمان نزول الآية.

و منها قوله تعالى: وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (٢)، و قضية العموم

(١) آل عمران: ٣٣.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٢

كونه صلّى الله عليه و آله رحمة لجميع ما سوى الله من الملائكة، و هو كذلك حسبما دلّت عليه الاخبار الصّحيحة، و قضت به ضرورة المذهب من أنّه صلّى الله عليه و آله و أوصياؤه المعصومين هم الوسائط الكلّية لوصول الفيوض الالهية إلى أهل العالم، بل كينونات الملائكة إنّما كانت من أشعّة أنوارهم، فوجوده صلّى الله عليه و آله مظهر الرّحمة و تمام النعمة و مساق الآية كما ترى على حدّ ما ورد من في القدسيات: «الولاك لما خلقت الأفلاك» (١). و اما ما يقال من ان كونه رحمة لهم لا يستلزم كونه أفضل منهم كما

فى قوله: فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا «٢»، و أنه لا يمتنع ان يكون هو صَلَّى الله عليه و اله رحمة لهم من وجهه، و هم يكونون رحمة له من وجهه.

ففيه ان ظاهر الآية و ساطته للرحمة الكليّة، بل كونه نفس الرحمة الالهية حسبما قرّناه فى تفسير البسملة و كون الأمطار من آثارها غير قادح بعد ظهور ان لها مظاهر و آثار، و كونه صَلَّى الله عليه و اله رحمة لهم و لغيرهم معلوم من الآية و غيرها و أمّا عكسه فغير واضح.

و منها قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ إِلَى قَوْلِهِ: وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا «٣»، بناء على كون الظرف صفة للكثير لا صلة له، و لو بمعونة الأخبار المفسرة لها بأن المراد تفضيل بنى آدم على سائر الخلق بلا فرق بين تفسير السائر بالباقي او بالجميع. و منها قوله تعالى: وَ نُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ

(١) بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٨.

(٢) الروم: ٥٠.

(٣) الإسراء: ٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٣

وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَ زَكَرِيَّا وَ يَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ وَ إسماعيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كَلَّمَا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ «١».

و التقريب فيه على ما مرّ، و التخصيص بعالمى أعصارهم غير قادح فى الدلالة، و دعوى الظهور أو الانصراف إلى العالمين من نوع البشر دون سائر الأنواع ممنوعة جدًا سيما فى العمومات التى من أقواها دلالة الجمع المحلّى.

الثالث: الاخبار الكثيرة التى لا يبعد دعوى تواترها الدالة على المطلوب فى «العيون» و «العلل» و «الإكمال» عن الرضا عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه و اله ما خلق الله عزّ و جلّ خلقا أفضل منى و لا أكرم عليه منى قال على عليه السلام فقلت يا رسول الله فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال صَلَّى الله عليه و اله يا على ان الله تبارك و تعالى فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين، و فضّلنى على جميع النبيين و المرسلين و الفضل بعدى لك يا على و للاتية من بعدك، و ان الملائكة لخدامنا و خدام محبين الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم و يستغفرون للذين آمنوا بولايتنا، يا على لو لا نحن ما خلق الله آدم و لا حواء و لا الجنة و لا النار و لا السماء و لا الأرض، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة و قد سبقناهم إلى معرفة ربنا و تسيحه و تهليله و تقديسه لأن أول ما خلق الله عزّ و جلّ خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده و تحميده ثم خلق الملائكة فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا و أوجه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد

(١) الانعام: ٨٤-٨٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٤

على نعمه، فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهدوا إلى معرفة توحيد الله و تسيحه و تحميده و تهليله و تمجيده، ثم ان الله تبارك و تعالى خلق آدم فأودعنا صلبه و أمر الملائكة بالسجود له تعظيما لنا و إكراما، و كان سجدوهم لله عزّ و جلّ عبودية و لآدم إكراما و طاعة لكوننا فى صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة و قد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون، و أنه لما عرج بى إلى السماء أذن جبرئيل مثنى مثنى و اقام مثنى مثنى، ثم قال لى: تقدّم يا محمد، فقلت له: يا جبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم لأن الله تبارك فضّل أنبيائه على ملائكته أجمعين، و فضلك خاصّة، فتقدّمت و صليت بهم و لا فخر «١»، الخبر بطوله.

و في «الإكمال» بالإسناد عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: انا سيد من خلق الله، و انا خير من جبرئيل و اسرافيل و حملة العرش و جميع الملائكة المقربين و أنبياء الله المرسلين «٢».

و في ارشاد القلوب للدليمي عن أبي ذر الغفاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول افتخر اسرافيل على جبرائيل فقال انا خير منك لأنني صاحب الثمانية حملة العرش، و انا صاحب النفخة في الصور و انا أقرب الملائكة إلى الله تعالى، قال جبرئيل: انا خير منك لأنني أمين الله على وحيه و انا رسوله إلى الأنبياء و المرسلين و أنا صاحب الخسوف و القذوف و ما أهلك أمة من الأمم إلا على يدي فاخصمنا إلى الله تعالى فأوحى الله إليهما اسكتا فو عزتي و جلالتي لقد خلقت من هو خير منكما

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٣٩ عن العيون ص ١٤٥.

(٢) إكمال الدين: ص ١٥١ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٣٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٥

قالا- يا ربّ او تخلق خيرا منّا و نحن خلقنا من نور؟ قال الله تعالى: نعم و اوحى إلى حجب القدرة انكشفى فانكشفت فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب لا اله إلا الله محمد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين خير خلق الله فقال جبرئيل: يا ربّ فأنى أسألك بحقهم إلا جعلتني خادمهم قال الله تعالى قد جعلت فجبرائيل من اهل البيت و أنه لخدامنا «١».

و في البصائر و تفسير القمي عن الصيادق عليه السلام: أنه ما من احد من الملائكة إلا و يتقرب كلّ يوم إلى الله تعالى بولايتنا أهل البيت «٢»، الخبر.

و روى عن الصياف و الكليني عن ابى جعفر عليه السلام قال و الله انّ في السّماء لسبعين صنفا من الملائكة لو اجتمع أهل الأرض كلّهم على أن يحصوا عدد صنف منهم ما أحصوهم و أنّهم ليدنون بولايتنا «٣».

و في البحار نقلا عن كتاب تفضيل أمير المؤمنين عليه السلام بالإسناد عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ مَا مَرَرْتُ بِمَلَاءٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَلَمَّا سَأَلْتَنِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ اسْمَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي السَّمَوَاتِ أَشْهَرُ مِنْ اسْمِي، فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ وَ نَظَرْتُ إِلَى مَلِكِ الْمَوْتِ قَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ مَا خَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا إِلَّا وَ أَنَا أَقْبَضُ رُوحَهُ إِلَّا أَنْتَ وَ عَلِيٌّ، فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ بِقُدْرَتِهِ وَ جَزَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَإِذَا أَنَا بَعْلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاقِفًا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَقُلْتُ: يَا عَلِيُّ سَبَقْتَنِي؟ فَقَالَ جَبْرَائِيلُ: مِنْ هَذَا الَّذِي تَكَلَّمَهُ يَا

(١) ارشاد القلوب: ص ٢١٤ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٣٤٤.

(٢) البصائر: ص ٢١ و تفسير القمي ص ٥٨٣.

(٣) بصائر الدرجات: ص ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٦

محمّد؟ فقلت هذا عليّ بن ابى طالب عليه السلام فقال: يا محمّد ليس هذا عليّ بن ابى طالب، و لكنّه ملك من الملائكة خلقه الله تعالى على صورة عليّ بن ابى طالب عليه السلام، فنحن الملائكة المقربون كلّما اشتقنا إلى وجه عليّ بن ابى طالب زرنا هذا الملك لكرامه عليّ بن ابى طالب عليه السلام على الله سبحانه «١».

و فيه عنه صلى الله عليه وآله عليّ أفضل خلق الله غيرى «٢». الخبر.

و فيه أنّه نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى عليّ بن ابى طالب عليه السلام فقال: خير الأوّلين و الآخرين من أهل السموات و الأرضين هذا سيّد الصّديقين و سيّد الوصيّين «٣».

الخبر و في القصص بالإسناد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ التَّفْتَ آدَمَ يَمْنَهُ الْعَرْشِ فَإِذَا خَمْسَةٌ أَشْبَاحَ فَقَالَ يَا رَبِّ: هَلْ خَلَقْتَ قَبْلِي مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا؟ قَالَ: لَا قَالَ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَرَى اسْمَائِهِمْ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ مِنْ وَلَدِكَ لَوْلَاهُمْ مَا خَلَقْتُكَ، وَ لَا خَلَقْتَ الْجَنَّةَ وَ لَا النَّارَ، وَ لَا الْعَرْشَ وَ لَا الْكُرْسِيَّ، وَ لَا السَّمَاءَ وَ لَا الْأَرْضَ، وَ لَا الْمَلَائِكَةَ وَ لَا الْجِنَّ وَ لَا الْإِنْسَ، هَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ مِنْ شَقَقْتَ لَهُمْ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِي فَأَنَا الْمَحْمُودُ وَ هَذَا مُحَمَّدٌ، وَ أَنَا الْأَعْلَى وَ هَذَا عَلِيٌّ، وَ أَنَا الْفَاطِرُ وَ هَذِهِ فَاطِمَةُ وَ أَنَا ذُو الْإِحْسَانِ، وَ هَذَا الْحَسَنُ، وَ أَنَا الْمُحْسَنُ وَ هَذَا الْحُسَيْنُ، آلِيَّتْ بَعَزْتِي أَنَّهُ لَا يَاتِينِي أَحَدٌ وَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ بَغْضِ أَحَدِهِمْ إِلَّا أَدْخَلْتَهُ نَارِي، يَا آدَمَ هَؤُلَاءِ صَفُوتِي مِنْ خَلْقِي بِهِمْ أَنْجِي مِنْ أَنْجِي، وَ بِهِمْ أَهْلِكَ مِنْ

(١) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٣٠٣.

(٢) البحار ج ٥٧ ص ٣٠٢.

(٣) البحار: ج ٥٧ ص ٣٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٧

أهلك «١».

و في البحار نقلا عن كتاب تفضيل الأئمة على الأنبياء للحسن بن سليمان قال ذكر السيد حسن بن كيش في كتابه باسناده مرفوعا إلى عدّة من اصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْهُمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْنَصَارِيُّ وَ أَبُو سَعِيدِ الْخَدْرِيُّ وَ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ أَمِيَّةَ وَ عَمْرُو بْنُ أَبِي سَلْمَةَ وَ غَيْرِهِمْ، قَالُوا: لَمَّا فَتَحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَكَّةَ أَرْسَلَ رَسَلَهُ إِلَى كَسْرَى وَ قَيْصَرَ، يَدْعُوهُمَا إِلَى الْإِسْلَامِ أَوْ الْجَزِيَّةِ وَ الْآ آذْنَا بِالْحَرْبِ، وَ كَتَبَ إِيْضًا إِلَى نَصَارَى نَجْرَانَ بِمِثْلِ ذَلِكَ.

فَلَمَّا أَتَتْهُمْ رَسَلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَعُوا إِلَى بَيْعَتِهِمْ «٢» الْعِظْمَى وَ كَانَ قَدْ حَضَرَهُمْ أَبُو حَارِثَةَ أَسْقَفَهُمُ الْأَوَّلَ، وَ قَدْ بَلَغَ يَوْمَئِذٍ مِائَةً وَ عَشْرِينَ سَنَةً وَ كَانَ يُؤْمِنُ بِالنَّبِيِّ وَ الْمَسِيحِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَ يَكْتُمُ ذَلِكَ عَنْ كَفْرَةِ قَوْمِهِ، فَقَامَ عَلَى عَصَاهُ وَ خَطَبَهُمْ وَ وَعَظَهُمْ وَ الْجَائِئِمْ بَعْدَ مَشَاجِرَاتٍ كَثِيرَةٍ إِلَى إِحْضَارِ الْجَامِعَةِ الْكُبْرَى الَّتِي وَرَثَهَا شَيْثُ فَفَتَحَ طَرَفَهَا.

إِلَى أَنْ قَالَ: ثُمَّ أَمْرَهُمْ أَبُو حَارِثَةَ أَنْ يَصِيرُوا إِلَى صَحِيفَةِ شَيْثِ الْكُبْرَى الَّتِي انْتَهَى مِيرَاثُهَا إِلَى إِدْرِيسَ عَلَى نَبِينَا وَآلِهِ السَّلَامِ وَ كَانَ كَتَابَتَهَا بِالْقَلَمِ السَّرِيَانِيِّ الْقَدِيمِ، وَ هُوَ الَّذِي كَتَبَ بِهِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَلُوكَ الْهَيَاظِلَةَ الْمَتَمَارِدَةَ فَافْتَضَّ الْقَوْمُ الصَّحِيفَةَ فَأَفْضُوا مِنْهَا إِلَى هَذَا الرُّسْمِ، قَالُوا: أَجْتَمَعَ إِلَى إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْمُهُ وَ صَحَابَتُهُ

(١) البحار: ج ٢٧ ص ٥ ح ١٠- عن القصص في ذيل الصفحة: هذا يعارض الروايات التي تدلّ على أنّ الله خلق قبل آدَمَ أيضًا آدم، و حملة على أول آدم خلق الله في الأرض بعيد، و الحديث كما ترى من ضروريات العامة.

(٢) البيعة: معبد النصارى و اليهود.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٨

و هم يومئذ في بيت عبادته من أرض كوفان فخبّروهم بما اقتضى عليهم قال: إنّ بنى أبيكم آدم عليه السَّلَامُ لصلبه و بنى بنيه و ذريته اجتمعوا فيما بينهم و قالوا اي الخلق عندكم أكرم على الله تعالى و ارفع لديه مكانا و اقرب منه منزله فقال بعضهم: أبوكم آدم خلقه الله عزّ و جلّ بيده و أسجد له ملائكته و جعله الخليفة في أرضه و سخر له جميع خلقه، و قال آخرون بل الملائكة الذين لم يعصوا الله عزّ و جلّ، و قال بعضهم: لا- بل الأمين جبرئيل فانطلقوا إلى آدم عليه السَّلَامُ، فذكروا ألمذى له قالوا و اختلفوا فيه، فقال: يا بنى انى أخبركم بأكرم الخلق عند الله عزّ و جلّ جميعا ثم قال: إنّ الله ما عدا أن نفخ في الروح حتى استويت جالسا، فبرق لى العرش العظيم فنظرت فإذا فيه: لا إله إلا الله محمد خير الله عزّ و جلّ ثم ذكر عدّة أسماء مقرونة بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

قال آدم: ثم لم أرفى السِّماء موضع أديم أو قال: صفيح منها إلّا وفيه مكتوب: لا اله إلّا الله، و ما من موضع مكتوب فيه لا اله إلّا الله إلّا وفيه مكتوب خلقا لا خطأ محمد رسول الله، و ما من موضع فيه مكتوب محمد رسول الله إلّا وفيه مكتوب: على خيرة الله، الحسن صفوة الله، و الحسين أمين الله عزّ وجل، و ذكر الأئمة من اهل بيته عليهم السلام واحدا بعد واحد إلى القائم بأمر الله عجل الله فرجه. قال آدم: فمحمد صلى الله عليه وآله من خط من أسماء اهل بيته أكرم الخلائق على الله قال فلما انتهى القوم إلى آخر ما فى صحيفة إدريس قرءوا صحيفة ابراهيم عليه السلام و فيها معنى ما تقدّم بعينه و انفضوا «١».

و فى القصص بالإسناد عن الصادق عليه السلام قال: اجتمع ولد آدم عليه السلام فى بيت

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣١٠-٣١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٦٩

فتشاجروا فقال بعضهم: خير خلق الله أبونا آدم فقال بعضهم: الملائكة المقرّبون فقال بعضهم: حملة العرش إذ دخل عليهم هبة الله فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرج عنكم فسلم ثم جلس فقال: فى أى شىء كنتم؟ قالوا كنّا نتفكّر فى خير خلق الله فأخبروه فقال اصبروا قليلا- حتى ارجع إليكم، فاتى أباه فقال يا أبت إنى دخلت على اخوتى و هم يتشاجرون فى خير خلق الله فسألونى فلم يكن عندى ما أخبرهم، فقلت: اصبروا حتى ارجع إليكم فقال آدم على نبينا و آله السّلام: يا بنى وقفت بين يدي الله عزّ وجل فنظرت إلى سطر على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم محمد و آل محمد خير من برأه الله «١».

و فى جامع الاخبار بالإسناد عن جابر بن عبد الله الانصارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله خلقنى و خلق عليا و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة عليهم السّلام من نور فعصر ذلك النور عصرة فخرج منه شيعةنا فسبحنا فسبحوا، و قدسنا فقدسوا، و هللنا فهلّلوا، و مّجدنا فمّجدوا، و وحّدنا فوحّدوا ثم خلق الله السموات و الأرضين و خلق الملائكة فمكثت الملائكة مائة عام لا تعرف تسيحا و لا تقديسا و لا تمجيدا، فسبحنا و سبّحت شيعةنا فسبّحت الملائكة لتسيحنا، و قدسنا فقدست شيعةنا فقدست الملائكة لتقدسنا، و مجدّنا فمجدت شيعةنا فمجدت الملائكة لتمجيدنا، و وحّدنا فوحّدت شيعةنا فوحّدت الملائكة لتوحيدنا، و كانت الملائكة لا تعرف تسيحا و لا تقديسا من قبل تسيحنا و تسيح شيعةنا، فنحن الموحّدون حين لا موحّد غيرنا و حقيق على الله تعالى كما اختصنا و اختصّ

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٢٨٢ ح ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٠

شيعةنا أن ينزلنا أعلى عليين، إنّ الله سبحانه و تعالى اصطفانا و اصطفى شيعةنا من قبل أن تكون أجساما، فدعانا و أجبنا، فغفر لنا و لشيعةنا من قبل أن نستغفر الله تعالى «١».

و فيه دلالة على تفضيل شيعةنا على الملائكة من حيث سبق الخلقه و وساطة التعليم، و غير ذلك.

و عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان بالإسناد عن أمير المؤمنين قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على أنا سيّد الأنبياء، و أنت سيّد الأوصياء، و أنا و أنت من شجرة واحدة، و لولانا لم يخلق الله الجنّة و لا النار، و لا الأنبياء و لا الملائكة، قال:

قلت: يا رسول الله فنحن أفضل أم الملائكة؟ فقال: يا على نحن أفضل، و نحن خير خلقه الله على بساطة الأرض و خيرة الله على ملائكته المقرّبين، و كيف لا نكون خيرا منهم و قد سبقناهم إلى معرفة الله و توحيدده، فبنا عرفوا الله، و بنا عبدوا الله، و بنا اهدوا السبيل إلى معرفة الله «٢».

وفيه عن المفضل قال: قلت لمولانا الصادق عليه السلام ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرض؟ قال: كنا أنوارا نسبح الله تعالى ونقدس حتى خلق الله الملائكة فقال لهم الله عز وجل سبحوا، فقالت اي ربنا لا علم لنا، فقال لنا: سبحوا فسبحنا، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ألا إننا خلقنا أنوارا وخلقنا شيعتنا من شعاع ذلك النور، فلذلك سميت شيعته، فإذا كان يوم القيمة التحقت السفلى بالعليا، ثم

(١) جامع الأخبار: ص ٩ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٢٤٢-٢٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣٤٩-٣٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧١

قرب ما بين إصبعيه «١».

وفي الاحتجاج عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام ان يهوديا سأل أمير المؤمنين عن معجزة النبي صلى الله عليه وآله في مقابلة معجزات الأنبياء فقال: هذا آدم أسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمد شيئا من هذا؟ فقال علي عليه السلام لقد كان ذلك، ولكن اسجد الله لآدم ملائكته فان سجودهم لم يكن سجود طاعة، أنهم عبدوا آدم من دون الله عز وجل، ولكن اعترافا لآدم بالفضيلة، ورحمة من الله له ومحمد عليه السلام أعطى ما هو أفضل من هذا إن الله جل وعلا صلى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبد المؤمنون بالصلوة عليه، فهذه زيادة له يا يهودى «٢».

وفي تفسير العياشي وغيره عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال لئما أسرى برسول الله صلى الله عليه وآله حضرت الصلاة فأذن و أقام جبرئيل فقال يا محمد تقدم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله تقدم يا جبرئيل فقال له إننا لا نتقدم الآدميين منذ أمرنا بالسجود لآدم «٣».

وفي العلل عن ابن عباس قال: دخلت عائشة على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقبل فاطمة، فقالت له: أ تحبها يا رسول الله؟ قال: أما والله لو علمت حبي لها لآزددت لها حبا إنه لما عرج بي إلى السماء الرابعة أذن جبرئيل وأقام ميكائيل ثم قيل لى: أذن يا محمد فقلت أتقدم وأنت بحضرتى يا جبرئيل؟ قال: نعم إن الله عز وجل فضل أنبياء المرسلين على ملائكته المقربين، وفضل لك أنت خاصة، فدنوت فصليت بأهل السماء الرابعة ثم التفت عن يميني فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام فى روضة من رياض الجنة

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣٥٠.

(٢) البحار: ج ١٠ ص ٢٩.

(٣) البحار: ج ١٨ ص ٤٠٤ عن تفسير العياشى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٢

وقد اكتنفها جماعة من الملائكة «١»، الخبر.

الرابع: ان عبادة البشر أشق وأصعب فوجب أن يكون أفضل، أما الصغرى فلان للبشر شواغل عن الطاعات العلمية والعملية، من الشهوات النفسانية، والدواعى الجسمانية، والقوى البهيمية والسبعية الداعية إلى ثوران الشهوة والغضب، والاشتغال بالأمور الحسية والعوارض الجسمية، وغير ذلك من الحاجات والخيالات الشاغلة والموانع الداخلة والخارجة، سيما مع تعاضد الهوى وسوسة الشيطان بجنوده فى صدورهم، وخفاء الحق وقلمة أهله، وشيوع الباطل وكثرة جنده، مضافا إلى ما يقاسون من الأمراض البدنية والاعراض النفسانية والعاهات الجسمانية.

والملائكة ليس لهم شىء من ذلك فلا يعارض دواعى طاعتهم شىء من الإرادات المضادة والموانع الطارئة بل عباداتهم كالأقوات الممددة لأرواحهم يلتذون بها، وأما الكبرى فلان إثار رضا الله تعالى مع صعوبته ومشقته على النفس دليل على كمال العبودية و

الانقياد ألا ترى أن الشيخ الذي له ميل إلى النساء إذا امتنع عن النساء فليست فضيلة كفضيلة من يمتنع عنهن مع شدة الشبق والشهوة الهائجة.

هذا مضافا إلى النبوي المشتهر أفضل العبادات أحمرها «٢» أي أشقها على النفس.
و توهم أن للملائكة أيضا شهوة داعية إلى المعصية، وهي حب الرياسة كما

(١) علل الشرائع: ص ٧٢ و عنه البحار ج ١٨ ص ٣٥٠ ح ٦١.

(٢) البحار: ج ٧٠ ص ١٩١ و ص ٢٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٣

يومئ إليه مقالتهم في أمر الخلافة و امتحانهم بالسجود، بل و قوله: لَنْ يَشْتَنِكَفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ «١». مدفوع بعد الغض عما فيه بأنهم إنما يطلبون الرياسة الحققة التي توجب مزيد القرب، و الكرامة، و أين هذا من طلب الرياسات الباطلة التي هي من مقتضيات النفس الأمارة و جنود الجهل.

و على فرض التسليم فللبشر مضافا إلى ذلك أنواع كثيرة أخرى من الشهوات، و من البين أن المبتلى بأنواع كثيرة منها تكون الطاعة عليه أشق من المبتلى بشهوة واحدة.

و أميا ما يقال في دفع هذه الحجة من أن العبادة مع كثرة البواعث و الشواغل إنما تكون أشق و أفضل من الأخرى إذا استويا في المقدار و باقى الصفات، و عبادة الملائكة أكثر و أدوم، فإنهم يستحون الليل و النهار و لا يفترون، و الإخلاص الذي به القوام و النظام و اليقين الذي هو الأساس و التقوى الذي هو الثمرة فيهم أقوى و أقوم، لأن طريقهم العيان لا البيان.

و أيضا ينتقض ذلك بما أنا نرى الواحد من الصوفية يتحمل في طريق المجاهدة من المشاق و المتاعب ما نقطع بأنه عليه السلام لم يتحمل مثلها، مع أنا نعلم أن محمدا صلى الله عليه و آله أفضل من الكل، و ما ذاك إلا أن كثرة الثواب تترتب على كثرة الإخلاص، فربما يكون الفعل أسهل على فاعله و يكون الثواب أكثر لكثرة إخلاصه.

ففيه أن مبنى الاستدلال إنما هو على التفاضل من حيث تحمّل كثرة المشقة

(١) النساء: ١٧٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٤

و الألم في الطاعة و الانقياد، و قضية تفضيل الأنبياء و هو المطلوب، و أما معارضة سائر الصفات الموجبة للتعكيس فلم يظهر دليل عليها، و مجرد الجواز لا يدل على الوقوع، و دعوى أن الإخلاص و اليقين و التقوى فيهم أشد و أقوى في حيز المنع كيف و هو أول الكلام، بل التحقيق أن ظهور هذه الصفات في الأنبياء أقوى منه في غيرهم حتى الملائكة، لأن أخشى الخلق أعلمهم بالله إنما يخشى الله من عباده العلماء «١» و قد نصت الآية و غيرها على كون آدم أعلم و أنه هو المستأهل للخلافة العلمية و منصب التعليم، فإذا اقترنه العمل من جميع الجهات كما هو مقتضى العصمة فقد تمت له الفضيلة بشطريها، و أذنت له الرياسة الكبرى بقرنيها، و أما دوام العبادة و عدم الفتور فلا تظن اختصاصه بالملائكة ضرورة أن أرواح الأنبياء سبقهم في عالم الأنوار و الأرواح بالاجابة، و عبدوه قبل خلقه الملائكة و كانوا مستمرين على عبادتهم إلى أن أمروا بالظهور في هذا العالم الجسماني لمصالح قضت بها العناية الكلية و المصلحة الربانية، فصحبوا أهل هذا العالم بأبدان أرواحها معلقة بالملكوت الأعلى فكأنهم و هم في جلايب من أبدانهم العنصرية قد نضوها و تجردوا عنها إلى عالم القدس و حضرة الأنس، و أميا إذا فارقوا هذا العالم فلا تظن أنهم إذا ماتوا فاتوا، بل هم أحياء عند ربهم يرزقون، باستنشاق نفحات قدسه و استضاءه تجليات وجهه.

و بالجمله فالظاهر سلامة الدليل المذكور عن وصمة الأشكال سيما بعد ما أشير اليه في الخبر المروى في «العلل» عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله

(١) فاطر: ٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٥

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقلت، الملائكة أفضل أم بنوا آدم؟ فقال: قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام، انّ الله عزّ وجل ركّب في الملائكة عقلا- بلا- شهوة، و ركّب في البهائم شهوة بلا عقل، و ركّب في بنى آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، و من غلب شهوته عقله فهو شرّ من البهائم «١».

و في المروى في تفسير الامام و الاحتجاج عن ابي محمد العسكري عليه السلام في خبر طويل يذكر فيه أمر العقبة انّ المنافقين قالوا لرسول الله صلى الله عليه و آله: أخبرنا عن عليّ اهو أفضل أم ملائكة الله المقرّبون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: و هل شرفت ملائكة الله إلّا بحبّها لمحمد و عليّ، و قبولها لولايتهما أنّه لا أحد من محبّي عليّ عليه السلام و قد نظف قلبه من قدر الغشّ و الدغل و الغلّ و نجاسة الذنوب إلّا لكان أظهر و أفضل من الملائكة، و هل أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم إلّا لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم أنّه لا يصير في الدنيا خلق بعدهم إذا رفعوا عنها إلّا و هم يعنون أنفسهم أفضل منهم في الدّين فضلا، و أعلم بالله و بدينه علما، فأراد الله تعالى أن يعرفهم أنّهم قد أخطئوا في ظنونهم و اعتقاداتهم، فخلق آدم و علّمه الأسماء كلّها ثمّ عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها، فأمر آدم أن ينبئهم بها و عرفهم فضله في العلم عليهم.

ثمّ أخرج من صلب آدم ذريّة منهم الأنبياء و الرسل و الخيار من عباد الله، أفضلهم محمد ثمّ آل محمد صلى الله عليهم أجمعين، و من الخيار الفاضلين منهم أصحاب محمد و خيار أمة محمد صلى الله عليه و آله، و عرف الملائكة بذلك أنّهم أفضل من الملائكة إذا احتملوا ما حملوه من الأثقال و قاسوا ما هم فيه من تعرّض أعوان

(١) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٩٩ عن العلل ج ١ ص ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٦

الشياطين و مجاهدة النفوس، و احتمال أذى ثقل العيال و الاجتهاد في طلب الحلال، و معاناة مخاطرة الخوف من الأعداء، من لصوص مخوفين، و من سلاطين جوراً قاهرين، و صعوبة المسالك في المضائق و المخاوف و الاجزاع و الجبال و التلال لتحصيل أقوات الأنفس و العيال من الطيب الحلال، عرفهم الله عزّ وجل أنّ خيار المؤمنين يحتملون هذه البلياء، و يتخلّصون منها، و يتحاربون الشياطين و يهزمونهم «١» و يجاهدون أنفسهم بدفعها عن شهواتها و يغلبونها مع ما ركبت فيهم من شهوة الفحولة، و حبّ اللباس و الطعام و العزّ و الرّياسة و الفخر و الخيلاء، و مقاساة العناء و البلاء من إبليس لعنه الله و عفاريتة و خواطرهم و أعوانهم و استهوائهم و دفع ما يكيدونه من ألم الصّبر على سماع الطّعن من أعداء الله و سماع الملاهي و الشّتم لأولياء الله، و مع ما يقاسونه في أسفارهم لطلب أقواتهم، و الهرب من أعداء دينهم، و الطلب لمن يأملون «٢» معاملته من مخالفينهم في دينهم.

قال الله عزّ وجل: يا ملائكتي: و أنتم من جميع ذلك بمعزل لا شهوات الفحولة تزعجكم، و لا شهوة الطعام تخفركم، و لا الخوف من اعداء دينكم و دنياكم ينخب «٣» في قلوبكم، و لا- لإبليس في ملكوت سمواتي و ارضي سبيل على إغواء ملائكتي الذين قد عصمتهم منهم، يا ملائكتي فمن أطاعني منهم و سلم دينه من هذه الآفات

(١) في النسخة المخطوطة: و يحزمونهم (بالحاء المهملة) و لعلّه (لو لم يكن مصحفا) من حزم النفوس: شدّ حزامه- و الحزام: ما يشدّ به

وسط الدابة.

(٢) في البحار: او الطلب لما يألمون معاملته.

(٣) النخب: النزع، و رجل نخب (بكسر الخاء): جبان.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٧

و النكبات فقد احتمل في جنب محبتي ما لم تحتملوا و اكتسب من القربات إلى ما لم تكتسبوا، فلما عزّف الله ملائكته فضل خيار أمة محمد صلى الله عليه وآله و شيعته على عليه السّلام، و خلفائه عليهم السّلام عليهم، و احتمالهم في جنب محبتي ربهم ما لا تحتمله الملائكة أبان أنّ بنى آدم الخيار المتّقين بالفضل عليهم فلذلك.

ثمّ قال فاسجدوا لآدم لما كان مشتملا على أنوار هذه الخلايق الأفضلين، و لم يكن سجودهم لآدم، إنّما كان آدم قبله لهم يسجدون نحوه لله عزّ و جل، و كان بذلك معظما له مبيّلا، و لا ينبغي لاحد أن يسجد لاحد من دون الله تعالى يخضع له خضوعه لله و يعظّمه بالسجود له، كتعظيمه لله، و لو أمرت أحدا أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا و سائر المكلفين من شيعتنا أن يسجدوا لمن توسط في علوم على و صدى رسول الله و مخض و داد خير خلق الله على بعد محمّد رسول الله و احتمل المكاره و البلايا في التصريح بإظهار حقوق الله فلم ينكر على حقّ ارقبه عليه و قد كان جهله او اغفله «١». الخبر و هو كما ترى صريح في تقرير الحجّة المذكورة بأنّ بيان و أحسنه، بل فيه دلالة ظاهرة على تفضيل الفاضلين من شيعتهم على الملائكة، و يظهر ذلك أيضا من بعض الاخبار المتقدّمة الدالة على أنّ الملائكة لخدمهم و خدام محبيهم، و من العلوى المروى عن «العلل» «٢» من فضل بنى آدم على الملائكة معللا بما مرّ. بل عن صحيفة الرضا بالإسناد عنه عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: مثل

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٣٦-١٣٨ عن تفسير الامام عليه السّلام و الاحتجاج.

(٢) البحار: ج ٦٠ ص ٢٩٩ عن العلل ج ١ ص ٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٨

المؤمن عند الله كمثّل ملك مقرب، و إنّ المؤمن عند الله عزّ و جلّ أعظم من الملك، و ليس شيء أحبّ إلى الله من مؤمن تائب او مؤمنة تائبة «١».

و عنه بالإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ المؤمن ليعرف في السّماء كما يعرف الرجل أهله و ولده، و أنّه أكرم عند الله عزّ و جلّ من ملك مقرب «٢». إلى غير ذلك ممّا يستفاد منه فضل المؤمن على الملائكة، أو الملك المقرب، و ان لم أجد في ذلك كلاما محرّرا لاحد من الأصحاب، نعم قال المجلسي رحمه الله: لا خلاف بين الامامية في أنّ الأنبياء و الأئمّة عليهم السّلام أفضل من جميع الملائكة، و الأخبار في ذلك مستفيضة، و أمّا سائر المؤمنين ففي فضل كلّهم أو بعضهم على جميع الملائكة او بعضهم فلا يظهر من الآيات و الاخبار ظهورا بينا يمكن الحكم بأحد الجانبين، فنحن فيه من المتوقّفين «٣».

و فيه أنّه لا ينبغي التأمّل في فضل بعض المؤمنين على كثير من الملائكة، لو لم نقل كلّهم بعد دلالة الاخبار المتقدّمة، مع أنّه قد روى عن الصادق عليه السّلام أنّه قال: إنّ في الملائكة من باقته بقل خير منه «٤»، و لا في فضل بعض الملائكة كحمله العرش و العالين و روح القدس و غيرهم على كثير من المؤمنين لو لم نقطع بفضلهم على غير المعصومين عليهم السّلام و إنّما الكلام في المتوسّطين عن الفريقين، و ردّ العلم في ذلك إلى أهله أوفق بالاحتياط و أقرب إلى النّجاة.

(١) صحيفة الامام الرضا عليه السّلام: ح ٢٧ و عنه البحار ج ٦٠ ص ٢٩٩ ح ٦.

(٢) الصحيفة: ح ٣٦ و عنه البحار ج ٦٠ ص ٢٩٩ ح ٧.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٧ ص ٢٨٥.

(٤) البحار: ج ٥٧ ص ٣١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٧٩

بقي الكلام في أن الاستفادة من الوجه المتقدم بل و بعض الاخبار المتقدمة خصوصا المروى عن «١» العسكري عليه السلام أنه ليس للملائكة شهوة الحيوان، ولا ميل إلى أنواع اللذات الدنيوية، ولذا استشكل بعضهم بأنه إذا كان الله تعالى قد خلقهم على هذا المنوال فما لهم من الفضل في أنفسهم حتى يفضلوا غيرهم من صلحاء المؤمنين، قال في الأنوار النعمانية: وهذا المعنى قد أشكل على جماعة من الأصحاب حتى أن شيخنا المعاصر أدام الله أيامه يعني به المجلسي عطر الله مرقده ذهب إلى أن الملائكة لهم نوع من الميل إلى اللذات الحسية، لكنهم يجاهدون أنفسهم و يمنعونها عن الإرادات البشريّة، حتى يكون لهم جزييل من الثواب، و يستحقوا محامد الثناء و التفضيل قال رحمه الله: و الجواب التحقيقي عند هذا القاصر غير هذا، و حاصله: أن الله سبحانه قد أقدر الملائكة على أنواع العبادات كما أقدر البشر عليها، و إن كان قوّة الملائكة على العبادات أشدّ و أكثر، و البشر مع قدرتهم على أكثر أنواع العبادات من الواجبات و السنن قد فتروا عنها و قبلوا على تركها، و أمّا الملائكة فقد قبلوا على فعلها و الإتيان بما وصلت إليه قدرتهم، و مع هذا قد صارت العبادات مستلذّة عندهم، كاستلذاذ الأكل و الشرب عندنا فهم يأتون بكلّ ما يقدرون عليه من أنواع العبادات على وجه الاستلذاذ، و نحن إنّما نأتي ببعض ما نقدر على وجه التكليف و المشقّة و الخوف من العقاب، فهم فضّلونا بإتيانهم بأفعال يمكنهم تركها فلم يتركوها، و من ثمّ قد وقع من بعضهم الترك حتى عوقب عليه، فاحتقرت أجنحته و سقط عن مقامه كما وقع للملك الذي وقع من السماء في زمن إدريس على

(١) البحار ج ١١ ص ١٣٦ تقدّم ذكره.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٠

نبينا و آله و عليه السّلام حتى لجأ إلى إدريس، فدعى له فرجع إلى مقامه و كما وقع للملك الذي فتر عن العبادة في عصر النّبي صلّى الله عليه و آله فسقط أيضا من عالم الملكوت و لجأ إلى الحسين عليه السّلام فتمسّح به و رجع ببركة الحسين عليه السّلام إلى مقامه، و أمّا الأنبياء و الأئمّة عليهم السّلام فهم قد فعلوا أفعال الملائكة مع اتّصافهم بالقوى الحيوانيّة فهم أفضل من الملائكة كما انعقد عليه إجماعنا، و من ثمّ كان العامل منا بما يطيق من انواع العبادات أفضل من الملائكة كما ذهب إليه بعض الأصحاب و دلّت عليه بعض الاخبار «١».

أقول: و هذا الكلام لا بأس به غير انّ نسبة ترك العبادة و استحقاق العقوبة إلى الملائكة الذين قامت ضرورة المذهب على عصمتهم، ليس ممّا ينبغي، و أمثال تلك الاخبار على فرض صحتها لها وجه آخر سنشير اليه في قصّة هاروت و ماروت إنشاء الله تعالى.

نقض و إبرام على دفع حجج مفضلي الملائكة على الأنبياء عليهم السلام

استدلّوا بوجوه من المنقول و المعقول نستقصي الكلام بذكرها و الجواب عنها و ان كُنّا في غنية عن ذلك كلّ، بعد دلالة الإجماع بل ضرورة المذهب فضلا عمّا سمعت من الآيات و الأخبار على ما مرّت الإشارة إليه من تفضيل الأنبياء و الأئمّة عليهم السّلام عليهم.

(١) الأنوار النعمانية: ج ١ ص ٢١٤-٢١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨١

أمّا الوجوه النقلية فمنها قوله تعالى: لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَ لَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ «١» حيث إنّ ظاهر العطف في أمثال

المقام الترقى من الأدنى إلى الأعلى سَيِّما مع تخصيص الملائكة بالمقربين منهم لكونهم أفضل كما يقال أفضل كما يقال: هذا العالم لا يستنكف من خدمته الوزير ولا الملك المقتردر، وهذا الحجر لا يقدر على حمله العشرة ولا المائة أولو القوة إذ من البين أنه لا يقال:

فى الأول ولا الجندى، ولا فى الثانى ولا الواحد، فضلا من أن يوصفا بالحاجة والضعف او يوصف بهما الأولان. والجواب ان الكلام إنما سيق لردّ مقالة النصارى فى المسيح حيث ادّعوا فيه مع النبوة النبوة بل الألوهية والترفع عن العبودية، ثم استطرد الكلام فى ردّ من زعم ان الملائكة بنات الله كما قال: وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِناثًا «٢» وقال: أم اتخذ ممّا يخلق بناتٍ وأصفاكم بالبين «٣» وتقديم الأول لسبق الخطاب مع أهل الكتاب فى أمره فى الآيات المتقدمة. وقد يجاب أيضا بانّ الواو لمطلق الجمع، فتدلّ على أنّ المسيح لا يستنكف والملائكة لا يستنكفون، واما الترقى والتفضيل فغير مستفاد أصلا كما فى قوله:

وَلَا الْهَدَىٰ وَلَا الْقَلَانِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ «٤» وقوله: مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ

(١) النساء: ١٧٢.

(٢) الزخرف: ١٩.

(٣) الزخرف: ١٦.

(٤) المائدة: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٢

بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِيَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ «١»، وكذا قولك: ما أعانى على هذا الأمر زيد ولا عمرو، وما اقتضت من زيد ولا من عمرو. نعم ربما يستفاد الترقى إذا علم كون المعطوف أقوى فى المعنى المراد، وأما إذا لم يعلم ذلك فإثباته بمجرد العطف لا يخلو عن دور.

وبانّ النصارى إنما توهموا فيه النبوة بل الألوهية لكونه روح الله ولد من غير أب، ولما ظهر فيه من صفات الرّوحانيين من إخبار بما يأكلون وما يدخرون، وإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص والأعمى، ولا يبعد أن يكون الملائكة المقربون الموكّلون بتلك الشؤون أرفع فى هذا المعنى وأقدر على تلك الشؤون والمعنى لا يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو فوقه فى هذا المعنى، وهم الملائكة الذين لا أب ولا أمّ ويقدر على ما لا يقدر عليه عيسى، واین هذا من سائر الكمالات العلمیة والعملیة الموجبة لمزيد القرب وكثرة الثواب.

وبأنه يجوز أن يكون الخطاب متوجّها إلى قوم اعتقدوا أنّ الملائكة أفضل من الأنبياء فاخرج الكلام على حسب اعتقادهم، كما يقول أحد منّا: لن يستنكف أبى أن يفعل كذا ولا أبوك، وان كان القائل يعتقد أنّ أباه أفضل، وإنّما أخرج الكلام على حسب اعتقاد المخاطب وهو ضعيف.

وبأنه مع تقارب المراتب وتدانى الدرجات يحسن أن يؤخّر ذكر الأفضل الذى ليس بينه وبين غيره فضل تفاوت كما يقال: لن يستنكف من خدمتى هذا الخادم ولا هذا الخادم، ولا ذلك وان كان بينهم ضرب من التفاضل من بعض

(١) المائدة: ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٣

الجهات الذى لم يساق الكلام للتنبه عليها.

و بأنه إنما أحر ذكر الملائكة عن ذكر المسيح لأن جميع الملائكة أكثر ثوابا لا محالة من المسيح منفردا و هذا لا يدل على تفضيل كل منهم على المسيح، و هو كما ترى.

و أميا ما يجب به أيضا من تسليم فضل الملائكة على المسيح و ان كان نبينا صلى الله عليه و آله مفضلا عليهم كلهم نظرا إلى أن المقصود اثبات القضية الجزئية فضعيف جدا.

و منها قوله تعالى: وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ «١» حيث خصهم بالذكر بعد التعميم الشامل للأنبياء و غيرهم، و وصفهم بالاستكانة و التواضع و دوام الامتثال و الخوف و ترك المخالفة على وجه الإطلاق، و فيه اشارة إلى أن غيرهم ليس كذلك، و ان اسباب التكبر و التعظم حاصله لهم. على أنه يستفاد منه الاحتجاج بعدم استكبارهم على أن غيرهم و جب أن لا يستكبر، و لو كان البشر أفضل منهم لما تم هذا الاحتجاج إلا- ترى أن السلطان إذا أراد أن يقرر على رعيته و جوب طاعتهم له يقول: الملوكة لا يستكبرون عن طاعتي و لا يحسن منه ان يحتج عليهم بطاعة الضعفاء و المساكين له.

و الجواب أن الآية إنما تدل على الفضيلة لا- الأفضلية، و فائدة التخصيص بعد التعميم التنبيه على حالهم تمهيدا لرد من زعم من مشركي مكة أنهم بنات الله، و لذا

(١) النحل: ٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٤

قال بعد هذه الآية بفصل قليل: وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ «١»، الآيات.

على أنه قد يقال: لا نزاع في أن الملائكة أشد قوة و قدرة من البشر، و لو في زعم المخاطبين و اعتقادهم، فكأنه يقول إن الملائكة مع شدة قوتهم و طول أعمارهم لا يتركون العبودية لحظة واحدة فالبشر مع ضعفهم و عروض الفتور و الهرم و المرض بالنسبة إليهم أولى بأن لا يتركوا العبادة، و هذا القدر كاف في صحة الاستدلال، و أين هذا من الدلالة على الأفضلية بمعنى كثرة الثواب و الاقربيه؟ ثم أنه يحتمل في الآية أن يكون من دابة بيانا للموصولة و الملائكة عطفها عليها لظهور الدبيب في حركة الأجسام، فيكون المراد استيعاب الماديات و المجردات بناء على القول بتجرد الملائكة و لذا استدلل بها عليه على ما يأتي.

و منها قوله تعالى: وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ «٢».

و التقريب قريب مما مر من جهة التخصيص بعد التعميم للتشريف و التكريم و التوصيف بدوام التسيح و نفي الاستكبار و الاستحسار و الفتور، على أن المراد بالعندية عندية القرب و الشرف لا عندية المكان و الجهة.

و الجواب ظاهر بعد ما سمعت، و العندية حاصله للمؤمنين أيضا: فِي مَقْعِدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ «٣»، و في القدسيات: أنا عند المنكسرة قلوبهم «٤».

(١) النحل: ٥٧.

(٢) الأنبياء: ١٩-٢٠.

(٣) القمر: ٥٥.

(٤) في البحار: ج ٧٣ ص ١٥٧: قيل لرسول الله صلى الله عليه و آله: اين الله؟ فقال صلى الله عليه و آله: عند المنكسرة قلوبهم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٥

و منها: قوله تعالى: جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا ﴿٥﴾، حيث إن ظاهره و لو بمعونه غيره من الآيات و الأخبار كونهم رسلا إلى الأنبياء، و الرسول أفضل من المرسل إليه، سلمنا كونهم رسلا إلى الملائكة، لكن الرسول الذي كل أمته رسل معصومون أفضل ممن ليس كذلك، و هو يتم على الوجه الاول ايضا.

و الجواب ان الرسالة قد تكون على وجه الحكومة و الولاية على النفس و المال و غيرها و هذا يدل على الفضيلة، و قد تكون على وجه الإخبار و الإعلام و مجرد التبليغ، و لا دلالة فيه على الأفضلية كما يرسل السلطان إلى وزيره واحدا من غلمانه لإعلامه ببعض مقاصده، و لو مع اطلاع الوزير قبل ذلك بما أخبره به لإقامته بعض الرسوم و دفع لجاج الخصوم، فمجرد الوساطة في التبليغ لا يدل على الأفضلية.

و منها قوله تعالى: قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ﴿٦﴾، فلو لم يكن حال الملائكة أفضل من حال النبي لم يحسن منه مثل هذا الكلام.

و الجواب أن الغرض من سوق الكلام إنما هو نفى ما لم يكن عليه لا- التفضيل لذلك على ما هو عليه، و لذا عطف عليه في الآية الاخرى و لا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ﴿٧﴾ و هذه منزلة خسيسته ينبغي تنزيه النبي

(٥) فاطر: ١.

(٦) الانعام: ٥٠.

(٧) هود: ٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٦

عنها على أنه إنما قال ذلك حين استعجلته قريش العذاب الذي أوعدوا به بقوله:

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١﴾، و المعنى انى لست بملك موكل بالعذاب حتى أنزله عليكم باذن الله كما كان ذلك بجبرئيل و غيره من الملائكة، او أنهم سأله الأمور العظيمة اقتراحا كصعود السماء و اسقاطها كسفا و تفجير العيون من الأرض و غيرها فأجاب بانى بشر على إقامة الحجية و الهداية على الطريقة السوية، و لست بملك موكل بهذه الأمور كما حكى عنهم في قوله:

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قِبَلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْفَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٢﴾.

و منها قوله تعالى في بنى آدم: وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٣﴾، بناء على أن المكلفين من مخلوقاته سبحانه أفضل من غيرهم، و جملة المكلفين اربعة انواع: الملائكة، و بنو آدم، و الجن، و الشياطين، و لا ريب ان بنى آدم أفضل من الأخيرين، فلو كانوا أفضل من الاول ايضا لكانوا أفضل من جميع ما خلقه فلا يستقيم التفضيل على الأكثر المشعر بعدم التفضيل على القليل سيما في مقام الامتنان بالتشريف و التكريم.

(١) الانعام: ٤٩.

(٢) الإسراء: ٩٠-٩٣.

(٣) الإسراء: ٧٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٧

والجواب أنك قد سمعت أن الآية دليل لنا لا علينا، و لو بمعونة الأخبار المفسرة لها حسبما مرّ شرط منها، و لعلّ المعنى على ما قيل إنّنا فضّلناهم على من خلقناه و هم كثير من دون أن يريد التبعض فيجربى مجرى قوله: «وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا» (١)، أى كلّ ثمن أخذ عنها فهو قليل من دون ان يريد التخصيص بان يمنع عن الثمن القليل خاصّة و مثله قول الشاعر:

من أناس ليس من أخلاقهم عاجل الفحش و لا سوء الجزع و أنّما أراد نفى الفحش و الجزع على إطلاقهما و ان وصفهما على صورة التقيد، مع أنّه يمكن أن يكون المراد هو التفضيل فى وجوه الكرامة المذكورة فى الآية من رزق الطيبات و حملهم فى البرّ و البحر و أين هذا من الأفضليّة بالأقربيّة و اكثرية الثواب، سلّمنا لكنّه لا حجّية فى دليل الخطاب فى مثل المقام على ما قرّر فى الأصول من عدم حجّية مفهوم العدد و اللّقب و نحوهما، سلّمنا لكنّه باعتبار مقابلة المجموع بالمجموع.

و منها قوله تعالى: «مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ» (٢)، أى إلّا كراهة أن تكونا ملكين فرغبهما فى تناول من الشجرة فى منزلة الملائكة حتّى دلّاهما بغرور، و ذاقا منها فبدت لهما سوءاتهما، و من البين أن التغير إنّما يحصل بالتّغيب على منزلة هى فوق منزلته حتّى يحمله ذلك

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) الأعراف: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٨

على مخالفة الله و معصيته طمعا فى الارتقاء إلى منزلة الملائكة، و هو دليل على فضلهم عليهما.

و الجواب أنّه من المحتمل قويا أن يكون المراد اختصاص النهى بهذين الفريقين اعنى الملائكة و الخالدين فكان غرض إبليس إيقاع الشبهة لهما بأنّه إنّما تعلق النهى بهما و انّ عدم الاكل مختصّ بمن كان ملكا او مخلّدا فيها، و هذا كما تقول لواحد من فقهاء السادات: ما حرّم الله عليك أخذ الخمس إلّا أن تكون غنيا او من غير بنى هاشم أى بكونك كذا و كذا، و هذا كما ترى لا يدلّ على كونهما أفضل منه، سلّمنا أنّ الصّورة الملكيّة و الخلود كانا مرغوبين لهما لكنّه لا يدلّ على زيادة الفضل و كثرة الثواب و القرب بحصول شىء منهما، و لعلّه إنّما رغبهما فى أن يكونا مساويين لهم فى التجرد و الانسلاخ عن عوارض التركيب و ان اختصاصا عنهم بمزيد الأجر و الثواب كما أنّه رغبهما فى الخلود الّذى لا يقتضى مزّيّة فى الثواب، و أنّما هو نفع عاجل، بل من البين أنّ كلّا من الخلود و الملكيّة ينافى زيادة الاستحقاق و رفع الدّرجة.

و أمّا ما يجاب عنه ايضا من أنّ هذا قول إبليس فلا يكون حجّج، و آدم و ان اعتقد صحّة ذلك إلّا أنّه لم يكن نبيا فى ذلك الوقت، و ايضا لعلّه كان مخطئا فى ذلك الاعتقاد لجواز الزلّة على الأنبياء، سلّمنا كونه حجّج لكن آدم عليه السّلام لم يكن قبل الزلّة نبيا فلم يلزم من فضل الملك عليه حينئذ فضله عليه بعد نبوّته، فلا يتم شىء منهما على الأصول المقرّرة عندنا كما لا يخفى، و لعلّه إنّما ذكره من ذكره منّا على وجه الفرض و التّقدير، كما أنّه يمكن أن يقال: سلّمنا دلالتها على فضله على آدم لكنّها لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٨٩

تدلّ على فضله على أولى العزم الذين هم أفضل من آدم، و ايضا لا تدلّ على فضل الملك على نبينا و آله الطّاهرين صلّى الله عليهم أجمعين الّذين هم أفضل من جميع الأنبياء و المرسلين.

و منها قوله تعالى حكاية عن النسوة على وجه التقرير فى تفاوت الدّرجة لا التّفى ما هذا بشرا إنّ هذا إلّا ملكٌ كريم» (١) بناء على أنّه ليس المراد وقوع التشبيه فى الصورة بل فى السيرة حيث أنّه شبّهه بالملك الكريم، و الملك إنّما يكون كريما بسيرته المرضيّة الّتى هى نفى دواعى البشريّة من الشهوة و الغضب و الحرص على طلب المشتهى و اثبات أضدادها من العصمة و غضّ البصر و قمع موادّ الشهوات و الميل إلى المحرّمات، فدلّ على أنّ جنس الملك أفضل من جنس البشر حتّى بالنسبة إلى نوع الأنبياء كما هو قضية

المورد.

و الجواب أن هؤلاء النسوة أول ما رأين من يوسف إنما هو حسن الصورة و كمال الجمال بحيث لم يرين مثله أحدا من الرجال و لذا نفين عنه البشريّة و ظهر لهن عذر امرأة العزيز في شدّة عشقها له و عند ذلك قالت فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ «٢» و لذا قيل إنه كالصريح في أن المراد إنما هو حسن الصورة لا كمال السيرة، سلّمنا أن المراد هو التشبيه في الاعراض عن المشتبهات إلا أنه قد ظهر ممّا مرّ أن قليل الاعراض من البشر يوجب كثير الثواب و كثير الاعراض من الملك يوجب قليل الثواب لمعارضه القوى المتضادة في البشر دون الملك.

(١) يوسف: ٣١.

(٢) يوسف: ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٠

و منها قوله تعالى: وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ «١»، الشامل بعمومه لجميع المكلفين حتى الأنبياء و المرسلين فيدلّ على أفضليته الملائكة لحفظهم و كتابتهم المقصودة للشهادة لهم و عليهم بأعمالهم.

و ضعفه واضح فإن شيئا من الحفظ و الشهادة غير مستلزم للأفضلية أو المفضولية، و لذا يصح استنادهما إلى الله و إلى رسوله و إلى من دون المكلف من الجمادات و النباتات و سائر أجزاء العالم، و لذا ورد أنه خير حافظا و أنه تعالى يستشهد على الأمم برسولها و على الرسل بنبيها و آله صلى الله عليهم و أنه يستشهد على ابن آدم بالساعات و الشهور و البقاع و الأرضين و غيرها.

و منها قوله: شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ «٢»، و قوله: وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ «٣»، فإن أولى العلم في الاولي يشمل الرسل و التقدم الذكرى فيهما سيما بملاحظة الابتداء به سبحانه و وقوعه في كلام الحكيم على الإطلاق يدلّ على التقدم بحسب الرتبة و الشرف.

و يضعف بانّ الواو لمطلق الجمع و استفادة الاشرافية من مجزّد الترتيب ضعيفه جدا سيما بعد ما سمعت من الآيات و الصحاح الصراح و يؤيده تقديم الكتب على الرسل في المقام.

و منها قوله تعالى: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى «٤»، فإنه يدلّ على أن جبرئيل و هو

(١) الانفطار: ١١.

(٢) آل عمران: ١٨.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

(٤) النجم: ٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩١

واحد من الملائكة علم محمدا صلى الله عليه و آله و هو خاتم النبيين و أفضل المرسلين و لا ريب أن المعلم أفضل من المتعلم و إذا ثبت فضله عليه ثبت فضله على الجميع، و ايضا وصفه في الآية بشدّة القوى و غيرها من الأوصاف المذكورة في الآيات التالية.

و قد يقرّر اعلمية جبرئيل بانّ العلوم قسمان: أحدهما العلم بالمبدأ الحقّ و صفاته و أسمائه و هما مشتركان في معرفته، و الاخر العلم بأفعاله و احوال مخلوقاته من الدرة إلى الدرة، و لا شكّ أن جبرئيل عليه السلام أعرف بها لأنه أطول عمرا و اكثر مشاهدة لها فكان علمه بها اكثر و اتمّ هذا في العلوم الكونية و اما العلوم الشرعية التي لا يتوصل إليها إلا بالوحى فهي لم تحصل لمحمد صلى الله عليه و آله و لا لاحد من الأنبياء إلا بواسطة جبرئيل الذي هو أمين الوحى و لذا كان واسطة بينه تعالى و بين جميع الأنبياء فكان عالما بجميع

الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ مَعَ عِلْمِهِ بِشَرَائِعِ الْمَلَائِكَةِ أَيْضًا وَ لَمْ يَحْصُلْ هَذِهِ الْعُلُومَ لِوَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾.

وَالجَوَابُ أَنَّ الْأَعْلَمِيَّةَ مَمْنُوعَةٌ جَدًّا كَيْفَ وَقَدْ تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ بِأَنَّ النَّبِيَّ وَالْأَنْبِيَاءَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَانُوا مُعَلِّمِينَ لِجِبْرَائِيلَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَخَدَامَتِهِمْ وَخَدَامَ مُحِبِّيهِمْ، وَأَنَّ جِبْرَائِيلَ إِذَا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقْعُدُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَعْدَةً الْعَبْدِ، وَكَانَ لَا يَدْخُلُ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ وَآلَهُ مَا شَرَفَتِ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِحَبِّهَا لِمُحَمَّدٍ وَعَلَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَقَبُولُهَا لَوْلَا يَتَهُمَا، وَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ إِنَّمَا خَلَقُوا بَعْدَ شِيعَتِهِمْ وَسَبَّحُوا بَعْدَ تَسْبِيحِهِمْ مُعَلِّمًا مِنْهُمْ وَالْأَقْدَمُ مَكْتُوًا مِائَةً عَامٌ لَا يَعْرِفُونَ تَسْبِيحًا وَلَا تَهْلِيلًا إِلَى غَيْرِ

(١) الزمر: ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٢

ذلك مما مرّت إليه الإشارة في الاخبار المتقدمة.

وَأَمَّا الْآيَةُ فَالْمُرَادُ بِهَا التَّعْلِيمَ الظَّاهِرِي فِي هَذَا الْعَالَمِ إِقَامَةً لِرِسْمِ التَّبْلِيغِ وَوَضِيفَةُ الرِّسَالَةِ حَسْبَمَا نَشِيرُ إِلَيْهِ فِي تَفْسِيرِهَا، مَعَ أَنَّ فِيهَا وَجْهًا آخَرَ وَهُوَ نِسْبَةُ التَّعْلِيمِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ كَمَا يَظْهَرُ مِنْ تَفْسِيرِ الْقَمِي وَغَيْرِهِ هَذَا مُضَافًا إِلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآيَةُ مِنْ كَوْنِ آدَمَ مُعَلِّمًا لَهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى إِرْشَادَهُ وَأَنَّهُ عَلَّمَهُمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا بَعْدَ مَا لَمْ يَعْلَمُوهَا، وَأَمَّا التَّقْسِيمُ الْمُقَرَّرَ لِبَيَانِ أَعْلَمِيَّةِ جِبْرَائِيلَ فِيهِ وَجْهٌ مِنَ الْاِخْتِلَالِ، وَذَلِكَ لِلْمَنْعِ عَنِ الْاِشْتِرَاكِ فِي قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ وَانْ سَلَمْنَاهُ فِي أَصْلِهَا، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَعْرِفَةَ عَلَى حَسَبِ الْاِسْتِعْدَادِ وَالتَّرْتِبَةِ وَالْقُرْبِ وَ الْعِبُودِيَّةِ وَقَدْ سَمِعْتَ تَأَخَّرَ رَتْبَهُ جِبْرَائِيلَ عَنْهُمْ بَلْ عَنْ بَعْضِ شِيعَتِهِمْ كَالْعَالِينَ وَالكُرُوبِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، وَأَمَّا الْعِلْمُ بِالْأُمُورِ الْكُوتِبِيَّةِ فَالْعِلْمُ بِهَا مِنْ أَشْهَدِهِمُ اللَّهُ تَعَالَى وَجَعَلَهُمُ الْأَشْهَادَ وَالْأَعْضَادَ فِي تَكْوِينِهَا، وَأَمَّا الْاِحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ فَقَدْ وَرَدَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْاِخْبَارِ تَفْوِيضُهَا إِلَيْهِمْ كَمَا أُشِيرُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْتَنُ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١﴾ بِحَسَبِ التَّأْوِيلِ ﴿٢﴾ وَتَذَكَّرْ فِي ذَلِكَ كَلِمَةَ قَوْلِهِ: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴿٣﴾، وَقَوْلِهِ: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿٤﴾.

وَمِنْهَا مَا رَوَاهُ فِي «الْكَافِي» عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا بَنِي آدَمَ اذْكُرْنِي

(١) ص: ٣٩.

(٢) راجع تفسير الصافي: ج ٤ ص ٣٠١ ط دار المرتضى بمشهد.

(٣) طه: ١١٤.

(٤) القيامة: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٣

في ملائكة أذكرك في ملائكة خير من ملائكة ﴿١﴾.

وَفِيهِ مَرْفُوعًا قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعِيسَى عَلَى نَبِينَا وَآلِهِ وَعَلَيْهِ السَّلَامُ يَا عِيسَى اذْكُرْنِي فِي نَفْسِكَ أَذْكُرَكَ فِي نَفْسِي، وَ اذْكُرْنِي فِي مَلَائِكَةِ أَذْكُرَكَ فِي مَلَائِكَةِ خَيْرٍ مِنْ مَلَائِكَةِ الْآدَمِيِّينَ ﴿٢﴾.

وَفِي بَعْضِ الْاِخْبَارِ: بِمَلَائِكَةِ ﴿٣﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ خَيْرٍ مِنْ مَلَائِكَةِ الْآدَمِيِّينَ.

وَالجَوَابُ أَنَّ خَيْرِيَّةَ مَلَائِكَةٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مِنْ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ مِنْ أَفْرَادِ الْبَشَرِ بِاعْتِبَارِ قُرْبِهِمْ أَوْ مَلَائِكَةٍ مِنْ جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ جِنْسِ بَنِي آدَمَ بِاعْتِبَارِ عَصْمَتِهِمْ لَا يَنَافِي إِفْضَالِيَّةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ عَلَيْهِمْ، سَيِّمًا مَعَ مَا قِيلَ مِنْ اِشْتِمَالِ مَلَائِكَتِهِمْ عَلَى أَرْوَاحِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ.

ثُمَّ أَنَّهُ قَدْ يَحْكِي اتِّفَاقَ الْفَلَسَفَةِ عَلَى أَنَّ الْأَرْوَاحَ السَّمَاوِيَّةَ الْمَسْمُوءَةَ عِنْدَهُمْ بِالْمَلَائِكَةِ أَفْضَلَ مِنَ الْأَرْوَاحِ التَّاطِقَةِ الْبَشَرِيَّةِ وَاسْتَدَلُّوا عَلَيْهِ بِبَسَاطَتِهَا وَبِرَاتِنَتِهَا مِنْ شُوبِ التَّرْكِيبِ وَلِوَاظِمِ الْكَثْرَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى الْاِخْتِلَالِ وَالْفَسَادِ، وَأَمَّا الْبَشَرُ فَهُوَ مَرْكَبٌ مِنَ النَّفْسِ وَالبَدَنِ، وَ

النفس مركبة من القوى الكثيرة و البدن مركب من العناصر المتضادة، و من البين أن البسيط أشرف من المركب، و الملائكة و ان لم نقل ببساطتها المطلقة نظرا إلى أن كل ممكن زوج تركيبى و أنها مركبة من وجود و مهية لكنها أبسط بالإضافة إلى الإنسان من وجوه كثيرة أوجبت شرافتها، و لذا كان البسيط على الإطلاق و هو مبدأ الكل أعلى من الكل.

(١) الكافي: ج ٢ ص ٤٩٨.

(٢) الكافي: ج ٢ ص ٥٠٢.

(٣) البحار ج ٦٠ ص ٣٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٤

و بأن الروحانيات لها كمالات فعلية حاضرة و لذا قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام و قد سئل عن الملائكة و صور عارية عن المواد خالية عن القوة و الاستعداد تجلى لها ربها فأشرفت، و طالعها فتلاآت، و ألقى فى هويتها مثاله فأظهر عنها أفعاله و خلق الإنسان ذا نفس ناطقة، إن زكاها بالعلم و العمل فقد شابته جواهر أوائل عللها، و إذا اعتدل مزاجها و فارقت الاضداد فقد شارك بها السبع الشداد «١».

و أما البشر فكالمالاتهم و استعداداتهم بالقوة لا بالفعل، و لا يخفى أن ما بالفعل التام أشرف مما بالقوة مع أن فى الخبر وجوها آخر من الدلالة أيضا كالتجرد و قبول التجليات الاولية و توسطها بالاشراق على ما دونها و المظهرية الكلية و كون النفوس الانسانية بعد التزكية التامة مشابهة لها، مع دلالة التشبيه على قوة المشبه به و كون تلك الجواهر هى العلل الاولية لها و غير ذلك مما يستفاد منه.

و بأن الروحانيات أشرف من الجسمانيات فى العلم و العمل فتكون أشرف مطلقا اما شرفهم فى العلم فلاحاطتها على المعنويات و على الأمور المستقبلية و العلوم الكلية و الكمالات الفعلية، و اما فى العمل فلأنهم مواظبون على العبودية المحضة لا يستكبرون عن عبادته و لا يستحسرون، يستبحون الليل و النهار لا يفترون، لا يلحقهم نوم العيون و لا يليهم سهو العقول، طعامهم التسييح، و شرابهم التقديس، متجردون عن العلائق البدنية غير محجوبين بشيء من القوى الحيوانية، و اما الثانى فواضح ضرورة رجوع اسباب الشرف و الفضل إلى أحد الأمرين.

و بأن الروحانيات نورانيات علوية لطيفة فعالة منها العقول الكلية و النفوس

(١) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٦٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٥

الفلكية و الجسمانيات ظلمات سفلية كثيفة منفعة مشتملة على الحجب الظلمانية و الغواسق الهولائية.

و بأن التقسيم العقلى دل على ذلك فإن الموجود الحى أشرف من الميت ثم الحى اما خير محض، او شرير محض، او خير من وجه شرير من وجه، فالاول هو الملك و الثانى هو الشيطان و الثالث هو الإنسان.

و بأن النفوس الناطقة و قواها و استعداداتها كلها فائضة من المبادئ العالية التى هى المتصرفه فيها المفضية عليها.

إلى غير ذلك من الوجوه الضعيفة المبنية على أصولهم الفاسدة المخالفة للشريعة المصطفوية على صادعها و آله آلاف الثناء و التحية من اثبات العقول المجردة و النفوس الفلكية و استناد الحوادث إلى التشكلات و الانظار الفلكية و غيرها مما تقوله الفلاسفة و ارباب الهياكل و غيرهم.

هذا مضافا إلى انكارهم الأصول الشرعية الحقة المستفادة من الشريعة من تقدم خلق الأرواح على الأبدان و ان أرواح النبي و الأئمة عليهم السلام متقدمة فى الخلقة على غيرهم، و ان جميع من سواهم من المجردات و الماديات و العلويات و السفليات و أرواح الأنبياء

والملائكة و السماوات و الأرضين و الكواكب و الجنة و جميع ما فى العوالم الكونية كلها مخلوقة من أشعة أنوارهم كائنة من رشحات قطرات بحارهم، فإذا أحرزت هذه الأصول و أتقت ما أشرنا إليه فى تضاعيف المباحث السابقة ظهر لك الجواب عن هذه الوجوه و غيرها ممّا أوردوه فى المقام، فلا داعى إلى اطناب الكلام فى الجواب عنها بوجوه النقص و الإبرام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٦

دلالة الآيات إلى المذهب الحق

اعلم أنّ هذه الآيات تدلّ بوجوه من الإشارة على حقيّة مذهب الإماميّة القائمين بوجوب النصّ و العصمة و الأعلميّة و عدم خلوّ العصر عن الحجّة و غيرها من الأصول الحقّة، و ذلك من وجوه.

أحدها: إنّ الحكمة فى الخليفة أبلغ من الحكمة فى الخليفة، و ذلك أنّه لما تعلقت المشيئة الالهية و الحكمة الربانية بعمارة الأرض و إيجاد من يعبد و يوحيده فيها بدأ بالخليفة قبل الخليفة تقدّما للأهم على ما هو الأعم، و ذلك لأنّ وجود الخليفة عندنا ليس على وجه التبعية المحضة و الغيرية الصّرفة كما توهمه من خالفنا فى الإمامة حيث جوّزوا مساواته لسائر افراد الرعية فى قلّة العلم و الفضيلة، و عدم لزوم العصمة، بل الخليفة عندنا هو المقصود بالذات و لا بدّ أن يكون وجوده أشرف من وجود رعيته و الاهتمام بخلقه أكثر من الاهتمام بخلق غيره فيكون هو الواسطة فى إيصال الفيوض الالهية إلى رعيته، لا لقصور فى فيضه أو عجز منه فى إيصاله إلى خلقه، أو لحاجة به إلى من ينوبه عنه فيه، بل لقصور عامّة الخلق عن قبول فيضه و تلقى امره، فالخليفة فى العالم كالقلب فى البدن، و كما أنّ القلب أوّل الأعضاء خلقه و هو معدن الحرارة الغريزية، فيتكوّن فيه الأرواح الحيوانية التى هى الأصل للأرواح الطبيعية و الناطقة و غيرها، ثمّ يسرى منها إلى الكبد و الدماغ و سائر الأعضاء و الجوارح بواسطة العروق و الشرايين، كذلك الخليفة أوّل الخلق خلقه فى عالم الملكوت او الناسوت، و هو الواسطة فى إيصال الفيوض الالهية إلى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٧

سائر الخليفة بتوسط نوابهم و أمنائهم و حملة علومهم و أحكامهم.

و لذا قال الصادق عليه السلام: إنّ الحجّة قبل الخلق و مع الخلق و بعد الخلق «١».

و أنّه ما كانت الأرض إلّا و لله منها عالم و أنّه لو لم يكن فى الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة «٢» و لو ذهب أحدهما بقى الحجّة، و أنّه ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلّا و فيها امام يهتدى به إلى الله و هو حجّة الله على عباده «٣».

و فى العلوى المستفيض: اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحججه اما ظاهرا مشهورا، او خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله و بيناته و كم ذا و أين أولئك؟

أولئك و الله الأقلون عددا، و الأعظمون قدرا، بهم يحفظ الله حججه و بيناته، حتّى يودّعوها نظرائهم، و يزرعوها فى قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، و باشروا روح اليقين، و استلانوا ما استوعره المترفون، و انسوا بما استوحش منه الجاهلون، و صحبوا الدّنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحلّ الأعلى، يا كميل أولئك خلفاء الله فى أرضه، و الدّعاة إلى دينه «٤»، آه.

و الاخبار فى هذا المعنى كثيرة مذكورة فى كتب الفريقين، ثمّ أنّه يستفاد منه تعظيم أمر الخلافة حيث توه بذكر الخليفة قبل خلقه و أرشد الملائكة إلى كسب العلوم و المعارف منه و أوجب عليهم السجود له، ثمّ لَمّا امتنع إبليس عن السجود له أخرج من فسيح ملكوت قربه، و طرده عن باب رحمته، و أوجب له الذلّ و الصغار

(١) الكافي ج ١ ص ١٧٧ ح ٤ باب الحجّة لا تقوم إلا بالإمام.

(٢) الكافي: ج ١ ص ١٨٠.

(٣) الكافي: ج ١ ص ١٧٩ ح ٨.

(٤) البحار: ج ٢٣ ص ٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٨

و الخلود في دار البوار، و لعنه في جميع كتبه و على السنة جميع أنبيائه و أوليائه، و ذلك لمخالفته في امر الخلافة الذي هو الكاشف الأخير عن توحيد سبحانه، فإن انكار خلافة الأنبياء و أوصيائهم بمنزلة جحود ربوبيته سبحانه في الكفر و الإلحاد على ما تظافت به الاخبار.

الخلافة من الله سبحانه

ثانيها: انّ الخلافة لا بدّ أن تكون بتعيين الله سبحانه و نصّه و نصبه، فانه منصب جليل، و له خطب عظيم، و القلوب مجبولة على حبّ أنفسها، و اختيار الخير لها، و حيث أنّ الخلق لا يحيطون علما على جميع الحكم و المصالح، و لا يطلعون على جميع الأسباب و المقتضيات و الموانع، فلذا جعل تعيين الخليفة إلى نفسه تعالى و قال: إني جاعل فاحتجّ به على عامة خلقه انه ليس لهم سبيل إلى اختيار الخليفة، كما لم يكن للملائكة إليه سبيل مع عصمتهم و قدمتهم و صفائهم و وفائهم و دوام عبادتهم و خلوّ فطرتهم عن مقتضيات الدواعي الشهويّة و الغضبيّة و الانحرافات البشريّة، و إذا كان حال الملائكة ذلك على ما يستفاد من الآية فما ظنك بعامة البشر، الذين هم معادن القصور و التقصير مع ما ترى فيهم من خفاء الحقّ و غلبة الباطل، و استيلاء الجهال، و دولة أهل الضلال، ثمّ لا يخلو أمرهم اما أن يكونوا مريدين في زعمهم لاختيار الباطل و متابعة الهواء و الايتماء بأئمة الضلال، فالله سبحانه أعزّ و اجلّ من أن يدعهم و أهوائهم و لو اتّبع الحقّ أهوائهم لفسدت السموات و الأرض و من فيهنّ، و إما أن يكونوا مريدين لاختيار من يقوم بالحقّ فيهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ١٩٩

و يقيم كلمة الصدق فيما بينهم، فإنّ لهم السبيل إلى معرفه من هو كذلك، و كيف اطمأنوا انه لم يقع اختيارهم على من هو الأفسد في الدين و الدنيا، و إليه أشير بما في «الاحتجاج» عن سعد بن عبد الله القمي قال: سألت القائم عليه السلام في حجر أبيه عليه السلام فقلت: أخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار امام لأنفسهم قال عليه السلام:

مصلح او مفسد؟ قلت: مصلح قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد بعد أن لا يعلم أحد ما يخطر ببال غيره من صلاح او فساد؟ قلت: بلى قال: فهي العلة التي يدتها لك ببرهان يقبل ذلك عقلك، قلت: نعم قال: أخبرني عن الرسل الذين اصطفاهم الله و أنزل عليهم الكتب و أيدهم بالوحي و العصمة إذ هم أعلام الأمم و أهدى إلى ثبت الاختيار، و منهم موسى و عيسى عليهما السلام هل يجوز مع وفور عقليهما و كمال علمهما إذا هما بالاختيار أن تقع خيرتهما على المنافق، و هما يظنّان انه مؤمن قلت: لا قال: فهذا موسى كليم الله مع وفور عقله و كمال علمه و نزول الوحي عليه اختار من اعيان قومه و وجوه عسكره لميقات ربه سبعين رجلا- ممن لم يشكّ في ايمانهم و إخلاصهم فووقت خيرته على المنافقين قال الله عزّ و جلّ: وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا «١»، فلما وجدنا اختيار من قد اصطفاه الله للنبوّة واقعا على الأفسد دون الأصلح و هو يظنّ انه الأصلح دون الأفسد، علمنا انه لا اختيار لمن لا يعلم ما تخفى الصدور و ما تكنّ الضمائر و تنصرف عليه السرائر، و ان لا خطر لاختيار المهاجرين و الأنصار بعد وقوع خيرة الأنبياء على ذوى الفساد لما

(١) الأعراف: ١٥٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٠

أرادوا أهل الصّلاح «١».

أقول و لعلّ اختيار عيسى عليه السّلام اشارةً إلى ما اختاره من الحواريين الاثنى عشر حيث ضلّ كثير منهم و اضلّوا قومه حتّى أن واحدا منهم و هو يهودا الاسكر يوطى دلّ الكفّار على أخذه و صلبه لجعل يسير و عدوه به على ما وقع التلويح عليه فى أخبارنا و التصريح به فى انجيلهم، و يدلّ على ذلك ايضا من طرق العامّة و الخاصّة اخبار كثيرة نورد شطرا منها فى تفسير قوله تعالى: وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ «٢».

ثمّ انّ المدار فى التكاليف على الامتحان و الابتلاء بما لا يعرف حقيقته و يستحقّر ظاهره، و لما كان إبليس فى الملائكة و لم يكن منهم و كانت الملائكة تظنّ أنّه منهم بل من خيارهم و أراد الله تعالى أن يظهر نفاق المنافق و اخلاص المخلص ليُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيِي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ «٣» فأمرهم بالسجود لآدم فأظهرت الملائكة الانقياد و الطّاعة و اظهر إبليس الاستكبار و المعصية، و لم تزل سنّة الله جارية فى بنى آدم بمثل هذا الامتحان فى الايمان ببعث الأنبياء و نصب الأوصياء، ففيهما ضلّ من ضلّ و هلك من هلك، و أمّا الإقرار به سبحانه فلعلك ترى الأمم كلّها متّفقه على ذلك، فالخلافه التى هى الولاية العامّة من قبله سبحانه لا بدّ أن تكون جارية مستمرّة فى بنى آدم بتعيينه سبحانه إلى انقراض العالم، إقامة للنظم الأتمّ و هداية للعباد إلى ما هو احسن و أقوم.

(١) الاحتجاج: ص ٢٥٩ و ٢٦٠ و عنه البحار ج ٢٣ ص ٦٨ - ٦٩.

(٢) القصص: ٦٨.

(٣) الأنفال: ٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠١

ثمّ انك قد سمعت انّ المراد بالجعل فى قوله: إني جاعلٌ هو الجعل التكويني فينزل هذا الكلام منه سبحانه منزلةً قوله: إني خالقٌ بشراً من طين «١»، فمن ادعى انّ له أن يختار الخليفة فكأنه قد ادعى انّ له أن يخلق بشرا من طين، و لما بطل أحد المعنيين بطل الآخر، إذ هما فى حيز واحد بل قد يقال إنّه يستفاد من الآية انّ طريق معرفة الخليفة هو السماع بالإشارة و النصّ، و ذلك لأنّ الخلافه الموعودة ان كانت خصوص خلافة آدم فتحقق النصّ و الإشارة واضح بالنسبة إليه، و ان كانت هى الخلافه الثابتة لجميع الحجج من الأنبياء و الأوصياء، فظاهر الآية أنّه عرضها عليهم، و علمهم أسمائها، فصحّ انّ الطريق هو الإشارة و النصّ من جهة السمع و التوقيف.

ثمّ إنّه يستفاد من الآية بعد ملاحظه اعتراض الملائكة و الجواب عنهم أنّه لا يصحّ نصب الخليفة و جعلها إلّا لمن كان عالما بغيب السماوات و الأرض، و بما تبديها النفوس و تكتمها، و بأسرار الخليفة و استعداداتهم و ما يؤول اليه أمرهم، و بهذا تمّت حجّته سبحانه على الملائكة، و هى حجّته على غيرهم ايضا إن أرادوا تعيين الخليفة و نصبه من غير دليل و نصّ عليه بالخصوص من الله تعالى او حججه الذين هم خزنة الوحي و التنزيل.

ثالثها: أنّ الأعلم هو الأحقّ الأليق بالخلافه، و ذلك لأنّ الملائكة قد عرضوا أنفسهم لهذا المطلب الجليل و استدعوه منه سبحانه، و ظنّوا أنّهم أحقّ به من آدم فأبان الله سبحانه عن قصورهم و عدم استحقاقهم لهذه الدرجه و تفضيل آدم عليهم

(١) ص: ٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٢

بأنّ علم آدم الأسماء كلّها ثمّ عرضها عليهم، فعجزوا عن آخرهم عن معرفتها، حتّى أنبأهم بها آدم بأمره سبحانه فاستحقّ بذلك الرياسه العظمى و الخلافه الكبرى، و لو ساغت الخلافه للمفضول مع وجود الأفضل لم تتمّ الحجّية على الملائكة، و لما كان مساع لقلوه: إني أعلم ما لا تعلمون «١» و قوله: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ «٢» فقد دلّت الآية على أنّه لا يجوز خلافه المفضول

مع وجود الأفضل.

وهذه قضية كبرى، و أما الصغرى التي يثبت معها مذهب الامامية فهي أن عليا عليه السلام كان أفضل الصحابة وأعلمهم، وقد أشار إليه سبحانه في قوله: وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ «٣»، وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ «٤»، هَلْ يَشْتَرِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «٥»، وغيرها من الآيات المفسرة بذلك من طرق الفريقين بل الاخبار النبوية وغيرها به متواترة فمن طريق العامة «٦».

عن موفق بن أحمد بالإسناد عن سلمان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال أعلم أمتي من بعدى علي بن أبي طالب «٧».

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) البقرة: ٣٣.

(٣) الرعد: ٤٣.

(٤) يس: ١٢.

(٥) الزمر: ٩.

(٦) هو موفق بن احمد الخوارزمي المعروف بأخطب خوارزم المتوفى (٤٦٨) هـ.

(٧) المناقب للخوارزمي: ص ٤٩ ط تبريز.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٣

و في خبر آخر عنه صلى الله عليه وآله: أقضى أمتي علي بن أبي طالب «١».

و عن كتاب فضائل الصّحابة للسمعاني «٢» بالإسناد عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص) على أقضى أمتي فمن احبني فليحبّه فان العبد لا ينال ولايتي إلّا بحبّ علي عليه السلام «٣».

و عنه بالإسناد عن عمر بن الخطّاب أنّه قال: عليّ أفضانا «٤».

و روى ابن أبي الحديد في «شرح النهج» عن أبي نعيم الحافظ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخصمك يا علي بالنبوة فلا نبوة بعدى و تخصم بسبع لا يجاحد فيها أحد من قريش أنت أولهم ايماناً و أوفاهم بعهد الله و أقومهم بأمر الله و أقسمهم بالسوية و عدلهم في الرعية و أبصرهم بالقضية و أعظمهم عند الله مزية «٥».

و روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقبه بالإسناد عن ابن عباس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أتاني جبرئيل بדרنوك من الجنة فجلست عليه، فلما صرت بين يدي ربّي كلمني و ناجاني فما علمت شيئاً إلّا علمته علياً فهو باب مدينة علمي، ثم دعاه إليه فقال: يا عليّ سلمك سلمى و حربك حربى و أنت العلم فيها بينى و بين أمتي بعدى «٦».

(١) المناقب: ص ٤٨ ط تبريز.

(٢) هو ابو المظفر منصور بن محمد السمعاني النيسابوري المتوفى (٤٨٩) هـ.

(٣) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٦ ط مصر.

(٤) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٣٣٦ ط مصر.

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج ١ ص ٦٥ ط السعادة بمصر.

(٦) احقاق الحق: ج ٤ ص ٢٥٨ عن المناقب لابن المغازلي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٤

و عن موفق بن أحمد بالإسناد عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: قال: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، و إلى نوح في فهمه، و إلى يحيى في زهده، و إلى موسى بن عمران في بطشه، فليُنظر إلى عليّ بن أبي طالب «١».

و عنه بالإسناد عن الحارث الأعور صاحب راية عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال:

بلغنا انّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان في جمع من أصحابه فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أريكم آدم في علمه، و نوحا في فهمه، و إبراهيم في حكمته؟ فلم يكن بأسرع من أن طلع عليّ فقال أبو بكر يا رسول الله أفست رجلا بثلاثه من الرّسل بَخَّ بَخَّ بهذا الرجل من هو يا رسول الله؟

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أو لا تعرفه؟ قال: الله و رسوله أعلم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أبو الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال أبو بكر: بَخَّ بَخَّ لك يا أبا الحسن و أين مثلك يا أبا الحسن «٢».

و عن عمر أنّه قال: العلم ستّة اسداس لعليّ من ذلك خمسة اسداس و للنّاس سدس و لقد شاركنا في السدس، حتّى لهو أعلم به منّا «٣».

و عنه عن ابن المغازلي الشافعي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه قال: قَسِمَتِ الحِكمَةُ على عشرة أجزاء فاعطى عليّ تسعة و الناس جزءا واحدا «٤».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المروية من طرق العامة فضلا عن المأثورة من طرق الخاصة و قد تواتر من طرق الفريقين عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنّه قال: أنا مدينة العلم و عليّ بابها «٥».

(١) الاحقاق: ج ١٥ ص ٦٢٠- عن المناقب للحيدرآبادي ص ٤٩.

(٢) أرجح المطالب للأمر تسرى: ص ٤٥٤ ط لاهور.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٤٧ عن الأربعين للخطيب.

(٤) الاحقاق ج ٥ عن المناقب لابن المغازلي ص ٥١٧ و حليه الأولياء ج ١ ص ٦٤.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج ٢ ص ٢٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٥

و في أخبار كثيرة: أنا مدينة الحكمة و عليّ بابها فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها «١».

و انّ أقضاكم عليّ «٢».

و من اليّين أنّ القضاء يحتاج إلى سائر العلوم.

ثمّ إنّه قد قال عليه السلام: سلوني قبل أن تفقدوني، و لم يجسر أحد أن يقول ذلك غيره «٣».

روى موفق بن احمد بالإسناد عن سعيد بن المسيّب قال ما كان في أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أحد يقول: سلوني غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام «٤».

و عنه عن الحمويّين العاميين بالإسناد عن ابي سعيد البخريّ قال: رأيت عليّا كرم الله وجهه و قد صعد المنبر بالكوفة و عليه مدرعة كانت لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ متجلّدا «٥» بسيف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ متعمّما بعمامة رسول الله و في إصبعه خاتم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقعد على المنبر فكشف عن بطنه و قال: سلوني قبل أن تفقدوني، فانّما بين الجوانح منّي علم جمّ هذا

سقط العلم، هذا لعاب رسول الله هذا ما زقني رسول

(١) امالي الطوسي: ص ٣٠٨.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٥٠.

(٣) المناقب لأخطب خوارزم: ص ٥٤ ط تبريز.

(٤) المناقب لاخطب خوارزم: ص ٥٤ ط تبريز.

(٥) في المصدر: متقلداً.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٦

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ زَقَمًا مِنْ غَيْرِ وَحَى أَوْحَى إِلَيَّ، فَوَاللَّهِ لَوْ ثَنَيْتَ لِي وَسَادَةً فَجَلَسْتَ عَلَيْهَا لِأَفْتِيَتِ لِأَهْلِ التَّوْرَةِ بِتَوْرَاتِهِمْ، وَ لِأَهْلِ الْإِنْجِيلِ بِإِنْجِيلِهِمْ حَتَّى يَنْطِقَ اللَّهُ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ فَيَقُولَانِ: صَدَقَ عَلَيَّ قَدْ افْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ فِيْنَا وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ «١».

و روى الصدوق في أماليه ما يقرب منه و فيه سلونى فَإِنَّ عِنْدِي عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ.

و قال ابن ابى الحديد في شرح التهج أجمع الناس كلهم على أنه لم يقل أحد من الصَّحابة و لا أحد من العلماء: سلونى غير على بن أبى طالب عليه السَّلام «٢».

ثمَّ أنه عليه السَّلام قد ادعى على ما تواتر عنه من طرق الفريقين أنه أعلم الأمة و أنه عالم بجميع ما كان و ما يكون إلى يوم القيمة و انَّ في صدره لعلما جمًا لا يصيب حمله و هو عليه السَّلام صادق في دعواه.

بل قد تواترت الاخبار رجوع ابى بكر و عمر و عثمان فضلا عن غيرهم إليه عليه السَّلام في العلوم و القضايا و الاحكام بعد ظهور عجزهم و انقطاعهم حتَّى قال عمر أزيد من سبعين مرَّة لو لا علىَّ لهلك عمر «٣».

و عن مسند أحمد بن حنبل بالإسناد عن يحيى بن سعيد بن المسيب كان عمر يتعوذ بالله عن معضلة ليس لها أبو الحسن «٤».

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٥٥ ط تبريز و الحموينى فى فرائد السمطين.

(٢) شرح النهج: ج ٢ ص ١٧٥ ط مصر.

(٣) ملحقات الاحقاق: ج ٨ ص ١٨٢-١٩٢.

(٤) ملحقات الاحقاق: ج ٨ ص ١٩٣-٢٠٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٧

و روى موفق بن أحمد انَّ عمر أمر برجم حامل فرجه علىَّ عليه السَّلام فقال عمر:

عجزت النساء أن يلدن مثل علىَّ بن أبى طالب لو لا علىَّ لهلك عمر «١».

و روى عنه أنه قال: اللهم لا تبغنى لمعضلة ليس لها أبو الحسن «٢».

و فى خبر آخر علىَّ بن ابى طالب عليه السَّلام و أنه قال: أعوذ بالله من معضلة لا علىَّ لها «٣».

روى الحكم بن مروان: انَّ عمر نزلت به نازلة فقام لها و قعد ارتج و تفطر فقال لمن عنده معاشر الحاضرين: ما تقولون فى هذا الأمر؟ فقالوا يا أمير المؤمنين أنت المفزع و الأمر بيدك، فغضب و قال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا «٤» ثمَّ قال: اما و الله إننى و إياكم لنعلم أين نجدها و الخير بها قالوا: كأنك أردت ابن أبى طالب عليه السَّلام؟ قال: و أنى يعدل به عنه، و هل طفحت حرَّة بمثله؟ قالوا:

فلو دعوت به يا أمير المؤمنين قال: هيهات إنَّ هناك شمخا من هاشم و اثره عن علم، و لحمه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يُؤْتَى و لا- يأتى فامضوا بنا إليه فاقصدوا نحوه و افضوا إليه، فألفوه فى حائط له، عليه تَبَان «٥» و هو يترك على مسحاة و يقرأ: أَيْحَسِبُ

الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى «٦» إلى آخر السورة، و دموعه تهيم على خديه، فادهش

(١) المناقب للخوارزمي: ص ٤٨ ط تبريز.

(٢) المناقب للخوارزمي: ص ٥٨ ط تبريز.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ١٧.

(٤) الأحزاب: ٧٠.

(٥) التبان: سروال قصير الى ما فوق الركبة.

(٦) القيامة: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٨

التاس لبكائه فبكوا ثم سكت، فسكتوا فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها فقال عمر: أما والله لقد أراذك الحق ولكن أبى قومك، فقال: يا أبا حفص اخفض عليك من هنا ومن هنا إن يوم الفصل كان ميقاتاً «١» فوضع عمر إحدى يديه على الأخرى وطرق إلى الأرض كأنما ينظر في رمال «٢».

وقال ابن أبي الحديد: وأما عمر فقد عرف كل أحد رجوعه إليه يعنى علياً عليه السلام في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة، وقوله غير مرة لو لا علي لهلك عمر، وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو حسن، وقوله: لا يفتين أحد في المسجد وعلى حاضر.

إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة المتواترة من طرق الفريقين التي قد أفردوها بالتصنيف، بل حكاية أفضليته عليه السلام مسلماً عند كثير من العامة أيضاً وحكاها الرازي في «أربعينه» عن أكثر متأخري المعتزلة وحكى عن الشيعة الاستدلال لها بوجوه أنهاها إلى عشرين قال في جملة ما ذكره:

الحجة الثالثة أن علياً أعلم الصحابة، والأعلم أفضل، إنما قلنا: إن علياً أعلم للإجمال والتفصيل، أما الإجمال فهو أنه لا نزاع أن علياً كان في أصل الخلقة في غاية الذكاء والفطنة والاستعداد للعلم، وكان محمد صلى الله عليه وآله أفضل الفضلاء وأعلم العلماء، وكان علياً عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم، وكان محمد صلى الله عليه وآله في غاية الحرص في تربية علياً عليه السلام، وإرشاده إلى اكتساب الفضائل، ثم إن علياً عليه السلام كان من

(١) النبأ: ١٧.

(٢) في البحار: ج ٤٠ ص ١٢٢-١٤٣ مع تفاوت يسير في العبارات، وفي آخرها: فوضع عمر إحدى يديه على الآخر وخرج مرید اللون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٠٩

أول صغره في حجر محمد صلى الله عليه وآله وفي كبره صار ختنا له، ويدخل عليه في كل الأوقات، ومن المعلوم أن التلميذ إذا كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم، وكان الأستاذ في غاية الفضل والحرص على التعليم ثم اتفق لمثل هذا التلميذ أن اتصل بخدمة هذا الأستاذ في زمان الصغر كان ذلك الاتصال بخدمته حاصلًا في كل الأوقات، فإنه يبلغ ذلك التلميذ في العلم مبلغًا عظيمًا، وهذا بيان إجمالي في أن علياً كان أعلم الصحابة، أما أبو بكر فإنه وإن اتصل بخدمته صلى الله عليه وآله في زمان الكبر ولكن ما كان يصل إلى خدمته في اليوم والليل إلا زمانًا يسيرًا، أما علياً عليه السلام فإنه اتصل بخدمته عليه السلام في زمان صغره، وقد قيل: العلم في الصغر كالنقش في الحجر، والعلم في الكبر كالنقش في المدر، فثبت بما ذكرناه أن علياً كان أعلم من أبي بكر، ويكفي في ذلك قوله: «أنا مدينة العلم وعلياً بابها» «١» وقال علياً عليه السلام: علمني ألف باب يفتح من كل باب ألف باب «٢».

و أما التفصيل فیدلّ علیه وجوه:

الأول: أكثر المفسرين سلّموا أنّ قوله تعالى: «وَعَلَيْهَا أُذُنٌ وَعَيْنٌ» (٣) نزل في حقّ عليّ عليه السّلام و تخصيصه بزيادة الفهم يدلّ على اختصاصه بمزيد العلم «٤».

الثاني: قوله صلّى الله عليه و آله: أقضاكم عليّ عليه السّلام «٥» و القضاء يحتاج إلى جميع أنواع

(١) شرح النهج: ج ٢ ص ٢٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤٠ ص ١٢٨.

(٣) الحاقفة: ١٢.

(٤) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٣٢٦.

(٥) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٨ هامش الإصابة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٠

العلوم، فلما رجّحه على الكلّ في القضاء لزم أرجحيته عليهم في كلّ العلوم، و أما سائر الصّحابة فقد رجّح كلّ واحد منهم على غيره في علم واحد كقوله صلّى الله عليه و آله:

أفرضكم زيد و أقرأكم أبي «١».

الثالث: دعوى أنّ عمر أمر برجم امرأة و ولدت لسنته أشهر فتبّهه عليّ عليه السّلام بقوله تعالى: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» (٢) مع قوله: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ» (٣)، على أنّ أقلّ مدّة الحمل سنته أشهر فقال عمر: لو لا عليّ لهلك عمر «٤».

و روى أنّ امرأة أقرت بالزنا و كانت حاملا فأمر عمر برجمها فقال عليّ عليه السّلام إن كان لك سلطان عليها فما سلطانك على ما في بطنها فترك عمر رجمها فقال: لو لا عليّ لهلك عمر «٥».

فان قيل: لعلّ عمر أمر برجمها من غير تفحص عن حالها فظنّت أنّها ليست بحامل فلما تبّهه عليّ عليه السّلام ترك رجمها.

قلت: هذا يقتضي أنّ عمر ما كان يحتاط في سفك الدماء و هذا أشدّ من الأول.

و روى أيضا أنّ عمر قال يوما على المنبر ألا تغالوا في مهور نساتكم فمن

(١) غاية النهاية: ج ١ ص ٣١.

(٢) الأحقاف: ١٥.

(٣) البقرة: ٢٣٣.

(٤) الاستيعاب المطبوع بذيل الإصابة: ج ٣ ص ٣٩ ط مصر.

(٥) مطالب السؤل: ص ١٣ ط طهران.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١١

غالى في مهر امرأته جعلته في بيت المال فقامت عجوز فقالت يا عمر ا تمنع منّا ما جعل الله لنا قال الله تعالى: «وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا» (١)، فقال عمر كلّمكم افقه من عمر حتّى المخدّرات في البيوت «٢».

فهذه الوقائع وقعت لغير عليّ عليه السّلام و لم يتفق مثلها لعلّي عليه السّلام.

الزّابع: نقل عن عليّ عليه السّلام أنّه قال: و الله لو كسرت لى الوسادة ثمّ جلست عليها لقضيت بين أهل التوراه بتوراتهم و بين أهل

الإنجيل بإنجيلهم و بين أهل الزبور بزبورهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم و الله ما من آية نزلت في بحر و لا في برّ و لا في سهل و لا

في جبل ولا في سماء ولا في أرض ولا في ليل ولا في نهار إلّا وانا اعلم فيمن نزلت و اى شىء نزلت «٣». طعن أبو هاشم «٤» في هذا فقال: التوراة منسوخة فكيف يجوز الحكم بها؟ والجواب عن وجوه:

الأول: لعل المراد شرح كمال علمه بتلك الأحكام المنسوخة على التفصيل بالأحكام النسخة لها الواردة في القرآن. الثاني: لعل المراد لو أنّ قضاء اليهود والنصارى تمكّنوا من الحكم والقضاء على وفق أديانهم بعد بذل الجهد أو كان المراد أنّه لو جاز للمسلم ذلك لكان هو

(١) النساء: ٢٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ج ١ ص ٤٧٨.

(٣) احقاق الحق: ج ٧ ص ٥٨٩-٥٩١، و ج ١٤ ص ٣١٢-٣١٤.

(٤) هو ابو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي المعتزلى المتوفى ببغداد سنة (٣٢١) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٢

قادرا عليه.

الثالث: لعل المراد أن يستخرج من التوراة والإنجيل نصوصا دالة على نبوة محمد صلى الله عليه وآله و كان ذلك قويا في التمسك بها.

الرابع: من تفحص عن أحوال العلوم علم أنّ أعظمها علم الأصول وقد جاء في خطب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام من أسرار التوحيد والعدل والنبوة والقضاء والقدر وأحوال المعاد ما لم يأت في كلام سائر الصحابة. وأيضا فجميع فرق المتكلمين ينتهى آخر نسبتهم في هذا العلم إليه عليه السلام، أما المعتزلة فإنهم ينسبون أنفسهم إليه، و أما الأشعرية فكلهم ينسبون إلى الأشعري «١»، و هو كان تلميذا لأبى على الجبائي «٢» المعتزلى، و هو منتسب إلى عليّ عليه السلام، و أما الشيعة فانتسابهم إليه ظاهر.

و أما الخوارج فهم مع غاية بعدهم عنه كلهم ينتسبون إلى أكابرهم، و أولئك الأكابر كانوا كلهم تلامذة عليّ عليه السلام. فثبت أنّ جمهور المتكلمين من فرق الإسلام كلهم تلامذة عليّ عليه السلام، و أفضل فرق الأمة الأصوليون، و كان هذا منصبا عظيما في الفضل.

و منها علم التفسير و ابن عباس رئيس المفسرين و هو كان تلميذ عليّ عليه السلام.

و منها علم الفقه و كان فيه في الدرجة العالية، و لهذا قال صلى الله عليه وآله: أقضاكم عليّ «٣».

(١) هو ابو الحسن على بن إسماعيل الأشعري المتوفى «٣٢٤» هـ.

(٢) هو ابو على محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المتوفى «٣٠٣» هـ.

(٣) الاستيعاب هامش الإصابة ج ٣ ص ٣٨ و شرح النهج ج ٢ ص ٢٣٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٣

و قال عليه السلام: لو كسرت لى الوسادة و جلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم «١»، الخبر. و منها علم الفصاحة و معلوم أن أحدا من الفصحاء الذين بعده لم يدركوا درجته و لا القليل من درجته. و منها علم النحو و معلوم أنّه أتما ظهر منه و هو الذى ارشد أبا الأسود «٢» الدؤلى إليه.

و منها علم تصفية الباطن و معلوم ان نسب جميع الصوفية ينتهي إليه كما ذكر أن رئيسهم أبا يزيد «٣» البسطامي كان سقاء بباب جعفر الصادق عليه السلام، و ان معروف «٤» الكرخي الذي هو أحد رؤسائهم كان بواب علي بن موسى عليها السلام.

و منها علم الشجاعة و ممارسة المصلحة و معلوم ان نسبة هذا العلم ينتهي إليه، فثبت بما ذكرناه أنه عليه السلام كان أستاذ العالمين بعد محمد صلى الله عليه و آله في جميع الخصال المرضية و المقامات الشريفة، و إذا ثبت أنه كان أعلم الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و جب أن يكون أفضل لقوله تعالى: هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ «٥»، و قوله تعالى: يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ «٦».

(١) ينابيع المودة: ص ٧٠ و ص ٢٢٠ ط اسلامبول.

(٢) جواهر الفقه للقاضي ابن البراج ص ١١، شرح أصول الكافي للمازندراني ج ٢ ص ٢٩٨.

(٣) هو ابو يزيد طيفور بن عيسى الصوفي البسطامي المتوفى سنة «٢٦١» هـ.

(٤) هو ابو محفوظ المعروف بمعروف الكرخي توفي ببغداد سنة «٢٠٠» هـ.

(٥) الزمر: ٩.

(٦) المجادلة: ١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٤

و بالجملة معلوم بالعقل و النقل كتابا و سنة و اجماعا عدم مساواة العالم و غيره، و ان العالم يقدم في كل شيء، و يدل عليه تفضيل آدم على الملائكة بعلم أسماء الأشياء، و ترجيح ملكية طالوت على غيره ممن له شرف و فخر بأنه من أولاد النبي و أولاد الملوك، مع أنه كان دباغا فان الله تعالى اخبر بأنه الأحق لأنه زاده بسطة في العلم و الجسم «١» اي القوة و الشجاعة ثم ساق الكلام في الوجوه الدالة على أفضلية مولانا أمير المؤمنين و أنهاها إلى عشرين ثم ساق الكلام في الجواب عنها بزعمه و زعم أصحابه إلى أن قال:

و أما الحجة الثالثة و هي أن علينا عليه السلام كان أعلم، قلنا لم لا يجوز أن حصلت هذه الكثرة بعد ابي بكر و ذلك لأنه عاش بعده زمانا طويلا فلعله حصلها في هذه المدة فلم قلتم أنه في زمان حياة ابي بكر كان أعلم منه هذا كلامه.

و هذا الجواب كما ترى بمكان من الضعف و القصور، و ذلك لأنه مقتضى ما ذكره من الأدلة فضلا عما لم يذكره أنه عليه السلام كان أعلم الصحابة بعد النبي صلى الله عليه و آله، بل و في زمان حياته ايضا، كما يدل عليه ما ذكره من الدليل الاجمالي بل و كثير من ادلته التفصيلية كتزول قوله: وَ تَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ «٢» في حقه، و النبوي: أفضاكم علي «٣»، و الآخر: انا مدينة العلم و علي بابها «٤»، و ما رواه عنه عليه السلام من قوله: علمني رسول الله ألف باب «٥»، آه و غير ذلك مما ينادى بأفضليته على كل الأمة و لو في

(١) البقرة: ٢٤٧.

(٢) الحاقة: ١٢.

(٣) الاستيعاب: ج ٣ ص ٣٨.

(٤) الجامع الصغير للسيوطي: ج ١ ص ٣٧٤.

(٥) البحار: ج ٤٠ باب ٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٥

زمان النبي.

ثم على فرض تسليم تحصيل تلك العلوم بعد ابي بكر فلا شك أنه عليه السلام كان في زمن عمر و عثمان أفضل منهما كما يومئ

إليه ما حكاه من وقائع عمر و خطائه و إقراره على نفسه بالجهل و قوله: لو لا على لهلك عمر «١» في مواقع كثيرة فكيف يقدمان عليه باعتقاده، و لعمرى إن صدور مثل هذا الجواب بعد ما مرّ عنه من بيان الأعلمية من أطرف الغرائب، و لو لا أنه كان معلوما منه بقاؤه على عماه و انحرافه عن الحقّ و إيمانه بالجبّ و الطاغوت لكان يقوى الظنّ بأنّ مثل هذا الكلام لا يصدر إلّا عن محقّ تلبس بلباس أهل الباطل خوفا و تقيّة، ثمّ قرّر الحقّ على وجهه من غير أن يأتي عنه بجواب مشبع تشبيدا للحن و اهله و تزييفا للباطل و حزبه، و لكنهم جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا «٢» و هو أنه سبحانه قد أجرى الحقّ على ألسنتهم و أقلامهم حجّة عليهم و ردعا لغيرهم من متابعتهم بعد أن هداهم الله سبحانه فاستحبوا العمى على الهدى، فجرت على منهاجهم اتباعهم أولئك الذين لعنهم الله فأضلّهم و أعمى أبصارهم.

رابعها: أنه لا بدّ من عصمة الخليفة و طهارته عن لوث المعاصى و براءته عن اقرار الذنوب لما قيل: من أنه يستدلّ بالخليفة على المستخلف كما جرت به العادة فى العامة و الخاصة لقضاء العرف بأنّه متى استخلف ملك خليفة فان كان

(١) مطالب السؤل: ص ١٣ ط طهران.

(٢) النمل: ١٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٦

الخليفة طالما استدلّ بظلمه على ظلم مستخلفه، و إذا كان عادلا استدلّ بعدله على عدل مستخلفه، سيّما مع علم المستخلف و اطلاعه بما يصدر عن خليفته من الأفعال و الآثار و علمه بعواقب أموره و قدرته عليه فى جميع الأحوال.

و من هنا يظهر أنّ خلافة الله سبحانه توجب العصمة فلا يكون الخليفة إلّا معصوما سيّما مع جعله علما بين الناس و أمرهم بالافتداء و التأسي به فى جميع الأفعال و الأقوال، فإذا صدر عنه بعض المعاصى و لو خطأ فإما أن تكون الخلافة الكليّة التي جعلها الله له باقية بالنسبة إلى تلك المعصية أيضا أو لا، فعلى الأوّل يلزم الأمر بالمنكر و نقض الغرض و الإغراء على المعاصى، و غير ذلك من المفاسد المخالفة لطفه سبحانه، و على الثّانى يلزم انتفاء الخلافة له بالنسبة إلى ذلك من دون إعلام و بيان من الأمر الحكيم و فيه مع مخالفته للطف أنّه إغراء بالجهل و تأخير للبيان عن وقت الحاجة مع طريان الاحتمال فى كلّ واحد من الأقوال و الأفعال الموجب للقدح فى اطلاق و جوب الطاعة فيكون اطلاق الأمر بطاعته جاريا مجرى العمومات المخصّصة بالمجملات فى عدم الحجية رأسا.

ثمّ إنّ هذا الوجه و ان لم يستفد من الآية على وجه الإلزام و الحجية إلّا أنّه يستفاد منها على وجه الإشارة على بعض الوجوه المقرّرة فى الآية باعتبار معنى الخلافة و غيرها لكنّه لا بأس به بعد استفادته من تسميته هدى فى قوله: فإمّا يأتينكم منى هدى «١» على أحد الوجوه، و من قوله: لا ينال عهدى

(١) البقرة: ٣٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٧

الظالمين «١» على ما أتى، و من القواطع العقلية التي ستسمع الكلام فى بعضها إنشاء الله.

خامسها: ما ذكره الصّيدوق بعد الإشارة إلى بعض ما مرّ من أنّ فى قوله عزّ و جلّ: و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة «٢» حجّة قوية على غيبه الامام عليه السلام، و ذلك أنّه عزّ و جلّ لما قال: إني جاعل فى الأرض خليفة أوجب بهذا اللفظ معنى، و هو أن يعتقدوا طاعته، فاعتقد عدو الله إبليس بهذه الكلمة نفاقا و أضمره حتى صار به منافقا، و ذلك أنّه أضمر أن يخالفه متى أستبعد بالطاعة له، فكان نفاقه أنكر النفاق، لأنّه نفاق بظهر الغيب، و لهذا صار أخزى المنافقين كلّهم، و لما عزّف الله عزّ و جلّ لملائكته ذلك أضمروا الطاعة له، و اشتاقوا إليه، و أضمروا نقيض ما أضمره الشيطان، فصار لهم من الرتبة عشرة أضعاف ما استحقّ

عدوّ الله من الخزي و الخسارة، و الطاعة و الموالاة يظهر الغيب ابلغ في الثواب و المدح لأنه أبعد من الشبهة و المغالطة.
و لذا روى عن الصادق عليه السلام: من دعا لأخيه يظهر الغيب و كلّ الله به ملكا يقول:
و لك مثلاه «٣».

و انّ الله تبارك و تعالى أكد دينه بالإيمان بالغيب، فقال: هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ «٤» الآية، فالإيمان بالغيب أعظم مثوبة لصاحبه، لأنه خلو من كلّ

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) الاختصاص: ص ٨٤.

(٤) البقرة: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٨

عيب و ريب، لأنّ بيعه الخليفة وقت المشاهدة قد يتوهم على المبايع أنّه انما يطيع رغبة في خير أو مال أو رهبة من قتل او غير ذلك، ممّا هو عادات أبناء الدنيا في طاعة ملوكهم، و ايمان الغيب مأمون من ذلك كلّ، و محروس من معايبه بأصله.
و يدلّ على ذلك قول الله عزّ و جلّ: فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَّهٖ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا «١»، فلما حصل للتعبّد ما حصل من الايمان لم يحرم الله عزّ و جلّ ذلك لملائكته، فقد جاء في الخبر انّ الله سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعمائه عام، و كان يحصل في هذه المدّة الطاعة لملائكة الله على قدرها.
و لو أنكر منكر هذا الخبر و الوقت و الأعوام لم يجد بدا من القول بالغيبة و لو ساعة واحدة، و الساعة الواحدة لا تتعرّى من حكمه ما، و ما حصل من الحكمة في الساعة حصل في الساعتين حكمتان، و في الساعات حكم و ما زاد في الوقت إلّا زاد في المثوبة، و ما زاد في المثوبة إلّا كشف الله عن الرحمة، و دل على الجلالة فصح الخبر ان فيه تأييد الحكمة و تبليغ الحجّة.
ثمّ انّ الغيبة قبل الوجود أبلغ الغيبات كلّها، و ذلك انّ الملائكة ما شهدوا قبل ذلك خليفة قطّ، و امّا نحن فقد شاهدنا خلفاء كثيرين غير واحد، و قد نطق به القرآن، و تواترت به الأخبار حتّى صارت كالمشاهدة، و الملائكة لم يعهدوا واحدا منهم فكانت تلك الغيبة ابلغ، و ايضا أنّها كانت غيبة من الله عزّ و جلّ لملائكته، و هذه الغيبة التي للإمام عليه السلام هي من اعداء الله، فإذا كان في الغيبة التي هي من الله عزّ و جلّ عبادة

(١) المؤمن: ٨٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢١٩

لملائكته، فما الظنّ بالغيبة التي هي من اعداء الله، و في غيبة الامام صلوات الله عليه عبادة ملخصة لم تكن في تلك الغيبة، و ذلك أنّ الامام الغائب صلوات الله عليه مغموم مقهور مزاحم في حقّه قد غلب قهرا و جرى على شيعته قسرا من اعداء الله ما جرى من سفك الدماء و نهب الأموال، و إبطال الاحكام، و الجور على الأيتام، و تبديل الصّيدقات، و غير ذلك ممّا لا خفاء به، و من اعتقد موالاته شاركه في اجره و جهاده، و تبرّأ من اعدائه و كان له في براءة مواليه من اعدائه اجر، و في ولاية أوليائه اجر يربو على أجر ملائكة الله عزّ و جلّ على الايمان بالامام المغيّب في العدم، و إنّما قصّ الله نبأه قبل وجوده (توقيرا) و تعظيما ليستعدّ له الملائكة و يتشمروا لطاعته.

و إنّما مثال ذلك تقديم الملك فيما بيننا بكتاب أو رسول إلى أوليائه أنّه قادم عليهم حتّى يتهيئوا لاستقباله و ارتياد الهدايا له ما يقطع

به، و معه عذرهم في تقصير إن قصيروا في خدمته، كذلك بدأ الله عزّ و جلّ بذكر نبأه إبانته عن جلالته و رتبته، و كذلك قضيته في السلف و الخلف ما قبض الله خليفه إلاً عزّف خلقه الخليفه الذي يتلوه، و تصديق ذلك قوله عزّ و جلّ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴿١﴾ الآية، فالمدى على بينه من ربه محمد صلى الله عليه و آله، و الشاهد الذي يتلوه علي بن ابي طالب أمير المؤمنين صلوات الله عليه، و يدلّ عليه قوله عزّ و جلّ: وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَ رَحْمَةً * ﴿٢﴾، و الكلمة من كتاب موسى المحاذية لهذا المعنى حدو النعل بالنعل

(١) هود: ١٧.

(٢) هود: ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٠

و القذّة بالقذّة قوله: وَ وَاَعْدَانَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَ اَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ اَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَ قَالَ مُوسَىٰ لِاَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَ اصْلِحْ وَ لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١﴾، و استعبد الله عزّ و جلّ الملائكة بالسجود لآدم تعظيما له لما غيبه عن ابصارهم، و ذلك انه عزّ و جلّ إنّما أمرهم بالسجود لآدم لما أودع صلبه من أرواح حجج الله تعالى ذكره، فكان ذلك السجود لله عزّ و جلّ عبوديّه و لآدم طاعه، و لما في صلبه تعظيما، فأبى إبليس أن يسجد لآدم حسدا له، إذ جعل صلبه مستودع أرواح حجج الله دون صلبه، فكفر بحسده و تأييه، و فسق عن امر ربه، و طرد عن جواره، و لعن و سمى رجيماً لأجل إنكاره للغيبه لأنه احتجّ في امتناعه من السجود لآدم بان قال: اَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * ﴿٢﴾ فجحد ما غيب عن بصره، و لم يوقع التصديق به، و احتجّ بالظاهر الذي شاهده و هو جسد آدم عليه السلام، و أنكر أن يكون يعلم لما في صلبه وجودا، و لم يؤمن بان آدم عليه السلام إنّما جعل قبله للملائكة و أمر بالسجود له لتعظيم ما في صلبه.

فمثل من آمن بالقائم صلوات الله عليه في غيبته مثل الملائكة الذين اطاعوا الله عزّ و جلّ في السجود لآدم و مثل من أنكر القائم صلوات الله عليه في غيبته مثل إبليس في امتناعه عن السجود لآدم كذلك.

روى عن الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليهما.

و عنه عليه السلام قال: انّ الله تبارك و تعالى علّم آدم عليه السلام، اسماء حجج الله كلّها ثمّ

(١) الأعراف: ١٤٢.

(٢) الأعراف: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢١

عرضهم- و هم أرواح- على الملائكة فقال: اُنْبِئُونِي بِاَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ اَبَانِكُمْ اَحَقُّ بِالْخِلاَفَةِ فِي الْاَرْضِ لِتَسْبِيحِكُمْ وَ تَقْدِيْسِكُمْ مِنْ اَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا اِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا اِنَّكَ اَنْتَ الْعَلِيْمُ الْحَكِيْمُ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَىٰ يَا اَدَمُ اُنْبِئْهُمْ بِاَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا اُنْبِئَهُمْ بِاَسْمَائِهِمْ وَقَفُوا عَلَىٰ عَظِيْمٍ مِنْزَلَتِهِمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ فَعَلِمُوا اَنَّهُمْ اَحَقُّ بِاَنْ يَكُوْنُوْا خِلاَفَةَ اللهِ فِي اَرْضِهِ وَ حَجَّجَهُ عَلَىٰ بَرِيَّتِهِ، ثُمَّ غَيَّبَهُمْ عَنْ اَبْصَارِهِمْ وَ اسْتَعْبَدَهُمْ بِوَلَايَتِهِمْ وَ مَحَبَّتِهِمْ وَ قَالَ لَهُمْ: اَلَمْ اَقُلْ لَكُمْ اِنِّي اَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْاَرْضِ وَ اَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ ﴿١﴾.

و هذا استعباد الله عزّ و جلّ للملائكة بالغيبه، و الآية أولها في قصه الخليفه، و إذا كان اخرها مثلها كان للكلام و في النظم حجه، و منه يوجد وجه الإجماع لأمية محمد صلى الله عليه و آله أولهم و آخرهم، و ذلك انه سبحانه إذا علّم آدم الأسماء كلّها على ما قاله المخالفون، فلا محاله انّ اسماء الأئمة صلوات الله عليهم داخله في تلك الجملة، فصار ما قلناه في ذلك بإجماع الأمة، و من أصحّ

الدليل عليه أنه لا- محالة لَمَّا دَلَّ الملائكةُ على السجود لآدمَ فأنه حصل لهم عبادة، و لَمَّا حصل لهم عبادةٌ أوجب باب الحكمة ان يحصل لهم ما هو في حيزه، سواء كان في وقت او في غير وقت، فإنَّ الأوقات ما تغيّر الحكمة و لا تبدل الحجة، أولها كآخرها و آخرها كأولها، لا يجوز في حكمه الله ان يحرمهم معنى من معاني المثوبة، و لا أن يبخل بفضل من فضائل الأئمة لأنهم كلهم شرع واحد، دليل ذلك أن الرسل متى آمن مؤمن بواحد منهم او بجماعة و أنكر واحدا منهم لم يقبل منه إيمانه، كذلك القضية في الأئمة صلوات الله عليهم أولهم

(١) كمال الدين: ص ٩- ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٢

و آخرهم واحد.

قال الصادق عليه السلام: المنكر لآخرنا كالمنكر لأولنا، و قد قال صلوات الله عليه:

من أنكر واحدا من الأحياء فقد أنكر الأموات «١».

فصح أن قوله عزّ و جلّ: عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا أراد به اسماء الأئمة صلوات الله عليهم و للأسماء معان كثيرة ليس أحد معانيها بأولى من الآخر، و الأسماء أوصاف، و ليس أحد الأوصاف بأولى من الآخر، فمعنى الأسماء أنه سبحانه علّم آدم عليه السلام أوصاف الأئمة كلها أولها و آخرها، و من اوصافهم العلم و الحلم و التقوى و الفتوة و الشجاعة و العصمة و السخاء و الوفاء، و قد نطق بمثله كتاب الله عزّ و جلّ في أسماء الأنبياء عليهم السلام كقوله عزّ و جلّ: وَ أَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا «٢»، و أَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا «٣»، و أَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَ رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا «٤»، و أَذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا «٥»، الآيات فوصف الرسل عليهم السلام، و حمدهم بما كان فيهم من الشيم المرضية و الأخلاق الزكية، و كان ذلك اوصافهم و أسماءهم كذلك علّم الله عزّ و جلّ آدم الأسماء كلها.

(١) كمال الدين: ج ٢ ص ٢٢٨.

(٢) مريم: ٤١.

(٣) مريم: ٥٤- ٥٥.

(٤) مريم: ٥٦- ٥٧.

(٥) مريم: ٥١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٣

و الحكمة في ذلك أنه لا وصول إلى الأسماء و وجوه الاستعدادات إلا من طريق السماع، و العقل غير متوجه إلى ذلك، لأنه لو أبصر عاقل شخصا من بعيد او قريب لما توصل إلى استخراج اسمه، و لا سبيل إليه إلا من طريق السماع، فجعل الله عزّ و جلّ العمدة في باب الخليفة السماع، و لَمَّا كان كذلك أبطل به باب الاختيار، إذ الاختيار من طريق الآراء، و قضية الخليفة موضوعة على الأسماء و الأسماء موضوعة على السماع، فصح به، و معه مذهبنا من أن الامامة لا تكون إلا بالنص و الإشارة، فأما باب الإشارة فمضمرة في قوله عزّ و جلّ: ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، فباب العرض مبنى على الشخص و الإشارة، و باب الاسم مبنى على السمع، فصح معنى الإشارة و النصّ جميعا، و للعرض الذي قال الله تعالى ثم عرضهم على الملائكة معنيين: أحدهما عرض اشخاصهم و هياتهم كما روينا في أخبار أخذ الميثاق و الدر، و الوجه الآخر أن يكون عزّ و جلّ عرضهم على الملائكة من طريق الصفة و النسبة، كما يقوله قوم من مخالفينا فمن

كلا المعنيين يحصل استبعاد الله عزّ وجلّ الملائكة بالإيمان بالغيبه «١» انتهى كلامه زيد مقامه.
الثالث: أنه يستفاد من قوله سبحانه: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا أَنْ وَاضِعَ اللُّغَاتِ هُوَ اللَّهُ سبحانه كما استدلّ به عليه وذلك لأنّ المراد بالأسماء أمراً بالألفاظ الدالة على المسميات، أو الأشياء الدالة مطلقاً أو البعض من أحدهما أو كليهما، والأخيران مدفوعان بظهور الجمع المحلّي في العموم، سيّما مع تأكيده بلفظ الكلّ الصّريح في افادة العموم، مضافاً إلى عدم القول بالفصل بين البعض والكلّ، و على

(١) كمال الدين: ج ١ ص ١١-١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٤

الأولين يثبت المطلوب، والمراد بتعليمها على ما هو ظاهر اللفظ إلّا أنّها على المتعلّم مبيّنة له معانيها، كما هو ظاهر تعليم الاسم على صفة الاسميّة، ولا يصدق ذلك إلّا مع سبق وضعها لمعانيها، فإنّما أن يكون صادراً منه سبحانه وهو المطلوب، أو من الخلق الذين كانوا قبل آدم، وهو منفي بالأصل.

وتوهم أنّ المراد بالأسماء ما يقابل الأفعال والحروف مدفوع، مع الغصّ عن عدم القول بالفصل كما صرّح به جماعة، وعن توقّف الإفادة والاستفادة منها على معرفة معانيها أيضاً على ما قيل: بأنّه اصطلاح خاصّ حادث لا يحمل عموم الخطابات الشرعيّة عليه، بل المراد به إمّا المعنى اللغوي، وهو مطلق العلامة الشامل للأفعال والحروف أيضاً لكونها علامات على معانيها، أو المعنى العرفي العام وهو مطلق اللفظ الموضوع على ما قيل.

فان قلت: إنّ المراد بالأسماء الصفات والعلامات، مثل كون الفرس صالحاً للركوب، والثور للحرث والجمل للحمل، إذ كلّ ما يميز الشيء فهو اسم، وحينئذ يمكن أن يكون تعريفها بخلق علم ضروري من غير توسّط الألفاظ، وأمّا تخصيص الاسم بخصوص الألفاظ فإنّما هو اصطلاح طار، سلّمنا لكنّ المراد بالتعليم الإلهام وبعث العزم والإقذار على الوضع بخلق الأدوات والمشاعر والإرادات والعلوم المحتاج إليها، وأمّا نسب التعليم إليه سبحانه لأنّه الهادي إليه، فهو تعليم تكويني الهامّي كما في قوله: وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَكُمْ «١» أي الهمناه.

قلت: تخصيصه بالصفات ممّا لا وجه له بعد دلالة اللفظ على العموم وقد

(١) الأنبياء: ٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٥

المخصّص، مع أنّ الصفات متشابهة، ولا يكاد يحصل التمييز التام بمجردّها، مع أنّ التعبير عنها أيضاً لا يكون إلّا بالأسماء اللفظيّة. واحتمال كون تعريفها بخلق علم ضروري مع مخالفته للظاهر مدفوع بأنّ المعلوم حينئذ إمّا الدّوات أو ما يدلّ عليها من صور الصفات أو الألفاظ أو كلّ منها والأوّل مدفوع بظاهر قوله: بأسماء هؤلاء وقوله: بأسمائهم والثاني تخصيص من غير مخصّص، والأخيران يثبت معهما المطلوب وارتسام صور الألفاظ عن الذّهن وان لم يتوقّف على الألفاظ الفعلية المسموعيّة لكنّه دليل على سبق الوضع. وأمّا حمل التعليم على بعث العزم والإقذار على التعليم فمخالف للظاهر الذي هو الحجّية، مضافاً إلى مخالفته للاخبار المفسّرة للآية على ما مرّ كما أنّ الظاهر أيضاً هو الدّافع لاحتمال ما يقال من أنّه كشف عليه ما يحدثه ذرّيته من اللّغات المختلفة والأوضاع الطارئة من دون أن يكون هناك لفظ أو صوت أو وضع سابق.

وأمّا ما يقال من أنّ الآية لا تشمل اللّغة العربيّة لما اشتهر من انتسابها إلى يعرب بن قحطان ولذا قيل: إنّّه أوّل من تكلم بالعربيّة «١» أو إلى إسماعيل الدّيبّح على نبيّنا وآله وعليه السّلام «٢» ولذا قيل: إنّ العرب من ولده.

ففيه أنه مع فرض تحقّق الشهرة على أحد الوجهين لا عبرة بها أصلاً، بل هو من المشهور الذي لا أصل له، ولذا قيل إنّ الحميريين و العمالقة و جرهم و قوم ثمود و عاد كلّهم كانوا من العرب، و قد كانوا قبل إسماعيل بمدة متطاولة.

(١) البحار: ج ٥١ ص ٢٩٠.

(٢) المزهر للسيوطي: ص ٢٨- و مجمع البيان ج ١ ص ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٦

و روى شيخنا الطبرسي في المجمع عن الصادق عليه السلام قال: كان هود و صالح و شعيب و إسماعيل و نبينا يتكلمون بالعربية «١».

بل قد ورد في الأخبار أيضاً أنّ أول من تكلم بالعربية آدم عليه السلام.

و في العلل عن الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: ما أنزل الله تبارك و تعالى كتاباً و لا وحياً إلّا بالعربية، فكان يقع في مسامع الأنبياء بألسنة قومهم، و كان يقع في مسامع نبينا صلّى الله عليه و آله بالعربية، فإذا كَلّم به قومه كلّهم بالعربية فيقع في مسامعهم بلسانهم، و كان أحد لا يخاطب رسول الله صلّى الله عليه و آله بآي لسان خاطبه إلّا وقع في مسامعه بالعربية، كلّ ذلك يترجم جبرئيل عنه صلّى الله عليه و آله «٢».

و فيه دلالة واضحة على سبق الوضع بل و كونه منه تعالى و في «العيون» و «الاحتجاج» عن الرضا عليه السلام في خبر عمران الصّابي أنّه قال: و اعلم أنّ الإبداع و المشيئة و الإرادة معناها واحد و اسمائها ثلاثة، و كان أول ابداعه و ارادته و مشيئته الحروف التي جعلها أصلاً لكلّ شيء، و دليلاً على كلّ مدرّك، و فاصلاً لكلّ مشكل، و بتلك الحروف تفريق كلّ شيء من اسم حق أو باطل، أو فعل أو مفعول، أو معنى أو غير معنى، و عليها اجتمعت الأمور كلّها، و لم يجعل للحروف في ابداعه لها معنى غير أنفسها يتناها، و الثور في هذا الموضوع أول فعل الله تعالى الذي هو نور السموات و الأرض، و الحروف هو المفعول بذلك الفعل، و هو الحروف التي عليها الكلام، و العبارات كلّها من الله عزّ و جلّ علّمها خلقه، و هي ثلاثة و ثلاثون حرفاً، فمنها ثمانية

(١) بحار الأنوار: ج ١٠ ص ٨٠ و ج ١١ ص ٣٦.

(٢) علل الشرائع: ص ٥٣ و عنه البحار ج ١٦ ص ١٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٧

و عشرون حرفاً تدلّ على لغات العربية، و من الثمانية و عشرين اثنان و عشرون تدلّ على لغات العبرانية و السريانية «١»، الخبر بطوله.

فصرّح أولاً بأنّ الحروف كلّها من ابداعه، بل ذكر أنّه أول ابداعه، ثمّ قال: إنّ العبارات كلّها من الله عزّ و جلّ علّمها خلقه، و هو ظاهر في المطلوب، بناء على أنّ المقصود منها هي الكلمات المؤلّفة من الحروف المعبّرة بها عن المقاصد، و لذا عبّر عنها بالعبارات، هذا مضافاً إلى الأخبار الكثيرة المتقدّمة في تفسير الآية الدالة على أنّ المراد بالأسماء أسماء الجبال و البحار و الأودية و النبات و الحيوان و البساط و غيرها بل في بعضها أنّه علّمه أسماء كلّ شيء.

و في حديث الشفاعة: فيأتون آدم عليه السلام فيقولون أنت أب الناس، خلقك الله بيده و أسجد لك ملائكته و علّمك أسماء كلّ شيء «٢».

و في القصص عن أبي جعفر عليه السلام: إنّ آدم لما هبط عليه ملك الموت قال: أشهد أنّ لا اله إلّا الله إلى قوله: و اسجد لي ملائكته، و علّمني الأسماء كلّها. «٣» الخبر قيل و يشهد له ما اشتهر من أنّ الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام حروف المعجم في احدى و عشرين صحيفةً و هو أول كتاب انزل إلى الدنيا و فيه ألف لغةً و أنّه تعالى علّمه جميع تلك اللغات «٤».

و ما ذكره المفسّرون من أنّه علّمه اسم كلّ شيء حتّى القصة و القصعة و القصيعه بجميع

(١) عيون الأخبار: ص ٨٧-١٠٠ و عنه البحار ج ١٠ ص ٣١٤.

(٢) بحار الأنوار: ج ٨ ص ٤٥.

(٣) البحار: ج ١١ ص ٢٦٥.

(٤) سيأتي عن سعد السعود ص ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٨

اللغات التي تكلم بها ولده.

و لعلّ السبب في اختلاف ذريته فيها بعد علمه عليه السّلام باللغات كلّها أنّه عليه السّلام علّم كلّ واحد من ولده لغة واحدة ثم بقيت تلك اللغة في أعقابه او أنّه علّم ولده باللغات فكانوا يتكلمون بها مدّة حياته حين كانوا مجتمعين فلما قبض تفرّقوا في نواحي الأرض و تكلم كلّ منهم بلغة اختارها من بين اللغات على حسب الطبع و الميل و الإقليم كما لا يخفى المناسبه بين اللغات و أهلها، على أنّ التكلم بلغة واحدة أسهل من التكلم بلغات مختلفه، فغلبت على أولاده تلك اللغة حتّى إذا انقضى القرن الأوّل منهم نسوا سائر اللغات، فصار كلّ فريق منهم يتكلم باللسان الغالب على أبيه.

و عن السيّد في سعد السعود قال: وجدت في صحف إدريس النّبي عليه السّلام عند ذكر احوال آدم ما هذا لفظه: حتّى إذا كان الثلث الأخير من الليل ليلة الجمعة لسبع و عشرين خلت من شهر رمضان أنزل الله عليه كتابا بالسّريانيّة و قطع الحروف في احدى و عشرين ورقه و هو أوّل كتاب أنزل الله في الدّنيا أنزل الله عليه الألسن كلّها فكان فيه ألف ألف لسان لا يفهم فيه أهل لسان عن أهل لسان حرفا واحدا بغير تعليم فيه دلائل الله و فروضه و أحكامه و شرايعه و سننه و حدوده «١».

و في محاضرة الأوائل عن مزهر اللغة للسيوطي: إنّ اللسان الأوّل الذي نزل به آدم من الجنّة عربي إلى أن بعد و طال العهد حرّف و صار سريانيّا، و هو منسوب إلى أرض سوري «٢» و هي أرض الجزيرة كان بها نوح عليه السّلام و قومه قبل الغرق، و كان

(١) سعد السعود للسيد ابن طاوس ص ٣٧.

(٢) سوري كطوبى: موضع بالعراق و هو من بلد السريانيين كما في القاموس.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٢٩

يشاكل اللسان العربي، إنّ أنّه محرّف، و كان لسان جميع من في سفينه نوح عليه السّلام، إنّ رجلا واحدا يقال له جرهم، فكان لسانه لسان العربي الأوّل، فلما خرجوا من السفينه تزوج إرم بن سام بعض بناته فمنهم انتشر اللسان العربي الاول في ولده: عوص أبي عاد، و عييل و جائر أبي ثمود و جديس و سميت عاد باسم جرهم لأنه كان جدهم من الأم، و بقي اللسان السرياني في ولد ارفخشذ بن سام، إلى أن وصل إلى يشجب بن قحطان من ذريته، و كان باليمن، فنزل هناك بنو إسماعيل فتعلّم منهم بنو قحطان اللسان العربي.

و قال ابن دحية: العرب اقسام الأول عاربة و عرباء، و هم الخلص من العرب و هم تسع قبائل، من ولد إرم بن سام بن نوح عليه السّلام، و هي عاد و ثمود و عميم و عييل، و طسيم، و جديس، و عمليق و وبار، و جرهم التي نشأ إسماعيل فيهم و تزوج منهم حين نزلوا عليه بمكّه شرفها الله تعالى طاعنين من اليمن إلى الشام.

و القسم الثاني من العرب المتعربة و هم الذين ليسوا بخلص و هم بنو قحطان.

و القسم الثالث المستعربة و هم الذين ليسوا بخلص أيضا، و هم بنو إسماعيل، و هم ولد معد بن عدنان بن أدد.

ثمّ حكى عن ابن دريد «١» في «الجمهرة»: إنّ العرب العاربة سبع قبائل: عاد، و ثمود، و عمليق، و طسيم، و جديس، و أميم و جاسم، و

قد انقرض أكثرهم إلّا بقايا متفرقين في القبائل «٢».

(١) ابن دريد: محمد بن الحسن البصرى الأديب اللغوى المتوفى (٣٢١) هـ.

(٢) المزهر: ج ١ ص ٣٠-٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٠

و عن السيوطي: أنه لا خلاف بين الأمة أن لسان عاد و ثمود و نوح و صالح و شعيب و مدين عربى.

ثم أنه قد يستدل على ذلك أيضا بقوله تعالى: وَ اٰخْتِلَافُ اَلْسِنَتِكُمْ وَ اَلْوَانِكُمْ «١»، عَلَّمَ الْاِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ «٢»، وَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ «٣»، وَ اِنْ هِيَ اِلَّا اَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا اَنْتُمْ وَ اَبَاؤُكُمْ «٤»، وَ مَا فَرَطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ «٥»، تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ «٦».

و بعدم إمكان ذلك للقوى البشرية فإن هذا الإبداع البديع الغير المسبوق إلى مثال مع غاية الإتقان و الإحكام، و عدم اشتماله على تناقض و نقصان، و احاطته على جميع المعانى و البيانات على أحسن وجه و ابلغ نظام و على فنون لا تحصى عجائبها و لا يحيطها علم أحد و لو بمرور الدهور و الأعوام، خارج عن طور أفعال البشر بحيث يقطع المتأمل فيها و فى وضعها بحيث تصلح لبيانات المقاصد الغير المتناهية و العلوم التى لم يحط الأفكار، و لم يصل إليها الأنظار، إن الله سبحانه هو الذى وضعها و رتبها و بينها، و علمها خلقه، و من بها عليهم كما يستفاد من الأخبار

(١) الروم: ٢٢.

(٢) العلق: ٥.

(٣) الرحمن: ٤.

(٤) النجم: ٢٣.

(٥) الانعام: ٣٨.

(٦) النحل: ٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣١

المفسرة للآيات المتقدمة بل و منها أيضا.

و بأنها لو لم تكن توقيفية لكانت اصطلاحيا و التالى باطل لافتقار تعريف الاصطلاح إلى مثله فاما أن يرجع فى تعريف كل منها إلى الاخر لزم الدور أولا فالتسلسل.

و بأنها لو كانت اصطلاحية لجاز تغيير ذلك الاصطلاح الأول و تبديله، فيجوز أن يراد بالصلاة و غيرها من الموضوعات المستنبطة فى هذا الزمان غير ما يراد منها فى الزمن الشارع فيرتفع الوثوق عن الاخبار الشرعية و يسقط الاستدلال بها رأسا.

و بقوله سبحانه: قُلِ اللّٰهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ «١»، و غيرها من الآيات المتناولة بعمومها ما نحن فيه، خرج منه ما علم بالدليل استناده إلى العباد من أفعالهم و صنائعهم و أعمالهم بحمل الخلق فيها على خلق الأسباب و الآلات الظاهرة و القوى الباطنة و الإلهامات و الارشادات و أمثال ذلك مما قام الدليل الشرعى و العقلى و الوجدانى على إخراجها من ظاهر ذلك العموم، و بقى الباقي مقهورا تحت سلطنة الواحد القهار.

و فى الكلّ نظر لضعف الاستدلال بالآيات بما ستسمعها عند التعرض لتفسيرها تقريبا و ردا، و ضعف الثانى بأنه يمكن أن يكون البشر قد وضعوها و عيّنوها بقوة إلهية و الهامات ربانية بعد تعليمه سبحانه أصول الكلمات، و هى الحروف التى عليها المدار فى جميع اللغات.

كما روى أبو ذر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ عَلَى آدَمَ هُوَ كِتَابُ

(١) الرعد: ١٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٢

المعجم و هو اب ث، الخبر على ما مرّ في تفسير ألم.

و ليس ذلك بيدع منهم بعد تلقين العلوم و إفاضة القوى كما أنّهم قد استنبطوا فنون العلوم و خواص الأجسام و الصنائع الغريبة و الآثار العجيبة بافكارهم و قواهم المفاضة لهم من الله سبحانه بعد إعطاء الأصول و افاضة القوى و التمكين من الأسباب. و الثالث: بجواز أن يكون الإفهام في بدو الاصطلاح بالإشارة و التردد بالقرائن و غيرهما كما يتعلّم الأطفال اللغات في مبادئ شعورهم و ادراكاتهم بالنظر إلى استعمال المستعملين.

و توهم الفرق بأنّ الأطفال إنّما يتعلّمون اللغات لكون التخاطب بلغه مستقرّة معروفة بينهم فيتجاوبون فيما بينهم بما يعرفون و الاستعمالات المتكررة موجبة لحصول العلم للأطفال، و أمّا صاحب الاصطلاح فلا يعرف غيره خطابه و لا جوابه و لا مراده و ليس معه إلّا الإشارة و هي لا- تنهض باسرار العبادة اللهم إلّا أن يكون ذلك من القادر على خلق علم ضروري فيمن يخاطبه بحيث يعرف به معنى خطابه من عبادته و هو المطلوب.

مدفوع بأن إمكان التفهيم و لو بالإشارة في المدد الطويلة حاصل بعد إعطاء الأصول و افاضة الفهم و الشعور فكيف يحصل القطع بالعدم و مجرد الاستبعاد غير مثبت للمراد.

و الرابع: بأنّ الجواز ليس دليلاً- على الوقوع و مع الشك يحكم باتّحاد العرف عرفاً و شرعاً و لو لاعتبار الأصول العلمية مضافاً إلى ميسس الحاجة و توفر

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٣

الدواعي إلى حفظ اللغات و المعاني العرفية سيّما ما له ارتباط باستنباط الاحكام الشرعية.

و أمّا ما يقال من أنّ المراد الجواز العقلي ثمّ بعد وقوع اصطلاح آخر إمّا ان يراعى الشرع الاول خاصّة و هو مع كونه ترجيح من غير مرجح تضييع للأخريين او الثاني فيلزم تضييع الأوّلين مع عدم كونه مرسلًا بلسان قومه او كليهما و يرتفع الامان و يختلّ الاحكام، فضعيف جدّاً.

و الخامس: بأنّ المراد بالخلق هو التقدير أو جعل الإمكان فالعموم بحاله و لو في افعال العباد لأنّها مخلوقة له خلق تقدير لا تكوين كما في الخبر، و كذا لو أريد به خلق الأسباب و الآلات و المقتضيات و لعلّ هو الأظهر من ملاحظة مساق الآية سيّما مع سلامتها عن التخصيص و أمّا ارادة الخلق التكويني الفعلي فبعيدة عن السياق و الأصل عدم التخصيص و دعوى كونه حقيقة في هذا خاصّة دون ما مرّ غير مسموعة و عموم الاشتراك اولى من المجاز سلمنا الحمل على الأخير لكن القطع حاصل بخروج افعال العباد التي يمكن كون الوضع منها فيكون كالمخصّص بالمجمل للشكّ في مصاديقها و التمسك بالأصل في مثله لا يخلو من تأمل فتأمل جيّداً. فانه يمكن دعوى صحّة الدلالة بظهور المعنى الأخير الموجب للحمل عليه و لو للانصراف او لكونه من جملة المدلول ثمّ البناء في تخصيص مثله بالحكم على خروج ما يقطع بخروجه، و أمّا المشكوك فالبناء على دخوله تحت حكم العام للقطع بالشمول و الشكّ في الإخراج و ليس هناك لفظ مجمل كي يلحق بالمخصّص بالمجمل و دعوى انصراف مثل هذا العموم الشمولي من الأوضاع الشخصيّة غير

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٤

مسموعة فيتمّ الاستدلال بها كآية المتقدّمة التي قد سمعت التقريب فيها و لو بمعونة الاخبار المتقدّمة الظاهرة في استناد الوضع إليه سبحانه فلا يرد ان غاية ما تدلّ عليه بعد تسليم دلالتها انّ الوضع غير ناش من ذرية آدَم.

و أما استناده إليه سبحانه او الى خلق آخر كبنى الجان و غيرهم فغير واضح سيما بعد ما ورد في الاخبار من أنه كان في الأرض خلق آخر قبل أينا آدم.

بل في الخبر: انّ الله تعالى خلق ألف ألف عالم و ألف ألف آدم و أنتم في آخر تلك العوالم و أولئك الأدميين «١». إذ فيه ان الظاهر منها و لو بمعونة الاخبار المتقدّمة و ملاحظة شرافة علم الأسماء حتّى فضل الله به آدم على غيره من الملائكة إنّما هو استناده إليه سبحانه مضافا إلى أنّه لو كان متداولاً بين خلق سابق على آدم في الأرض أو في السّماء لتسامع بها بعض الملائكة ان لم يعرفها كلّهم مع أنّ قضيه الأصل هو تأخر الحادث الذي هو الوضع من زمن وجود الخلق السابق إلّا أنّه حينئذ بالنسبة إلى تعيين الواضع مثبت فلا تغفل.

نعم يمكن أن يقال إنّ الفريقين مجمعون على عدم استناده إلى خلق آخر بل هم بين من يقول باستناده إلى الله تعالى و من يقول باستناده إلى أبي البشر و ذريته فالقول باستناده إلى خلق آخر من بنى الجان او غيرهم خرق لهذا الإجماع. و لا بأس به على فرض تحقّقه.

ثمّ انّ في المسألة اقوالاً آخر كالقول باصطلاحية جميع اللغات و انّ الواضع

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٣٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٥

فيها هو البشر كما عن جماعة من المتكلمين و التفصيل بان ما يحتاج إليه في التفهيم و التّفهم بان هذا موضوع لذلك يكون بتوقيف الله سبحانه و الباقي من البشر باصطلاح منهم و توقف العلامة و بعض الأصوليين و تمام الكلام في ادلّة الأقوال موكول إلى الأصول، و كذا الكلام في أنّه ليس للنزاع ثمره علمية و انّ محلّه هو الحقيقة اللغوية الاصلية لا مطلق الحقيقة ضرورة انّ الواضع في الأعلام الشخصية و الحقائق العرفية العامة و الخاصة منقولة كانت او مرتجلة هو البشر، و لذا قيل إنّ يلزم من ذلك تخصيص العموم في قوله: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا، بالحقائق اللغوية او بالحقائق المبتدئة فانّ تعليم الأسماء لا يستلزم تعليم جميع معانيها بل يصدق بتعليم البعض ايضاً.

بقي الكلام في أنّ الاختلاف في المقام مبني على ما هو المشهور بين العلماء الأعلام من أنّ دلالة اللفظ على المعنى بواسطة الوضع له، و امّا على القول الاخر المحكى عن عباد «١» بن سليمان الصيّمري و جمع من المعتزلة و اهل التكسير من أنّ دلالاته طبيعية ناشية عن ذات اللفظ من دون توسيط الوضع و النزاع ساقط من أصله، إلّا أنّ هذا القول في أصله محلّ من السقوط ضرورة أنّه لو كانت الدلالة ذاتية لامتنع اختلافها باختلاف الأمم و الأصقاع و الأزمان، مع انا نرى اللفظ الواحد حقيقة في معنى عند قوم او في زمان و في معنى آخر عند غيرهم، او في زمان آخر بسبب طرؤ الوضع و غلبه الاستعمال و ايضاً كان يلزم ان يحصل العلم بالمعاني بملاحظة الألفاظ في جميع اللغات و لم يعهد حصوله لاحد و لو ممّن يدعى ذلك

(١) هو ابو سهل عباد بن سلمان البصرى المعتزلى. سير اعلام النبلاء ج ١٠ ص ٥٥٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٦

فضلاً عن العامة و ايضاً نرى الأعلام الشخصية و الحقائق العرفية التي نعلم بالضرورة استناد الدلالة فيها إلى الوضع غير دالّة على تلك المعاني قبل حدوث الوضع و لو كانت ذاتية لم يؤثر الوضع فيها شيئاً و لم ينفك عنها الأثر الطبيعي هذا مضافاً إلى دوران الدلالة مع الاعتقاد بالوضع عدماً و وجوداً علماً و ظلّاً و وهماً و شكّاً و ضرورة الوضع للنقيضين و الضدين و غير ذلك ممّا لا داعي للتعرض له بعد ظهور التوقيف في جميع الأعصار و الأمصار بالنسبة إلى جميع اللغات على طرق اثبات الوضع سيما مع ضعف تمسك المدّعين

للدلالة الذاتية من أنها لو انتفت لزم الترجيح أو الترجيح من غير مرجح وفيه ما لا يخفى.

التناسب بين اللفظ والمعنى

ولذا قيل: إن مراد القائلين بها دعوى التناسب الدّاتي بين اللفظ والمعنى، وإن ذلك التناسب هو علمه الوضع، أو المرحّج لخصوص الطرفين باعتبار ملاحظة الصفات التي للحروف من الهمس والجهر والشدة والرخاوة وغيرها من الصفات التي عنت بضبطها أئمة الاشتقاق والتصريف، مضافا إلى ما لها من المنسوبات والطبائع التي ذكرها علماء الجفر والأعداد والحروف والأوفاق من إثبات الطبائع والخواص الغريبة للحروف باعتبار تمزيجاتها وتركيباتها ونسبتها إلى خصوص الكواكب والأزمنة والعناصر والمواليد والجهات والأفعال والأخلاق وغيرها، ولذا قالوا: إن قضية تلك الخواص أن العالم بها إذا أراد تعيين شيء مركّب منها لمعنى أن لا يهمل التناسب بينهما قضاء لحق الحكمة فوضع الفصم بالفاء للكسر بسهولة لما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٧

بين الفاء التي هي حرف مهموس رخو وبينه من المناسبة، والقصم بالقاف للكسر بشدة لمناسبة للقاف التي هي حرف جهر وشدة وقلقله، ووضع الفعلان بالتحريك لما يقتضى الثقلب والحركة كالطيران والجولان والغليان، وهو أيضا كما ترى لانتفاء المناسبة الجزئية في كثير من المقامات، ولذا وضعوا للضدين والمتخالفين ونحوهما.

نعم ذكر الشيخ أحمد الأحسائي: أن هذا الحمل صلح منهم بغير رضى الخصمين، ثم ذكر أن الأصح ما ذهب إليه أهل المناسبة لما قرره هو في معنى دلالة اللفظ حيث قال: كل اسم فله مادة مخصوصة بينها وبين ما تراد له مناسبة نوعيّة بينه وبين ما تراد له مناسبة شخصيّة، فإذا أراد وضع لفظ بإزاء معنى أخذ له من الحروف ما يناسبه وجعلها مادة لاسم ذلك المعنى وركّب تلك الحروف على هيئة من التركيب في الحركات والسكنات والتقديم والتأخير تناسب ذلك المعنى كذلك، وتلك الهيئة هي صورة ذلك الاسم فوضعه بإزاء ذلك المعنى فكان الاسم بتلك المادة المخصوصة والهيئة المخصوصة دالّا للسامع العالم بالوضع على مسماه كما أنك إذا أوّمت إلى زيد بأن يأتي إليك أوّمت إليه بهيئة الإقبال بأن تقبض أصابعك في الجملة مشيرا بها إليك فيضمّ بالمادة وهي حركة اليد والصورة وهي الإشارة له بيدك إليك كالجاذب له إرادة الإقبال، ولو أردت انصرافه أوّمت بيدك إليه بهيئة الدفع فيفهم بالحركة والهيئة إرادة الانصراف، لأنّ هذه الهيئة في المادة المخصوصة تدلّ المشار إليه على ما يراد منه، فكذلك الاسم بالمادة والهيئة المخصوصتين يدلّ السامع على معناه، فحقيقة الدلالة إرشاد اللفظ بمناسبة مادته وصورته لفهم

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٨

المخاطب إلى المعنى الموضوع له كما مثلنا في الإشارة.

ثم قال: فان قلت: لو كان ذلك كذلك لم يجهل أحد شيئا من المعاني والواقع خلافه.

قلت: أنّما احتيج للعلم بالوضع هنا لشدة خفاء المناسبة لأنها مناسبات حرفية من عالم الغيب على ما حقق في محله.

فان قلت: إذا كانت مناسبات حرفية من عالم الغيب فما الفائدة في ملاحظتها واعتبارها إذا لم يطلع عليها جميع المخاطبين؟

قلت: الفائدة شيان: أحدهما اقتضاء حكمة الحكيم أن لا يخصّص شيئا بشيء بغير مناسبة يقتضى التخصيص مع قدرته على ذلك، و ثانيهما: أنّ ذلك أسكن لقلب المخاطب لو تنبه في بعض الأحوال لبعض المناسبات، كما ذكر في الفرق بين الفصم والقصم، وفي زنة فعالان محركا وفي دلالة الوضع للأصوات بما يناسبها كما قيل في صوت الغراب غاق، وفي صوت شفتى الناقه عند شربها شبب، إذ لو وضع غاق لصوت شفتى الناقه عند الشرب و شبب لصوت الغراب ثم تنبه المخاطب للمناسبة لفرت نفسه من ذلك لما بين اللفظ وبين معناه من المنافرة.

و ذكر في موضع آخر: أنّ المناسبة لا يزيد منها خصوص المناسبة الشخصية، بل قد تكون مناسبة نوعيّة كمنااسبة الإنسان لزيد وعمرو،

أو جنسيته كمناسبة الحيوان لزيد و الفرس، بل لا نريد منها إلّا مطلق الصلوح الذاتي للمسمى في المادة و الهيئته، إلّا أنّه يعبر في صلوح هيئته اللفظ لهيئته المعنى مشخصيته الارتباط بينهما.

ثمّ أطب الكلام في بيان المناسبة بين موادّ الحروف و هيئات الترتيب

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٣٩

و الإعراب و بين الأجسام و الأشكال الخارجة، و في دعوى المناسبة حتّى في الأعلام الشخصية و في الألفاظ المشتركة حتّى الموضوعه للصددين و النقيضين كالقرء و الجون، و عسعس، و في دعوى المناسبة بين الألفاظ و الأزمنة و بين الأعلام المشتركة و معانيها إلى غير ذلك ممّا لا يعود إلى حاصل و لعلك، لو تدبّرت كلامه بتمامه عرفت أنّه كان قد دعاه إلى ذلك ملاحظة بعض المناسبات الجزئية التي هي كالتفاهات الاتفاقيه بعد الوقوع بالنسبة إلى بعض الألفاظ، مع التخلف في الأكثر.

و من الغريب استدلاله في مواضع من كلامه بأسماء الأصوات التي ذكروا أنّها حكاية صوت مسموع من الحيوان و غيره كغاق، فأنّه حكاية صوت الغراب، و طق حكاية صوت وقع الحجارة بعضها على بعض، او أنّها ممّا يخاطب به ما لا يعقل كقولهم في دعاء الضأن: حاحا و في دعاء المعز: عاعا غير مهموزين، فإنّ القسم الاول من هذه الأسماء مجرد حكاية صوت شبيه بالواقع و الثاني بمنزلة النعيق، و لذا استشكلوا صدق حدّ الكلمه عليها، و ان لم يكن الأشكال في محلّه.

و بالجملة إبداء أمثال تلك المناسبات الجزئية بين بعض الألفاظ و معانيها لا موقع لها بالنسبة إلى تلك اللغات المتسعة الكثيرة في الألسنة المختلفة المنتشرة بين أهل العالم لإفهام المعاني الدقيقة و النكات الخفية، مع أنّه يستفاد من تضاعيف كلامه الطويل الذي لم نتعرض لحكايته أنّ مراده مجرد إعمال المناسبات في الوضع لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٠

انكار أصله، و يؤيّدته تصريحه في موضع آخر بأنّ الواضع هو الله سبحانه و ان كان ينافيه ما ذكره أوّلا- من ردّ كلام المؤولين، و تصحيح مقال اصحاب المناسبة، و ما ذكره من تعريف الدلالة لكنّه رحمه الله أدري بفحوى ما أفاد و إنّي مقرّر على نفسى بالقصور عن نيل المراد و الله يهدي من يشاء إلى سبيل الرّشاد.

تفسير الآية (٣٤)

إشارة

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ تَذَكِيرَ لِنِعْمَةٍ رَابِعَةٍ عَامَّةٍ عَلَيْهِمْ لَمَّا فِيهَا مِنْ تَشْرِيفِ أَبِيهِمْ وَ تَكْرِيمِهِ بِجَعْلِهِ مَسْجُودًا لِلْمَلَائِكَةِ النُّورَانِيِّينَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ كَمَا أَنَّ قَوْلَهُ:

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ، تذكيره لنعمة ثالثة حسب ما مرّ، و إن توهم بعضهم أنّ هذه رابعة للثلاثة التي تضمّنتها هي من تخصيص آدم بالخلافة ثمّ بالعلم ثمّ بلوغه فيه إلى أن عجزت الملائكة عن نيله، فأنّه لا يخلو عن تكلف، و لكن الخطب سهل.

و الوجوه المتقدّمة في متعلّق الظرف جارية في المقام، و لكن في «تفسير الامام عليه السّلام»: قال الله تعالى: كأنّ خلق الله لكم ما في الأرض جميعا إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم أي في ذلك الوقت خلق لكم (١).

و قد بيّنا سابقا أنّ الظرف هو الزمان الممتدّ قبل خلق آدم و إن كان كلّ من

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٤٩ عن التفسير المنسوب الى الامام عليه السّلام.

و بالجمله فالظاهر إطلاقه لغه على كل من الخضوع والانحناء وتطأ الرأس، و أصل الأصل في معناه هو الأول، و إطلاقه على الأخرين باعتبار تحققه فيهما كما يطلق على غيرهما من الأفعال الصادرة عن خضوع، او الموضوعه لها بحسب العاده، و منها وضع الجبهه على الأرض أو ما أنبت مما لا يؤكل و لا يلبس، فإن الظاهر عدم ثبوت الحقيقه الشرعيه أو المتشرعه فيه بل هو باق على معناه اللغوي و إن اعتبر للشارع في صحته جزء للصلاه أمورا خارجة عن مسمها لغه كما أشار إليه بعض مشايخنا معترضا به على من قبله، لكنّه لا يخلو عن تأميل نظرا إلى تبادل الهيئه الخاصيه منه عرفا بحيث لا ينبغي معه التأمل في صيرورته حقيقه فيها عند الشارع او المتشرعه، و تمام الكلام في مقام آخر.

و ممّا مَرَّ يظهر النظر فيما قوله الرازي: من أن السجود في عرف المتشرعه عبارة عن وضع الجبهه على الأرض، فوجب أن يكون في اصل اللغه كذلك لأن الأصل عدم التغيير «١».

إذ فيه ان اللغه ثابتة لتنصيص وغيره، و أمّا ما يأتي في خبر «القصص» فعلى فرض صحته محمول على بيان النوع و الكيفيه فتأمل. و اللام في قوله: «لآدم» متعلق بالسجود أى اخضعوا له طاعه لله سبحانه، أو أنه بمعنى «إلى» و المتعلق محذوف أى اسجدوا مقبلين إلى آدم على حد قول

(١) مفاتيح الغيب للرازي: ج ٢ ص ٢١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٤

حسان «١»:

ما كنت احسب هذا الأمر منصرفا من هاشم ثم منها عن أبي الحسن أليس أول من صلى لقبلكم و أعرف الناس بالقرآن و السنن لكنّه بعيد لتظافر الأخبار على كون السجود لآدم تكريما له و ان كان ربما يتحقق معه ايضا، و أبعد منه ما قيل من احتمال كونه للتوقيت أو بمعنى بعد كما احتمل الوجهان في قوله: أقم الصلاة لتدلوك الشمس إلى غسق الليل «٢»، بل ينبغي القطع بعدمه، فإن تعلق السجود بآدم ليس على وجه مجزئ التوقيت بخلقه و التوجه إليه، بل كان تكريما له و تعظيما للأنوار المستودعه في صلبه المخصوصه بمقام الخلافة الكئيه و الفيوض الربانيه، و لذا كان تعظيمهم تعظيم الله تعالى شأنه كما قال سبحانه: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ «٣».

فلسفه سجود الملائكة لآدم

و روى الصدوق و غيره عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: ان الله فضل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقربين و فضلنى على جميع النبيين و المرسلين و الفضل بعدى لك يا على و للائمه من بعدك، و ساق الخبر على ما مرّ إلى أن قال: ثم إن الله تبارك و تعالى خلق آدم فأودعنا صلبه و أمر الملائكة

(١) حسان بن ثابت الانصارى الشاعر توفى سنة (٥٤) ه عن مائه و عشرين سنة مناصفه في الجاهليه و الإسلام- شذرات الذهب ج ١ ص ٦٠.

(٢) الإسراء: ٧٨.

(٣) الفتح: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٥

بالسجود له تعظيما لنا و إكراما و كان السجود لله عزّ و جلّ عبوديه و لآدم إكراما و طاعه لكوننا في صلبه «١».

و فى «القصص» بالإسناد عن أبى بصير قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام سجدت الملائكة لآدم و وضعوا جباههم على الأرض؟ قال:

نعم تكرمه من الله سبحانه «٢».

و في «الاحتجاج» في جواب مسائل الزنديق عن الصادق عليه السلام أنه سئل:

أ يصلح السجود لغير الله تعالى؟ قال: لا، قال: فكيف أمر الله بالسجود لآدم؟ فقال:

إن من سجد بأمر الله فقد سجد لله فكان سجوده لله إذ كان عن أمر الله «٣».

و عن «الاحتجاج» و التفسير في خبر مَرَّ صدره إلى أن قال عليه السلام: فلذلك قال الله: فاسجدوا لآدم لَمَّا كان مشتتلا على أنوار هذه

الخلايق الأفضلين و لم يكن سجودهم لآدم أنما كان آدم قبله لهم يسجدون نحوه لله عزَّ و جلَّ و كان بذلك معظما له مبيجا «٤».

و في «تحف العقول» عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: إن السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم و أنما كان ذلك طاعة لله و

محبته منهم لآدم «٥».

و في «الاحتجاج» عن الكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام: أن يهوديا سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معجزة النبي صلى الله

عليه و آله و سلم في مقابلة معجزات الأنبياء عليهم السلام فقال: هذا

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٣٩-١٤٠ عن العيون ص ١٤٥.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٣٩.

(٣) الاحتجاج: ص ٣١.

(٤) البحار: ج ١١ ص ١٣٨ عن تفسير الإمام عليه السلام.

(٥) تحف العقول: ص ٤٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٦

آدم عليه السلام أسجد الله له ملائكته فهل فعل بمحمد شيئا من هذا؟ فقال علي عليه السلام: لقد كان ذلك، و لكن اسجد الله لآدم

ملائكته، و سجودهم لم يكن سجود طاعة و أنهم عبدوا آدم من دون الله، و لكن اعترافا لآدم بالفضيلة و رحمة من الله له، و محمد

صلى الله عليه و آله و سلم أعطى ما هو أفضل من هذا إن الله جلَّ و علا صلى عليه في جبروته و الملائكة بأجمعها «١»، الخبر.

و في تفسير الامام عليه السلام قال: و لما امتحن الحسين عليه السلام و من معه بالعسكر الذي قتلوه و حملوا رأسه، قال لعسكره: أنتم

في حل من بيعتى فالحقوا بعشائركم و مواليكم، و قال لأهل بيته: قد جعلتكم في حل من مفارقتى فإنكم لا تطيقونهم لتضاعف

أعدادهم و قواهم، و ما المقصود غيرى فدعوني و القوم فإن الله عزَّ و جلَّ يعيننى و لا يخلينى من حسن نظره كعادته في أسلافنا

الطيبين، فأما عسكره ففارقوه، و أما أهله الأذنون من أقربائه فأبوا و قالوا: لا نفارقك و يحزننا ما يحزنك، و يصينا ما يصيبك، و إنا

أقرب ما نكون إلى الله إذا كنا معك، فقال لهم: فإن كنتم قد وطئتم أنفسكم على ما وطئت نفسى عليه، فاعلموا أن الله إنما يهب

المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، و إن الله و إن كان خصينى مع من مضى من اهلى الذين أنا آخرهم بقاء في الدنيا من

الكرامات بما يسهل على معها احتمال المكروهات، فإن لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى، و اعلموا أن الدنيا حلوها و مرها حلم،

و الانتباه في الآخرة، و الفائز من فاز فيها، و الشقى من شقى فيها، أولا- أحدثكم بأول أمرنا و أمركم معاشر أوليائنا و محبيننا و

المتعصبين لنا ليسهل عليكم احتمال ما أنتم له

(١) الاحتجاج: ص ١١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٧

مقرون معرضون؟ قالوا: بلى يا بن رسول الله صلى الله عليه و آله، قال: إن الله تعالى لما خلق آدم و سواه و علمه أسماء كل شيء، و

عرضهم على الملائكة جعل محمداً و علياً و فاطمةً و الحسن و الحسين عليهم السّلام أشباحاً خمسةً في ظهر آدم، و كانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السموات و الحجب و الجنان و الكرسي و العرش، فأمر الله الملائكة بالسّجدة لآدم تعظيماً له، إنّه قد فضّله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح التي قد عمّ أنوارها في الآفاق، فسجدوا إلّا إبليس أبي أن يتواضع لجلال عظمة الله، و أن يتواضع لأنوارنا أهل البيت عليهم السّلام و قد تواضعت لها الملائكة كلّها، فاستكبر و ترّفّع و كان يباينه ذلك و تكبره من الكافرين.

ثمّ قال: قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: حدّثني أبي عن أبيه عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: يا عباد الله إنّ آدم لما رأى النور ساطعاً من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره، رأى النور و لم يتبين الأشباح، فقال يا ربّ ما هذه الأنوار؟ قال الله عزّ و جلّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشى إلى ظهرك، و لذا أمرت الملائكة بالسّجود لك إذ كنت وعاء لتلك الأشباح فقال يا ربّ لو بيّنتها لي؟ فقال الله تعالى: أنظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم عليه السّلام و وقع نور أشباحنا من ظهر آدم على ذروة العرش، فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصّافية، فرأى أشباحنا، فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟

فقال الله: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلّائقي و بريّاتي: هذا محمّد و أنا الحميد المحمود في أفعالي، شققت له اسماً من اسمي، و هذا عليّ و أنا العليّ العظيم شققت له اسماً من اسمي، و هذه فاطمة و أنا فاطر السموات و الأرضين، فاطم أعدائي عن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٨

رحمتي يوم فصل قضائي، و فاطم أوليائي عمّا يعتر بهم و يشينهم، فشققت لها اسماً من اسمي، و هذا الحسن و هذا الحسين، و انا المحسن المجمل شققت لهما اسماً من اسمي، هؤلاء خيار خليقتي و كرام بريّتي، بهم آخذ، و بهم أعطى، و بهم أعاقب و بهم أثيب فتوسّل إليّ بهم يا آدم، و إذا دهتك داهية فاجعلهم إليّ شفعاك، فأنّي آليت على نفسي قسماً حتماً «١» لا أخيب بهم آملاً و لا أردّ بهم سائلاً، فلذلك حين زلّت منه الخطيئة و دعا الله عزّ و جلّ بهم فتاب عليه و غفر له «٢».

و قد ظهر من جميع ما مرّ أن سجد آدم كان تكريماً له و تعظيماً للأنوار المستودعة في صلبه، و عبوديّة له سبحانه حيث كان ذلك امتثالاً لأمره، و لو لم يكن هناك أمر لم يكن لاحد من الملائكة و لا غيرهم احياء و أمواتاً إلّا بصدور الأمر الخاص بالنسبة إليه. و يدلّ عليه مضافاً إلى ما مرّ ما رواه الصفار في البصائر بالإسناد عن الصادق عليه السّلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه و آله يوماً قاعداً في أصحابه إذ مرّ به بعير فجاء حتّى ضرب بجرانه «٣» الأرض و رغا «٤» فقال رجل: يا رسول الله أسجد لك هذا البعير فنحن أحقّ أن نفعّل، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا بل اسجدوا لله ثمّ قال: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها «٥».

(١) في البحار: حقا.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٩-١٥١ عن تفسير الامام عليه السّلام.

(٣) الجران بكسر الجيم و تخفيف الزاء: مقدّم عنق البعير أو الفرس.

(٤) رغا: أى صوت.

(٥) البحار: ج ٢٧ ص ٢٤٥ عن البصائر ص ١٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٤٩

و في خبر آخر بعد قوله: بل اسجدوا لله قال صلّى الله عليه و آله إنّ هذا الجمل يشكو أربابه ثمّ ذكر قصّة الجمل الخبير. و في الخرائج: إنّ اعرابنا جاء إلى النّبي صلّى الله عليه و آله فقال هل من آية فيما تدعوا إليه؟ فقال: نعم ايت هذه الشجرة فقل لها: يدعوك رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: فمالت عن يمينها و شمالها و بين يديها فقطعت عروقها، ثمّ جاءت تخذ الأرض حتّى

وقفت بين يدي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال: فمرها فترجع إلى منبتها، فقال الأعرابي: ائذن لي أن أسجد لك، فقال عليه السلام: لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، قال: فائذن لي أن أقبل بين يديك فأذن له «١».

وفيه وفي «المناقب» عن انس أن النبي صَلَّى الله عليه وآله دخل حائطا للأنصار وفيه غنم فسجدت له، فقال أبو بكر: نحن أحق لك بالسجود من هذا الغنم، فقال صَلَّى الله عليه وآله: أنه لا ينبغي أن يسجد أحد لاحد، ولو جاز ذلك لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها «٢».

وقد مرّ في خبر العسكري أنه لا- ينبغي لاحد أن يسجد لاحد من دون الله يخضع له كخضوعه لله ويعظمه بالسجود كتعظيمه لله تعالى ولو أمرت أحدا أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا و سائر المكلفين من متبعينا أن يسجدوا لمن توسط في علوم عليّ وصي رسول الله و محض و داد خير خلق الله عليّ بعد محمد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله «٣».

وفي «الاحتجاج» عن تفسير الامام عليه السلام في خبر احتجاج النبي صَلَّى الله عليه وآله على أهل

(١) الخرائج: ص ١٨٥ و عنه البحار ج ١٧ ص ٣٧٧.

(٢) مناقب آل ابي طالب: ج ١ ص ٨٦.

(٣) تفسير البرهان: ج ١ ص ٨١ عن تفسير الامام عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٠

الأديان قال: ثم أقبل يعني رسول الله صَلَّى الله عليه وآله على مشركي العرب و قال: و أنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا: نتقرب بذلك إلى الله تعالى فقال لهم: أهي سامعة مطيعة لربها عابدة له حتى تتقربوا بتعظيمها إلى الله تعالى؟ قالوا: لا قال: فأنتم الذي نحتموها بأيديكم؟ قالوا: نعم، قال: فلأن تعبدكم هي لو كان يجوز منها العبادة أخرى من أن تعبدوها، إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العارف بمصالحكم و عواقبكم و الحكيم فيها يكلفكم، قال: فلما قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله هذا اختلفوا، فقال بعضهم: ان الله قد حلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصورة فصورنا هذه الصور نعظمها لتعظيمنا تلك الصور التي حلّ فيها ربنا.

و قال آخرون منهم: إن هذه صور أقوام سلفوا كانوا مطيعين لله قبلنا فمثلنا صورهم و عبدناهم تعظيما لله.

و قال آخرون: إن الله لما خلق آدم و أمر الملائكة بالسجود لله كنا نحن أحقّ بالسجود لآدم من الملائكة ففاتنا ذلك، فصورنا صورته فسجدنا لها تقربا إلى الله كما تقربت الملائكة بالسجود لآدم إلى الله، و كما أمرتم بالسجود بزعمكم إلى جهة مكّة ففعلتم ثم نصبتم في غير ذلك البلد بأيديكم محاريب سجدتم إليها و قصدتم الكعبة لا محاريبكم، و قصدكم في الكعبة إلى الله تعالى لا إليها.

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: أخطأتم الطريق و ضللتم أما أنتم- و هو صَلَّى الله عليه وآله يخاطب الذين قالوا: إن الله يحلّ في هياكل رجال كانوا على هذه الصور التي حلّ فيها ربنا- فقد و صفتم ربكم بصفة المخلوقات! أو يحلّ ربكم في شيء حتى يحيط به ذلك الشيء؟ فأى فرق بينه و بين سائر ما يحلّ فيه من لونه و طعمه و رائحته و لونه

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥١

و خشونته و ثقله و خفته، و لم صار هذا المحلول فيه محدثا و ذلك قديما دون أن يكون ذلك محدثا و هذا قديما؟! و كيف يحتاج إلى المحال من لم يزل قبل المحال، و هو عزّ و جلّ كان لم يزل، و إذا و صفتموه بصفة المحدثات في الحلول فقد لزمكم أن تصفوه بالزوال.

إلى أن قال: ثم أقبل صَلَّى الله عليه وآله على الفريق الثاني فقال: أخبرونا عنكم إذا عبدتم صور من كان يعبد الله فسجدتم لها و صليتكم فوضعتم الوجوه الكريمة على التراب بالسجود لها فما أئدى أبقيتم لرب العالمين؟! أما علمتم أنّ من حقّ من يجب تعظيمه و

عبادته أن لا يساوى به عبده؟

أرايتم ملكا عظيما إذا سوّيته بعبده في التعظيم و الخشوع و الخضوع أفيكون في ذلك وضع من الكبير كما يكون زيادة في تعظيم الصغير؟ فقالوا: نعم.

قال: أ فلا تعلمون أنكم من حيث تعظمون الله بتعظيم صور عباده المطيعين تزرون على رب العالمين؟! قال: فسكت القوم بعد أن قالوا: سننظر في أمرنا.

ثم قال رسول الله للفريق الثالث: لقد ضربتم لنا مثلا و شبّهتمونا بأنفسكم و لا سواء، ذلك أنا عباد الله مخلوقون مربوبون نأتمر له فيما أمرنا، و ننزجر فيما زجرنا، و نعبده من حيث يريد منا، فإذا أمرنا بوجه من الوجوه أطعناه، و لم نتعدّ إلى غيره ممّا لم يأمرنا و لم يأذن لنا، لأننا لا ندرى لعلّه أراد منا الأوّل فهو يكره الثاني، و قد نهانا أن نتقدّم بين يديه فلمّا أمرنا بالتوجه إلى الكعبة أطعناه ثمّ أمرنا بعبادته بالتوجه نحوها في سائر البلدان التي نكون بها فأطعناه، فلم نخرج في شيء من ذلك من أتباع أمره، و الله عزّ و جلّ حيث أمر بالسجود لآدم لم يأمر بالسجود لصورته التي

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٢

هي غيره فليس لكم أن تقيسوا ذلك عليه لأنكم لا تدرون لعلّه يكره ما تفعلون إذ لم يأمركم به. ثمّ قال لهم رسول الله صلّى الله عليه و آله أرايتم لو أذن لكم رجل دخول داره يوما بعينه الكم أن تدخلوها بعد ذلك بغير أمره، او لكم أن تدخلوا دارا أخرى مثلها بغير أمره؟ أو وهب لكم رجل ثوبا من ثيابه او عبدا من عبيده او دابة من دوابه الكم أن تأخذوا ذلك؟ قالوا: نعم، قال: فإن لم تأخذوه أ لكم أخذ آخر مثله؟ قالوا لا لأنه لم يأذن لنا في الثاني كما اذن في الأوّل، قال صلّى الله عليه و آله: فاخبروني آله تعالى اولى بان لا يتقدّم على ملكه بغير أمره أو بعض المملوكين؟ قالوا بل الله اولى بان لا يتصرّف في ملكه بغير اذنه، قال: فلم فعلتم و متى أمركم أن تسجدوا لهذه الصور؟ قال: فقال القوم سننظر في أمرنا ثمّ سكتوا «١»، الخبر.

الوجه المحتمل في «خلق الله آدم على صورته»

أقول: و لعلّ من مثل هذه الأوهام التي سمعتها من المشركين سرى الوهم و الزيغ إلى قلوب المشبّهين فأولوا النبوي المشهور بين الفريقين «إنّ الله تعالى خلق آدم على صورته» «٢».

على ما يوافق مرامهم و يطابق كلامهم، بل قد تمسك بظاهره فرق من أصحاب الأخدود كالحلولية و الاتحادية و القائلين بوحدة الوجود مع أنّ المروى من

(١) الاحتجاج: ص ٢٦-٢٨.

(٢) عوالي اللئالي: ج ١ ص ٥٣ رقم الحديث ٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٣

طرق الفريقين في تتمّة الخبر ما يسقط معه الاستدلال على مثل هذه الأوهام.

ففي «التوحيد» و «الاحتجاج» و «العيون» عن الحسين بن خالد قال: قلت:

للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله إنّ التّياس يروون أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قال: إنّ الله خلق آدم على صورته فقال: قاتلهم الله لقد حذفوا أوّل الحديث إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله مرّ برجلين يتسابقان، فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبح الله

وجهك و وجه من شبيهك فقال عليه السلام:

يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك، فإنّ الله عزّ و جلّ خلق آدم على صورته «١».

و روته العامة عن الزهري عن الحسن (٢)، مع أنه قد يقال إن في الخبر وجوهاً آخر أيضاً مثل ما قيل: من إن الضمير راجع إلى آدم عليه السلام دون الله تعالى فيكون المعنى أنه خلقه على الصورة التي قبض عليها، فإن حاله لم يتغير في الصورة بلا زيادة ولا نقصان، أو إلى الله سبحانه ويكون المعنى أنه خلقه على الصورة التي اختارها و اجتباها، لأن الشيء قد يضاف على هذا الوجه إلى مختاره و مصطفاه أو إن المراد بالصورة الصفة من كونه سمياً بصيراً متكماً قابلاً للتصاف بصفاته الجمالية و الجلالية، أو إن المعنى أنه سبحانه أنشأ على هذه الصورة التي شوهدها عليها على سبيل الابتداء و الاختراع و أنه لم ينقل إليها من صورة أخرى كما جرت العادة في البشر من كونه نطفة و علقه و مضغه و غيرها من الأطوار الطارئة عليه خلقاً من بعد خلق، أو أنه خلق آدم و خلق صورته لينتفى بذلك الشك في أن تأليفه من فعل غيره لأن التأليف من جنس مقدور البشر و إن خلق الجواهر هو الذي ينفرد

(١) الاحتجاج ص ٤١٠.

(٢) البحار ج ٤ ص ١٤ عن تنزيه الأنبياء للسيد المرتضى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٤

القديم تعالى بالقدرة عليه فكأنه عليه السلام أخبر عن هذه الفائدة الجليلة و هو إن جوهر آدم و تأليفه كلها من فعله سبحانه، إلى غير ذلك من الوجوه التي لا ينبغي حمل الخبر عليها بعد استفاضة الأخبار من طرق الفريقين على خروجه على سبب خاص مذكور كما سمعت.

نعم قد روى الصدوق رحمه الله بالإسناد إلى محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام عما يروون إن الله تعالى خلق آدم على صورته فقال عليه السلام: هي صورة محدثه مخلوقه اصطفاها الله و اختارها على سائر الصفات المختلفة فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه و قال: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي «١»، و فيه دلالة على تشریف هذه الصورة «٢».

و ربما يقال: إنه قد روى إن ملائكة التصوير إذا أرادوا تصوير النطفة ذكراً أو أنثى فيقولون: يا رب على أي صورة نصوره، فإن كان ذكراً قال سبحانه: أحضروا صور آباءه إلى آدم و صوروه مثل واحدة منها، و إن كان أنثى قال أحضروا صور أمهاتها إلى حواء و صوروها على مثل صورة واحدة منها، و من ثم قال عليه السلام: لا ينبغي لاحد أن يطعن في نسب ولده لأجل أنه لا يشبهه في الصورة فلعلة إنما صور مثل واحد من آباءه و هذا في غير أبينا آدم، و أمّا هو فليس فيه آباء و لا أمهات حتى يصور مثل واحدة منها بل خلق على تلك الصورة التي خلق عليها، فقد تحصل من جميع ما مرّ وجوه ثمانية في الخبر.

(١) الحجر: ٢٩ و ص: ٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ٤ ص ١٣ ح ١٥ عن التوحيد للصدوق.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٥

و اعلم أنه قد استفيد من تضاعف الأخبار المتقدمة و غيرها أن السجود من العبادات المختصة به سبحانه لا ينبغي إشراك غيره معه فيه، فما يفعله بعض الزائرين للنبي صلى الله عليه و آله أو الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ينبغي منعهم و الإنكار عليهم، لأن الله تعالى يحب أن يعبد من حيث شاء و أراد و أمر، و لم يرد الأمر بهذا النحو من التعظيم لغيره سبحانه و لو للأنبياء و الأولياء.

و اما ما يتخيل من أن السجود لهم عليهم السلام على أبوابهم و أعقابهم زيادة في تعظيم الله و عبادته، باعتبار أن وقوعه منه إليه إنما هو لقدره و شرفه و رتبته عند الله تعالى، فالسجود له حينئذ زيادة في تعظيم الله و تعظيم شعائره ففيه أنه استحسان و همى لا ينبغي الاعتماد عليه في الأمور التوقيفية الشرعية، و قد استدلل بمثله المشركون و أجاب عنهم النبي صلى الله عليه و آله بما لا مزيد عليه في خبر الاحتجاج و التفسير مضافاً إلى ورود النهي عنه في غير واحد من الأخبار التي مرّ شطر منها بل و عليه يحمل النهي في الصحيح

المروى في العلل عن ابي جعفر عليه السلام قال صل بين خلال القبور، ولا تتخذ شيئا منها قبله فإن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك وقال: لا تتخذوا قبوري قبله ولا مسجدا فان الله عز وجل لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (١).
ثم ان ظاهر الجمع المحلى في المقام كون المأمورين جميع الملائكة العلوية والسفلية حتى جبرئيل وميكائيل وغيرهما من المقرّبين، ويؤيده قوله في موضع آخر فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٢) بل في فضائل الشيعة للصدوق عن

(١) الفقيه: ج ١ ص ١٢٤.

(٢) سورة ص: ٧٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٦

النبي صلى الله عليه وآله في قوله أشيتكبرت أم كنت من العالين (١) انا وعلی وفاطمة والحسن والحسين كنا في سرادق العرش نسبح الله وتسبح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله آدم بألفى عام، فلما خلق الله عز وجل آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له، ولم يأمرنا بالسجود، فسجدت الملائكة كلهم إلا إبليس فإنه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: أشتكبرت أم كنت من العالين اى من هؤلاء الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش (٢).

فان فيه زيادة تأكيد في ارادة جميع الإفراد وفي خبر المعراج المروى في التفسير والاحتجاج: ان النبي صلى الله عليه وآله قال لجبرئيل: تقدم يا جبرئيل فقال له: إنا لا نتقدم على الأدميين منذ أمرنا بالسجود لآدم عليه السلام (٣).
إلى غير ذلك من ظواهر الاخبار الكثيرة التي هي الحجة، ومع ذلك كله فلا ينبغي الإصغاء إلى ما ينسب إلى الحكماء من حمل الملائكة في الآية على القوى الجسمانية البشرية المطيعة للنفس الناطقة نظرا إلى أنه يستحيل أن تكون الأرواح السماوية منقادة للنفوس الناطقة، إذ هو كما ترى مبنى على ما استحسنه بالأوهام الضعيفة والخيالات الواهية.
ثم ان المشهور كسر التاء في قوله للملائكة اسجدوا، وعن أبي جعفر (٤)

(١) ص: ٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٢ ح ٩ عن فضائل الشيعة.

(٣) علل الشرائع: ص ١٤ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٨ ح ٣.

(٤) المراد به ابو جعفر القارى يزيد بن القعقاع أحد القراء العشرة كان من التابعين و إمام اهل المدينة في القراءة توفي سنة (١٣٢) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٥٧

وحده ضمها حيث وقع، إمّا لاتباع ضمّة الجيم، أو لنقل ضمّة الهمزة إليها كأنها لم تسقط، و هما ضعيفان كأصل القراءة فسجدوا جميعا لآدم انقيادا لأمره سبحانه بمطلق الخضوع والتذلل، أو بالانحناء و وضع الجبهة كما ربما يظهر من بعض الأخبار المتقدمة، سيما خبر «القصص» او على اختلاف أنحاء تذللاتهم التي لا يمثل واحد منها بالآخر لاختلاف درجاتهم و طبقاتهم و لذا قالوا: و ما منّا إلا لهُ مقام معلوم (١)، و كان سجودهم في الأرض على ظهر الكوفة كما في تفسير العياشى عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال: أوّل بقعة عبد الله عليها ظهر الكوفة لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجودا على ظهر الكوفة (٢).

إلا إبليس المبلس اى الآيس من رحمته سبحانه، و لذا سمى به، و ألما فكان مسمى بالحارث و يكتنى أبا مرّة كما في المعبرة ففي «المعاني» عن الرضا عليه السلام:

كان اسمه الحارث سمى إبليس لأنه ابلس من رحمة الله (٣).

و في «البحار» عن كتاب «غور الأمور» عن النبي صلى الله عليه وآله ان اسمه الحارث و كنيته أبو مرّة، و انما سماه الله إبليس لأنه

ثم إن الاستثناء منقطع لما ستعرف من عدم كونه من الملائكة، أو متصل باعتبار كونه جتيا واحدا في ألوف من الملائكة مغمورا بهم معدودا في عدادهم، حتى ظن بعض الملائكة أنه منهم فغلبوا عليه في الخطاب حين خوطبوا و في حكاية القصية لنا و في الثاني خاصة، و أميا الخطاب التكليفي فلعله قد وقع على نحو آخر من دون لفظ و أصوات و لا- عبارات و كلمات و أنما ألهمهم ذلك بإلهامات غيبية و طرق قطعية.

ثم ان ظاهر الآية بل الآيات و الاخبار المشتملة لذكر القصية كون المتمرد العاصي هو إبليس خاصة لكن في النهج في خطبة يذكر فيها خلقه آدم عليه السلام إلى أن قال: فسجدوا إلا إبليس و قبيله اعترتهم الحمية، و غلبت عليهم الشقوة، و تعزروا

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٠

بخلق النار، و استوهنوا خلق الصلصال فأعطاه الله النظرة استحقاقا للسخط و استتماما للبلية و انجازا للعدة فقال: انك من المنظرين (١) الخطبة.

حيث ان الظاهر منها تعدد المتمردين فان القبيل في الأصل الجماعة تكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى، فان كانوا من أب واحد فقبيله، و لعل المراد بقبيله و ذريته الذين رضوا بفعله، و لذا قال عليه السلام: إنما يجمع الناس السخط و الرضا (٢).

و يؤيده قوله بعد صيغ الجمع فأعطاه الله النظرة، و ربما يحتمل ايضا أن يكون المراد به أشباهه من الجن في الأرض بأن يكونوا مأمورين بالسجود ايضا و عدم ذكرهم في الآية و الاخبار للاكتفاء بذكر رئيسهم، أو المراد به طائفة خلقها الله في السماء غير الملائكة، و فيهما تكلف، و الأول أولى و قال تعالى: إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ (٣) فتأمل.

أبي امتنع أن يتواضع لجلال عظمة الله و أن يتواضع لأنوار أهل البيت و قد تواضعت له الملائكة كلها.

وَ اسْتَكْبَرَ وَ تَرَفَّعَ اسْتِنكَافًا عَنْ عِبَادَتِهِ سَبْحَانَهُ وَ اسْتَصْغَارًا لِمَنْ رَفَعَهُ اللَّهُ وَ شَرَّفَهُ وَ خَصَّهُ دُونَهُمْ بِالْعِلْمِ وَ الْخِلَافَةِ، فَلَمْ يَخْضَعْ لَهُ وَ لَمْ يَتَّخِذْهُ وَسِيلَةً إِلَى التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ، وَ الْإِبَاءُ تَرَكَ الطَّاعَةَ بِاخْتِيَارٍ، قِيلَ: وَ لَيْسَ الْإِبَاءُ بِمَعْنَى الْكِرَاهَةِ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَتَمَدَّحُ بِأَنَّهَا تَأْبَى الضَّمِيمَ وَ لَا مَدْحَ فِي كِرَاهَةِ الضَّمِيمِ وَ أَنَّمَا الْمَدْحُ فِي الْاِمْتِنَاعِ

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد: ج ١ ص ٩٧ ط مصر.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ٣٧٩ و فيه: إنما يجمع الناس الرضى و السخط.

(٣) الأعراف: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦١

عنه كقوله: وَ يَا أَبَى اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُنَمَّ نُورُهُ (١).

و الاستكبار طلب الكبر كالتكبر، و هو أن يرى نفسه اكبر من غيره، و يرتفع إلى منزلة لا يستحقها.

القمى عن الصادق عليه السلام: الاستكبار هو أول معصية عصى الله بها قال عليه السلام فقال إبليس: يا رب اعفنى من السجود لآدم و انا أعبدك عبادة لا يعبدكها ملك مقرب و لا نبي مرسل فقال جل جلاله لا حاجة لى إلى عبادتك إنما عبادتى من حيث أريد لا من حيث تريد (٢).

وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ أَيْ صَارَ مِنْهُمْ كَمَا فِي «القاموس» وَ غَيْرِهِ، وَ صَرَّحَ بِهِ بَعْضُ الْمَفْسَّرِينَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِقِينَ (٣) وَ يُؤَيِّدُهُ مَا فِي تَفْسِيرِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ كَانَ بِإِبَائِهِ ذَلِكَ وَ تَكْبِيرِهِ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَ لَعَلَّهُ الْمُسْتَفَادُ مِنْ بَعْضِ ظَوَاهِرِ الْاِخْبَارِ اِيضًا.

و روى العياشى فى تفسيره عن الصادق عليه السلام: قال: إن أول كفر كفر بالله حيث خلق الله آدم كفر إبليس حيث رد على الله أمره

(٤).

و يظهر منه و من غيره من الأخبار بل و من الآيات أنه لم يكن سبب كفره مجرد المخالفة بل الرد عليه سبحانه في أمره و تجهيل الحكيم في حكمته على ما يستفاد من قياسه الفاسد و الاستخفاف بنبي الله آدم عليه السلام، على أن مرجع استكباره

(١) التوبة: ٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤١ عن تفسير القمي ص ٣٤-٣٥.

(٣) هود: ٤٣.

(٤) تفسير العياشي عنه البحار: ج ١١ ص ١٤٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٢

إنما هو الاستكبار من عبوديته سبحانه، و كفى به كفرا و إحادا.

او كان كافرا في علمه سبحانه قبل ذلك حيث أضمر في قلبه ترك السجود لآدم و الرد عليه سبحانه لو أمره بذلك، او كان كذلك في أصل الكينونة و بدو الخلق، و إن اظهر العبادة مدة مديدة.

ففي «الخصال» و «تفسير الفرات» بالإسناد عن الحسن عليه السلام فيما سأله كعب الأخبار عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لما أراد الله خلق آدم بعث جبرئيل فأخذ من أديم الأرض قبضة فعجنه بالماء العذب و الملح، و ركب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من أديم الأرض، فطرحة كالجبل العظيم، و كان إبليس يومئذ خازنا على السماء الخامسة، يدخل في منخر آدم ثم يخرج من دبره ثم يضرب بيده على بطنه فيقول: لأى امر خلقت؟ لآين جعلت فوقى لا أطعتك، و لئن جعلت أسفل منى لا أعينك، فمكث في الجنة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الروح «١».

و في «تفسير القمي»: خلق الله آدم فبقى أربعين سنة مصورا و كان يمر به إبليس اللعين فيقول لأمر ما خلقت؟ قال العالم عليه السلام فقال إبليس لئن أمرنى الله بالسجود لهذا لعصيته «٢».

و في «الاحتجاج» فى أسئلة الزنديق المدعى للتناقض عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: الايمان بالقلب هو التسليم للرب، و من سلم الأمور لمالكها لم يستكبر عن امره، كما استكبر إبليس عن السجود لآدم، و استكبر اكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم،

(١) بحار الأنوار: ج ٥٤ ص ٩٤ عن تفسير الفرات ص ٦٥.

(٢) تفسير القمي: ص ٢٤ و عنه البحار ج ١١ ص ١٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٣

فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السجود الطويل فإنه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام، لم يرد بها غير زخرف الدنيا و التمكين من النظرة «١». الخبر.

و فى الخطبة القاصعة العلوية المذكورة فى النهج: الحمد لله الذى لبس العز و الكبرياء و اختارهما لنفسه دون خلقه، و جعلهما حمى و حرما على غيره، و اصطفاهما لجلاله، و جعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثم اختبر بذلك ملائكة المقرين، ليميز المتواضعين منهم عن المستكبرين، فقال سبحانه و هو العالم بمضمرة القلوب، و محجوبات الغيوب: إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ، اعترضته، الحمية، فافتخر على آدم بخلقه، و تعصب عليه لأصله، فعدو الله امام المتعصين، و سلف المستكبرين الذى وضع أساس العصية، و نازع الله رداء الجبرية، و أدرع لباس التعزز، و خلع قناع التذلل، إلى قوله عليه السلام: فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل، و جهده الجهيد، و كان قد عبد

الله ستة آلاف سنة لا يدري أمن سنى الدّينا أم من سنى الآخرة، عن كبر ساعة واحدة فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله تعالى بمثل معصية؟ كلاً ما كان الله سبحانه ليدخل الجنّة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً إنّ حكمه فى أهل السّماء و أهل الأرض لواحد، و ما بين الله و بين أحد من خلقه هوادة فى اباحة حمى حرّمه على العالمين «٢»، الخطبة.

(١) بحار الأنوار: ج ٢٧ ص ١٧٥ عن الاحتجاج ص ١٣٠.

(٢) الخطبة: ١٩٢ من نهج البلاغة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٤

إبليس كان من الجنّ

ثمّ إنّ ظاهر قوله: أخرج به منها ملكاً بل لعلّ صريحه كون إبليس ملكاً من الملائكة بل ظاهر قوله فى صدر الخطبة: ثمّ اختبر بذلك الملائكة المقرّبين كونه من مقرّبيهم، سيّما مع ظهور تقسيمهم إلى المتواضعين و المستكبرين فى ذلك، و هذا المذهب هو المحكى عن بعض المتكلمين و أكثر فقهاء العامّة، و حكاها فى «المجمع» عن ابن عباس و ابن مسعود و قتادة، و اختاره من أصحابنا شيخ الطائفة فى «التيان» قال: و هو المروى عن أبى عبد الله و الظاهر فى تفاسيرنا، ثمّ حكى عن القائلين بأنّه كان منهم فقيل: إنّ كان خازناً على الجنان، و قيل كان له سلطان سماء الدنيا و سلطان الأرض، و قيل: إنّ كان يسوس ما بين السّماء و الأرض «١».

و غاية ما يستدلّ لهم على ذلك وجوه.

أحدها: أنّه لو لم يكن منهم لما تناوله الخطاب المتوجّه إلى الملائكة فى صريح الآيه، و حينئذ فلم يكن مأموراً بالسجود فلا تكليف فلا مخالفة، فيجب أن لا ينسب إليه الإباء و الاستكبار و لا يستحقّ الذمّ و العقاب.

ثانيها: أنّ الاستثناء ظاهر او حقيقة فى المتّصل، و قضيه دخول المستثنى فى المستثنى منه لأنّه إخراج ما لولاه لدخل فى الحكم لدخوله فى الموضوع، فيجب أن يكون داخلاً فى عداد الملائكة لأنّ الله تعالى قد استثناءه منهم فى آيات كثيرة.

ثالثها: الخطبة المتقدّمة حسبما سمعت من التقريب مضافاً إلى ما أرسله فى

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٥

«التيان» من أنّه المروى عن الصادق عليه السّلام معتضداً بما ادّعاه الشيخ من استظهاره فى تفاسيرنا.

و الجواب عن هذه الوجوه أنّها مع تسليم دلالتها و الغضّ عمّا فيها على ما تسمع كلّها ظواهر يجب الخروج عنها بمقتضى ما دلّ على عدم كونه من الملائكة من الأدلّة القطعيّة الّتى منها الإجماع القطعى الدّال على عصمتهم عن الصغائر و الكبائر، مضافاً إلى الآيات و الاخبار الدّالّة عليها حسبما مرّت إليه الإشارة، و منها الإجماع المنعقد فى خصوص المقام أيضاً، فانا لا نعرف أحداً من الامامية ذهب إلى كونه من الملائكة عدى الشيخ الذى لا يقدر خروجه فى انعقاده لكونه معلوم النسب، و لكون قوله هذا مخالفاً لما هو المقطوع من مذهب الامامية من ذهابهم إلى عصمة جميع الملائكة فكان قوله هذا مع شذوذه و انفراده به و مخالفته لما استقرّ عليه مذهب الامامية و تواترت به اخبارهم على ما تسمع مسبقاً بالإجماع على خلافه ملحوقاً به و احتمال نسبته إلى مفسرينا كما استظهره منهم فى تبيانه موهون جداً سيّما مع عدم الحكاية من غيره رأساً فى كتب التفسير و غيرها، بل المحكى عن شيخه و هو المفيد رحمه الله فى كتاب «المقالات» أنّه قال: إنّ إبليس من الجنّ خاصة، و أنّه ليس من الملائكة و لا كان منها قال الله تعالى: **إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ** «١»، و جاءت الاخبار متواترة عن ائمة الهدى من آل محمّد عليهم السّلام بذلك و هو مذهب الامامية «٢» كلّها و كثير من المعتزلة و

اصحاب الحديث، و منها الاخبار الكثيرة

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٦

التي لا- يبعد دعوى تواترها بل هي متواترة معنى كما صرح به المفيد وغيره فلا علينا أن نتعرض لشطر منها في المقام و ان طال بها زمام الكلام.

ففي «تفسير القمي» في الصحيح عن جميل بن دراج قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عما ندب الله الخلق إليه أدخل فيه الضلال قال: نعم و الكافرون دخلوا فيه، لأن الله تبارك و تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فدخل في أمره الملائكة و إبليس، و ان إبليس كان مع الملائكة في السماء يعبد الله، و كانت الملائكة تظن أنه منهم و لم يكن منهم، فلما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد، فعلمت الملائكة عند ذلك أن إبليس لم يكن منهم، فقيل له عليه السلام:

فكيف وقع الأمر على إبليس و إنما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فقال: فكان إبليس منهم بالولاء و لم يكن من جنس الملائكة، و ذلك ان الله تعالى خلق خلقا قبل آدم، و كان إبليس فيهم حاكما في الأرض فعتوا و أفسدوا و سفكوا الدماء فبعث الله الملائكة فقتلوهم و أسروا إبليس و رفعوه إلى السماء فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله تبارك و تعالى آدم «١» آه. أقول: قوله في صدر الخبر: أنه كان مع الملائكة اي بالولاء كما بينه في ذيله، و فيه وجوه من الدلالة على أنه لم يكن من جنسهم، بل و يدل أيضا على عصمة الملائكة و لو من الحسد.

في تفسير العياشي عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله عليه السلام قال سألته عن إبليس أ كان من الملائكة أو هل كان يلي شيئا من امر السماء و كان من الجن؟

(١) بحار الأنوار، ج ٦٠، ص ٢٧٣، رقم ١٦٠ عن تفسير القمي ص ٣٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٧

فقال عليه السلام: كان مع الملائكة و كانت الملائكة ترى أنه منها و كان الله يعلم أنه ليس منها فلما أمر بالسجود كان منه الذي كان «١».

و رواه شيخنا الصدوق في كتاب النبوة بالإسناد عن عليه السلام و فيه عنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إبليس أ كان من الملائكة او كان يلي شيئا من امر السماء؟

فقال عليه السلام لم يكن من الملائكة و كانت الملائكة ترى أنه منها و كان الله يعلم أنه ليس منها و لم يكن يلي شيئا من أمر السماء و لا كرامة قال جميل: فأتيت الطيار فأخبرته بما سمعت فأنكر و قال: كيف لا يكون من الملائكة و الله يقول للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس: فدخل عليه الطيار «٢» فسأله و انا عنده فقال له: جعلت فداك قول الله عز و جل: يا أيها الذين آمنوا* في غير مكان في مخاطبة المؤمنين أ يدخل في هذه المنافقون؟ قال: نعم يدخل في هذه المنافقون و الضلال و كل من أقر بالدعوة الظاهرة «٣».

و في تفسير الامام عليه السلام أنه قيل له عليه السلام فعلى هذا لم يكن إبليس ايضا ملكا فقال لا بل كان من الجن أما تسمعون الله عز و جل يقول: و إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن «٤» و هو الذي قال الله عز و جل: و الجن خلقناه من قبل من نار السموم «٥»، إلى آخر ما يأتي في قصة هاروت و ماروت مما يدل على

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٤ ح ١٦.

(٢) المشهور بهذا اللقب محمد بن عبد الله الكوفي من اصحاب الصادق عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٤٨ عن العياشي.

(٤) الكهف: ٥٠.

(٥) الحجر: ٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٨

عصمة الملائكة و عظم شأنهم.

و روى الصدوق في «العلل» و «المجالس» عن سلمان الفارسي قال: مر إبليس بنفر يتناولون أمير المؤمنين عليه السلام، فوقف أمامهم، فقال القوم: من الذي وقف أمامنا؟ فقال: أنا أبو مرة؟ فقال: يا أبا مرة أما تسمع كلامنا؟ فقال سواه لكم تسبون مولاكم علي بن ابي طالب؟ قالوا له: من أين علمت أنه مولانا؟ قال: من قول:

نبيكم صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، وانصر من نصره و اخذل من خذله، فقالوا له: فأنت من مواليه و شيعته؟ فقال: ما أنا من مواليه و لا من شيعته، و لكني أحبه و ما يبغضه احد إلا شاركته في المال و الولد، فقالوا له: يا أبا مرة فتقول في علي شيئا؟ فقال لهم: اسمعوا مني معاشر الناكثين و القاسطين و المارقين عبدت الله عز و جل في الجان اثني عشر ألف سنة، فلما أهلك الله الجان شكوت إلى الله عز و جل الوحدة فخرج بي إلى السماء الدنيا، فعبدت الله تعالى في السماء الدنيا اثني عشر ألف سنة اخرى في جملة الملائكة فينا نحن كذلك نسبح الله عز و جل و نقدسه إذ مر بنا نور شعشعاني، فخرت الملائكة لذلك النور سجدا فقالوا:

سبح قدوس هذا نور ملك مقرب او نبي مرسل، فإذا بالتداء من قبل الله عز و جل ما هذا نور ملك مقرب و لا نبي مرسل، هذا نور طينة علي بن ابي طالب «١». إلى غير ذلك من الاخبار الكثيرة التي يظهر منها استقرار مذهب الأئمة عليهم السلام على عدم كونه من الملائكة، و ان كان قد سرى الوهم إلى الطيار و غيره من ظاهر الخطاب، و لذا أجاب الإمام عليه السلام بما حصله أن الخطاب يتعلق بمن أقر بالدعوة الظاهرة و إن لم

(١) علل الشرائع: ص ١٤٣-١٤٤ ح ٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٦٩

يشاركهم في الحقيقة و في الايمان الحقيقي.

و بالتأمل في فحوايها يظهر الجواب عن الأدلة المتقدمة لضعف الأول بأنه لما نشأ معهم و طالت خلطته بهم تناوله الخطاب المتوجه إليهم مضافا إلى ما مرّت الإشارة إليه من كون التغليب في الحكاية لا الخطاب، و أما كان الافهام بالإلهام او بخصوص خلق الكلام و يؤيده قوله: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك «١».

و الثاني: بكون الاستثناء منقطعاً او مبتدأ على التغليب في المستثنى منه و لو بمعونة الأخبار المتقدمة و غيرها مما يفيد القطع بالمطلوب فلا يقدح مخالفتها للظاهر سيما مع اقترانه بقوله كان من الجن الذي هو كالقرنية المتصلة على ما ستمتع.

الثالث: بأن اطلاق الملك عليه في الخطبة مبنى على كونه معهم في العبادة و منهم بحسب الولاء و في زعمهم على ما أشير إليه في الاخبار المتقدمة، و أميا ما أرسله في «التبيان» فلم نجد منه أثرا في الأخبار، و على فرضه يجب تأويله كما يؤول الضعيف العامي المروي في البحار عن كتاب «غور الأمور» للترمذي عن النبي صلى الله عليه وآله في خبر ظهور إبليس ليحيى النبي على نبينا و آله و

عليه السلام و فيه أنه قال له يحيى عليه السلام ما بال خلقك و صورتك على ما ارى من القبح و التقلب و الإنكار؟ قال: يا نبي الله هذا بسبب أبيك آدم إني كنت من الملائكة المكرمين و انى لم ارفع رأسى من سجدة واحدة اربعمائة ألف سنة و عصيت ربي فى امر سجودى لآدم أبيك فغضب الله على و لعننى، فحوّلت من صورة الملائكة إلى صورة الشياطين و لم يكن فى

(١) الأعراف: ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٠

الملائكة أحسن صورة منى فصرت ممسوخا منكوسا مقبوحا هائلا كريها كما ترى «١». الخبر بكونه فى جملتهم بحسب الظاهر فى أجمل زى و أحسن صورة حتى ظهرت منه المخالفة الكامنة ما تقلبت صورته إلى ما اقتضته سيرته، مع أنه لا عبرة بقوله المحكى عنه، و على كل حال فيتعين تأويل أمثال هذه الاخبار أو طرحها بعد استقرار المذهب على عدم كونه منهم، بل و دلالة قواطع الأدلة عليه حسبما سمعت، بل قد يستدل عليه ايضا بقوله: كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ «٢»، فإن المراد به حيث يطلق الجنس المعروف الذى يقابل بالإنس.

و توهم أن «كان» بمعنى صار كما فى قوله: وَ كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ سَيِّمًا مع نص الأخصش و غيره عليه، مدفوع بأنه خلاف الظاهر فلا يصار عليه إلا بدليل فضلا عن قيامه، على خلافه.

و أما ما يقال من أن الجن مشتق من الاجتنان و هو السر و منه الجنين و الجنّة و الجنون، و الملائكة لما كانوا مستترين عن العيون صح إطلاق الجن «٣» سلّمنا لكن المراد به طائفة من الملائكة معروفون بهذا الإسم كما روته العامة عن بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و رواه بعضهم عن ابن عباس قال: كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة و كان خازنا من خزّان الجنّة، قال: و خلقت الملائكة كلّهم من نور غير هذا الحى قال و خلقت

(١) بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٢٢٩.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) مفاتيح الغيب للرازى: ج ٢ ص ٢١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧١

الجن الذى ذكروا فى القرآن من مارج من نار، و هو لسان النار الذى يكون فى طرفها إذا لهبت «١» و خلق الإنسان من طين فأول من سكن الأرض الجن فأفسدوا فيها و سفكوا الدماء و قتلوا بعضهم بعضا فبعث الله إبليس فى جند من الملائكة و هم هذا الحى الذى يقال لهم الجن فقتلهم إبليس و من معه حتى الحقوهم بجزائر البحور و أطراف الجبال فلما فعل إبليس ذلك اغترّ فى نفسه و قال قد صنعت شيئا لم يصنع احد قال فاطلع الله على ذلك من قلبه و لم يطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه.

و فى رواية اخرى عنه: انّ من الملائكة قبيلة يسمون الجنّ و كان إبليس منها و كان يسوس ما بين السماء و الأرض «٢».

بل قد يؤيد ايضا بقوله تعالى: وَ جَعَلُوا بَيْتَهُ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا «٣» حيث أن قريشا قالت الملائكة بنات الله.

ففيه انّ هذا كله مخالف للظاهر الذى هو الحجّة بل كأنه ردّ على النصوص المتقدمة المصرحة بأنه كان من الجن لا من الملائكة و أنه كان معهم و الملائكة كانوا يحسبون أنه منهم و لم يكن منهم إلى أن كان منه الذى كان و أنه كان من بنى الجان، و قد سمعت أنه قد وقع السؤال فى كثير منها من اشتمال الخطاب له مع عدم كونه منهم، و احتمال معارضة مثل هذه النصوص المأثورة عن أئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بالمروى عن ابن عباس و غيره من طرق العامة مما لا ينبغى الإصغاء اليه على أن ظاهر الآية تعليل تركه السجود بأنه كان من الجن، و لذا فرع

(١) جامع البيان للطبري ج ١ ص ١٧٨.

(٢) جامع البيان للطبري: ج ١ ص ١٧٨.

(٣) الصافات: ١٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٢

عليه بالفاء قوله: فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ «١» و من البين أنه لا يصحّ تعليل ترك السجود باختفائه عن العيون و لا بكونه خازنا عن الجنة و لا تفرع التمرد و العصيان على شيء منهما، و لفظ الجنّ و إن جاز إطلاقه على الملك بحسب اللغة على ما قيل، إلّا أنه صار بحسب العرف مختصّا بالجنس المقابل للانسان و الملك، فلا يحمل على المعنى اللغوي الذي هو مجاز عرفي إلّا لدليل، و لذا قوبل به في قوله وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَ هَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَئِنَّا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ «٢».

نعم روى في «تفسير الفرات» عن محمد بن علي عن آباءه عليهم السلام قال: هبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه و آله و هو في منزل أم سلمة، فقال يا محمد انّ ملا من ملائكة السماء الرابعة يجادلون في شيء، حتى كثر بينهم الجدل فيهم، و هم من الجنّ من قوم إبليس الذين قال الله في كتابه: إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ «٣» فأوحى الله تعالى إلى الملائكة قد كثر جدالكم فتراضوا بحكم من الآدميين يحكم بينكم، قالوا: قد تراضينا بحكم من أمّة محمد صلى الله عليه و آله، فأوحى الله إليهم بمن ترضون من أمية محمد صلى الله عليه و آله؟ قالوا: رضينا بعلّي بن أبي طالب عليه السلام فأهبط الله ملكا من ملائكة السماء الدنيا ببساط و أريكتين فهبط إلى النبي صلى الله عليه و آله فأخبره بالذي جاء فيه، فدعا النبي صلى الله عليه و آله بعلّي بن أبي طالب عليه السلام و أقعده على البساط و وسده بالأريكتين، ثم تفل في فيه، ثم قال يا علي ثبت الله قلبك و نور حجّتك بين عينيك، ثم عرج به

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) سبأ: ٤١.

(٣) الكهف: ٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٣

إلى السماء فلما نزل قال: يا محمد إن الله يقرؤك السلام و يقول لك: نرفع درجات من نشاء، و فوق كلّ ذي علم عليم «١». لكنّه قاصر عن معارضة ما سمعت بعد ظهور ضعف سنده و دلالاته.

و أما الاستدلال للمختار بأن إبليس له نسل و ذرية لقوله: أفتتخذونه و ذريته أولياء من دوني و هم لكم عدو «٢».

و الملائكة لا ذرية لهم، لأنه ليس فيهم أنثى لقوله: وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَانَا «٣» و الذرية أنما تحصل بالذكر و الأنثى، و إن الملائكة رسل الله لقوله: جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا «٤»، و رسل الله معصومون لقوله: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ «٥»، و أنّ الملائكة روحانيون مخلوقون من الأنوار، و الجنّ مخلوق من مارج من نار، و أنّ الملائكة لا- يطعمون و لا- يشربون، بل طعامهم التسييح و شرابهم التهليل، و أما الجنّ فقد ورد في الأخبار: التهي عن التسيح بالعظم و الروث معللا بكونهما طعاما لهم «٦» فلا بأس بها تأييدا لما سمعت، و إن كان بعضها لا يخلو عن قصور، و لعلّ من أمعن النظر في أخبار الباب و الأصول المقررة بين الأصحاب يقطع بأن مذهب اهل البيت عليهم السلام هو ما سمعت من غير ارتياب.

(١) تفسير فرات: ص ٧٠-٧١ و عنه البحار ج ٣٩ ص ١٦١.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) الزخرف: ١٩.

(٤) فاطر: ١.

(٥) الأنعام: ١٢٤.

(٦) بحار الأنوار: ج ٦٣ ص ٨٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٤

ثم إن من جميع ما مرّ يظهر النظر فيما قد يقال دلالة الآية على كون إبليس من الملائكة، وإن من الملائكة من ليس بمعصوم، كما لا يخفى ضعف دلالتها على حصول الكفر بأفعال الجوارح مجردة عن الأمور القلبية على ما قيل، لما ستعرف من أن سبب كفره هو الاستخفاف بأمر الله و الرد عليه.

ما يستفاد من الآية الكريمة

نعم تدل على تفضيل آدم على كل الملائكة، لتعلق الخطاب عليهم جميعا على ما مرّ، وعلى حرمة الاستكبار، وأنه قد يفضى بصاحبه إلى أن يعدّ من الكفار ويستحقّ النار، وعلى الحثّ على الايتمار لأمر الله تعالى و ترك الخوض في سرّه، وعلى بطلان القول بالجبر لنسبة السجود إلى الملائكة، والإباء والاستكبار والكفر إلى إبليس، ولو لم يكن لهم قدرة و اختيار لما صحّ شيء من ذلك و على كون صفة أفعال للوجوب، وإن كان ذلك لا يخلو عن خفاء، لا لاحتمال القرينة في الخطابات الشفاهية، والأصل و إن كان دافعا للمقابلة إلا أنه لا يدفع الحائية إذ الشك في الحادث لا الحدوث، و لا لوروده عقيب الحظر أو توهمه لحرمة السجود لغيره سبحانه فأفاد الإباحة و فهم الوجوب لقرينة فلا دلالة، و لا لاحتمال الاختلاف بين عرفنا و عرف الملائكة و التزام اتحاد الوضع و اللغة منظور فيه و ظهور الحكاية في الموافقة ممنوع بعد إفهام المرام، و ذلك لأنه يمكن دفع ذلك كلّ بالأصل، و الظهور الذي هو الحجّة مضافا إلى تطرّق وجوه المناقشة إليها كما يمكن دفع كثير من الاعتراضات التي ربما يورد عليها، بل لأنّ الذمّ و التكفير على الاستكبار الذي

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٥

لا ريب في حرمة سواء كان استكباره على آدم أو على الله سبحانه في امتثال أوامره الواجبة أو المندوبة، فإنّ ترك المندوب عتوا و علوا و استكبارا عليه سبحانه حرام قطعا، بل هو من أسباب الارتداد و الكفر، و ألا فالذمّ و الإنكار في هذه الآية و غيرها من الآيات المشتملة على هذه القصّة غير مترتب على مجرد ترك الامتثال الذي لم يعلم كونه سببا للكفر، و لو في حقّ إبليس أو جنود الملائكة المقرّبين.

و من هنا يتّجه أن يقال إن هاهنا أمور ثلاثة: إباء للسجود، و استكبار على آدم، و إنكار لرجحان السجود المأمور به من الله تعالى، بل دعوى قبحة لاشتماله على تفضيل المفضل، و لا- ريب في سببته للكفر لكونه تسفيها للحكيم و تجهيلا- للخالق العليم، و إلى هذه الأمور الثلاثة المترتبة أشير بقوله أبي و استكبر و كان من الكافرين يعني باعتراضه عليه سبحانه بقوله: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْت عَلَيَّ «١» و قوله: أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * «٢».

ثمّ أنّه ربّما يستدلّ بالآية أيضا على صحّة القول بالموافاة، و المراد به أنّ الذي علم الله من حاله أنّه يتوفّى على الكفر هو الكافر على الحقيقة إذ العبرة بالخواتيم، و ان كان بحكم الحال مؤمنا كما يحكى عن أبي الأشعري، و بناه في «المجمع» على أحد الوجوه «لكان» قال: و اما قوله: كَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قِيلَ:

معناه كان كافرا في الأصل، و هذا القول يوافق مذهبنا في الموافاة، و قيل: أراد كان في علم الله من الكافرين «٣» إلى آخر ما ذكره.

(١) الإسراء: ٦٢.

(٢) ص: ٧٦.

(٣) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٦

والمحكى عن «الملل والنحل» تفسير الموافاة بأنّ الايمان هو الذى يوافى الموت فمن أطاع الله جميع عمره، وقد علم الله أنه يأتي بما يحبط عمله، و لو بكبيرة لم يكن مستحقاً للوعد، و لا مؤمنا و كذلك على العكس، و قد يقرّر بأنّ الايمان يوجب استحقاق الثواب الدائم، و الكفر يوجب استحقاق العقاب الدائم، و الجمع بين الاستحقاقين محال، فإذا صدر الايمان من المكلف ثم صدر عنه و العياد بالله بعد ذلك كفر، فإما أن يبقى له الاستحقاقان معا و هو محال، او يكون الطارى مزيلا للسابق و هو ايضا محال، لأنّ القول بالإحباط باطل فلم يبق إلّا أن يقال إنّ هذا الفرض محال، و شرط حصول الايمان فى وقت أن لا يصدر الكفر عنه قطّ، فإذا كان الخاتمة على الكفر علمنا أنّ الذى صدر عنه أولا ما كان ايمانا، و حيث أنه كان ختم إبليس على الكفر علمنا أنه ما كان مؤمنا قطّ.

أقول: أما إبليس فالظاهر من كثير من الأخبار أنه لم يرد بعبادته التقرب إلى الله سبحانه و نيل ما لديه من المثوبة الاخروية و الزلفى و الكرامة و إنما كان مقصوده نيل الحظوظ العاجلة و الرياسة الباطلة، و اما الآية فقد سمعت أنّ فيها وجوها كثيرة، و من البين أنه يضعف دلالتها على المذهب المتقدم، بناء على اكثر الوجوه فيها بل جميعها بعد ملاحظة أنّ ايمان إبليس كان من أول الأمر كلا إيمان، حسبما سمعت على أنّ القول بالموافاة بمعنى المتقدم مخالف لما دلّت عليه ظواهر الأدلة من الكتاب و السنة، فان صحّة الايمان فى زمان غير مشروطة بعدم طرؤ الكفر عليه، و لو بعد سنين من الأزمنة بعد كونه عند تحقّقه مستجمعا للتصديق بالجنان و العمل بالأركان و الإقرار باللسان، فانّ هذه الثلاثة و هى أركان الايمان بحيث إذا تحققت

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٧

تحقق قطعاً، و ان كان ربما يصدق بتحقق البعض ايضا، نعم لو كان التصديق اللسانى مقترنا بالعزم القلبى على إنشاء الكفر و إظهاره فيما بعد لم يبعد القول بعدم تحقّق الايمان رأساً، و لعلّ الأولى تنزيل القول بالموافاة على ذلك، سيّما ما نسبه فى «المجمع» إلى مذهبن الظاهر فى نسبتبه إلى الامامية المشعرة بدعوى الإجماع عليه، إلا- أنّ مساق كلماتهم يأبى عن ذلك، بل الظاهر منها أنه مع خلوص إيمانه و اقترانه بكلّ ما يعتبر اقترانه به لو اتفق منه الكفر فى آخر عمره بحيث قد مات عليه فلا يعد إيمانه ايمانا أصلاً، لظهور الكاشف عن عدم كونه إيمانا فى الحقيقة، و هو كما ترى مخالف لظواهر الأدلة، بل ربما يمكن تحصيل القطع على خلافه و أين هذا مما أدعى الإجماع على صحته و يمكن أن يكون المراد أنّ من ختم له بالكفر فحكمه فى الخلود و سائر الأحكام حكم الكفار، و إن كان فى اكثر عمره مقيماً على وظائف الايمان، كما أنّ من ختم له بالايان فهو محشور فى زمرة المؤمنين مبشّر بخلود الجنان، و ان انقضى عمره فى الكفر و الطغيان، و هذا ايضا لا بأس به، بل هو المستفاد من ظاهر الآيات و الاخبار، كما أنّ المستفاد منها كونه فى حال الايمان مؤمنا على الحقيقة، و فى حال الكفر كافرا على الحقيقة، نعم الختم بالكفر يوجب حبط الأعمال الصالحة و بطلانها، أو كون المجازات بها فى هذه الدار الفانية، و لذا يخاطبون فى الآخرة بقوله: أَدْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فى حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا وَ اسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ «١»، كما أنّ الختم بالايان يوجب تكفير السيئات، فإنّ الإسلام يجب ما

(١) الأحقاف: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٨

قبله، و الثائب من الذنب كمن لا ذنب له، و الحبط و التكفير بهذا المعنى ممّا يدلّ عليه المنقول، و لم يبق على فساده شىء من أدلّة

العقول، بل هو المختار عند الإمامية على ما صرح به بعض الفحول، و أما الحبط و التكفير بالمعنى الذى قال به بعض المعتزلة، و قام النص و الإجماع على بطلانه عند الامامية فهو إذهاب كل من الحسنه و السيئه على قدر ما لها من المرتبة ضعفا و قوة للأخرى مع ذهابها على قدر إذهابها، و اين هذا مما أشرنا اليه من المعنى المتقدم، و من هنا يظهر ضعف ما ربما يستدل به للقول بالموافاة بالمعنى المتقدم من ان الايمان يوجب استحقاق الثواب الدائم إلى آخر ما مرّ تقريره.

تفسير الآية (٣٥)

إشارة

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى آدَمَ عَلَى نَبِينَا وَآلِهِ وَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصُنُوفِ الْأَنْعَامِ وَ اخْتَصَّهِ مِنَ الْعُلُومِ وَ الْمَعَارِفِ وَ تَعْلِيمِ الْمَلَائِكَةِ بِمَا أَوْجِبَ لَهُ بِهِ مَزِيدَ الْإِعْظَامِ، وَ أَسْجَدَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ الْكَرَامُ خَاطِبُهُ خَاطِبًا فَهَوَاتِنَا بِلَا وَسْطٍ عَلَى وَجْهِ الْإِلْهَامِ، أَوْ خَلَقَ الْكَلَامَ، أَوْ مَعَهُ عَلَى وَجْهِ الْإِيصَالِ وَ الْإِعْلَامِ بِالسُّنَنِ تَرَاجُمَةَ الْوَحْيِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَ السَّلَامُ، كَمَا يَوْمِي إِلَى بَعْضِ الْأَخْبَارِ.

فالنون في قوله: «و قلنا» نون الكبرياء و العظمة، او نون الوساطة و الكرامة، و ناداه باسمه تكريما و تقريبا و إن آثر كلمة «يا» من بين حروف النداء تنبيها على صدور الخطاب عن سرادق العظمة و الجلال.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٧٩

و قوله: «اسكن» أمر من السكنى بمعنى اتّخاذ المسكن، لا من السكون بمعنى ترك الحركة، و منه السكن بالفتح للمنزل، و بالسكون لأهله، و أصل السكنى أن يعدى بنى كما يقال: قرّ فيه، و لبث فيه، إلّا أنّهم لما نقلوه إلى سكون خاص تصرّفوا فيه، فقالوا: سكن الدار. و «أنت» تأكيد للمستكن في اسكن ليصحّ العطف عليه، و لم يقدرُوا و لتسكن زوجك للتنبيه على أنّه هو المقصود بالحكم، و المعطوف عليه تبع له، و لولاه لم تكن مأمورة به، بل لم تكن أصلا بخلاف ما لو قيل: اسكنا، و الرجل زوج المرأة، و هى زوجته، و زوجته، و الجمع فيهما أزواج، و حكى في «المصباح المنير» أنّ أهل نجد يقولون في المرأة زوجة بالهاء، و أهل الحرم يتكلمون بها مجازا، و عكس ابن السكيت فقال: و أهل الحجاز يقولون للمرأة زوج غير هاء و سائر العرب زوجة بالهاء و جمعها زوجات، قال: و الفقهاء يقتضون في الاستعمال عليها للإيضاح و خوف لبس الذكر بالأنثى، إذ لو قيل: تركه فيها زوج و ابن لم يعلم ذكر أو أنثى. أقول و الأشهر الأوفق للعرف و اللغّة ما ذكرناه أولا، و المراد بها حواء خلقها الله تعالى من فاضل طينه آدم ليسكن إليها حين استوحش من الانفراد كما قال:

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً «١».

قيل إنّهُ لما أخرج إبليس من الجنة و لعن، و بقى آدم وحده استوحش إذ ليس معه من يسكن إليه، فخلقت حواء ليسكن إليها.

(١) الروم: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٠

و فى المجمع مرسلًا أنّ الله تعالى ألقى على آدم النوم، و أخذ منه ضلعا فخلق منه حواء فاستيقظ آدم فإذا عند رأسه امرأة فسألها من أنت؟ قالت امرأة، قال لم خلقت؟ قالت لتسكن إليّ، فقالت الملائكة: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالت و لم سميت حواء؟ قال: لأنها خلقت من حىّ، فعندها قال الله تعالى: اسكنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ «١».

و ستسمع ان شاء الله تعالى الكلام فى وجه تسميتها و معنى كونها مخلوقة من ضلع آدم الأيسر فى أوّل سورة النساء.

و حيث إنّ نعمة السكنى لا تتمّ بدون التسكّن لأنّه مسكّن القلب، و هى مسكن البدن قدّمه عليها فى هذه الآية تقديم الرفيق على الطريق و الجار على الدار.

و الأقوال كظواهر الأخبار مختلفة فى كون حواء مخلوقة فى الجنة أو قبل دخولها، فربّما يستفاد منها الأوّل و قيل: إنّها خلقت قبل أن يسكن آدم الجنة، ثم ادخلا معا الجنة، و هو الظاهر من تفسير الامام عليه السلام على ما يأتى «٢».

و الأمر بسكنى الجنة للإباحة لا التّعب، إذ لا تكليف فى السكنى فى المواضع النزهة الطيبة، كما أنّ الأمر فى «كلا» للإباحة، و احتمال أن يكون مأمورا بالكون فيها باعتبار ترك أكل الشجرة مبنّى على كون النهى للتّحريم، و ضرورة المذهب تنفيه، على ما تسمع، و قد مرّ الكلام فى اشتقاق الجنة.

نعم قد اختلفوا فى أنّ الجنة الّتى أسكنها الله تعالى آدم هل هى من جنان

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥ رواها مرسلًا عن ابن عباس و ابن مسعود.

(٢) تفسير الامام العسكرى (ع): ص ٢٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨١

الآخرة أو من جنان الدنيا؟

و على الأوّل هل هى جنة الخلد أو جنة المأوى أو شىء من الجنان الثمانية المعدّة لثواب الآخرة؟

و على الثانى هل هى فى السماء أو فى الأرض عند صحرة بيت المقدس، أو بأرض فلسطين، أو على ظهر الكوفة أو بين فارس و كرمان؟ على اقوال.

و احتجّ الأوّلون بأنّ ظاهر الالف و اللام للعهد و المعهود المعلوم بين المسلمين هى جنات الآخرة المعدّة للثواب و أنّها هى المتبادر منها حتّى صار الإسم كالعلم لها فوجب الحمل عليها.

و الآخرون بأنّ دار الخلد لا- يفنى نعيمها و لا يدخلها الشيطان بعد طرده و لعنه، و أنّها لو كانت دار الخلد لما خرج آدم منها كما يقتضيه التسمية و لقوله:

وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ «١»، و بأنّ الشيطان و سوس لآدم عليه السلام بقوله: هَلْ أَذُكُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَ مُلْكِكَ لَا يَبْلَى «٢»، و معلوم أنّها لو كانت جنة الخلد لما تمكّن من وسوسة بذلك.

ثمّ منهم من حمل الإهباط على كونه من السماء إلى الأرض كأنه الظاهر، و لقوله: وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا «٣»، الظاهر فى كون الهبوط من غيرها، و لما روى عن أمير المؤمنين حيث سئل عن أكرم واد على وجه الأرض؟ فقال عليه السلام: واد

(١) الحجر: ٤٨.

(٢) طه: ١٢٠.

(٣) البقرة: ٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٢

يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء «١».

و منهم من حمّله على مجرّد الانتقال من أرض إلى أرض سيّما مع انحطاط الرتبة كما فى قوله: اهْبِطُوا مِصْرًا «٢».

على أنّ ذكر الهبوط لا- يدلّ على كون النزول من السماء قال الله تعالى: قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَ بَرَكَاتٍ «٣» و أنّما كان فى السفينة حين استقرت على الجودى و قال: إِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشِيَةِ اللَّهِ «٤»، قالوا و لا مانع بل هو الواقع أنّ الجنة الّتى أسكنها آدم

كانت مرتفعة على سائر بقاع الأرض ذات أشجار و ثمار و ظلال و نعيم و نضرة و سرور كما قال الله سبحانه: إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى «٥» اى لا يذبل باطنك بالجوع و لا ظاهره بالعري و أَنَّكَ لَا تَطْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَضْحَى «٦» اى لا يمس باطنك حرّ الظمأ و لا ظاهره حرّ الشمس، هذا مع أن آدم خلق من الأرض، و لم ينقل أنه رفع إلى السماء، بل خلق ليكون فى الأرض، و بهذا أعلم الله سبحانه الملائكة حيث قال: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً «٧».

و الذى يستفاد من اخبار أهل البيت عليهم السلام أنها لم تكن جنّة الخلد و لا من جنان الآخرة و لا كانت فى السماء بل كانت من جنان الدنيا.

(١) عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٤٤.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) هود: ٤٨.

(٤) البقرة: ٧٤.

(٥) طه: ١١٨.

(٦) طه: ١١٩.

(٧) البقرة: ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٣

ففى العلل فى الموثق عن الحسن بن بشار عن ابى عبد الله عليه السلام قال: سألته عن جنّة آدم؟ فقال: جنّة من جنان الدنيا يطلع عليها الشمس و القمر و لو كانت من جنان الخلد ما خرج منها ابدا «١»، و فى بعض النسخ: يطلع فيها الشمس و القمر و رواه فى «الكافى» بالإسناد عنه عليه السلام.

و فى «تفسير القمى» مرفوعا قال سئل الصادق عليه السلام عن جنّة آدم أمن جنان الدنيا كانت أم من جنان الآخرة؟ فقال: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس و القمر و لو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها ابدا «٢». الخبر.

نعم ربما يستظهر من بعض الأخبار ما يخالف ذلك كما رواه العياشى عن عبد الله بن سنان قال: سئل ابو عبد الله عليه السلام و انا حاضر كم لبث آدم و زوجه فى الجنّة حتى أخرجهما منها خطيئتهما؟ فقال: إنّ الله تبارك و تعالى نفخ فى آدم روحه بعد زوال الشمس من يوم الجمعة ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه، ثم أسجد له ملائكة و اسكنه جنّته من يومه ذلك فو الله ما استقرّ فيها إلّا ستّ ساعات فى يومه ذلك حتى عصى الله فأخرجهما الله منها بعد غروب الشمس، و ما باتا فيها و صيّرا بفناء الجنّة حتى أصبحا فبدت لهما سوءاتهما و ناداهما ربّهما الم أنهكما عن تلكما الشجرة فاستحيا آدم من ربّه و خضع و قال ربّنا ظلمنا أنفسنا و اعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا قال الله لهما: اهبطا من سماواتى إلى الأرض فأنه لا يجاورنى فى جنتى عاص و لا فى سماواتى «٣».

(١) علل الشرائع: ص ٦٠٠ ح ٥٥.

(٢) تفسير القمى: ص ٣٥ و عنه البحار ج ١١ ص ١٦١ ح ٥.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٨-١٨٩ عن تفسير العياشى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٤

و فى «العلل» عن النبى صلى الله عليه و آله انّ آدم لما عصى ربّه عزّ و جلّ ناداه مناد من لدن العرش يا آدم اخرج من جوارى فأنه لا يجاورنى احد عصانى فبكى و بكت الملائكة فبعث الله عزّ و جلّ اليه جبرئيل فاهبطه إلى الأرض مسودّا «١» آه.

وفي «المعاني» و «العيون» و «القصص» عن الرضا عليه السلام في الخبر الآتي في شجر الجنة أنها تحمل أنواعا فكانت شجرة الحنطة و فيها عنب، و ليست كشجر الدنيا، و ان آدم لما أكرمه الله تعالى باسجاد ملائكة له و بإدخاله الجنة ... إلى أن قال:
فأخرجهما الله تعالى عن جنته و أهبطهما عن جواره إلى الأرض «٢».

و في التهج عن بعض خطب امير المؤمنين عليه السلام ثم اسكن سبحانه آدم دارا ارغد فيها عيشته، و آمن فيها محلته، و حذره إبليس و عداوته، فاغتره عدوه نفاسه عليه بدار المقام و مرافقه الأبرار، فباع اليقين بشكّه و العزيمة بوهنه و استبدل بالجدل، و جلا، و بالاغترار ندما، ثم بسط الله سبحانه له في توبته، و لقاء كلمه رحمته، و وعده المرد إلى جنته، فأهبطه إلى دار البليّة و تناسل الذرية، الخطبة «٣».
فإن الظاهر من دار المقام أنها دار الخلد، سيما مع ما سبقه من الأوصاف و ما لحقه من قوله: و وعده المرد إلى جنته.
و مثله ما في «المعاني» عن الصادق عليه السلام في خبر قال: و لقد قام آدم على باب الكعبة ثيابه جلود الإبل و البقر فقال: اللهم ألقني عثرتي و اغفر لي ذنبي و اعدني إلى الدار التي اخرجتني منها فقال الله عزّ و جلّ: قد أقتلك عثرتك، و غفرت لك ذنبك،

(١) علل الشرائع: ص ١٣٣ و عنه البحار ج ١١ ص ١٧١.

(٢) معاني الأخبار: ص ٤٢ و العيون ص ١٧٠ و عنهما البحار ج ١١ ص ١٦٥.

(٣) نهج البلاغة الخطبة الأولى.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٥

و سأعيدك إلى الدار التي أخرجتك منها «١».

و ما في القصص من ان آدم لما كثر ولده و ولد ولده كانوا يتحدّثون عنده و هو ساكت فقالوا يا ابيه ما لك لا تتكلم فقال يا بنى إن الله جلّ جلاله لما أخرجني من جواره عهد إليّ و قال اقلّ كلامك ترجع إلى جوارى «٢».

بل و هو الظاهر ايضا مما رواه العياشي عن الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله: إن موسى سأل ربه أن يجمع بينه و بين أبيه آدم حيث عرج إلى السماء في امر الصيالة، ففعل فقال له موسى: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده، و نفخ فيك من روحه، و اسجد لك ملائكته، و أباح لك جنته، و أسكنك جواره، و كلمك قبلا، ثم نهاك عن شجرة واحدة فلم تصبر عنها، حتى أهبطت إلى الأرض بسببها، فلم تستطع أن تضبط نفسك عنها حتى أغراك إبليس فأطعته، فأنت الذي أخرجتنا من الجنة بمعصيتك.

فقال له آدم: ارفق بأبيك أي بنى فيما لقي من امر هذه الشجرة، يا بنى ان عدوى أتاني من وجه المكر و الخديعة فحلف بالله أنه في مشورته عليّ لمن الناصحين، و ذلك أنه قال لي منتصحا: إنّي لشأنك يا آدم لمغموم، قلت: و كيف؟

قال: قد كنت انست بك و بقربك مني و أنت تخرج مما أنت فيه إلى ما ستكرهه، فقلت له: و ما الحيلة؟ فقال: إن الحيلة هو ذا هو معك، أفلا أدلك على شجرة الخلد و ملك لا يبلى؟ فكلّا منها أنت و زوجك فتصيرا معي في الجنة أبدا من الخالدين،

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٧٦ عن معاني الأخبار.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٨٠ عن القصص.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٦

و حلف لي بالله كاذبا إنه لمن الناصحين «١» الخبر.

و مما رواه في «المعاني» في خبر المفصل عن الصادق عليه السلام: أنه لما أسكن الله آدم و زوجته الجنة، نظرا إلى منزله محمد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة بعدهم، فوجدها أشرف منازل أهل الجنة، فقالا: يا ربنا لمن هذه المنزلة؟ قال الله جلّ جلاله: ارفعا رؤسكما إلى ساق عرشى، فرفعا رؤسهما فوجدا أسماء محمد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة صلوات الله عليهم

مكتوبه على ساق العرش بنور من نور الجبار جلّ جلاله، فقالا: يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك! وما أحبهم إليك! وما أشرفهم لديك؟! فقال الله جلّ جلاله: لولاهم ما خلقتكما «٢». الخبر بطوله على ما يأتي في سورة الأعراف إنشاء الله. و هو الظاهر ايضا ممّا ذكره الامام عليه السلام في تفسيره «٣»، و بالجملة فالأخبار لا تخلو عن إختلاف ما في بادئ الأمر و لعله لذا قال المجلسي رحمه الله في البحار:

انّ العجز بأحد المذاهب لا- يخلو من اشكال كما انّ شيخنا الطبرسي و غيره لم يرجحوا شيئا من الأقوال و الذي يخطر بالبال وفاقا لبعض المحققين و تبه عليه المجلسي أيضا في موضعين من البحار و به يجمع بين ما سمعت من الأخبار أنّ الجنّة كانت من جنان الدنيا التي تأوى إليها أرواح المؤمنين في عالم البرزخ بعد خروجها عن أبدانهم كما ورد في تفسير قوله تعالى: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً

(١) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٨ عن تفسير العياشي.

(٢) معاني الاخبار: ص ١٠٨ و عنه البحار ج ١١ ص ١٨٣.

(٣) تفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ٩٠-٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٧

وَعَشِيًّا «١»، أنّ البكرة و العشي لا- تكونان في الآخرة في جنان الخلد، و إنّما يكون الغدوّ و العشي في جنان الدنيا التي تنقل إليها أرواح المؤمنين و تطلع فيها الشمس و القمر.

و في «الكافي» في الصحيح عن ضريس الكناسي قال سألت أبا جعفر عليه السلام:

انّ الناس يذكرون أنّ فراتنا يخرج من الجنّة، فكيف هو و هو يقبل من المغرب، و تصبّ فيه العيون و الأودية؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لله جنّة خلقها في المغرب، و ماء فراتكم هذه يخرج منها، و إليها تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم عند كلّ مساء، فتسقط على ثمارها و تأكل منها، و تتنعم فيها و تتلاقى و تتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنّة، فكانت في الهواء فيما بين السماء و الأرض ... ثمّ ذكر أنّ لله تعالى نارا في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفّار، إلى أن قال في المسلمين الذين ليسوا من أهل المعرفة و لا- من أهل العناد: إنّ من كان منهم له عمل صالح و لم تظهر منه عداوة فأنه يحدّ له حدّا إلى الجنّة التي خلقها الله في المغرب، فيدخل عليه منها الروح في حفرته إلى يوم القيمة. «٢» الخبر.

و الاخبار في هذا المعنى كثيرة جدّا و بالتأمّل فيها يمكن التوفيق بين الأخبار المتقدّمة لكونها حينئذ من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس و القمر، و أمّا اطلاق الهبوط او الهبوط من السموات أو عن جواره سبحانه او غير ذلك مما ذكر في الأخبار المتقدّمة و غيرها، فلاّن هذه الجنان و إن كانت في المغرب إلّا أنّ أسفلها

(١) مريم: ٦٢.

(٢) الكافي: ج ١ ص ٦٨ و عنه البحار ج ٦ ص ٢٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٨

بحسب المرتبة فوق محدّب محدد الجهات، و قد يعبر عنها بعالم المثال و الخيال المنفصل، و الهور قليا و الإقليم الثامن، و قد قيل: إنّ الأنهار الأربعة و هي الفرات و النيل و سيحان و جيحان تنزل من ذلك العالم إلى فلك المحدّد الجهات، ثمّ إلى الملائكة، ثمّ إلى السحاب، ثمّ إلى الأنهار الأربعة ماء كلّ نهر من نظيره هناك، و في بعض الأخبار تلويح إليه.

و أمّا اشتغالها على وعد عوده إليها مطلقا أو بالشرط ممّا يؤكّد ما سمعت لتحقّق ذلك في عالم البرزخ قبل يوم القيمة و كان ما ذكرناه هو المذمّي أشار إليه الملام صدرًا في رسالته «العرشيّة» بقوله: يجب أن نعلم أنّ الجنّة التي خرج عنها أبونا آدم و زوجته عليهما السلام

لأجل خطيئتهما غير الجنة التي وعد المتقون لأن هذه لا تكون إلا بعد خراب الدنيا و بوار السموات و الأرض و انتهاء مدّة عالم الحركات و ان كانتا متفتحتين في الحقيقة و الرتبة و الشرف لكونهما جميعا دار الحياة الدّائية، و دار البقاء غير متجدّدة و لا متبدّلة، و لا دائرة و لا فانية و لا زائلة، و بيان ذلك أنّ الغايات كالمبادئ متحاذية متقابلة، و أنّ الموت الطبيعي ابتداء حركة الرجوع إلى الله كما أنّ الحياة الطبيعيّة ابتداء حركة النزول من عنده فكلّ درجة من درجات القوس الصعوديّة بإزاء مقابلتها من درجات القوس النزوليّة، و قد شبّهت الحكماء و العرفاء هاتين السلسلتين بالقوسين من الدائرتين إشعارا بأنّ الحركة الثانية الرجوعيّة انعطافية لا استقاميّة. أقول: و لعلّ قوله: لأنّ هذه لا تكون، معناه لا يكون ظهورها و دخول المؤمنين فيها، و إلّا فقد سمعت أنّ ضرورة المذهب قاضيّة بوجودها الآن و هو قد

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٨٩

صرّح بذلك في مواضع من كتبه، و من هنا يسقط ما اعترضه به الشّيخ الأجل الأجد في شرحه، نعم ذكر بعد ذلك أنّ الذي ثبت عندي ما فهمته من الكتاب و السنّة على سبيل القطع بحيث لا أرتاب فيه و لا مريّة عندي تعتريه أنّ الجنة الآخرة خلقت قبل سائر الخلق و أنّ المؤمنين خلقوا منها و إليها يعودون و أنّ جنّة الدنيا خلقت بعد خلق الأجسام خلقت من تنزل جنّة الآخرة كما خلقت الأجسام من تنزل النفوس و الأرواح و العقول، و أنّ الجنة الدّنيا هي بعينها بعد التصفيّة جنّة الآخرة كما أنّ أجسام النّاس الآن هي بعينها أجسام الدنيا و هي بعينها بعد تصفيّتها أجسام الآخرة، و القرآن ناطق بذلك لمن كان له قلب قال سبحانه في حقّ الجنة: فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لَا يُظَلَّمُونَ شَيْئاً * جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَ عُشِيّاً * تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً فقوله: و لهم رزقهم فيها بكره و عشيا يعني جنّة الدنيا لأنّ الآخرة ليس فيها بكره و عشيا و قوله:

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيّاً «١» يعني جنّة الآخرة، و هذا صريح في أنّ جنّة الدنيا هي بعينها جنّة الآخرة و قال سبحانه، في شأن النّار:

وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَ عَشِيّاً وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ «٢» فقوله: النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَ عَشِيّاً يعني نار الدنيا لأنّ الآخرة ليس فيها غدو و عشيا، و قوله: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يعني بالنّار

(١) مريم: ٦٠-٦٣.

(٢) غافر: ٤٥-٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٠

المعروض عليها يوم تقوم الساعة نار الآخرة، و قد اتفق القراء على الوقف على تقوم الساعة، و يلزم منه اتّحاد النّار المعروض عليها، و هذا ظاهر فإنّ جنّة الدنيا تنزل جنّة الآخرة، و نار الدنيا تنزل نار الآخرة كما أنّ أجسام الدنيا تنزل أجسام الآخرة فتصفيّ أجسام الدنيا و تكون بعينها أجسام الآخرة كذلك تصفيّ جنه الدنيا و تكون بعينها جنّة الآخرة و تصفيّ نار الدنيا التي عند مطلع الشّمس و تكون بعينها نار الآخرة لأنّ الله سبحانه قد تبين لنا آية ذلك، بل آية كلّ شيء في أنفسنا فقال:

سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ «١» و ايضا قال الله تعالى: وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ «٢»، إلى قوله: وَ مِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ «٣»، و المعنى و من دون جنّتي الآخرة أي من قبلهما و من دونهما أي من أنزل منهما جنّتان في الدنيا إذا ماتوا تأوى إليهما أرواحهم و هما الآن في المغرب في الإقليم الثامن، و الفرات و النيل و سيحان و جيحان تجرى من الجنّتين اللّتين في المغرب و هما المدهاتتان.

و في حديث أمير المؤمنين عليه السّلام ما يدلّ على أنّهما في الدّنيا و هو قوله عليه السّلام في الرجعة: و عند ذلك تظهر الجنّتان

المدهامتان عند مسجد الكوفة و ما وراء ذلك بما شاء الله تعالى «٤».
و الرجعة من الدنيا و ظهورهما في الدنيا دليل على أنّهما اي المدهامتان من

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) الرحمن: ٤٦.

(٣) الرحمن: ٦٢-٦٣.

(٤) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ٤٣ ح ١٢ عن الاختصاص.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩١

جنان الدنيا و جنّة آدم عليه السّلام هي من جنان الدنيا فيها البكرة و العشيّ، و هي المدهامتان، فقد ظهر لمن نظر أنّ جنّة آدم التي أخرج منها هو و زوجته حواء هي من جنان الدنيا و هي الجنتان المدهامتان، و أنّها موجودة الآن، و أنّها هي بعينها جنّة الآخرة إلّا أنّها تصفّى بمعنى أنّها تطهر من أعراض البرزخية سبعين مرّة فتكون هي بعد التطهير جنّة الخلد، كما أنّ أجساد المؤمنين تطهر في الدنيا للبرزخ، و في البرزخ للآخرة، لأنّها تطهر من أعراض الدنيا سبعين مرّة فتكون أخرويّة، فما بين الدنيا و الآخرة في كلّ ما في الدنيا من الأحوال و النعيم و العذاب أربعة آلاف رتبة و تسعمائة رتبة إلى آخر ما ذكره رحمه الله.

و هو و إن أجاد فيما أفاد إلّا أنّه يتوجّه على كلامه و جوه من الإيراد: مثل ما ذكره من أنّ جنّة الدنيا خلقت بعد خلق الأجسام فإنّ مقتضى قواعدهم بل فحاوى بعض الأخبار أيضا كونها مخلوقة قبل خلق الأجسام، و أنّ جنّة الدنيا هي بعينها جنّة الآخرة بل صرح فيما بعد بأنّ جنّة الدنيا أعني جنّة آدم عليه السّلام لا يبقى إلى يوم القيمة بل تفنى عند نفخة الصور، و فيه أنّ الدليل عليه غير واضح، بل قضية ترتب العوالم و كون النقلة منها و إليها بقاؤها على ما عليها سيّما بعد ملاحظة ما ورد من أنّه تعالى ينشئ خلقا آخر بعد فناء هذا الخلق، و أنّه تعالى قد خلق ألف آدم و نحن في أواخرهم، و الاستدلال بالآية الأولى لا بأس به على بعض الوجوه، و أمّا الاستدلال بالثانية فغريب جدّا، و أغرب منه دعوى الاتفاق على الوقف على «تقوم الساعة»، فإنّ ظاهر المفسّرين بل صريح بعضهم أنّ قوله: «يوم تقوم» ظرف للفعل المتأخّر، و هو «ادخلوا» و لذا فسّره في «الكشاف» بقوله: فإذا قامت الساعة قيل

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٢

لهم: أدخلوا آل فرعون أشدّ عذاب جهنّم، أو يقال لخزنة جهنّم أدخلوهم، بناء على الإختلاف في كون الهمزة للوصل أو للقطع، بل ذلك هو المستفاد أيضا من الأخبار الكثيرة المفسّرة للآية مثل قول الصادق عليه السّلام على ما رواه القمي و غيره أنّما هذا يعني عرض النار غدواً و عشيا في الدنيا، فإنّ ما في نار الخلد فهو قوله: وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ «١». «٢» و ظاهره كما ترى كونه ظرفا للفعل المتأخّر، لا عطفًا على الظرف المتقدّم، و أمّا الجنّتان المدهامتان فالأخبار فيهما مختلفة ففي العلوي المتقدّم ما سمعت «٣» و في «الاختصاص» عن الباقر عليه السّلام أنّهما لأصحاب اليمين كما أنّ المذكورتين في قوله: وَ لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ «٤» للسابقين المقربين «٥».

و ظاهر الخبر بل صريحه على ما يأتي كون الأربع دار الجزاء للفرقيين، و في كتاب الحسين بن سعيد ما يدلّ على كونهما من الخطاء و يمكن الجمع باعتبار الاتحاد و الاضافة و ان لا يخلو عن بعد و بالحمل على البطون، و لعلّه الأقرب، و تمام الكلام عند تفسير الآية ان شاء الله و ما رواه عن امير المؤمنين الظاهر أنّه هو المرويّ في الاختصاص عن الصادق عليه السّلام في ذكر رجعة امير المؤمنين قال: و يملك امير المؤمنين عليه السّلام أربعة و أربعين ألف سنة حتّى يلد الرجل من شيعة عليّ عليه السّلام ألف ولد

(١) غافر: ٤٥-٤٦.

(٢) تفسير القمى: ج ٢ ص ٢٥٨.

(٣) البحار: ج ٥٣ ص ٤٣.

(٤) الرحمن: ٤٦.

(٥) الاختصاص: ص ٣٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٣

من صلبه ذكرا في كل سنة ذكرا و عند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة و ما حوله بما شاء الله تعالى «١».

وَ كَلَّا مِنْهَا رَعْدًا مُنْصُوبًا عَلَىٰ أَنَّهُ صِفَةٌ لِمَصْدَرٍ مَّحذُوفٍ، أَي اِكْلَا رَعْدَا يَعْنِي وَاسِعَا رَافِعَا، أَي مَصْدَرٌ وَضَعُ مَوْضِعِ الْحَالِ، أَي مُتَنَعِّمِينَ مَتَوَسِّعِينَ فِي الْعَيْشِ مِنْ قَوْلِهِمْ: عَيْشُهُ رَعْدٌ وَ رَعْدٌ بِالسُّكُونِ وَ الْفَتْحِ أَي وَاسِعَةٌ طَيِّبَةٌ لَيْسَ فِيهَا عَنَاءٌ وَ لَا تَعَبٌ وَ لَا نَصَبٌ، وَ مِنْهُ قَوْلُهُ «٢»:

بَيْنَمَا الْمَرْءُ تَرَاهُ نَاعِمًا يَأْمَنُ الْأَحْدَاثَ فِي عَيْشِ رَعْدٍ رُبَّمَا يُقَالُ تَضَعِيفًا لِلأَوَّلِ بِأَنَّ مَذْهَبَ سَيَّبِيوِيهِ وَ الْمُحَقِّقِينَ خِلَافَ ذَلِكَ وَ أَنَّ الْمُنْصُوبَ فِي الْمَقَامِ وَ فِي قَوْلِهِ: وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا «٣»، حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ مَصْدَرِ الْفِعْلِ، وَ الْأَصْلُ فَكَلَا الْأَكْلِ وَ اذْكُرْ الذِّكْرَ، قَالُوا: وَ دَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: سِيرَ عَلَيْهِ طَوِيلًا، وَ لَا يَقُولُونَ طَوِيلًا، وَ لَوْ كَانَ نَعْتًا لِلْمَصْدَرِ جَازًا، وَ لِأَنَّهُ لَا يَحْذَفُ الْمَوْصُوفُ إِلَّا وَ الصِّفَةُ خَاصَّةٌ بِجِنْسِهِ، تَقُولُ رَأَيْتَ كَاتِبًا وَ لَا تَقُولُ رَأَيْتَ طَوِيلًا لِأَنَّ الْكِتَابَةَ خَاصَّةٌ لِجِنْسِ الْإِنْسَانِ بِخِلَافِ الطَّوِيلِ.

وَ أُجِيبُ عَنِ الْأَوَّلِ بِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ الْمَانِعُ كِرَاهَةً لِاجْتِمَاعِ مُجَازِينَ: حَذْفِ الْمَوْصُوفِ، وَ تَصْيِيرِ الصِّفَةِ مَفْعُولًا- عَلَى الصِّفَةِ، وَ لِذَا يَقُولُونَ: دَخَلْتَ الدَّارَ بِحَذْفِ فِي تَوْسَعًا، وَ مَنَعُوا دَخَلْتَ الْأَمْرَ، لِأَنَّ تَعْلِيْقَ الدَّخُولِ بِالْمَعَانِي مُجَازٌ وَ إِسْقَاطُ الْخَافِضِ

(١) بحار الأنوار: ج ٥٣ ص ٤٣ ح ١٢ عن الاختصاص.

(٢) القائل: امرئ القيس.

(٣) آل عمران: ٤١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٤

مُجَازًا، وَ يُوَضِّحُهُ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ فِي صِفَةِ الْأَحْيَانِ فَيَقُولُونَ سِيرَ عَلَيْهِ زَمَنٌ طَوِيلٌ، فَإِذَا حَذَفُوا الزَّمَانَ قَالُوا طَوِيلًا لَمَّا مَرَّ.

وَ عَنِ الثَّانِي بِأَنَّ حَذْفَ الْمَوْصُوفِ إِنَّمَا يَتَوَقَّفُ عَلَى وَجْدَانِ الدَّلِيلِ لَا عَلَى الْإِخْتِصَاصِ لِقَوْلِهِ: أَنْ اِعْمَلْ سَابِغَاتٍ «١» أَي دَرُوعًا سَابِغَاتٍ، ثُمَّ إِنَّ الْعَاطِفَ لِلْفِعْلِيَّةِ عَلَى الْفِعْلِيَّةِ فِي الْمَقَامِ هُوَ الْوَاوُ، وَ فِي الْأَعْرَافِ هُوَ الْفَاءُ.

قَالَ الرَّازِيُّ: وَ الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ عَطْفٌ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَ كَانَ الْفِعْلُ بِمَنْزِلَةِ الشَّرْطِ، وَ ذَلِكَ الشَّيْءُ بِمَنْزِلَةِ الْجِزْءِ، عَطْفُ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ بِالْفَاءِ كَقَوْلِهِ: وَ إِذْ قُلْنَا اذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَعْدًا «٢»، حَيْثُ إِنَّهُ كَانَ وَجُودُ الْأَكْلِ مُتَعَلِّقًا بِدُخُولِهَا فَكَانَتْ قَالُ: إِنْ دَخَلْتُمُوهَا أَكَلْتُمْ مِنْهَا.

ثُمَّ إِنَّ الشَّيْءَ يُقَالُ لِمَنْ دَخَلَ مَكَانًا فَيُقَالُ الزَّمَّ الْمَكَانَ الَّذِي دَخَلْتَهُ وَ لَا تَنْتَقِلُ مِنْهُ، وَ يُقَالُ أَيْضًا لِمَنْ لَمْ يَدْخُلْهُ اسْكَنَ هَذَا الْبَيْتَ يَعْنِي ادْخُلْهُ وَ اسْكَنْهُ، فَفِي هَذِهِ السُّورَةِ إِنَّمَا وَرَدَ الْأَمْرُ بَعْدَ أَنْ كَانَ آدَمُ فِي الْجَنَّةِ، فَكَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ اللَّبْثُ وَ الْاسْتِقْرَارُ، وَ الْأَكْلُ لَا يَخْتَصُّ وَجُودَهُ بِوُجُودِهِ، لِأَنَّ مَنْ يَدْخُلُ بَسْتَانًا قَدْ يَأْكُلُ مِنْهُ وَ إِنْ كَانَ مُجْتَازًا، وَ لِذَا وَرَدَ بِلَفْظِ الْوَاوِ وَ فِي الْأَعْرَافِ وَرَدَ هَذَا الْأَمْرُ إِنَّمَا وَرَدَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَكَانَ الْمُرَادُ مِنْهُ دُخُولُ الْجَنَّةِ فَالدَّخُولُ مُوَصَّلٌ إِلَى الْأَكْلِ وَ الْأَكْلُ مُتَعَلِّقٌ وَجُودَهُ بِوُجُودِهِ.

أَقُولُ: وَ هُوَ بِطَوِيلِهِ لَا يَرْجِعُ إِلَى طَائِلٍ، وَ لَيْسَ فِي الْآيَتَيْنِ دَلَالَةٌ عَلَى تَعَدُّدِ الْخَطَابِينَ فَضْلًا عَنِ تَأَخُّرِ الْأَوَّلِ وَ تَقَدُّمِ الثَّانِي، بَلِ التَّأَمُّلُ فِي مَسَاقِ الْآيَتَيْنِ فِي

(١) سبأ: ١١.

(٢) البقرة: ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٥

السورتين لعلّه يقضى بالعكس، فلا تغفل و يؤيده ما يأتي عن الامام العسكري عليه السلام في تفسيره فلاحظ.
 حَيْثُ شَتَّتُمَا مَتَعَلِّقٌ بِكَلَا، لَا بِاسْكَنْ، لِأَنَّهُ أَقْرَبُ لَفْظًا وَ أُنْسَبُ مَعْنَى مِنْ حَيْثُ تَعَلَّقَ السَّعَةُ بِشَارِهَا وَ أَلْوَانُ نَعْمَهَا، تَوَطُّئُهُ لِلنَّهْيِ الَّذِي هُوَ فِي مَعْنَى الْإِسْتِنَاءِ تَنْبِيْهَا عَلَى إِزَاحَةِ الْعَلَّةِ وَ قَطْعِ الْمَعْدَرَةِ فِي التَّنَاوُلِ عَنِ الشَّجَرَةِ الْمَنْهِي عَنْهَا مِنْ بَيْنِ أَشْجَارِهَا الَّتِي لَا تَكَادُ تَحْصَى فَضْلًا عَنْ غَيْرِهَا مِنَ النِّعَمِ، وَ يَحْتَمِلُ الثَّانِي نَظْرًا إِلَى وَضْعِ الْكَلِمَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَكَانِ سَيِّمًا مَعَ تَعَلُّقِ النَّهْيِ بِالْقُرْبِ مِنَ الشَّجَرَةِ وَ لَوْ عَلَى وَجْهِ الْمَبَالِغَةِ إِلَّا أَنَّهُ يَتِمُّ ذَلِكَ عَلَى الْأَوَّلِ أَيْضًا.

وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ نَهْيٌ لِلْإِرْشَادِ، أَوْ التَّنْزِيهِ لِاتِّحْرَامِ عَلَى مَا يَأْتِي، وَ الْمَعْنَى لَا تَقْرَبَاهَا بِالْأَكْلِ أَوْ لَا تَأْكُلَا كَمَا أَرْسَلَهُ فِي الْمَجْمَعِ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ وَ يَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ الْمَخَالَفَةَ وَقَعَتْ بِالْأَكْلِ بِلَا خِلَافٍ لَا بِالذَّنْوِ مِنْهَا وَ لِذَا قَالَ فَأَكْلًا مِنْهَا فَبَدَتْ لِهَمَا سُوءَاتُهُمَا «١».

وَ ضَمِيرُ التَّنْبِيْهِ لِآدَمَ وَ حَوَاءَ وَ لَمْ يَخْصَّ آدَمَ بِالْخِطَابِ كَمَا خَصَّهُ فِي قَوْلِهِ: يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ لِلتَّنْبِيْهِ عَلَى مَزِيدِ الْإِعْتِنَاءِ وَ الْإِهْتِمَامِ فِي امْتِنَالِ النَّهْيِ وَ اسْتِقْلَالِ الطَّلَبِ مِنْ كُلِّ مِنْهُمَا.

وَ أَمَّا عَلَقَ النَّهْيِ بِالْقُرْبِ الَّذِي هُوَ مِنْ مَقْدَمَاتِ الْغَيْرِ السَّبِيئَةِ لِلتَّنَاوُلِ مَبَالِغَةً فِي النَّهْيِ عَنِ الْإِكْلِ، وَ تَنْبِيْهَا عَلَى أَنَّ الْقُرْبَ مِنَ الشَّيْءِ رُبَّمَا يُوْرثُ دَاعِيَةً وَ مِيْلًا يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقَلْبِ، وَ يُوْقَعُهُ فِيمَا وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى اجْتِنَابِهِ.

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٦

وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ الْمَطِيْعَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَحُومَ حَوْلَ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ، وَ لِذَا قِيلَ مِنْ حَامٍ حَوْلَ الْحَمِيِّ أَوْشَكَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ.
 وَ فِيهِ مَعَ مَا مَرَّ مِنْ تَعْمِيمِ الْخِطَابِ وَ تَخْصِيصِ النَّهْيِ عَنْهُ بِالْإِشَارَةِ الْحَاسِمَةِ لِاحْتِمَالِ التَّشْكِيكِ وَ الْإِجْمَالِ وَ تَعْقِيْبِ النَّهْيِ بِالْفَاءِ الْمَفِيْدَةِ لِسَبِيئَةِ مَخَالَفَتِهِ لِانْخِرَاطِهِمَا فِي سَلْكَ الظَّالِمِينَ وَجُوهٍ مِنَ الْمَبَالِغَةِ.
 وَ مَدْخُولُ الْفَاءِ إِمَّا مَجْزُومٌ عَطْفًا عَلَى النَّهْيِ، فَيَكُونُ مِنْ عَطْفِ الْجُمْلَةِ عَلَى الْجُمْلَةِ، أَوْ مَنْصُوبٌ جَوَابًا لِلنَّهْيِ بِإِضْمَارِ أَنَّ الْمَوْجُودَ مَعَ فِعْلِهِ بِالْمَصْدَرِ عَطْفًا عَلَى مَصْدَرِ الْفِعْلِ الْمَتَقَدِّمِ، وَ عَلَى الْوَجْهِينِ يَسْتَفَادُ مِنْهُ سَبِيئَةُ الثَّانِي لِلأَوَّلِ كَمَا مَرَّ.

في معنى الشجر لغة

وَ الشَّجَرَةُ فِي الْأَصْلِ مَا قَامَ عَلَى سَاقٍ، وَ لِذَا قُوبِلَ بِهَا النَّجْمُ فِي قَوْلِهِ:

وَ النَّجْمُ وَ الشَّجَرُ يُسْجَدَانِ «١»، مَاخُودٌ مِنْ تَشَاجُرِ الْقَوْمِ إِذَا اخْتَلَفُوا، وَ ذَلِكَ لِأَشْتِبَاكِ أَغْصَانِهِ وَ تَدَاخُلِهَا، وَ يُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ أَيْضًا كَقَوْلِهِ: وَ أَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ.

وَ عَنِ الْمَبْرَدِ أَنَّهُ قَالَ: أَحْسَبُ أَنَّ كُلَّمَا تَفَرَّعَتْ لَهُ أَغْصَانٌ وَ مِيْدَانٌ فَالْعَرَبُ تَسْمِيهِ شَجَرَةً فِي وَقْتِ تَشَعُّبِهِ، وَ لَعَلَّ مَعْنَاهُ الْحَقِيْقِيُّ هُوَ الْأَوَّلُ وَ لِذَا قَالَ فِي «المصباح» وَ غَيْرِهِ: الشَّجَرُ مَا لَهُ سَاقٌ صَلْبٌ، بَلْ فِي قَوْلِ الْمَبْرَدِ دَلَالَةٌ عَلَيْهِ أَيْضًا، وَ أَمَّا الثَّانِيَةُ فَلَعَلَّ إِطْلَاقَهَا لِلتَّنْبِيْهِ عَلَى ارْتِفَاعِ أَوْرَاقِهَا عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ كَمَا يَسْهَلُ

(١) الرحمن: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٧

الاستغلال بظلمها على ما يأتي إنشاء الله.

القراءة

وقرأ الشجرة بكسر الشين و الشيرة بتبديل الجيم ياء، و عن أبي عمرو أنه كرهها و قال: يقرأ بها برابر مكة و سودانها، و لعلهما لغتان فيها، و لذا قال في القاموس: الشجر و الشجر و الشجاء كجبل و عنب و صحراء و شير بالياء كعنب من النبات: ما قام على ساق أو ما سما بنفسه، دق أو جلّ قاوم الشتاء أو عجز عنه، الواحدة بهاء و بالجملة فالقراءتان شاذتان كقراءة تقربا بكسر التاء و هذى بالياء.

المراد بالشجرة المنهية

و هل المراد بها شجرة الحنطة، أو خصوص السنبله، أو الكرمة، أو التينة، أو شجرة الكافور، أو شجرة الحسد، أو العلم علم الخير و الشر، أو شجرة الخلد التي كانت الملائكة تأكل منها، أو شجرة من أكل منها أحدث، أو شجرة علم محمد و آل محمد، أو غير ذلك فيه أقوال معروفة و الاخبار أيضا مختلفة ففي «المجمع» مرسل عن امير المؤمنين عليه السلام: أنها شجرة الكافور «١»، و في كثير من الاخبار أنها السنبله، بل في أسئلة ابن سلام عن النبي صلى الله عليه و آله كم أكل آدم من حبات الشجرة؟ قال صلى الله عليه و آله: حبتين، قال: و كم أكلت حواء؟ قال: حبتين، قال: كم للشجرة من غصن و كم طول السنبله؟ قال: يا بن سلام كان لها ثلاثة أعصان، و كان طول كل سنبله ثلاثة أشبار، قال فكم

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٨

سنبله فرك منها آدم؟ قال: سنبله واحدة، قال: فكم كان في السنبله من حبة؟ قال:

كان فيها خمس حبات، و كانت الحبة بمنزلة البيض الكبار، فأكلا أربع حبات، و بقيت حبة واحدة أنزلت معه من الجنة، فزرع آدم تلك الحبة فتناسل منها الحب في الأرض و بورك فيها «١».

و في «العلل» بالإسناد عن الصادق عليه السلام: إن الحبات التي أكلها آدم و حواء في الجنة كانت ثمانية عشر، أكل آدم منها اثني عشر حبة، و أكلت حواء ستا، فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين «٢».

و فيه و في «العيون» سأل الشامي امير المؤمنين عليه السلام لم صار الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين؟ قال عليه السلام: من قبل السنبله، كان عليها ثلاث حبات فبادرت إليها حواء فأكلت منها حبة، و أطعمت آدم حبتين، فمن أجل ذلك ورث الذكر مثل حظ الأنثيين «٣».

أقول و ربما يدفع المنافاة بين الخبرين الأخيرين بحمل الأول على أول سنبله أخذاه، ثم أخذنا كذلك حتى صارت ثمانية عشر، أو أنها كانت على كل شعبة منها ثلاث حبات، و كانت الشعب ستة و لعل جوابه عن ابن سلام مبنى على ما هو المشهور بين اهل الكتاب كما يظهر ذلك من التأمل في خبره الطويل المشتمل على السؤال عن امور كثيرة.

و في تفسير العياشي عن الهادي عليه السلام: ان الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم

(١) بحار الأنوار: ج ٦٠ ص ٢٤٥.

(٢) علل الشرائع ج ٢ ص ٥٧١.

(٣) عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٢١٩، علل الشرائع ج ٢ ص ٥٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٢٩٩

و زوجته ان يأكلا منها شجرة الحسد و عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضله الله تعالى على خلقه بعين الحسد فنسى و نظر بعين الحسد و لم يجد له عزما.

و المراد بالحسد هو الغبطة و تمنى المنزلة، كما أنه هو المراد أيضا منه في الخبر المروى في «المعاني» و «العيون» بالإسناد عن الهروي قال: قلت للرضا عليه السلام يا بن رسول الله صلى الله عليه و آله أخبرني عن الشجرة التي أكل منها آدم و حواء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها فمنهم من يروى أنها الحنطة، و منهم من يروى أنها العنب، و منهم من يروى أنها شجرة الحسد، فقال عليه السلام: كل ذلك حق، قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال عليه السلام: يا أبا الصلت إن شجر الجنة تحمل أنواعا فكانت شجرة الحنطة و فيها عنب و ليست كشجرة الدنيا، و إن آدم عليه السلام لما أكرمه الله تعالى بإسجاد ملائكته له، و بإدخال الجنة قال في نفسه هل خلق الله بشرا أفضل مني فعلم الله عز و جل ما وقع في نفسه، فناداه ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوبا لا اله إلا الله محمد رسول الله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين و زوجته فاطمة سيده نساء العالمين و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة، فقال آدم عليه السلام: يا رب من هؤلاء؟ فقال عز و جل: من ذريتك، و هم خير منك و من جميع خلقي، و لو لا-هم ما خلقتك و لا خلقت الجنة و النار و لا السماء و الأرض، فأياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك عن جوارى، فنظر إليهم بعين الحسد و تمنى منزلتهم، فتسلط الشيطان عليه حتى أكل من الشجرة التي نهى عنها و تسلط على حواء فنظرت إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتى أكلت من الشجرة كما

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٠

أكل آدم فأخرجهما الله عز و جل عن جنته و أهبطهما عن جواره إلى الأرض «١».

و في تفسير الامام عليه السلام ان الله عز و جل لما لعن إبليس بإبائه، و أكرم الملائكة بسجودها لآدم و طاعتهم لله عز و جل أمر بآدم و حواء إلى الجنة، و قال يا آدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا من الجنة رغدا و اسعا بلا تعب حيث شئتما، و لا تقربا هذه الشجرة شجرة العلم شجرة علم محمد و آل محمد الذين أثرهم الله تعالى به دون سائر خلقه، فقال الله: و لا تقربا هذه الشجرة شجرة العلم فانها لمحمد و آله خاصة دون غيرهم، لا يتناول منها بأمر الله إلا هم، و منها ما كان يتناوله النبي صلى الله عليه و آله و علي و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم أجمعين بعد إطعامهم المسكين و اليتيم و الأسير حتى لم يحسوا بعد بجوع و لا عطش و لا تعب و لا- نصب، و هي شجرة تميزت من بين أشجار الجنة، إن سائر أشجار الجنة كان كل نوع منها يحمل نوعا من الثمار و المأكول و كانت هذه الشجرة و جنسها تحمل البر و العنب و التين و العناب و سائر انواع الثمار و الفواكه و الأطعمة، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشجرة فقال بعضهم: هي برّة، و قال آخرون: هي عنبه، و قال آخرون: هي تينه، و قال آخرون:

هي عنابه و قال الله: و لا تقربا هذه الشجرة لتلتمان بذلك درجة محمد و آل محمد في فضلهم فان الله عز و جل خصهم بهذه الدرجة دون غيرهم، و هي الشجرة التي من تناول منها باذن الله ألهم علم الأولين و الآخرين من غير تعلم، و من تناول منها بغير إذن الله خاب من مراده و عصي ربه فتكونا من الظالمين بمعصيتكما أو

(١) معاني الاخبار: ص ١٢٤ و عيون الاخبار ج ١ ص ٣٠٦ ح ٦٧ و عنهما البحار ج ١١ ص ١٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠١

التماسكما درجة قد أوتر بها غير كما إذا رمتما تغير حكم الله إلى آخر ما يأتي «١».

و في الأنوار النعمانية أنه قد ورد في حديث معتبر: ان هذه الشجرة شجرة غرسها الله تعالى بيد قدرته لما خلق الجنة و جعلها لعل بن أبي طالب و شيعته بأن لا يأكل احد قبله منها «٢».

إشارة

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا حملهما على الزلّة بسبب وسوسته فى الأكل من الشجرة بناء على كون الضمير لهما و «عن» للسبيّة نظير قوله: وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي و يحتمل أن يكون الضمير للجنة، بل لعلّ المتعنين، حذرا من صرف الظرف عن ظاهره.

و توهم أنه يكون الإخراج حينئذ قبل الإزلال أو معه فلا يصحّ العطف بالفاء، مدفوع بأنّ المراد التنبيه على جملة ما فات عنهما من النعمة و الكرامة المقصودة بالموصولة بسبب زلتهما بالخطيئة من الجنة على وجه الترتيب، و ان لم يلحظ فيه الترتيب، مع أنه هو المصرّح به فى تفسير الامام عليه السلام حيث قال: فآزلهما الشيطان عنها عن الجنة بوسوسته و خديعته و إيهامه و غروره بأن بدء بآدم فقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين، إن تناولتما منها تعلمان الغيب، و تقدران على ما يقدر عليه من خصه الله تعالى بالقدرة، او تكونا من الخالدين لا

(١) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام ص ٢٢١-٢٢٢.

(٢) الأنوار النعمانية: ج ١ ص ٢٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٢

تموتان ابداء، و وَقَاسَمَهُمَا «١» حلف لهما إني لكما لمنّ الناصحين «٢» و كان إبليس بين لحيى الحيّة، أدخلته الجنة و كان آدم يظنّ أنّ الحيّة هى التى تخاطبه، و لم يعلم أنّ إبليس قد اختبأ بين لحييها، فردّ آدم على الحيّة، أيّتها الحيّة: هذا من غرور إبليس كيف يخوننا ربنا أم كيف تعظمين الله بالقسم به و أنت تنسينه إلى الخيانة و سوء النظر و هو أكرم الأكرمين؟ أم كيف أروم التوصل إلى ما منعنى منه ربى و أتعاطاه بغير حكمه؟ فلما ايس إبليس من قبول آدم منه عاد ثانية بين لحيى الحيّة، فخاطب حواء من حيث يوهما أنّ الحيّة هى التى تخاطبها، و قال: يا حواء أ رأيت هذه الشجرة التى كان الله عزّ و جلّ حرّمها عليكم، قد أحلّها لكما بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما له و توقيركما إياه، و ذلك أنّ الملائكة الموكّلين بالشجرة التى معها الحراب يدفعون عنها سائر حيوانات الجنة لا يدفعوك عنها ان رمتها فاعلمى بذلك أنّه قد أحلّ لك، و ابشرى بانك ان تناولتها قبل آدم كنت أنت المسلّطة عليه الأمره الناهية فوقة، فقالت حواء سوف أجرب هذا، فرامت الشجرة فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها، فأوحى الله إليها أنّها تدفعون بحرابكم من لا عقل له بزجره، و انا من جعلته ممكنا مميّزا مختارا فكلوه إلى عقله الذى جعلته حجّة عليه، فإن أطاع استحقّ ثوابى و ان عصى و خالف أمرى استحقّ عقابى و جزائى، فتركوها و لم يتعرّضوا لها بعد ما همّوا بمنعها بحرابهم، فظنّت أنّ الله نهاهم عن منعها لأنّه قد أحلّها بعد ما حرّمها، فقالت صدقت الحيّة، و ظنّت أنّ المخاطب لها

(١) الكهف: ٨٢.

(٢) الأعراف: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٣

هى الحيّة فتناولت منها و لم تنكر من نفسها شيئا، فقالت لآدم: الم تعلم أنّ الشجرة المحرّمة علينا قد ابيحت لنا؟ تناولت منها فلم تمنعنى أملاكها و لم انكر شيئا من حالى، فلذلك اغترّ آدم و غلط فتناول، فأصابهما ما قال الله تعالى فى كتابه:

«فآزلهما الشيطان عنها فأخرجهما بوسوسته و غروره» «١».

و فيه دلالة على ترجيح قراءة المشهور و ردّ قراءة حمزة حيث قرأ فأزلهما نظرا إلى أنّ قوله: اسكن أنت و زوجك الجنة معناه أثبتا فثبتا فأزلهما الشيطان فقابل الثبات بالزوال الذى هو خلافه.

وفيه ان البناء في مثله ليس على التعليل بل على الترخيص الذي ورد معه الإذن بالقراءة كما يقرءون.

كيفية دخول إبليس الجنة

و اما كيفية دخول إبليس الجنة بعد لعنه و طرده و خروجه منها فاختلّفوا فيها و في كيفية وصوله إليهما و وسوسته لهما، فقيل إن آدم كان يخرج إلى باب الجنة و إبليس لم يكن ممنوعاً من الدنو و كان يكلمه، و كان هذا قبل أن يهبط إلى الأرض و بعد أن أخرج من الجنة، و قيل: إنّه كان يحرم عليه دخول الجنة بارزا و اما مختفياً و لو في فم الحية فلا كما يومئ كلام الامام عليه السلام، و قيل: إنّه منع من الدخول على وجه التكرمة كما كان يدخل قبل ذلك مع الملائكة، و اما الدخول للوسوسة و ابتلاء آدم و حواء فلم يمنع منه، و اما الدخول في فم الحية فانما كان لاشتداد البلية و التمكن

(١) تفسير الامام العسكري: ج ٤ ص ٢٢٣-٢٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٤

من الوسوسة لا للتوصل إلى الدخول، و قيل: تمثل بصورة دابة اخرى غير الحية و لم تعرفه الخزنه، و قيل: إنّه وسوسهما لا على وجه المشافهة بل في صدورهما، و قيل:

إنّه كلمهما من الأرض بكلام عرفاه و فهماه منه، و قيل: إنّه راسلها بالخطاب.

و ظاهر الخبر المتقدم أنّ وسوسته كانت على وجه المشافهة كما هو المستفاد من ظواهر الآيات ايضا، و أنّ دخوله كان بواسطة الحية. و في «الأنوار النعمانية» أنّ ذلك كان بأسباب إلهية كما في بعض الروايات قال و ذلك أنّ الشيطان لما أخرج من الجنة لم يقدر على الدخول إليها فأتى إلى جدار الجنة، و رأى الحية على أعلى الجدار، فقال لها: أدخلني الجنة و أعلمك الاسم الأعظم فقالت له: إنّ الملائكة تحرس الجنة فيرونك، فقال لها أدخل في فمك و ابقى عليّ حتى ادخل ففعلت، و من ثم صار السم في أنيابها و فمها لما كان جلوس الشيطان فيه، فلما أدخلته قالت له اين الاسم الأعظم؟ فقال لها لو كنت اعلمه لما احتجت إليك في دخولي فأتى إلى آدم عليه السلام فوسوس له فاقسم له بالنصيحة فلم يطعه، فأتى إلى حواء فقال هذه شجرة الخلد و اقسم لها و لم يعهد قبل أن أحدا يقدر على أن يقسم بالله كاذبا فأتت حواء إلى آدم فصارت عوناً للشيطان عليه فقام آدم معها إلى الاكل من الشجرة فكانت أول قدم مشت إلى الخطيئة فلما مدّا يديهما إليها تطاير ما عليهما من الحلوى و الحلل و بقيا عريانين فأخذوا من ورق التين فوضعاه على عورتيهما فتطاير الورق فوضع آدم عليه السلام يده على عورته و الاخر على رأسه كما هو شأن العراه و من ثم امر بالوضوء على هذه الهيئة (١).

(١) الأنوار النعمانية: ج ١ ص ٢٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٥

و روى الصدوق طاب ثراه: أنّه جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فسألوه عن مسائل فكان فيما سأله أخبرنا يا محمد لآي علة توضع هذه الجوارح الأربع و هي أنظف الجوارح في الجسد فقال النبي صلى الله عليه و آله: لما أن وسوس الشيطان إلى آدم عليه السلام و دنى آدم من الشجرة فنظر إليها فذهب ماء وجهه، ثم قام و مشى إليها، و هي أول قدم مشت إلى الخطيئة، ثم تناول بيده منها ما عليها فأكل، فطار الحلوى و الحلل عن جسده، فوضع آدم يده على أم رأسه، و بكى فلما تاب الله عزّ و جلّ عليه فرض عليه و على ذريته تطهير هذه الجوارح الأربع، فأمر الله عزّ و جلّ بغسل الوجه لما نظر إلى الشجرة، و أمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما، و أمره بمسح الرأس لما وضع يده على أم رأسه، و أمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئة (١) آه.

أقول: و في تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام: إنّ آدم لما أكل من الشجرة ذكر ما نهاه الله عنها فذهب ليتنحى من الشجرة

فأخذت الشجرة برأسه فجرته إليها وقالت له أفلا كان فرارك من قبل أن تأكل مني «٢».

و في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال لما اخرج آدم نزل جبرئيل عليه، فقال: يا آدم أليس الله خلقك بيده، و نفع فيك من روحه، و أسجد لك ملائكته، و زوجك حواء أمته، و أسكنك الجنة و أباحها لك، و نهاك مشافهة ان لا تأكل من هذه الشجرة، فأكلت منها، و عصيت الله؟ فقال آدم عليه السلام: يا جبرئيل إن إبليس حلف لي بالله أنه لي ناصح فما ظننت أن أحدا من خلق الله يحلف بالله كاذبا «٣».

(١) علل الشرائع: ص ٢٨٠ ح ١.

(٢) تفسير العياشي: ج ٢ ص ١٠ ح ١١.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٦

أقول: و سيأتي تفسير قوله: وَ قَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ «١».

عن «مصباح الشريعة»، و غيرها ما يدل عليه، و بيان السر في ذلك.

و روت العامية أن إبليس أراد ان يدخل عليهما الجنة فمنعته الخزنة فأتى الحية و هي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير، و هي كأحسن الدواب فكلمها أن يدخل في فيها حتى يدخل الي آدم فأدخلته في فمها فمرت الحية على الخزنة فدخلت و هم لا يعلمون لما أراد الله من الأمر: فكلمه من فمها.

و في خبر آخر: ان عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أنها تحمله و تدخل به الجنة حتى يكلم آدم و زوجته، فكل الدواب أبي ذلك عليه حتى كلم الحية، فقال لها: انا أمنعك من بني آدم فأنت في ذمتي إذا ادخلتني الجنة، فجعلته بين نابين من أنيابها ثم دخلت به، فكلمهما من فيها، و كانت كاسية تمشي على أربع قوائم، فأعراها الله تعالى و جعلها تمشي على بطنها «٢».

و روى أن أول ما ابتدأهما به من كيدهما إياهما أنه ناح عليهما نياحةً أحزنتهما حين سمعاها، فقالا له ما يبكيك؟ قال: أبكى عليكما تموتان فتفترقان، أو قال:

فتفارق ما أنتما عليه من النعمة و الكرامة، فوقع ذلك في أنفسهما ثم أتاهما فوسوس إليهما فقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد «٣» فَأَخْرَجَهُمَا بوسوسته و غروره مِمَّا كَانَا فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَ الدَّعْوَةِ وَ مِمَّا كَانَا قَدْ خَوَّطَا قَبْلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى وَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ

(١) الأعراف: ٢١.

(٢) جامع البيان للطبري ج ١ ص ١٨٨.

(٣) جامع البيان ج ١ ص ١٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٧

فيها وَ لَا تَضْحَى «١» او من الجنة حتى أهبطا، او من عظم القرب و المنزلة و الطاعة إلى ما قد سماه الله سبحانه معصيته.

و إضافة الإخراج إليه على حد إضافة الإذلال باعتبار السبيته.

وَ قُلْنَا اهْبِطُوا خُطَابَ لَادِمٍ وَ حَوَاءَ لِقَوْلِهِ: اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً «٢» إطلاقاً للجمع على الإثنين حقيقة او مجازاً كقوله: وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ «٣»، فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ «٤»، إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ «٥» أو لهما و لذريتهما و لو على التغليب ليصح تعلقه بالمعدوم، أو توجيه الخطاب إلى الأرواح التي دلت القواطع على تقدم خلقها على الأبدان، أو لهما و لإبليس، و إن كان قد أخرج قبل ذلك، بدليل قوله

في الحجر فَأَخْرَجَ مِنْهَا فَاثْنَيْ عَشَرَ نَفِيسًا وَإِلَى قَوْلِهِ: «٦» إِلَى قَوْلِهِ: وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَهْلًا بِرَبِّكَ جَمْعَهُ مَعَهُمَا لِدُخُولِهِ ثَانِيًا عَلَى وَجْهِ الْاِخْتِفَاءِ وَالْمَسَارِقَةِ لِلْوَسْوَسَةِ، أَوْ لِقَرَبِهِ مِنْ بَابِ الْجَنَّةِ، أَوْ لِاجْتِمَاعِهِمْ حِينَئِذٍ فِي الْهَبُوطِ، وَانْ كَانَتْ أَوْقَاتُهُمْ مُتَفَرِّقَةً فِيهِ، أَوْ لِهَمَا وَلِلْحَيَّةِ وَاسْتَبْعَدَهُ فِي «الْمَجْمَعِ» «٧» بَأَنَّ خَطَابَ مَنْ لَا يَفْهَمُ الْخَطَابَ لَا يَحْسُنُ، وَبَأَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْ لِلْحَيَّةِ ذَكَرًا، وَالْكِنَايَةُ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ لَا تَحْسُنُ، إِلَّا مَعَ الْأَمْنِ مِنَ اللَّبْسِ.

و يَضْعَفُ الْأَوَّلُ بِالْمَنْعِ عَنْ عَدَمِ فَهْمِهِ الْخَطَابَ سَيِّمًا مَعَ مَا قَرَّرَ فِي مَحَلِّهِ مِنْ

(١) طه: ١١٧ - ١١٨ - ١١٩.

(٢) طه: ١٢٣.

(٣) الأنبياء: ٧٨.

(٤) النساء: ١١.

(٥) الشعراء: ١٥.

(٦) الحجر: ٣٤ و ص: ٧٧.

(٧) مجمع البيان: ج ١ ص ٧٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٨

مساوغة الشعور للوجود، و أنّ الجماد فضلا عن الحيوان يشارك الإنسان في الإدراك و الشعور و العبودية، و صحته تعلق الخطاب و ان اختلفت في مراتب الجمود و السيلان، سيما بعد ما سمعت عن الأنوار النعمانية من مكالمتها مع الشيطان، و الثاني بأن الخطب في مثله سهل بعد ملاحظة وجوه دلالات القرآن و محامله، و أولى من الجميع ما في «تفسير الامام» من الجمع بين الأربعة حيث قال: و قلنا يا آدم و يا حواء و يا ايها الحية و يا إبليس اهبطوا.

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ أَدَمُ وَ حَوَاءُ وَ وَلَدُهُمَا عَدُوٌّ لِلْحَيَّةِ، وَ إبليس و الحية و أولادهما أعداؤكم «١».

و على الأولين فالمعاداة بين الدرية و لو باعتبار التجوز، أو تقدير المضاف في الأول، و الجملة حالية استغنى فيها عن الواو بالضمير، و المعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بإضلاله و تغيره، و ليس من متعلق الأمر، و يحتمل أن يكون استينافا لله سبحانه فائدته التحذير عن الاغترار بوساوس هذا العدو كما في قوله: لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ «٢» و قوله: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ «٣».

و عداوة إبليس لآدم و حواء ظاهرة حتى قد روى أنه أغرى عليهما السباع بعد هبوطهما كما في «العلل» عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أنه سئل النبي صلى الله عليه و آله مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ الْكَلْبَ؟ قال: خلقه من بزاق إبليس، قال: و كيف ذلك يا رسول الله قال: لَمَّا

(١) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام: ص ٢٢٤ و عنه البحار ج ١١ ص ١٩٠.

(٢) الأعراف: ٢٧.

(٣) فاطر: ٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٠٩

أهبط الله آدم و حواء إلى الأرض أهبطهما كالفرخين المرتعشين، فعدا إبليس الملعون إلى السباع، و كانوا قبل آدم في الأرض، فقال لهم: إن طيرين قد وقعا من السماء لم ير الزاؤون أعظم منهما تعالوا فكلوهما، فتعادت السباع معه و جعل إبليس يحثهم و يصيح و

يعدهم بقرب المسافة، فوقع من فيه من عجله كلامه بزاق فخلق الله عزّ وجلّ من ذلك الزقاق كليين أحدهما ذكر و الآخر أنثى، فقاما حول آدم و حواء، الكلبة بجده، و الكلب بالهند، فلم يتركوا السباع أن يقربوهما، و من ذلك اليوم الكلب عدوّ الشّيع، و الشّيع عدوّ الكلب «١».

و فيه عنه عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ الله عزّ وجلّ حين أمر آدم أن يهبط هبط آدم و زوجته، و هبط إبليس و لا زوجة له، و هبطت الحيّة و لا زوج لها فكان أوّل من يلوط بنفسه إبليس، فكانت ذريّته من نفسه، و كذلك الحيّة و كانت ذريّة آدم من زوجته فأخبرهما أنّهما عدوان لهما «٢».

و لَكُمْ فِي الْمَرْصِ مُسْتَقَرٌّ مَنْزِلٌ وَمَقَرٌّ لِلْمَعِاشِ بِأَنْ جَعَلَهَا قَرَارًا وَمَعِاشًا لَكُمْ، و يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار، و أن يكون اسم مفعول و هو ما استقرّ منكم عليه، و جاز تصرّفكم فيه.

وَمَتَاعٌ اسْتِمْتَاعٌ وَانْتِفَاعٌ إِلَى حِينٍ حِينَ الْمَوْتِ كَمَا فِي «تفسير الامام عليه السّلام» أو إلى يوم القيمة كما في رواية «القمي» و جمع بينهما بأنّ الموت هو القيمة الصغرى للأكثرين و الكبرى للآخرين و لذا ورد «من مات فقد قامت قيامته».

(١) علل الشرائع: ص ٤٩٦ ح ١ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٠٧ ح ١٠.

(٢) علل الشرائع: ص ٥٤٧ ح ٢ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٣٧ ح ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٠

أقول: و هو مبني على كون الغاية هو الموت بناء على انتقال الرّوح بعدها إلى جنان الدّنيا أو نيرانها، فإنّ القبر إمّا روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النّار، و قد سمعت كون الهبوط من جنان الدّنيا لا من جنّة الخلد، و من هنا يبعد الحمل على القيامة الكبرى و ان كان في القبر ايضاً تمّتع و استقرار.

و لا ينافي شيئاً من الوجهين قوله في سورة الأعراف بعد مثل هذه الآية قال:

فِيهَا تَعْيُونٌ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَ مِنْهَا تُخْرَجُونَ «١» إذ يمكن أن يكون تفصيلاً لوجه الاستقرار، و أن يكون زيادةً عليه، و الظرف غاية للأمرين، و تنكير الثلاثة للتّحقيق، فإنّ الآخرة هي دار القرار، و إن طلب الناس القرار في الدّنيا، و لذا أثر المستقر على المقرّ، و ليس في الدنيا إلّا عيش يسير و متاع قليل، و لذا قال سبحانه: وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْأَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ «٢» و مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ* «٣».

مدّة مكث آدم في الجنّة

ثمّ أنّهم قد اختلفوا في مدّة مكثه عليه السّلام في الجنّة و زمان هبوطه و مكانه على أقوال لا طائل تحت التّعرض لها، لاستناد جملة منها إلى بعض الاعتبارات و إلى أقوال اهل الكتاب.

نعم روى الصدوق في «العلل» و «الأمالى» عن الحسن بن عليّ بن ابي طالب عليهما السّلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلّى الله عليه و آله فسألوه عن مسائل، فكان

(١) الأعراف: ٢٥.

(٢) الرعد: ٢٦.

(٣) آل عمران: ١٨٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١١

فيما سألوه أخبرني عن الله لأى شىء وقت هذه الصلوات الخمس فى خمس مواقيت على أمتك فى ساعات الليل و النهار؟ فأجاب صلى الله عليه و آله إلى أن قال: و أما صلاة العصر فهى الساعة التى أكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله عن الجنة، فأمر الله ذريته بهذه الصلاة إلى يوم القيامة، و اختارها لأمتى فهى من أحب الصلاة إلى الله تعالى عز و جل، و أوصانى ان احفظها من بين الصلوات، و أما صلاة المغرب فهى الساعة التى تاب الله فيها على آدم، و كان بين ما أكل من الشجرة و بين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيام الدنيا، و فى أيام الآخرة يوم كالف سنة من وقت صلاة العصر إلى العشاء: فصلّى آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته، و ركعة لخطيئته حواء، و ركعة لتوبته، فافترض الله عز و جل هذه الركعات الثلاث على أمتى «١».

و فى «الخصال» بالإسناد عن النبى صلى الله عليه و آله، قال: إنّما كان لبث آدم و حواء فى الجنة حتى أخرجنا منها سبع ساعات من أيام الدنيا حتى أهبطهما الله تعالى من يومهما ذلك «٢».

أقول: و لعل المعنى من أيام جنان الدنيا، على تقدير المضاف، فينطبق على الخبر الأول.

تعدّد الأيام و تغايرها

روى السيد فى «الدروع الواقية» عن الصادق عليه السلام: أن اليوم الأول من الشهر

(١) علل الشرائع: ص ٣٣٧ و الأمالى ص ١٥٩ و عنهما البحار ج ١١ ص ١٦٠.

(٢) الخصال: ج ٢ ص ٣٩٧ ح ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٢

خلق فيه آدم و هو يوم مبارك لطلب الحوائج، و فى اليوم الثانى خلقت حواء من آدم، يصلح للتزويج و بناء المنازل، و اليوم الثالث يوم نحس مستمر، نزع عن آدم و حواء لباسهما و أخرجنا من الجنة «١».

و هى تدلّ على تعدّد الأيام و تغايرها، و قضيتها بعض الأخبار المتقدمة و وقوع تلك الشؤون جميعا فى ساعات من يوم واحد، و يمكن الجمع بحمل تلك الأخبار على الأيام الدهرية الملكوتية، و هذه على الزمانية الناسوتية، و يدلّ عليه ما مرّ عن «العلل» و «الأمالى» عن النبى صلى الله عليه و آله حيث قال: و أما صلاة المغرب «٢»، آه.

مكان هبوط آدم و حواء

و أمّا مهبطهما فظاهر كثير من الأخبار أنّه الصّفا و المروة ففى «تفسير القمى» و غيره عن الصادق عليه السلام قال: فهبط آدم على الصّفا، و إنّما سميت الصّفا لأنّ صفوة الله نزل عليها و نزلت حواء على المروة، و إنّما سميت المروة لأنّ المرأة نزلت عليها فبقى آدم أربعين صباحا ساجدا يبكى على الجنة فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم ألم يخلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و اسجد لك ملائكته؟ قال: بلى قال:

و أمرك أن لا تأكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال: يا جبرئيل إنّ إبليس حلف لى بالله أنّه لى ناصح و ما ظننت ان خلقا يحلف بالله كاذبا «٣».

و فى «تفسير العياشى» عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّما كان

(١) بحار الأنوار: ج ٥٩ ص ٥٦-٥٧-٥٨ عن الدروع الواقية.

(٢) علل الشرائع: ص ٣٣٧.

(٣) تفسير القمى: ج ١ ص ٤٤ و عنه البحار ج ١١ ص ١٦٣ ح ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٣

لبث آدم و حواء فى الجنة حتى خرجا عنها سبع ساعات من ايام الدنيا حتى اكلا من الشجرة فأهبطهما الله إلى الأرض من يومهما ذلك، قال فحاج آدم ربه فقال يا رب أرايتك قبل أن تخلقنى كنت قدّرت علىّ هذا الذنب و كل ما صرت و انا صائر إليه، أو هذا شيء فعلته انا من قبل نفسى لم تقدّره علىّ غلبت علىّ شقوتى، فكان ذلك منى و فعلى لا منك و لا من فعلك؟ قال له: يا آدم أنا خلقتك و علمتك أنى أسكنك و زوجتك الجنة، و بنعمتى، و ما جعلت فيك من قوتى قويت بجوارحك على معصيتى، و لم تغب عن عينى، و لم يخل علمى من فعلك، و لا ممّا أنت فاعله.

قال آدم: يا ربّ الحجة لك علىّ يا ربّ، فحين خلقتنى و صورتنى و نفخت فىّ من روحك، قال: يا آدم أسجدت لك ملائكتى و نوّت باسمك فى سماواتى، و ابتدأتك بكرامتى، و أسكنتك جنّتى، و لم أفعل ذلك إلاّ بنعمة منى عليك، أبلوك بذلك من غير أن تكون عملت لى عملا تستوجب به عندى ما فعلت بك.

قال آدم: يا ربّ الخير منك و الشرّ منى، قال الله: يا آدم انا الله الكريم، خلقت الخير قبل الشرّ، و خلقت رحمتى قبل غضبى، و قدّمت بكرامتى قبل هوانى، و قدّمت باحتجاجى قبل عذابى.

يا آدم ألم أنهك عن الشجرة و أخبرتك انّ الشيطان عدو لك و لزوجك؟

و أهدركما قبل أن تصيرا إلى الجنة؟ و أعلمكما أنّكما إن أكلتما من الشجرة كنتما ظالمين لأنفسكما عاصين لى؟ يا آدم لا يجاورنى فى جنّتى ظالم عاص بى قال:

فقال: بلى يا ربّ الحجّة لك علينا؟ ظلمنا أنفسنا و عصينا و إلاّ تغفر لنا و ترحمنا نكن من الخاسرين.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٤

قال فلما أقرا لربهما بذنبيهما و أنّ الحجّة من الله لهما تداركهما رحمة الرحمن الرحيم، فتاب عليهما ربهما إنّه هو التواب الرحيم، قال الله: يا آدم اهبط أنت و زوجك إلى الأرض، فإذا أصلحتما أصلحتكما و إن عملتما لى قويتكما، و إن تعرّضتما لرضاى تسارعت إلى رضاكما، و إن خفتما منى آمنتكما من سخطى.

قال: فبكيا عند ذلك و قالا: ربّنا فأعنا على صلاح أنفسنا و على العمل لما يرضيك عنّا، قال الله لهما: إذا عملتما سوء فتوبا إلى الله أتب عليكما، و أنا الله التواب الرحيم.

قالا: فأهبطنا برحمتك إلى أحبّ البقاع إليك، قال: فأوحى الله إلى جبرئيل ان أهبطهما إلى البلدة المباركة مكّة، قال: فهبط بهما جبرئيل فألقى آدم على الصفا، و ألقى حواء على المروة، قال: فلما ألقيا قاما على أرجلهما و رفعوا رؤسهما إلى السماء و ضجّا بأصواتهما بالبكاء إلى الله تعالى و خضعا بأعناقهما، قال: فهتف الله تعالى بهما ما يبكيكما بعد رضاى عنكما؟ قال: فقالا: ربّنا أبكتنا خطيئتنا و هى أخرجتنا من جوار ربّنا، و قد خفى عنّا تقدّيس ملائكتك لك ربّنا و بدت لنا عوراتنا، و اضطرنا ذنبا إلى حرث الدنيا و مطعمها و مشربها، و دخلتنا وحشة شديدة لتفريقك بيننا قال: فرحمهما الرحمن الرحيم عند ذلك، و أوحى إلى جبرئيل: أنا الله الرحمن الرحيم، و أتى قد رحمت آدم و حواء لئما شكيا لى، فأهبط إليهما بخيمه من خيام الجنة، و عزّهما عنى بفراق الجنة، و اجمع بينهما فى الخيمة فأتى قد رحمتها لبكائهما و وحشتها و وحدتهما، و انصب لهما الخيمة على الترعّة التى بين جبال مكّة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٥

و قال: و الترعّة مكان البيت و قواعد التى رفعتها الملائكة قبل ذلك فنصبها.

قال: و انزل جبرئيل آدم من الصفا، و انزل حواء من المروة، و جمع بينهما فى الخيمة.

قال: و كان عمود الخيمة قضيب ياقوت أحمر، فأضاء نوره و ضوءه جبال مكّة و ما حولها.

قال: وامتد ضوء العمود فجعله الله حرما لحرمة الخيمة و العمود لأنهما من الجنة، قال: و لذلك جعل الله الحسنات في الحرم مضاعفة و السيئات فيه مضاعفة.

قال: و مدت أطناب الخيمة حولها لمتنها أوتادها ما حول المسجد الحرام.

قال: و كانت أوتادها من غصون الجنة و أطنابها من ظفائر الأرجوان «١».

قال: فأوحى الله إلى جبرئيل عليه السلام: أهبط على الخيمة سبعين ألف ملك يحرسونها من مردة الجن و يونسون آدم و حواء، و يطوفون حول الخيمة تعظيما للبيت و الخيمة، قال: فهبطت الملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مردة الشياطين و العتاة، و يطوفون حول أركان البيت و الخيمة كل يوم و ليلة، كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور.

قال: و أركان البيت الحرام في الأرض حيال البيت المعمور الذي في السماء.

قال: ثم إن الله تعالى أوحى إلى جبرئيل بعد ذلك: أن اهبط إلى آدم و حواء فتحكما عن مواضع قواعد بيتي فأني أريد أن اهبط «٢» في ظلال من ملائكتي إلى

(١) الأرجوان: شجر من الفصيلة القرنية له زهر شديد الحمرة، حسن المنظر، و ليست له رائحة.

(٢) قال المجلسي قدس سره في بيانه: هبوطه تعالى كناية عن توجه أمره بصدور ذلك الأمر كما قال تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْعُغَمَاءِ وَالْمَلَائِكَةُ (البقرة: ٢١٠).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٦

ارضى، فارفع أركان بيتي لملائكتي و لخلقى من ولد آدم.

قال: فهبط جبرئيل على آدم و حواء فأخرجهما من الخيمة و نحاها عن ترعة البيت الحرام، و نحي الخيمة عن موضع الترعَة.

قال: و وضع آدم على الصفاء و وضع حواء على المروة، و رفع الخيمة إلى السماء، فقال آدم و حواء: أ بسخط من الله حوّلنا و فرقت بيننا أم برضا تقديرا من الله علينا؟ فقال لهما: لم يكن ذلك سخطا من الله عليكم، و لكن الله لا يسأل عما يفعل، يا آدم إن سبعين ألف ملك المدين أنزلهم الله إلى الأرض ليؤنسوك و يطوفون حول أركان البيت و الخيمة سألوا الله أن يبنى لهم مكان الخيمة بيتا على موضع الترعَة المباركة حيال البيت المعمور، فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور، فأوحى الله إلى أن أنحيك و حواء، و ارفع الخيمة إلى السماء، فقال آدم عليه السلام: رضينا بتقدير الله و نافذ أمره فينا، فكان آدم على الصفا و حواء على المروة.

قال: فدخل آدم لفراق حواء وحشة شديدة و حزن، قال: فهبط من الصفا يريد المروة شوقا إلى حواء، و ليسلم عليها و كان فيما بين الصفا و المروة واد، و كان آدم يرى المروة من فوق الصفا فلما انتهى إلى موضع الوادى، غابت عنه المروة فسعى في الوادى حذرا لما لم ير المروة مخافة أن يكون قد ضلّ عن طريقه فلما أن جاز الوادى و ارتفع عنه نظر إلى المروة، فمشى حتى انتهى إلى المروة فصعد عليها فسلم على حواء، ثم أقبل- بوجهها نحو موضع الترعَة ينظران هل رفع قواعد البيت و يسألان الله أن يردّهما إلى مكانهما حتى هبط من المروة فرجع إلى الصفا فقام

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٧

عليه، و أقبل بوجهه نحو موضع الترعَة، فدعا الله ثم إنه اشتاق إلى حواء فهبط من الصفا يريد المروة، ففعل مثل ما فعله في المرة الاولى، ثم إنه رجع إلى الصفا ففعل عليه مثل ما فعل في المرة الاولى، ثم أنه هبط من الصفا إلى المروة ففعل مثل ما فعل في المرّتين الأوليين، ثم رجع إلى الصفا فقام عليه و دعا الله أن يجمع بينه و بين زوجته حواء.

قال: فكان ذهاب آدم من الصفاء إلى المروة ثلاث مرّات و رجوعه ثلاث مرّات فذلك ستّة أشواط فلما أن دعيا الله و بكيا إليه و سألاه

أن يجمع بينهما استجاب الله لهما من ساعتها من يومهما ذلك مع زوال الشمس، فأتاه جبرئيل وهو على الصيفا واقف يدعوا الله مقبلا- بوجهه نحو الترعفة فقال له جبرئيل: انزل يا آدم من الصفا فالحق بحواء، فنزل آدم من الصفاء إلى المروة ففعل مثل ما فعل في الثلاث المرات حتى انتهى إلى المروة، فصعد عليها وأخبر حواء بما أخبره جبرئيل، ففرحا بذلك فرحا شديدا، وحمد الله وشكراه، فلذلك جرت السينة بالسعي بين الصفا والمروة ولذلك قال الله تعالى: إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا (١).

قال: ثم إن جبرئيل أتاهما فأنزلهما من المروة، وأخبرهما أن الجبار تبارك وتعالى قد هبط إلى الأرض فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصيفا وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السلم وهو ظهر الكوفة، فأوحى الله إلى جبرئيل أن ابنه وأتمه قال: فافتلع جبرئيل الأحجار الأربعة بأمر الله من

(١) البقرة: ١٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٨

مواضعهن بجناحيه فوضعها حيث أمره الله في أركان البيت على قواعد التي قدرها الجبار، ونصب أعلامها، ثم أوحى الله إلى جبرئيل ان ابنه وأتممه بحجارة من أبي قبيس، واجعل له بايين باب شرقي وباب غربي قال: فأتمه جبرئيل فلما أن فرغ منه طافت الملائكة حوله.

فلما نظر آدم وحواء إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا بالبيت سبعة أشواط ثم خرجا يطلبان ما يأكلان وذلك من يومهما الذي هبط بهما فيه (١).

أقول وهذا الخبر كما ترى سقط شيء من أوائله، وكأنه سقط ذلك من أوائل لاتفاق النسخ الموجودة، بل قد نبه المجلسي على ذلك أيضا.

وفي بعض الأخبار أن مهبطه كان بالهند، ففي «القصص» بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن آدم عليه السلام نزل بالهند، فبنى الله تعالى له البيت، وأمره أن يأتيه فيطوف به أسبوعا، فيأتي منى وعرفات ويقضى مناسكه، كما أمر الله، ثم خطا (٢) من الهند فكان موضع قدميه حيث خطا عمران، وما بين القدم والقدم صحارى ليس فيها شيء، ثم جاء إلى البيت فطاف به أسبوعا وقضى مناسكه فقضاها كما أمره الله، فقبل الله منه توبته وغفر له، فقال آدم صلوات الله يا رب ولذيرتي من بعدى، فقال نعم من آمن بى وبرسلى (٣).

و عن السيد في كتاب «سعد السعود»: أنه رأى في صحف إدريس عليه السلام أمر الله

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٢١-١٢٧ ط قم مؤسسة الاسلامية و عنه البحار ج ١١ ص ١٨٢-١٨٩.

(٢) خطا يخطو خطوا: فتح ما بين قدميه ومشى.

(٣) بحار الأنوار: ج ١١ ص ١٨٠ عن القصص.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣١٩

الملائكة فحملت آدم وزوجته حواء على كرسى من نور، وأدخلوها الجنة فوضعا في وسط الفردوس من ناحية المشرق ثم ذكر حديث إقامة آدم عليه السلام خمس ساعات من نهار ذلك اليوم في الجنة واكله من الشجرة وذكر حديث إخراجهم من الجنة وهبوطه بأرض الهند على جبل اسمه باسم، على واد اسمه نهيل بين الدهنج والمندل بلدى الهند، وهبطت حواء بجدة إلى آخر ما ذكره (١).

وفيه أنه كان شهر نيسان المبارك فأمره الله تعالى بصوم ثلاثة أيام منه «٢».

و سيأتي عن «تفسير القمي»: أنه كان أول يوم من ذى القعدة «٣».

و في «الخصال» أنه: اهبط الله تعالى آدم يوم الجمعة «٤».

و فيه و في «العيون»: سأل الشّامى أمير المؤمنين عليه السّلام عن أكرم واد على وجه الأرض؟ فقال له: واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السّماء «٥».

و في «القصص» بالإسناد إلى وهب قال: كان مهبط آدم عليه السّلام على جبل فى شرقى أرض الهند يقال له باسم: ثم أمره أن يسير إلى مكّة، فطوى له الأرض فصار على كل مفازة يمرّ به خطوة، و لم يضع قدمه فى شىء من الأرض إلّا صار عمراناً، و بكى على الجنّة ما تى سنه، فعزاه الله بخيمه من خيام الجنّة، فوضعها له بمكّة فى موضع الكعبة «٦».

(١) البحار: ج ١١ ص ١٩٦ عن سعد السعود.

(٢) البحار: ج ١١ ص ١٩٦.

(٣) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٤.

(٤) الخصال: ص ٣١٦ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٠٤.

(٥) العلل: ص ٥٩٥ و العيون ج ١ ص ٢٤٤.

(٦) قصص الأنبياء: ص ٧٠ و عنه البحار ج ١١ ص ٢١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٠

و فيه عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ آدم لما هبط هبط بالهند، ثم رمى اليه بالحجر الأسود، و كان ياقوته حمراء بفناء العرش، فلما رأى عرفه فاكبّ عليه و قبله، ثم أقبل به فحمله إلى مكّة، فربما أعبى عن ثقله فحمله جبرئيل عنه، و كان إذا لم يأت جبرئيل عليه السلام اغتمّ و حزن، فشكى ذلك إلى جبرئيل فقال: إذا وجدت شيئاً من الحزن فقل لا حول و لا قوة إلّا بالله «١».

و هذه الأخبار و ان كانت ظاهرة فى كون أول هبوطه بالهند أو فى خصوص سرانديب أو جبل باسم، لكنّها محمولة على التقيّة لمخالفتها للأخبار الكثيرة الدالة على كون مهبطهما مكّة.

بل فى «العلل» و «العيون» عن البنزطى عن الرضا عليه السّلام قال: قلت: كيف كان أول الطيب؟ فقال لى: ما يقول من قبلكم فيه؟ قلت: يقولون إنّ آدم لما هبط بأرض الهند فبكى على الجنّة سالت دموعه فصارت عروفا فى الأرض، فصارت طيباً، فقال عليه السّلام: ليس كما يقولون، آه «٢».

و فيهما بالإسناد عن صفوان قال: سئل ابو الحسن عليه السلام عن الحرم و أعلامه؟

فقال إنّ آدم لمّا هبط من الجنّة هبط على أبى قبيس و الناس يقولون بالهند فشكى إلى ربّه عزّ و جلّ الوحشة و أنّه لا يسمع ما كان يسمع فى الجنّة، فاهبط الله عزّ و جلّ عليه ياقوته حمراء فوضعت فى موضع البيت فكان يطوف بها آدم و كان يبلغ ضوءها

(١) قصص الأنبياء: ص ٤٩ ح ١٨ و عنه البحار ج ١١ ص ٢١٠.

(٢) علل الشرائع: ص ٤٩٢ ح ٢، و العيون ج ١ ص ٢٨٧ ح ٣٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢١

الأعلام فعلت الأعلام على ضوءها فجعله الله عزّ و جلّ حرماً «١».

و يمكن ايضاً أن يكون أول هبوطه بمكّة ثم بالهند أو بالعكس كقوله: اهبطوا مضيراً «٢»، لكن ما ذكرناه أظهر، و يؤيّد ما ذكره

الرازي من أنه روى في الأخبار أن آدم عليه السلام أهبط بالهند، وحواء بجدة وإبليس بموضع من البصرة على أميال، والحية بإصفهان (٣).

حيث إن ظاهر اقتضائه عليه أن أخبارهم تدل على هبوطه بالهند، وهذا مما يؤيد الحمل على التقيّة، ولا ينافيه ما ورد من أن رائحة ما كان معهما من الورقة أو المشط عبت بالهند، إذ قد يكون ذلك بواسطة عصف الرياح.

ولعله يومئ إليه ما ورد في «الكافي» عن الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى لما أهبط آدم عليه السلام طفق يخصف من ورق الجنة، وطار عنه لباسه الذي كان عليه من حلل الجنة، فالتقط ورقة فستر بها عورته، فلما هبط عبت تلك الورقة بالهند بالنبت فصار في الأرض من سبب تلك الورقة التي عبت بها رائحة الجنة، فمن هناك الطيب بالهند لأن الورقة هبت عليها ريح الجنوب فأدّت رائحتها إلى المغرب، لأنها احتملت رائحة الورقة في الجو، فلما ركبت الريح بالهند علق. وفي بعض النسخ: عبق بأشجارهم ونبتهم، فكان أول بهيمة ارتعت من تلك

(١) علل الشرائع ص ٤٢٢ ح ٤ والعيون ج ١ ص ٨٥.

(٢) البقرة: ٦١.

(٣) تفسير الرازي: ج ٣ ص ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٢

الورقة طيب المسك، فمن هناك صار المسك في سرّة الطيب، لأنه جرى رائحة النبت في جسده وفي دمه حتى اجتمعت في سرّة الطيب (١).

بل في «العلل» عن الصادق عليه السلام قال: أهبط آدم من الجنة عن الصيفا، وحواء على المروة، وقد كانت امتشطت في الجنة، فلما صارت في الأرض قالت: ما أرجو من المشط وأنا مسخوط عليّ فحلّت مشطتها، فانتشر عن مشطتها العطر الذي كانت امتشطت به في الجنة، فطارت به الريح، فألقت اثره في الهند فلذلك صار العطر بالهند.

قال: وفي حديث آخر أنها حلّت عقيصتها فأرسل الله عزّ وجلّ على ما كان فيها من ذلك الطيب ريحا فهبت به في المشرق والمغرب (٢).

ومما ذكرناه يظهر الوجه أيضا فيما رواه في كتاب أخبار الملاحم والفتن عن الصادق عليه السلام قال: لما خلق الله آدم وأخرجه من الفردوس كتب له عنده في العلم السابق ألف سنة فلما هبط من السماء وأخرج من الفردوس، هبط على جبل بأرض الهند كان أعلاه قريبا من السماء، وكان آدم عليه السلام يسمع كلام ملائكة السماء الدنيا، ويجد ريح الفردوس فلبث بذلك حيناً، فاشتدّ جوعه فشكى إلى الأرض، فقال يا أرض اطعميني فانا آدم صفيّ الله، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى الأرض: اجيبي عبدى.

فقلت: يا آدم لسنا نطعم اليوم من عصي الله، فبكى آدم عليه السلام أربعين صباحا على ساحل البحر، تقطر دموعه في البحر، فيزعمون أنّ الصدفة كانت ترتفع فوق

(١) فروع الكافي: ج ٦ ص ٥١٤ ح ٣.

(٢) علل الشرائع: ص ٤٩١ و ٤٩٢ ح ١ وعنه البحار ج ١١ ص ٢٠٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٣

الماء، فإذا قطرت دموع آدم في الصدفة اغتمس في الماء فيقولون: إنّ الدر من دموع آدم، و نبت الزعفران من دموع آدم، و نبت اللبان

من دموع داود عليه السلام.

فلما اشتدَّ جوعه رفع رأسه إلى السماء، فقال يا سماء أطمعيني فأنا آدم صفى الله، فأوحى الله تعالى إلى السماء: أن اجيبي عبدى، فقالت: يا آدم لسنا نطعم اليوم من عصي الله تبارك و تعالى، فبكى آدم أربعين صباحاً، فلما اشتدَّ جوعه رفع رأسه إلى السماء فقال أسألك يا ربَّ بحقَّ النبى الأسمى الذى تريد أن تخرجه من صلبى الآتت على و اطعمتنى، فأوحى الله إليه: يا آدم و من أين عرفت النبى الأسمى و لم أخلقه بعد؟

فقال آدم: إنى رأيت على الفردوس مكتوب: لا- إله إلا الله، محمّد رسول الله، فعلمت أن ذلك من صلبى، فبحقّ ذلك النبى إلاً اطعمتنى، فأوحى الله تبارك و تعالى إلى جبرئيل: اهبط إلى عبدى، فهبط عليه جبرئيل، و معه تسع حبات من حنطة، فوضعها على يدى آدم.

قال: فكان وزن الحبة منها الفا و ثمان مائة درهم.

قال آدم: يا جبرئيل ما هذا؟ فقال جبرئيل: يا آدم هذا أخرجك من الجنة.

قال: فما أصنع به؟ قال ابذره فى الأرض، ففعل، فأنبته الله من ساعته، فحدثت سنّة فى ولده البذر فى الأرض.

ثم أمره بحصاده، ففعل يأخذ القبضة بعد القبضة.

ثم أمره بجمعه و فركه بيده، فلذلك ولده يفركون بأيديهم.

ثم أمره بتذريته فى الريح، فلذلك صارت الحنطة تدرى فى الريح.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٤

ثم أمره بحجرين فوضع أحدهما على الآخر فدقّه، فلذلك وضعت الرحا اليوم.

ثم أمره بعجنه فلذلك صار ولده يعجنون الدقيق اليوم.

ثم أمره أن يختبزه ملء «١».

فجمع له جبرئيل الحجر و الحديد، ففدحه فخرجت النار، فلذلك ولده يقدحون النار اليوم، فهم أول من اختبزه الملة.

ثم أمره أن يأكله، فعند ذلك قال لجبرئيل: لا أريد! فقال له جبرئيل عليه السلام:

شكوت إلى ربك الجوع، فلما أطمعك قلت: لا أريد؟ قال: لأنى قد أعيت مما عالجت.

فقال له جبرئيل: هذا عملك و عمل ذريتك إلى أن تقوم الساعة.

فبكى آدم أربعين صباحاً حتى نبتت لحيته من الغمّ و الحزن على الجنة.

فلما أكل وجد فى بطنه ثقلاً و وجعاً، و لم يكن قبل ذلك له مخاط و لا بزاق، فشكى إلى جبرئيل.

فقال جبرئيل: تنحّ فتنحى، فبعر مثل بعر الشاة، وجد له ريحاً شديداً، فشكى ذلك إلى جبرئيل.

فقال له جبرئيل: أ تدرى ما ذلك؟ قال: لا فقال له جبرئيل عليه السلام: إن الله تبارك و تعالى حين خلقك من طين أجوف، فجاء

إبليس فضرب على بطنك، فسمع له

(١) الملة: الرماد و الجمر، يقال: مللت الخبزة فى الملة و أملتتها إذا عملتها فى الملة- لسان العرب ج ١٣ ص ١٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٥

دويًا كدوى الخابية، فقال للملائكة لا يهمنكم إن كان ملكا فهو منكم، و ان يكن من غيركم فأنا أكفيكموه، و ذلك قول الله عزّ و جلّ: وَ لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيْقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ «١» فكان ممن اتبعه هاروت و ماروت.

ثم دخل فى جوفك فخرج من دبرك، فكلما أصاب الطعام من نتن فهو من ذلك، لأنّ ممّر إبليس لعنه الله كان بطنك فيعز من

ذلك، و لم يكن آدم يعرف قبل ذلك بزاقا، و لا مخاطا، و لا شيئا من الأذى حتى أكل الطعام. فلما لبث آدم عليه السلام في الأرض مأتى سنة ولد عوج بن عنق من بنت آدم، و هو الذى كان ولد فى دار آدم، و قتله موسى من بعد آدم، فعاش فى الأرض ثلاثة آلاف سنة. فلما استكمل ايامه أوحى الله إليه أن يا آدم قد استكملت أيامك، فانظر الاسم الأكبر و ميراث علم النبوة فادفعه إلى ابنك شيث، فأتى لم أكن اترك الأرض الّا و فيها عالم يدلّ على طاعتي و ينهى عن معصيتي. فدفع آدم الوصية إلى ابنه شيث «٢».

أقول: و هذا الخبر و ان كان من طرق المخالفين إلّا أنّه لما كان مرويا عنه عليه السلام مشتتلا على كثير ممّا فى أخبارنا و على اتصال الوصية و عدم خلوق الأرض عن الحجية أوردناه فى المقام، و أمّا ما فيه من الاشتكاء إلى الأرض و السيماء فلعله كناية عن جوعه و حاجته و انسداد أبواب الرزق عليه من السماء و الأرض، و أمّا ما فيه من

(١) سبأ: ٢٠.

(٢) الملاحم: ص ٣٤ الى ص ٣٨ و هو تأليف الحافظ احمد بن جعفر بن محمد المعروف بابن المنادى المتوفى (٣٣٦).

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٦

متابعة هاروت و ماروت فمن مزخرفات العامة.

و فى كتاب محاضرة الأوائل «١»: إنّ أوّل موضع أهبط الله فيه آدم جبل يسمّى الراهون فى جزيرة من جزائر الهند فى مملكة سرانديب بمكان يقال الدّهن و عليه اثر قدمه عليه السلام و على القدم نور لماع يخطف البصر لا يمكن لأحد أن ينظر إليه طول قدمه فى الصخر سبعون شبرا و على الجبل ضوء كالبرق و لا بدّ لكلّ يوم فيه من المطر فيغسل أثر قدمه و ان آدم خطأ من هذا الجبل إلى ساحل البحر خطوة واحدة و هو مسيرة يومين فلما أهبط خرّ ساجدا على صخرة بيت المقدس و كان يمسح رأسه الشريف السماء و كان يشرب من الشحاب و كان طوله خمسمائة ذراع و الله أعلم باى ذراع ثمّ تضلع ستين ذراعا. أقول: و ستسمع الكلام فى الاخبار الدالة على طول قامته عليه السلام فيما يأتى.

و فى «العلل» و «العيون» و «الخصال»: أنّه سأل الشامى أمير المؤمنين عليه السلام عن أوّل من قال الشعر فقال: آدم عليه السلام قال: و ما كان شعره؟ قال لما أنزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها و هواها و قتل قابيل هاويل فقال آدم: تغيّرت البلاد و من عليها فوجه الأرض مغتبر قبيح تغتير كلّ ذى لون و طعم و قلّ بشاشة الوجه المليح و زاد فى «مروج الذهب» «٢» و غيره:

و بـ_____دّل أهلها_____أثلا_____و خمط_____ابجّن_____ات_____من الفردوس فيح

(١) قال حاجى خليفة فى كشف الظنون ج ٢ ص ١٦١٠: محاضرة الأوائل: مختصر للشيخ على دده ... فرغ منه فى شهر رجب سنة (٩٩٨) هـ.

(٢) مروج الذهب: ج ١ ص ٤٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٧

و جاورنا عدواً ليس ينسى لعين ما يموت فنستريح و يقتل قاين هاويل ظلما فوا أسفا على الوجه المليح فمالى لا أجود بسكب دمعى و هاويل تضمّنه الضريح ارى طول الحياة على غمّا و ما انا من حياتى مستريح فأجابه إبليس لعنه الله تنحّ عن البلاد و ساكنيها ففى الفردوس ضاق بك الفسيح و كنت بها و زوجك فى قرار و قلبك من أذى الدنيا مريح فلم تنفك من

كيدى و مكرى إلى أن فاتك الثمن الريح فلو لا رحمة الجبار أضحت بكفك من جنان الخلد ريح «١» قال شيخنا المجلسى رحمه الله قوله: قيح إما بالقاف جمع القاحه بمعنى الساحة أو بالفاء من الفيح بمعنى السعة، و قين بالياء: أحد ما قيل فى اسم الولد القاتل، قال: و فى اكثر نسخ التفاسير و التواريخ بالباء الموحدة «٢».

و فى مروج الذهب بالمتنأ من تحت و قيل قابين بالموحدة ثم المتنأ و المشهور قابيل باللام.

و فى «الفييه» و «العلل» و «المحاسن» عن الصادق عليه السلام قال لما هبط آدم من الجنة ظهرت به شامة «٣» سوداء من قرنه إلى قدمه، فطال حزنه و بكأؤه على ما ظهر

(١) البحار ج ١١ ص ٢٣٣-٢٣٤ عن العلل ص ٥٩٤ و عن العيون ج ١ ص ٢٤٢ و الخصال ص ٢٠٩.

(٢) البحار: ج ١١ ص ٢٣٤.

(٣) الشامة: الخال اى بثره سوداء و فى البدن حولها شعر.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٨

به، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال ما يبكيك يا آدم؟ فقال: من هذه الشامة التى ظهرت بى، قال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصلاة الاولى فقام و صلى، فانحطت الشامة إلى عنقه، فجاءه فى الصلاة الثانية، فقال: قم فصلّ يا آدم فهذا وقت الصلاة الثانية، فقام و صلى فانحطت الشامة إلى سرتة، فجاءه فى الصلاة الثالثة، فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الثالثة، فقام فصلّى فانحطت الشامة إلى ركبتيه، فجاءه فى الصلاة الرابعة، فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الرابعة، فقام فصلّى فانحطت الشامة إلى قدميه فجاءه فى الصلاة الخامسة، فقال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصلاة الخامسة، فقام صلى فخرج منها، فحمد الله و اتى عليه، فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك فى هذه الصلاة كمثلك فى هذه الشامة، من صلى من ولدك فى كل يوم و ليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة «١».

و فى تفسير القمى قال: فلما اسكنه الله الجنة و اتى جهالة إلى الشجرة لأنه خلق خلقه لا تبقى إلا بالأمر و النهى و الغذاء و اللباس و الإكناح و النكاح و لا تدرك ما ينفعه مما يضره إلا بالأمر و النهى و التوفيق، فجاءه إبليس و قال إنكما إن أكلتما من هذه الشجرة التى نهاكما الله عنها صرتما ملكين و بقيتما فى الجنة أبدا و ان لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنة، و حلف لهما أنه لهما ناصح، كما قال الله تعالى حكاية عنه: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين «٢» و قاسمهما إني لكما لمن الناصحين «٣» فقبل آدم قوله، فأكلا من

(١) علل الشرائع: ص ٣٣٨ ح ٢ و عنه البحار ج ١١ ص ١٦٦.

(٢) الأعراف: ٢٠.

(٣) الأعراف: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٢٩

الشجرة فكان كما حكى الله بدت لهما سواتهما* «١» و سقط عنهما ما ألبسهما الله تعالى من لباس الجنة، و أقبلا يستتران بورق الجنة و ناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة و أقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين «٢» فقالا- كما حكى الله عنهما: ربنا ظللنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخاسرين «٣» فقال الله لهما اهبطوا بعضكم لبعض عدو و لكم فى الأرض مستقر و متاع إلى حين «٤»، قال: إلى يوم القيمة قال: فأهبط آدم على الصفا، و إنما سميت الصفا لأن صفوة الله نزل عليها، و نزلت حواء على المروة، و إنما سميت المروة لأن المرأة نزلت عليها، فبقى آدم أربعين صباحا يبكى على الجنة، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا

آدم ألم يخلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و اسجد لك ملائكته؟ قال:
بلى قال: و أمرك أن لا تأكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال: يا جبرئيل إن إبليس حلف لى بالله أنه لى ناصح و ما ظننت ان خلقا يخلقه
الله أن يحلف بالله كاذبا «٥».

تفسير الآية (٣٧)

توبة آدم بواسطة الكلمات

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ اسْتَقْبَلَهَا بِالتَّوَصُّلِ وَ الاسْتِشْفَاعِ وَ قَبُولِ الْوَلَايَةِ

(١) الأعراف: ٢٢.

(٢) الأعراف: ٢٢.

(٣) الأعراف: ٢٣.

(٤) الأعراف: ٢٤.

(٥) تفسير القمى: ج ١ ص ٤٣ و عنه البحار ج ١١ ص ١٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٠

و بالأخذ و القبول و العمل بناء على ما هو الأظهر من شمول الكلمات للكونية الحقيقية و اللفظية، و هو مأخوذ من قولهم: تلقيت منه
اى أخذت و قبلت، و يقال:
تلقيت الرجل و تلقانى اى استقبلته و استقبلنى، و منه تلقى الركبان، و هو فى الأصل التعرض للقاء، أطلق على القبول و الاستقبال، لأنه
من التعرض، و ربما يحتمل أن يكون أصله التلقن كالتظنى فى التظن و هو ضعيف.

القراءة

و اكثر القراء على رفع آدم و نصب كلمات، و عن ابن كثير العكس، و استدلل له بأنه فى المعنى كالقراءة الأخرى، فإن الأفعال
المتعدية على ثلاثة أضرب: ما يجوز ان يكون الفاعل له مفعولا به و العكس، نحو: ضرب زيد عمروا و ما لا يجوز ذلك فيه نحو:
أكلت الخبز، و ما يكون إسناده إلى الفاعل فى معنى اسناده إلى المفعول به، نحو: نلت و أصبت و تلقيت تقول: نالنى خير، و نلت
خيرا، و اصابنى شىء، و أصبت شيئا، و تلقانى زيد و تلقيته، و مثله فى جواز الوجهين بل و قراءة قوله تعالى: لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ
«١» على ما يأتى إن شاء الله تعالى، و هو كما ترى توجيه للمعنى لا تصحيح للقراءة، بل هو من وجه آخر على ما مرّ على أن المعنى
على الأول ما سمعت، و على الثانى ان الكلمات تداركته بالتجاء و ستسمع فى الأخبار المروية عن «الخصال» و «المعاني» و «الفضائل»
و غيرها ما يدل على الأول.

و «من» للابتداء، و إضافة الكلمات إلى اسم الزب مضافا إلى ضميره، مع أنه

(١) البقرة: ١٢٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣١

رب كل شىء، للإشعار على كون التلقى و التوسل من وظائف عبودية آدم، و قبوله من شؤون ربوبيته المطلقة، مضافا إلى كونه من

متممات تربيته و مكملات وجوده.

الكلمات و إطلاقاتها

و «كلمات» جمع كلمة، و فيها لغات، و الحق أنها اسم جنس يطلق على القليل و الكثير فيقال للكلام و البيت و الخطبة و القصيدة كما فى قوله تعالى: **كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا** «١»، و قوله صلى الله عليه و آله: **أصدق كلمة قالتها العرب كلمة لييد** «٢»: **الا- كل شىء ما خلا الله باطل و كل نعيم لا محالة زائل** «٣» و قولهم: **قال قس فى كلمته، يعنون فى خطبته، و قال إمرؤ القيس فى كلمته، يعنون فى قصيدته.**

ثم ان هذه الإطلاقات كلها إنما هى باعتبار الكلمة التذويية، و اما الكلمة التكوينية فالمراد بها الوجودات الجامعة المشتملة على الحروف الكونية و لذا يطلق على الأنبياء و الحجج عليهم السلام و كذا أطلقت على عيسى على نبينا و آله و عليه السلام فى قوله تعالى: **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ** «٤» و أطلقت الكلمات او الموصوفة بالتامات على النبى و الأئمة عليهم السلام كما فى هذه الآية

(١) المؤمنون: ١٠٠.

(٢) لييد بن ربيعة العامرى كان من أشرف شعراء المخضرمين و الفرسان المعمرين عمر (١٤٠) سنة او أزيد و أدرك الإسلام و أسلم مات فى أواخر خلافة معاوية.

(٣) سفينة البحار: ج ٢ ص ٥٠٣.

(٤) النساء: ١٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٢

و فى قوله: **وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ** «١»، و قوله: **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي** «٢»، و قوله: **مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ** «٣»، **وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ** * «٤»، **وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً** «٥»، **حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ** «٦»، **وَ أَلْزَمَهُمُ كَلِمَةَ التَّقْوَى** «٧» و غيرها من الآيات الكثيرة على ما تسمع إنشاء الله تعالى.

و المراد بها فى المقام ما يشمل الأمرين أعنى التوسل بذواتهم الشريفة الذين هم الأسماء الحسنى، و الأمثال العليا، و أسماؤهم التى هى أسماء الأسماء إما باعتبار عموم الاشتراك، أو المجاز، او على ما قرّر فى محلّه من جواز استعمال اللفظ المشترك فى المعنيين و المتحد المعنى فى المعنى الحقيقى و المجازى، مع أن التلقى هو التوسل التام الذى لا- يتم إلّا بالأمرين معا و لذا ترى أخبار الباب المروية من طرق الفريقين مشتملة على الأمرين.

فى «تفسير العياشى» عن امير المؤمنين عليه السلام قال: **الكلمات التى تلقاها آدم من ربه قال: يا رب اسألك بحق محمد لما تبت على، قال: و ما علمك بمحمد؟**

قال: رأيت فى سرادقك الأعظم مكتوبا و انا فى الجنة «٨».

(١) البقرة: ١٣٤.

(٢) الكهف: ١٠٩.

(٣) لقمان: ٢٧.

(٤) الانعام: ١١٥.

(٥) الزخرف: ٢٨.

(٦) يونس: ٩٦.

(٧) الفتح: ٢٦.

(٨) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٨ و عنه البحار ج ١١ ص ١٨٦ ح ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٣

وفيه عن الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى عرض على آدم في الميثاق ذريته، فمَرَّ به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ متكئ على عليٍّ وفاطمة صلوات الله عليهما تتلوها، والحسن والحسين عليهما السلام يتلوان فاطمة، فقال الله: يا آدم إياك أن تنظر إليهم بحسد أهبطك من جوارى، فلَمَّا أسكنه الله الجنة مثل له النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فنظر إليهم بحسد، ثم عرضت عليه الولاية:

فأنكرها فرمته الجنة بأوراقها، فلَمَّا تاب إلى الله من حسده وأقر بالولاية ودعا الله بحق الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ غفر الله له وذلك قوله: فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ «١».

وفي «تفسير القمي» عن الصادق عليه السلام قال: إن آدم بقي على الصفا أربعين صباحا ساجدا يبكي على الجنة وعلى خروجه من جوار الله عز وجل، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم مالك تبكي؟ قال: يا جبرئيل مالي لا ابكي وقد أخرجني الله من جواره، وأهبطني إلى الدنيا، قال: يا آدم تب إليه، قال: وكيف أتوب؟ فانزل الله عليه قبة من نور في موضع البيت، فسقط نورها في جبال مكة فهو الحرم، فأمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، قال: قم يا آدم فخرج به يوم التروية، وأمره أن يغتسل ويحرم وأخرج من الجنة أول يوم من ذي القعدة، فلَمَّا كان يوم الثامن من ذي الحجة أخرج جبرئيل إلى منى، فبات فيها فلَمَّا أصبح أخرجته إلى عرفات، وقد كان علمه حين أخرجته من مكة الإحرام وأمره بالتلبية، فلَمَّا زالت الشمس يوم عرفه قطع التلبية، وأمره أن يغتسل، فلَمَّا صَلَّى العصر وقَّفه. بعرفات، وعلمه

(١) تفسير العياشي: ج ١ ص ٤١ ح ٢٧ و عنه البحار ج ١١ ص ١٨٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٤

الكلمات التي تلقى بها ربه، وهو «سبحانك اللهم وبحمدك لا اله إلا أنت عملت سوء و ظلمت نفسي، و اعترفت بذنبي، فاغفر لي إنك الغفور الرحيم» هكذا ثلاث مرّات إلا أنه في الثانية أنك أنت خير الغافرين وفي الثالثة: أنك أنت التواب الرحيم، فبقي إلى أن غابت الشمس رافعا يديه إلى السماء يتضرع ويبكي إلى الله، فلَمَّا غابت الشمس رده إلى المشعر، فبات بها فلَمَّا أصبح قام على المشعر الحرام، فدعا الله تعالى بكلمات و تاب عليه «١». الخبر أقول: ولعل المراد بهذه الكلمات الأخيرة ما مرّت الإشارة إليها في ما مرّ من الأخبار من التوسل بالنبي والأئمة عليهم السلام، و أما مع الحمل على الدعاء المذكور في هذا الخبر فلا ينافي ذلك لأنه من مقتضيات ولايتهم و من آثارها.

و عليه يحمل أيضا ما رواه العياشي في تفسيره عن أبي جعفر عليه السلام قال:

الكلمات التي تلقاهن آدم من ربه فتاب عليه و هدى قال: سبحانك اللهم و بحمدك، إلى آخر ما مرّ «٢».

قال و قال الحسن بن راشد: إذا استيقظت من منامك فقل الكلمات التي تلقى بها آدم من ربه: سَبَّوحٌ قَدَّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحِ، سَبَقَتْ رَحْمَتَكَ غَضَبُكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ أَنْتَ ظَلَمْتَ نَفْسِي فَاعْفُرْ لِي وَ ارْحَمْنِي، أَنْتَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ «٣».

و في «كشف اليقين» عن مجاهد عن ابن عباس قال: لَمَّا خلق الله آدم و نفخ فيه من روحه عطس فألهمه الله: الحمد لله رب العالمين، فقال له ربه: يرحمك ربك،

(١) تفسير القمى: ج ١ ص ٤٤-٤٥ و عنه البحار ج ١١ ص ١٧٨-١٧٩.

(٢) تفسير العياشى: ج ١ ص ٤١ ح ٢٥.

(٣) تفسير العياشى: ج ١ ص ٤١ ح ٢٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٥

فلما أسجد له الملائكة تداخله العجب، فقال: يا ربّ خلقت خلقا أحبّ إليك منى؟

فلم يجب ثمّ قال الثانية فلم يجب، ثمّ قال الثالثة فلم يجب، ثمّ قال الله عزّ وجلّ له: نعم و لولا هم ما خلقتك، فقال يا ربّ فأرنيهم، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب، فلما رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدام العرش، فقال: يا ربّ من هؤلاء؟ قال: يا آدم هذا محمّد نبيّ، و هذا عليّ أمير المؤمنين ابن عمّ نبيّ و وصيّه، و هذه فاطمة ابنة نبيّ، و هذان الحسن و الحسين ابنا عليّ و ولدا نبيّ، ثمّ قال: يا آدم هم ولدك وفرح بذلك، فلما اقترب الخطيئة قال: يا ربّ أسألك بمحمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين لما غفرت لي، فغفر الله له بهذا فهذا الذى قال الله عزّ وجلّ:

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ «١»، فَلَمَّا هَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ صَاعٍ خَاتَمَا فَنَقَشَ عَلَيْهِ: «محمّد رسول الله و عليّ أمير المؤمنين» و يكنى آدم بابى محمّد عليه السلام «٢».

و فى «المعاني» فيما رواه المفضل عن الصادق عليه السّلام بطوله إلى أن قال عليه السّلام: فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: إنكما إنما ظلمتما أنفسكما بتمنى منزلة من فضّل عليكم فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عزّ وجلّ إلى أرضه، فاسألا- ربكما بحقّ الأسماء التى رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكم، فقالا: اللهم إنا نسألك بحقّ الأكرمين عليك: محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمّة عليهم السّلام إلّا تبت علينا و رحمتنا، فتاب الله عليهما أنه هو التّواب الرحيم، فلم تزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة، و يخبرون

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) اليقين فى إمرة امير المؤمنين عليه السلام ص ٣٠-٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٦

بها أوصيائهم و المخلصين من أمهم، فيأبون حملها و يشفقون من ادّعائها و حملها الإنسان الّذى قد عرف، فأصل كلّ ظلم منه إلى يوم القيامة، و ذلك قول الله عزّ وجلّ: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ «١»، الآية «٢».

الكلمات التى تلقىها آدم (ع)

و فى «الأمالى» و «الاحتجاج» و «جامع الاخبار» عن الصادق عليه السّلام قال: أتى يهودىّ النّبيّ صلّى الله عليه و آله فقام بين يديه يحدّ النظر إليه، فقال صلّى الله عليه و آله: يا يهودى ما حاجتك؟

قال: أنت أفضل أم موسى ابن عمران الّذى كلمه الله، و أنزل عليه التوراة و العصا، و فلق له البحر و اظله بالعمام؟ فقال له النّبيّ صلّى الله عليه و آله: إنّه يكره للعبد أن يزكى نفسه و لكنى أقول: إنّ آدم لمّا أصاب الخطيئة كانت توبته أن قال اللهم إني أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لما غفرت لي فغفرها الله له، و انّ نوحا لمّا ركب السفينة و خاف الغرق قال: اللهم إني أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لما نجيتنى و أهلى من الغرق، فنجاه الله تعالى و من معه فى السفينة من الغرق، و إنّ إبراهيم لما ألقى فى النار قال:

اللهم إني أسألك بحقّ محمّد و آل محمّد لما أنجيتنى منها، فجعلها الله عليه بردا و سلاما، و إنّ موسى لما ألقى عصاه و أوجس فى

نفسه خيفة قال: اللهم اني اسألك بحق محمد و آل محمد لما آمنتني، فقال الله جل جلاله: لا تخف إنك أنت الأعلى، يا يهودي إن موسى لو أدركني ثم لم يؤمن بي و بنبوتي ما نفعه إيمانه شيئاً

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) معاني الاخبار: ص ١٠٨ و عنه البحار ج ١١ ص ١٧٤ ح ١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٧

و لا نفعته النبوة «١».

و في «المعاني» عن الصادق عليه السلام في قوله: وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ «٢»، ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، و هو أنه قال: أسألك بحق محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين إلّا تبت علي فتاب الله عليه أنه هو التّواب الرحيم. «٣» الخبر و في «الكافي» عن أحدهما عليهما السلام: إنّ الكلمات لا اله إلّا أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوء و ظلمت نفسي فتب علي و اغفر لي و أنت خير الغافرين، لا اله إلّا أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت، سوء و ظلمت نفسي فاغفر لي و ارحمني انك، أنت ارحم الراحمين، لا اله الا- أنت سبحانك اللهم و بحمدك عملت سوء و ظلمت نفسي فتب علي انك أنت التّواب الرحيم.

و في رواية: بحق محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين.

و في رواية أخرى: بحق محمد و آل محمد عليهم السلام صلى الله عليهم أجمعين «٤».

«الخصال» و «المعاني» و «الفضائل» عن النبي صلى الله عليه و آله أنه سئل عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال صلى الله عليه و آله: سأله بحق محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين إلّا تبت علي فتاب الله عليه. و في «فضائل الأئمة» عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لما خلق الله

(١) جامع الاخبار: ص ٨-٩ و الأمالى ص ١٣١-١٣٢، و عنهما البحار ج ١٦ ص ٣٦٦.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) معاني الاخبار ص ٤٢ و عنه البحار ج ١١ ص ١٧٧ ح ٢٤.

(٤) معاني الاخبار ص ٤٢ و الخصال ج ١ ص ١٤٦ و عنهما البحار ج ١١ ص ١٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٨

آدم فسأل ربه أن يريه ذريته من الأنبياء و الأوصياء المقربين إلى الله عزّ و جلّ فأنزل الله عليه صحيفة فقرأها كما علمه الله تعالى إلى أن انتهى إلى محمد النبي العربي عليه أفضل الصّلاة و السلام فوجد عند اسمه اسم علي بن ابي طالب عليه السلام فقال آدم هذا نبي بعد محمد صلى الله عليه و آله فهتف به هاتف يسمع صوته و لا- يرى شخصه يقول هذا وارث علمه و زوج ابنته و ابو ذريته عليه السلام فلما وقع آدم في الخطيئة جعل يتوسل إلى الله تعالى بهم عليهم السلام فتاب الله عليهم «١».

و في تفسير فرات بن ابراهيم بالإسناد عن النبي صلى الله عليه و آله: لما نزلت الخطيئة بآدم و اخرج من الجنة أتاه جبرئيل عليه السلام فقال يا آدم أدع ربك قال يا حبيبي جبرئيل ما أدعو؟ قال: قل: يا رب أسألك بحق الخمسة الذين تخرجهم من صلبى آخر الزمان إلّا تبت علي و رحمتي فقال له آدم يا جبرئيل سمهم لي قال: اللهم بحق محمد نبيك، و بحق علي وصى نبيك، و بحق فاطمة بنت نبيك، و بحق الحسن و الحسين سبطى نبيك إلّا تبت علي و رحمتي، فدعا بهنّ آدم فتاب الله عليه، و ذلك قول الله تعالى: فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ، و ما من عبد مكروب يخلص التّيبه و يدعو بهنّ إلّا استجاب الله له «٢».

و في «الفضائل» بالإسناد عن النبي صلى الله عليه وآله: إن أبا آدم لما رأى اسمي و اسم عليّ و ابنتي فاطمة و الحسن و الحسين و اسماء أولادهم مكتوبة على ساق العرش بالنور، قال: الهى و سيدي هل خلقت خلقا هو أكرم عليك مني؟ فقال الله: يا آدم

(١) بحار الأنوار: ج ٢٦ ص ٣٣١ ح ١٣ عن الفضائل.

(٢) تفسير فرات: ص ١٣ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٣ ح ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٣٩

لو لا هذه الأسماء لما خلقت سماء مبيّنة و لا أرضا مدحيّة و لا ملكا مقرّبا و لا نبيا مرسلًا، و لا خلقتك يا آدم قال: فلما عصى آدم ربّه سأله بحقنا أن يقبل توبته و يغفر خطيئته فأجابته، و كنا الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه عزّ و جلّ فتاب عليه و غفر له، فقال له: يا آدم ابشر فإنّ هذه الأسماء من ذريّتك و ولدك، فحمد آدم ربّه عزّ و جلّ و افتخر على الملائكة بنا و إنّ هذا من فضلنا و فضل الله علينا «١».

و في كتاب المحتضر للحسن بن سليمان عن الباقر عليه السلام قال: نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله عن العباد عملا إلّا بمعرفتنا و نحن و الله الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه «٢».

و في تفسير الامام عليه السلام قال: فلما زلت من آدم الخطيئة و اعتذر إلى ربّه عزّ و جلّ قال: يا ربّ تب عليّ، و اقبل معذرتي، و أعدني إلى مرتبتى، و ارفع لديك درجتي، فلقد تبين نقص الخطيئة و ذلّها بأعضائي و سائر بدني، قال الله تعالى يا آدم: أما تذكر أمرى اياك بأن تدعوني بمحمّد و آله الطيبين عند شدائدك و دواهيك و فى النوازل التي تبهظك «٣» قال آدم: يا ربّ بلى قال الله عزّ و جلّ له: فتوسل بمحمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم خصوصا فادعني أجبك إلى ملتمسك و أزدك فوق مرادك، فقال آدم: يا ربّ و قد بلغ عندك من محلهم إنك بالتوسل بهم تقبل توبتي و تغفر خطيئتي، و انا الذي أسجدت له ملائكتك و الجنّة جنّتك و زوجته حواء أمّتك، و أخدمته كرام ملائكتك؟

(١) بحار الأنوار: ج ٣٥ ص ٢٣ ح ١٥ عن الفضائل.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٥ ص ٥ ح ٧.

(٣) تبهظك: تثقلك و تعجزك، مشتق من بهظ بمعنى أثقل و أعجز.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٠

قال الله تبارك و تعالى: يا آدم إنّما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسجود إذ كنت وعاء لهذه الأنوار، و لو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها، و ان أفطنك لدواعي عدوك إبليس حتى تحترز منه لكنت قد جعلت ذلك، و لكن المعلوم فى سابق علمي يجرى موافقا لعلمي، فالآن فبهم فادعني لأجيبك.

فعند ذلك قال آدم: اللهمّ بجاه محمّد و آله الطيبين، بجاه محمّد و عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين و الطيبين من آلهم لما تفضّلت بقبول توبتي، و غفران زلّتي، و إعادتي من كراماتك إلى مرتبتى.

فقال الله عزّ و جلّ قد قبلت توبتك و أقبلت برضوانى عليك، و صرفت آلائى و نعمائى إليك، و أعدتك إلى مرتبتك من كراماتى، و وفّرت نصيبك من رحماتى، فذلك قوله عزّ و جلّ: فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ «١».

ثمّ قال عزّ و جلّ للمّذين أهبطهم من آدم و حواء و إبليس و الحيّة: وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ فِيهَا تَعِشُونَ، و تحثّم لياليها و أيامها إلى السعى للاخرة، فطوبى لمن تزود منها لدار البقاء وَ مَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مَنْفَعَةٌ إِلَىٰ حِينٍ مَوْتِكُمْ، لأنّ الله منها يخرج زروعكم و ثماركم، و بها ينزلكم «٢»، و ينعمكم، و فيها ايضا بالبلاء يمتحنكم، و يلدّذكم بنعيم الدنيا تارة لتذكروا نعيم

الآخرة الخالص مِمَّا يَنْقُصُ نعيم الدُّنْيَا و يبطله، و يزهد فيه و يصغره و يحقره، و يمتحنكم تارةً ببلايا الدُّنْيَا الَّتِي تكون في خلالها الرِّحْمَات و في تضاعيفها النِّقْمَات

(١) البقرة: ٣٧.

(٢) في البحار: ينزهكم.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤١

المجحفه، يدفع عن المبتلى بها مكاره ليحذر كم بذلك عذاب الأبد الذي لا تشوبه عافية، و لا تقع في تضاعيفها راحة و لا رحمة «١». و في موضع آخر من التفسير قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله لليهود معاشر اليهود تعاندون رسول الله صلى الله عليه و آله و تأبون الاعتراف بأنكم كنتم بذنوبكم من الجاهلين بأن الله لا يعذب بها اي بالتوبة و الاعتراف أحدا، و لا يزيل عن فاعل العناد عذابه ابدا إن آدم عليه السلام لم يقترح على ربه المغفرة لذنبه إلا بالتوبة، فكيف تقترحونها أنتم مع عنادكم؟ قيل: و كيف كان ذلك يا رسول الله؟ صلى الله عليه و آله فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: لَمَّا وقعت الخطيئة من آدم عليه السلام و خرج من الجنة و عوتب و وبخ قال: يا رب إن تبت و أصلحت أتردني إلى الجنة؟ قال: بلى قال آدم: فكيف اصنع يا رب حتى أكون تائباً تقبل توبتي؟ فقال الله تعالى: تسبحني بما أنا أهله، و تعترف بخطيئتك كما أنت أهله، و تتوسل إلي بالفاضلين الذين علمتكم أسماءهم، و فضلتكم بهم على ملائكتي، و هم محمد و آله الطيبون و أصحابه الخيرون.

فوفقه الله تعالى، فقال: يا رب لا إله إلا أنت سبحانك اللهم و بحمدك، عملت سوء، و ظلمت نفسي، فارحمني إنك أنت ارحم الراحمين بحق محمد و آله الطيبين، و خيار أصحابه المنتجين، سبحانك و بحمدك لا إله إلا أنت عملت سوء و ظلمت نفسي، فتب علي إنك أنت التواب الرحيم، بحق محمد و آله الطيبين و خيار أصحابه المنتجين. فقال الله تعالى: لقد قبلت توبتك و آية ذلك أن أنقى بشرتك فقد تغيرت، و كان

(١) تفسير المنسوب إلى الامام عليه السلام: ص ٩٠-٩١ و عنه البحار ج ١١ ص ١٩٢-١٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٢

ذلك لثلاث عشر من شهر رمضان فصم هذه الثلاثة الأيام التي تستقبلك، فهي أيام البيض ينقى الله في كل يوم بعض بشرتك، فصامها فنقى في كل يوم منها ثلث بشرته، فعند ذلك قال آدم: يا رب ما أعظم شأن محمد و آله و خيار أصحابه؟ فأوحى الله إليه: يا آدم أنك لو عرفت كنه جلال محمد عبي و آله و خيار أصحابه لأحبيته حباً يكون أفضل أعمالك، قال: يا رب عزفني لأعرف، قال الله تعالى: يا آدم إن محمداً لو وزن به جميع الخلق من النبيين و المرسلين و الملائكة المقربين، و سائر عبادي الصيالحين، من أول الدهر إلى آخره، و من الثرى إلى العرش لرجح بهم، و إن رجلا من خيار آل محمد لو وزن به جميع آل النبيين لرجح بهم، و إن رجلا من خيار أصحاب محمد لو وزن به جميع أصحاب المرسلين لرجح بهم، يا آدم لو أحب رجل من الكفار أو جميعهم رجلا من آل محمد و أصحابه الخييين لكافاه الله عن ذلك بان يختم له بالتوبة و الايمان، ثم يدخله الله الجنة إن الله ليفيض على كل واحد من محبي محمد و آل محمد و أصحابه من الرحمة ما لو قسمت على عدد كعدد ما خلق الله تعالى من أول الدهر إلى آخره، و كانوا كفارا لكفاهم، و لأداهم إلى عاقبه محموده و هو الايمان بالله حتى يستحقوا به الجنة، و لو أن رجلا كان ممن يبغض آل محمد و أصحابه الخييين أو واحدا منهم لعذبه الله عذاباً لو قسم على عدد ما خلق الله لأهلكهم الله أجمعين «١».

و في كتاب المحتضر للحسن بن سليمان مما رواه من كتاب منهج التحقيق

(١) التفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام ص ١٥٧ و عنه البحار ج ٢٦ ص ٣٣٠-٣٣١ ح ١٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٣

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تعالى خلق أربعة عشر نورا من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فهي أرواحنا فقيل له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله عدهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعة عشر نورا؟ فقال: محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و تسعة من ولد الحسين، و تسعة منهم قاتمهم ثم عدهم بأسمائهم ثم قال: و الله نحن الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، و نحن المثاني الذي أعطاها الله نبينا، و نحن شجرة النبوة، و منبت الرحمة، و معدن الحكمة، و مصابيح العلم، و موضع الرسالة، و مختلف الملائكة، و موضع سر الله، و وديعة الله جل اسمه في عبادته، و حرم الله الأكبر و عهده المسؤول عنه، فمن و في بعهدنا فقد و في بعهد الله و من خفره «١» فقد خفر ذمة الله و عهده، عرفنا من عرفنا و جهلنا من نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملا- إلما بمعرفتنا، و نحن و الله الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، ان الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا، و صورنا فأحسن صورنا، و جعلنا عينه على عبادته، و لسانه الناطق في خلقه، و يده المبسوطة عليهم بالرفقة و الرحمة، و وجهه الذي يؤتى منه، و بابه الذي يدل عليه، و خزان علمه، و تراجمه و حيه، و أعلام دينه، و العروة الوثقى و الدليل الواضح لمن اهتدى، و بنا أثمرت الأشجار، و أينعت الثمار، و جرت الأنهار، و نزلت الغيث من السماء، و نبت عشب الأرض، و بعبادتنا عبد الله، و لولانا ما عرف الله، و أيم الله لولا وصيته سبقت و عهد أخذ علينا لقلت قولا يعجب منه أو يذهل عنه الأولون و الآخرون «٢».

(١) اي و من نقض عهدنا فقد نقض عهد الله.

(٢) المحتضر: ص ١٢٩ و عنه البحار ج ٢٥ ص ٤-٥ ح ٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٤

و عن كتاب الآل لابن خالويه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لما خلق الله آدم و حواء عليهما السلام تبخترتا في الجنة فقال آدم لحواء: ما خلق الله خلقا هو أحسن مني، فأوحى الله عز و جل إلى جبرئيل ان ائتني بعبدتي التي في الجنة الفردوس الأعلى فلما دخلا الفردوس نظرا إلى جارية على درنوكة «١» من درانيك الجنة على رأسها تاج من نور، و في أذنيها قرطان من نور، قد أشرفت الجنان من حسن وجهها، قال آدم: حبيبي جبرئيل من هذه الجارية التي قد أشرفت الجنان من حسن وجهها؟ فقال: هذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله نبي من ولدك يكون في آخر الزمان، قال: فما هذا التاج الذي على رأسها؟ قال: بعلمها على بن ابى طالب قال: فما القرطان اللذان في أذنيها؟

قال: ولداها الحسن و الحسين، قال: حبيبي جبرئيل أخلقوا قبلي؟ قال: هم موجودون في غامض علم الله قبل أن تخلق بأربعة آلاف سنة «٢».

و في تفسير القمي عن الصادق عليه السلام قال: إن آدم عليه السلام بقي على الصفاء أربعين صباحا ساجدا يبكي على الجنة و على خروجه من الجنة من جوارح الله عز و جل، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم ما لك تبكي؟ فقال: يا جبرئيل ما لي لا ابكي و قد أخرجني الله من جواره و أهبطني إلى الدنيا، قال: يا آدم تب إليه، قال: و كيف أتوب؟ فانزل الله عليه قية من نور في موضع البيت فسطح نورها في جبال مكة، فهو الحرم و أمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، ثم قال: قم يا آدم فخرج به يوم التروية و امره أن يغتسل و يحرم، و أخرج من الجنة أول يوم من ذى القعدة فلما كان

(١) الدرنوكة بضم الدال نوع من البسط له حمل.

(٢) المحتضر: ١٣١-١٣٢ و عنه البحار ج ٢٥ ص ٥-٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٥

يوم الثامن من ذى الحجة أخرج جبرئيل الى منى فبات بها فلما أصبح أخرجها إلى عرفات، وقد كان علمه حين أخرجه من مكة الإحرام، وعلمه التلبية، فلما زالت الشمس يوم عرفه قطع التلبية، وأمره أن يغتسل، فلما صلى العصر أوقفه بعرفات، وعلمه الكلمات التي تلقى بها ربه، وهى سبحانك اللهم وبحمدك لا اله إلا أنت عملت سوء و ظلمت نفسى و اعترفت بذنبى فاغفر لى انك أنت خير الغافرين، سبحانك اللهم وبحمدك لا اله إلا أنت عملت سوء و ظلمت نفسى و اعترفت بذنبى فاغفر لى انك أنت التواب الرحيم، فبقى إلى غروب الشمس رافعا يديه إلى السماء يتضرع و يبكى فلما غربت الشمس رده إلى المشعر، فبات بها فلما أصبح قام على المشعر الحرام فدعى الله تعالى بكلمات و تاب عليه، ثم أفاض إلى منى و أمره جبرئيل أن يحلق الشعر الذى عليه، فحلقه، ثم رده إلى مكة فأتى به عند الجمرة الأولى، فعرض إبليس عندها فقال: يا آدم اين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصاة، و أن يكبر مع كل حصاة تكبيره ففعل، ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثانية، فأمره أن يرميه سبع حصاة فرمى و كبر مع كل حصاة تكبيره، ثم ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثالثة فأمره أن يرميه بسبع حصاة و يكبر عند كل حصاة ففعل، فذهب إبليس لعنه الله و قال له جبرئيل: إنك لن تراه بعد هذا اليوم ابدا فانطلق به إلى البيت الحرام و أمره أن يطوف به سبع مرات، ففعل، فقال له: إن الله قد قبل توبتك و حلت لك زوجتك، قال: فلما قضى آدم حجه لقيته الملائكة بالأبطح فقالوا: يا آدم برّ حجك أما إننا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام «١».

(١) تفسير القمى ص ٣٧-٣٨ و عنه البحار ج ١١ ص ١٧٨-١٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٦

و فى البحار عن بعض كتب المناقب: انّ آدم لما هبط إلى الأرض لم ير حواء فصار يطوف الأرض فى طلبها، فمرّ بكر بلا فاغتم و ضاق صدره من غير سبب، و عثر فى الموضع الذى قتل فيه الحسين، حتّى سال الدّم من رجله، فرفع رأسه إلى السماء و قال: الهى هل حدث منى ذنب آخر فعاقبتنى به، فإنى طفت جميع الأرض و ما أصابنى سوء مثل ما أصابنى فى هذه الأرض؟ فأوحى الله تعالى إليه، يا آدم ما حدث منك ذنب، و لكن يقتل فى هذه الأرض ولدك الحسين ظلما فسال دمك موافقه لدمه، فقال آدم: يا ربّ أ يكون الحسين نبيا؟ قال: لا و لكنّه سبط النبى محمد صلى الله عليه و آله فقال: و من القاتل له؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السموات و الأرض فقال آدم: فأى شىء أصنع يا جبرئيل قال: العن قاتله يا آدم، فلعنه أربع مرات، و مشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك «١».

و فى تفسير العياشى عن ابى جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إن الله حين أهبط آدم إلى الأرض أمره ان يحرق بيده فياكل من كده بعد الجنة و نعيمها، فلبث يجأ و يبكى على الجنة مائتى سنة، ثم أنه سجد لله سجدة فلم يرفع رأسه ثلاثة ايام و لياليها، ثم قال: اى ربّ الم تخلقنى؟ فقال الله: قد فعلت، فقال: الم تنفخ فى من روحك؟ قال: قد فعلت، قال: الم تسكنى جنتك؟ قال: قد فعلت، قال: ألم تسبق لى رحمتك غضبك؟ قال الله: قد فعلت، فهل صبرت او شكرت؟ قال: آدم: لا اله إلا أنت سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم، فرحمه الله

(١) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٤٢-٢٤٣ ح ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٧

بذلك و تاب عليه إنّه هو التواب الرحيم «١».

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيرة المأثورة من طرق الامامية، بل قد روى مثل ذلك أيضا من طرق المخالفين.

فمن ابن المغازلي الشافعي في كتاب «المناقب» عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ سئِلَ عَنِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ فَتَابَ عَلَيْهِ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: سَأَلَهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَلَا تَبْتَ عَلَيَّ فَتَابَ عَلَيْهِ «٢».

وَعَنِ النَّظْزَرِيِّ فِي «الْخَصَائِصِ» أَنَّهُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ عَطَسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: يَرْحَمُكَ رَبُّكَ، فَلَمَّا أَسْجَدَ لَهُ الْمَلَائِكَةُ تَدَاخَلَهُ الْعَجَبُ فَقَالَ: يَا رَبِّ خَلَقْتَ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَوْلَاهُمْ مَا خَلَقْتُكَ، قَالَ: يَا رَبِّ فَأَرْبِئِهِمْ، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى مَلَائِكَةِ الْحَجَبِ: أَنْ ارْفَعُوا الْحَجَبَ، فَلَمَّا رَفَعَتْ إِذَا آدَمُ بِخَمْسَةِ أَشْبَاحِ قَدَامِ الْعَرْشِ، قَالَ: يَا رَبِّ مَنْ هَؤُلَاءِ قَالَ: يَا آدَمُ هَذَا مُحَمَّدٌ نَبِيِّ، وَهَذَا عَلِيُّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ابْنُ عَمِّ نَبِيِّ وَوَصِيِّهِ، وَهَذِهِ فَاطِمَةُ بِنْتُ نَبِيِّ، وَهَذَانِ الْحَسَنُ وَالحُسَيْنُ ابْنَا عَلِيٍّ وَوَلَدَا نَبِيِّ، ثُمَّ قَالَ: يَا آدَمُ هُمُ وَلَدَاكَ، فَفَرِحَ بِذَلِكَ، فَلَمَّا اقْتَرَفَ الْخَطِيئَةَ، قَالَ: يَا رَبِّ اسْأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ لَمَّا غَفَرْتَ لِي، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ فَهَذَا الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى:

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ، إِنَّ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ، اللَّهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنِ وَالحُسَيْنِ أَلَا تَبْتَ عَلَيَّ فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ «٣».

(١) بحار الأنوار عن تفسير العياشي ج ١١ ص ٢١٢ ح ١٩.

(٢) المناقب لابن المغازلي ص ٦٣ ح ٨٩.

(٣) تفسير البرهان عن ابن شهر آشوب عن النظري ج ١ ص ٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٨

أقول: وهذا الخبر قريب مما حكيناه عن: «كشف اليقين» إلا أن فيه بعض الاختلاف ولذا حكيناه بلفظه.

وَرَوَى الْقَاضِي أَبُو عَمْرٍو عَثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ أَحَدَ شَيْخِ السَّنَنِ يَرْفَعُهُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: لَمَّا شَمِلَتْ آدَمُ الْخَطِيئَةَ نَظَرَ إِلَى أَشْبَاحِ تَضَىءَ حَوْلَ الْعَرْشِ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِنِّي أَرَى أَشْبَاحًا تُشَبِّهُ خَلْقِي فَمَا هِيَ؟ قَالَ: هَذِهِ الْأَنْوَارُ أَشْبَاحُ اثْنَيْنِ مِنْ وَلَدِكَ اسْمُ أَحَدِهِمَا مُحَمَّدٌ، أَبْدَأَ التَّبَوُّةَ بِكَ وَاحْتَمَهَا بِهِ، وَالْآخَرُ أَخُوهُ وَابْنُ أَخِي أَبِيهِ اسْمُهُ عَلِيُّ أُيِّدَتْ مُحَمَّدًا بِهِ، وَانصَرَفَ عَلَى يَدِهِ، وَالأَنْوَارُ الَّتِي حَوْلَهُمَا أَنْوَارُ ذَرِيَّةِ هَذَا النَّبِيِّ مِنْ أَخِيهِ هَذَا يَرُوجُهُ ابْنَتُهُ تَكُونُ لَهُ زَوْجَةٌ يَتَّصِلُ بِهَا أَوَّلُ الْخَلْقِ إِيمَانًا بِهِ وَتَصَدِيقًا لَهُ، أَجْعَلُهَا سَيِّدَةَ النَّسْوَانِ وَأَفْطَمَهَا وَذَرِيَّتَهَا مِنَ النَّيِّرَانِ، تَنْقَطِعُ الْأَسْبَابُ وَالأَنْسَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا سَبِيهَ وَنَسَبَهُ، فَسَجَدَ آدَمُ شُكْرًا لِلَّهِ أَنْ جَعَلَ ذَلِكَ فِي ذَرِيَّتِهِ فَعَوَّضَهُ اللهُ عَنِ ذَلِكَ السُّجُودِ أَنْ أَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ «١».

ثُمَّ إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا تَابَ بِالتَّوَسُّلِ بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ وَتَجَدِيدِ الْعَهْدِ بِوَلَايَتِهِمْ وَالاسْتِشْفَاعِ بِأَنْوَارِهِمْ فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ وَالرُّجُوعِ عَلَيْهِ بِالإِشْفَاقِ وَالرَّحْمَةِ وَالنَّعْمَةِ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ الرُّجُوعُ عَلَيْهِ بِتَوْفِيقِهِ لِلتَّوْبَةِ، وَإِلْهَامِهِ لَهَا أَوْلَا قَبْلَ تَوْبَتِهِ كَمَا فِي قَوْلِهِ: ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا «٢» وَ مِنْهُ قَوْلُهُ فِي الدَّعَاءِ:

«اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيَّ حَتَّى لَا أَعْصِيكَ»، فَإِنَّ التَّوْبَةَ يَتَّصِفُ بِهَا الْعَبْدُ وَالرَّبُّ، وَلِلْعَبْدِ تَوْبَةٌ، وَلِلرَّبِّ تَوْبَتَانِ: يُوْفِقُ الْعَبْدَ وَيُلْهِمُهُ التَّوْبَةَ أَوْلَا، ثُمَّ يَتُوبُ الْعَبْدُ وَيَرْجِعُ مِنَ الْعَبْدِ إِلَى

(١) البرهان: ج ١ ص ٨٩ ح ١٦.

(٢) التوبة: ١١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٤٩

القرب و من المعصية إلى الانقياد والطاعة، ثم يقبل الله توبته، فتوبة العبد تتعدى إلى و إذا نسبت إليه سبحانه تعدت بعلى لتضمينه معنى الإشفاق والعطف.

و إنما رتبته بالفاء لأنه كالتفصيل لما أجمله أولاً، لتضمن التلقى لتوبته لما مرّ. و اكتفى بذكر آدم في كل من التلقى و التوبة مع سبق التشريك في الزلمة للإيجاز و التغليب له في الأفعال كالأحكام و للتنبيه بالتشريك و التفكيك على كون ابتداء الزلة منهما و التلقى منه. إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّجِيحُ عَلَى عِبَادِهِ بِالتَّوْفِيقِ وَ الدَّعَاءِ إِلَى التَّوْبَةِ وَ قَبُولِ الرَّحْمَةِ، أَوْ بِالصِّفْحِ وَ الْمَغْفَرَةِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، أَوْ بِقَبُولِهَا فِي الدُّنُوبِ الْعِظَامِ، فَيَحْتَمِلُ كُلٌّ مِنَ الْمَادَّةِ وَ الْهَيْئَةِ وَ جِهَيْنِ وَ الْحَاصِلِ أَرْبَعَةً وَ الْأُولَى الْحَمْلَ عَلَى الْجَمِيعِ. الرَّجِيمُ الْمَبَالِغُ فِي إِفَاضَةِ الرَّحْمَةِ الْمَكْتُوبَةِ الْإِيمَانِيَّةِ الَّتِي خَصَّ بِهَا الْمُؤْمِنِينَ، وَ فِي الْجَمْعِ بَيْنِ الْوَصْفَيْنِ وَعَدَّ لِلتَّائِبِ بِالْإِحْسَانِ مَعَ الْغُفْرَانِ.

تفسير الآية (٣٨)

قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعاً كَثْرَهُ لِلتَّكْيِيدِ، أَوْ لِاخْتِلَافِ مَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالْخَطَابِ، فَإِنَّ مَسَاقَ الْأَوَّلِ كَوْنُ هَبُوطِهِمْ لِلزَّلَّةِ وَ الثَّانِي أَنَّ الْمَقْصُودَ الْإِبْتِلَاءَ بِالتَّكْلِيفِ، أَوْ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالْخَطَابِ الْأَوَّلِ هُوَ آدَمُ وَ حَوْءٌ وَ ذَرِيَّتُهُمَا تَابِعُهُ، وَ فِي الثَّانِي بِالْعَكْسِ، وَ لِذَا فَرَعَ عَلَى الْأَوَّلِ حَدِيثَ التَّلْقَى وَ قَبُولِ التَّوْبَةِ، وَ عَلَى الثَّانِي تَقْسِيمَ النَّاسِ إِلَى صَنَفَيْنِ: نَاجٍ مَتَّعٍ لِهَدَاةٍ وَ كَافِرٍ تَابِعٍ لِهَوَاهُ، وَ لَيْسَ مِنْ خَطَابِ الْمَعْدُومِ مِنْ شَيْءٍ عَلَى فَرَضِ اسْتِحَالَتِهِ، وَ لَوْ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٠

باعتبار التغليب لسبق خلق الأرواح التي ركب فيها العقل و الإدراك او غير ذلك مما مر في المقدمات، و يؤيده قول الإمام عليه السلام في تفسير قوله: فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى، يَا تَيْكُمُ وَ أَوْلَادِكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَنِّي هُدًى يَا آدَمُ وَ يَا إِبْلِيسَ «١». أَوْ لِأَنَّهُمَا لَمَّا أَتِيَا بِالزَّلَّةِ أَمْرًا بِالْهَبُوطِ فَتَابَا بَعْدَ الْأَمْرِ بِالْهَبُوطِ، وَ وَقَعَ فِي قَلْبِهِمَا أَنَّ الْأَمْرَ بِالْهَبُوطِ لَمَّا كَانَ بِسَبَبِ الزَّلَّةِ فَبَعْدَ التَّوْبَةِ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَبْقَى الْأَمْرُ بِالْهَبُوطِ فَأَعَادَهُ اللَّهُ لِيَعْلَمَا أَنَّهُ مَا كَانَ جَزَاءَ عَلَى ارْتِكَابِ الزَّلَّةِ يَزُولُ بِزَوَالِهَا بَلْ أَنَّمَا هُوَ تَحْقِيقُ بِالْوَعْدِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْ جَعَلِهِ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ «٢».

و هذا الوجه ضعيف، و إن قواه الرازي، أو لأن الهبوط الاول من الجنة إلى السماء و هذا الهبوط من السماء إلى الأرض «٣». و ردّ بانه قد جعل الاستقرار في الأرض و التمتع فيها حالا من الأول و ان كانت حالا مقدّرة.

و فيه نظر لجواز كونه حالا- باعتبار ما يؤول إليه حالهم بعد الهبوط، و إلما فلا استقرار و لا تمتع حال الهبوط بل بعده، أو لاختلاف الحالين فقد بين في الأول أنّ الإهباط كان في حال عداوة بعضهم لبعض، و في الثاني أنّه كان للابتلاء و التكليف كما يقال: اذهب سالما معافى اذهب مصاحباً، و ان كان الذهاب واحدا لاختلاف الحالين، و هو قريب من الثاني، او لأنه من تعقيب المطلق بالمقيد حيث قيد الثاني بالاجتماع، و اليه الإشارة بما في تفسير الامام عليه السلام حيث قال: كان أمر في الاول أن

(١) تفسير الامام عليه السلام: ص ٩٠ و عنه البحار ج ١١ ص ١٩١.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ج ٣ ص ٢٦.

(٣) نقله الرازي عن الجباعي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥١

يهبطا «١» و في الثاني أمرهم أن يهبطوا جميعا لا يتقدم أحدهم الاخر، و الهبوط إنّما كان هبوط آدم و حواء من الجنة، و هبوط الحيّة ايضا منها، فإنها كانت من أحسن دوابها، و هبوط إبليس من حوالها فإنه كان محرّما عليه دخول الجنة «٢».

و اما ما يقال: من أنّ جميعا حال في اللفظ تأكيد في المعنى فكأنه قيل:

اهبطوا أنتم أجمعون، و لذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط في زمان واحد كقولك: جاءوا جميعا. ففيه أنه كما يتعدّر كونه تأكيدا في اللفظ فكذلك لا يتعين ذلك معنى، بل قضية الحائية بظاها اجتماعهم على الهبوط سلمنا، لكنه لا اقل من استفادة اجتماعهم بعده و هذا مع سبق العداوة الظاهرة مما يصلح لتمهيد الابتلاء و الامتحان و لذا عدل عن التأكيد إلى الحائية أى اهبطوا مجتمعين.

فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى «إمّا» أصله إن الشرطية زيدت عليها «ما» ليصحّ دخول نون التأكيد في الفعل، إيماء إلى رجحان جانب الوقوع بعد دلالة حرف الشرط على الشك، فأكّدوا الفعل بالنون و الأداة بما، و قد يقال: إنّ الأداة إذا أكّدت بما و جب تأكيد شرطها فلا ينحط المقصود عن رتبة الأداة، و بالجملة الأمر و النهي و الاستفهام تدخل فيها النون و ان لم يكن معها ما، لاشتداد الحاجة إلى التوكيد في الأولين، و الثالث في معنى أخبروني، و اما الخبر فلا يدخله إلّا في القسم و ما أشبه القسم في التوكيد لقولك زيد ليأتينك و بجهد ما تبلغن، و قد يقال في المقام: إنّ ما

(١) في نسخة: أن يهبطوا.

(٢) تفسير المنسوب الى الامام عليه السلام ص ٩٠ - ٩١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٢

لتأكيد الفعل أوّله كما أنّ النون تأكيد له اخره كظيره في لام القسم و النون في نحو:

و الله لأقومنّ، و أمّا فتح ما قبل النون فقد يقال: إنه لالتقاء سكون الياء و النون الاولى، و الصحيح أنه للبناء و الّا لما حرّك على الفتح في الصحيح.

و المراد بالهدى البيان و الدلالة بالعقل و الشرع، و لذا ورد أنّ لله على الناس حجّتين حجّة ظاهرة و هم الأنبياء و الرسل و حجّة باطنة و هي العقول «١».

و عن الكاظم عليه السلام في خبر هشام أنّ الله عزّ و جلّ أكمل للناس الحجج بالعقول و أفضى إليهم بالبيان، و دلّهم على ربوبيته بالأدلة فقال: وَ الْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ «٢». «٣» الآيتين.

و في تفسير فرات عن الباقر عليه السلام في هذه الآية: أنّ الهدى هو على بن ابي طالب عليه السلام «٤».

و المراد كونه عليه السلام حجّة في عصره بعد النبي صلّى الله عليه و آله.

و فيه وجه آخر إنّما أتى فيه بالحرف الدال في أصله على الشك، لأنّ اقترانه بما الزائدة و التأكيد بالنون الثقيلة قد أخرجته عن معنى الشك رأسا فدلّ على تيقن الوقوع و تحقّقه من دون تقيّد بزمان للشرط و لا للجزاء المترتب عليه، بل قضية اطلاق الفعل من حيث الأزمان عدم خلوّ الزمان عن الحجّة الذي هو الهدى

(١) بحار الأنوار: ج ١ ص ١٣٧.

(٢) الزمر: ١٨.

(٣) البحار: ج ١ ص ١٣٢ ح ٣٠.

(٤) تفسير فرات الكوفي ص ٥٨ ح ١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٣

المنصوب منه لا منّا، و لذا أضافه إلى نفسه في موضعين من هذه الآية.

و أمّا ما يقال: من أنّ الوجه في ذلك أنّ الإتيان محتمل في نفسه غير واجب عقلا، فهو مردود بما هو المقرّر في محلّه من عدم خلوّ

العصر عن الحجية، بل لا- ريب في شمول الهدى للحجة الباطنة التي هي العقول، بل ما ذكره مبنى على قواعد الاشاعة المنكرين للتحسين و التقيح العقلين النافين لعدله سبحانه عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ومثله في الصّحف ايضا ما قيل: من أنّ ذلك للإيدان بأنّ الإيمان بالله و التوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل و إنزال الكتب، و أنّه إن لم يبعث رسولا- و لم ينزل كتابا كان الايمان به و توحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول و نصب لهم من الأدلة و مكنهم من النظر و الاستدلال.

بل و ما قيل أيضا: من أنّ فيه اشارة إلى وجه آخر غير ما ذكرناه و هو أنّ إتيان الهدى بطريق الرسول و الكتاب ليس بواجب فالإيمان به و بتوحيده و صفاته و أفعاله واجب عليهم على كلّ حال سواء يأتيهم الكتاب و الرسول أو لم يأتيهم، و ذلك لإفاضة نور العقل و نصب الأدلة و لو لم يكن طريق العقل كافيا لوجب عليه إرسال الرسل فلم يصحّ الإتيان بكلمة الشك، فلما أتى بها آذن أنّه ليس بواجب فتعين الوجوب بطريق العقل.

فإنّ الكلّ ضعيف لمخالفته للأصل المقرّر عندنا من وجوب الحجّة في كلّ عصر، و لظاهر الآية من حيث اقتران الشرط بحرفي التأكيد المخرجين. له عن الشك إلى رجحان الوقوع الموجب لتعيينه في حقّه سبحانه على ما قضت به

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٤

حكيمته، و جرت عليه أفعاله من إرادة الأصلح و ترجيح الراجح على المرجوح و من هنا مع كون الخطاب شاملا لذريته عليه السّلام و لو باعتبار التغليب او غيره و ظهور الآيتين في تصنيف التّاس إلى صنفين مع التعريض بهما على هذه الأمية التي هي في آخر الأمم إشارة إلى ما استقرّ عليه المذهب من عدم خلوّ الزمان عن الحجّة بل قد ورد في اخبار كثيرة: «أن علم آدم لم يرفع بل قد ورثه حجّة بعد حجّة».

ففي «البصائر» عن الفضيل قال سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: إنّ العلم الذي هبط مع آدم لم يرفع و إنّ العلم ليتوارث و ما يموت منّا عالم حتّى يخلفه من اهله من يعلم علمه او ما شاء الله «١».

و عن الحارث بن المغيرة عنه عليه السّلام: إنّ العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع، و ما مات عالم الّا و قد ورث عالمه، إنّ الأرض لا تبقى بغير عالم «٢».

و عن فضيل عن أبي جعفر عليه السّلام قال: كانت في عليّ عليه السّلام سنّة ألف نبى، و قال:

إنّ العلم الذي نزل مع آدم لم يرفع، و ما مات عالم فذهب علمه، و إنّ العلم ليتوارث و إنّ الأرض لا تبقى بغير عالم «٣».

و في «العلل» عنه عليه السّلام قال: و الله ما ترك الله الأرض منذ قبض الله آدم إلّا و فيها امام يهتدى به الى الله و هو حجّة الله على عباده «٤».

و فيه و في الإكمال عن الصادق عليه السّلام قال: و الله ما ترك الله الأرض منذ قبض

(١) بصائر الدرجات: ص ٣٢ و عنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٩.

(٢) البصائر: ص ٣٢ و عنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٨.

(٣) البصائر: ص ٣٢ و عنه البحار ج ٢٦ ص ١٦٩ ح ٣١.

(٤) علل الشرائع: ٧٦ و عنه البحار ج ٢٣ ص ٧٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٥

آدم إلّا و فيها امام يهتدى به إلى الله عزّ و جلّ، و هو حجّة الله عزّ و جلّ على العباد، من تركه هلك، و من لزمه نجى حقّا على الله عزّ و جلّ «١».

ثم انّ العقول و ان استقلت بإدراك بعض الحقائق كالوحد و غيره بل بإدراك بعض الاحكام او المصالح المقتضية لها كحسن الصدق النافع و قبح الكذب الضار، إلا أنّها قاصرة عن الإحاطة بتفاصيل الأحكام فمتابعتها بهذا الاعتبار لا توجب الهدى التام الذي يوجب متابعتها نفى الخوف و الحزن رأساً، و مخالفته الكفر الموجب للخلود في النار، و أما الكتب السماوية فإنها و ان وجد فيها ما هو مشتمل على جميع الحقائق و الاحكام كالقرآن إلا أنّه باعتبار بطونه التي لا يعلمها إلا الله سبحانه أو من علمه الله و لو بوسط.

بل نحن نرى الناس مختلفين في فهم ظواهرها، و لذا ترى كلّ ذي شرعة أو بدعة يتشبث بشيء من ظواهرها في أصولهم و فروعهم، و كلّ فرقة من فرق أمّة النبي صلى الله عليه و آله قد استدلتوا لمذاهبهم المختلفة المنحرفة عن طريق الحقّ بظواهر القرآن، فليس فيه ايضاً بنفسه البيان الواضح و الهدى التام بل إنّما يتحقّق ذلك في الأنبياء و الأوصياء المعصومين صلى الله عليهم أجمعين الذين عندهم علم الكتاب، و هم فصل الخطاب، و العقل من حيث دلالاته على الحجّة، و كشفه عن صحّة دعواه فيه الهدى التام، و كذلك الكتاب من حيث اقترانه ببيان الحجّة و تفسيره و تأويله فيه الهدى التام، و الحجّة هو الكتاب الناطق الذي ينطق بالحقّ و يقضى بالقسط و يبطل تأويل المؤولين و يدحض انتحال المبطلين و هو الهدى التام الذي علّق عليه الوعد

(١) العلل: ص ٧٦ و إكمال الدين ص ١٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٦

و الوعيد في الآيتين.

و أنّما اضافه إلى نفسه للتنبية على وجوب كونه منصوباً من قبله سبحانه لاشتراطه بالعصمة التي ليس للناس سبيل إلى معرفتها إلا من طريق الاعجاز أو النص و لغير ذلك على ما قرّر في محلّه.

فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ «من» شرطية عند الأ-كثر، و يحتمل أن تكون موصولة، بل وجهه أبو حيان و غيره لقوله في قسمه و الذين كفروا و كذبوا حيث أتى به موصولاً مع عدم دخول الفاء في خبره، و يؤيده ضمائر الجمع الغائب، و الجملة شرطية كانت او خبرية جواب للشرط المتقدم.

و الاتباع هو الاقتداء و الاحتذاء، و أصله من تبعت القوم إذا مشيت خلفهم، و المراد به في المقام الموافقة في الأفعال و الأقوال و الأحوال و العقائد و التيات، فإنّه هو الاتباع التام، و ان كان له عرض عريض كما و كيفاً، و هو المعبر عنه بالإيمان و التصديق، و لذا قابله بالكفر و التكذيب.

و أنّما كرّر لفظ الهدى لإظهار شأنه و فخامته سيّما مع إضافته إليه، تنبيها على قطع طمع الخائنين عن أن يكون لهم سبيل إلى نصب الحجّة، و توهم كون الثاني أعمّ من الأوّل بناء على شموله لما اقتضاه العقل، مضافاً إلى ما أتى به الرسل، و اختصاص الأوّل بالثاني غير واضح بعد ظهور شمول الأوّل للأوّل أيضاً، سيّما مع كونه نكرة في سياق الشرط او ما بمعناه.

و المراد بالخوف هو التألم الحاصل من توقّع الوعيد، و نقيضه الأمن، كما أنّ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٧

نقيض الحزن السرور، و أصله غلظ الهمّ من الحزن و هو ما غلظ من الأرض، و الخوف إنّما يحصل من حلول المكروه المتوقع، و الحزن عن فوات المحبوب الواقع، و أمّا قوله تعالى: إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذَهَبُوا بِهِ وَ أَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذُّبُّ «١»، فقد أجاب عنه شيخنا البهائي قدس سرّه في كشكوله بأنّ المراد أنّه يحزني قصد ذهابكم به، قال: و بهذا يندفع احتراز ابن مالك على النّحاء بالآية الكريمة في قولهم: إنّ لام الابتداء تخلّص المضارع للحال.

أقول و الأولى أن يقال: إنّهُ ايضاً بالنسبة إلى الواقع بعد تحقّق الذّهاب لاستناد الفعل إليه، فلا عبرة بحال التكلّم، و أمّا اندفاع الاحتراز به بالنسبة إلى اللام فقد سبقه فيه غيره كابن هشام، و ستمتع في موضعه تمام الكلام، و ان كنّا قد لوّحنا إليه في المقام أيضاً، فإنّ

تقدير الآية بعد التأويل بالمصدر أنه ليحزني إذهابكم إياه، و من البين أن الإذهاب موجب للحزن في حاله، و إن كانا مستقبلين بالنسبة إلى حال التكلم، و بالجملة ففي المقام نفى عنهم خوف وقوع المكروه فضلا عن الخوف الواقع، و هو ابلغ بيان في نفى العذاب الروحاني و الجسماني و اثبات الثواب على الوجهين.

و قرئ (هدى) كقضي على لغة هذيل، حيث أنهم يقبلون ألف المقصورة إذا أضيف إلى ياء المتكلم، ياء لمناسبتها كسرة المضاف و يدغمونها، و ذلك لأنَّ شأن ياء الإضافة أن يكسر ما قبلها، فجعل قلب الالف ياء بدل كسرهما، إذ الالف لا تتحرّك، فهو مثل عليّ و لديّ، و قرأ يعقوب فلا خوف بفتح الفاء، على أن لا لنفي

(١) سورة يوسف: ١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٨

الجنس، و هذه قراءته في جميع القرآن، و الباقيون بالرفع و التنوين على إعمال لا عمل ليس. و أمّا ما يستدل به للأول من أن «لا» التبرئة اشدّ نفيا من «ليس» و ان قوله تعالى: «فَلَا صَيْرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَدُونَ» (١) لا خلاف في نصبه، و إن كان ما بعده معطوفا عليه موضعه رفع، فمما لا ينبغي الإصغاء إليه، سيما فيما هو مبنى على التوقيف. و أمّا ما يحكى عن الأعرج «٢» من قراءة هداى بالألف و سكون الياء، فكأنه نوى الوقف و إلّا فهو غلط.

تفسير الآية (٣٩)

إشارة

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

قسيم للجملة المتقدمة، صلة كانت او شرطا، و بها ينقسم كل من بلغته الدعوة، و قامت عليه الحجة إلى صنفين: متبع مهتد آمن متنعم بالنعيم الأبدى، و كافر مكذب مخلد في العذاب السرمدى.

و تقديم الكفر على التكذيب من باب تقديم المسبب على السبب، أو من تقديم الملزوم على اللازم، و المراد من السبب سبب في الحكم، و لو من جهة الكشف عن الموضوع، كما في دلالة بعض أعمال الجوارح كسجود الشمس و غيره

(١) يس: ٤٣.

(٢) هو عبد الرحمن بن هرمز ابو داود الأعرج المدني التابعى المقرئ مات بالاسكندرية سنة (١١٧) - غاية النهاية ج ١ ص ٣٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٥٩

على الكفر.

و الظرف إمّا متعلق بالثانى، و المراد كفرهم بالله و تكذيبهم بآياته و أنّ الفعلين متوجهان إليه على جهة التنازع فيعمل أحدهما فيه و الآخر فى ضميره، و موضع اسم الإشارة الرفع إمّا على أنه مبتدأ خبره أصحاب النار و هم فيها خبر بعد خبر على جهة الاستقلال، أو أنّهما بمنزلة خبر واحد، و على الوجهين فهو بخبره خبر للموصولة، و إمّا على أنه بدل من الموصولة أو عطف بيان لها و أصحاب النار بيان له جرى مجرى الوصف، و جملة «هم فيها» هى الخبر، و لم تدخل الفاء هنا مع دخولها فى مثل قوله: فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١) لما قيل: من أن ما دخل فيه الفاء من خبر الذى و أخواته مشبه بالجزاء، و ما لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر.

و قد مرّ اشتقاق (الآية) فى المقدمات، و أنّ المراد بها العلامة الظاهرة و أنّها تطلق إطلاقا شائعا على الأنبياء و الحجج، و على طائفة من

كلمات القرآن، و على المصنوعات من حيث دلالتها على الصانع و صفاته الكمالية و نعوته الجلالية، و على ما يدل على صدق الأنبياء من المعجزات الباهرات الصادرة منهم و من أوصيائهم، بل الأوصياء أنفسهم من آيات الله سبحانه على صدق أنبيائه، و لذا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ما لله أية أعظم مني «٢».

و في تفسير القمي في غير هذا الموضع الآيات امير المؤمنين و الائمة عليهم السلام، بل قد يستفاد ذلك ايضا من وضع الآيات موضع الهدى المفسر به عليه السلام، و لا تظن

(١) الحج: ٥٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٥٤ ح ٣١ عن تفسير القمي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٠

أنهم عليهم السلام حججه سبحانه بعد نبينا صلى الله عليه و آله، مع أن الآية عامة حاكمه على جميع ذرية آدم، فإن الإقرار بولايتهم مأخوذة على جميع الأمم في جميع الأعصار، بل متابعه حججه سبحانه في كل عصر و زمان إنما هي من مقتضيات ولايتهم، حسبما قرر في موضع آخر.

و لذا قال الامام عليه السلام في تفسيره للآية: وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الدَّالَاتِ عَلَىٰ صَدَقِ مُحَمَّدٍ عَلَىٰ مَا جَاءَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ، و على ما آداه إلى عباد الله من ذكر تفضيله لعلي و آله الطيبين خیر الفاضلين و الفاضلات بعد محمد سيد البريات، أولئك الدافعون لصدق محمد في أنبائه، و المكذبون له في نصب أوليائه عليا سيد الأوصياء و المنتجبين من ذريته الطيبين الطاهرين «١».

أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون و الآية ناعية على أهل السنة و غيرهم ممن أنكر الحجج المعصومين صلى الله عليهم أجمعين قاضية عليهم بالكفر الصريح، و لذا قرنه بالتكذيب بهم بل قدمه عليه لما مرت الإشارة إليه.

بسط في المقام للتنبيه على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام

اعلم: أن هذه القصية و هي قصية أينما آدم عليه السلام و ما ضاهاها من قصص الأنبياء و الأوصياء عليهم الصلاة و السلام، مما قد استدلت بها الحشوية «٢» و غيرهم ممن لا

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٨٩-٩٠ عن تفسير الامام عليه السلام.

(٢) الحشوية: طائفة تمسكوا بالظواهر و ذهبوا الى التجسم، و غيره سموا بالحشوية لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري المتوفى (١١٠)، فوجدهم يتكلمون كلاما فقال: ردوا هؤلاء الى حشاء الحلقة. و قيل غير هذا الوجه أيضا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦١

خلاق لهم في الدين و لا ينبغي لهم عددهم في زمرة المسلمين على تخطئه الأنبياء و تفسيقهم و تجهيلهم و تضليلهم، بل يعزى إلى بعضهم جواز الكفر عليهم.

و جملة الكلام أن الاختلاف الواقع في باب العصمة يرجع إلى أربعة أقسام:

أحدها: ما يقع في باب العقائد، ثانيها: ما يقع في التبليغ، ثالثها: ما يقع في الفتيا و الاحكام، رابعها: ما يقع في أفعالهم و سيرهم عليهم السلام أما الكفر و الضلال في الاعتقاد فقد أجمع المسلمون على عصمتهم عنهما قبل النبوة و بعدها، و قد ادعى الإجماع عليه غير واحد من الفريقين، نعم قد حكى في الملل و النحل و غيره من الأزارقة و هم أصحاب أبي راشد نافع «١» بن الأزرق من الخوارج أنهم

جوزوا عليهم الذنب، و كل ذنب عندهم كفر، فلزمهم تجويز الكفر عليهم، بل قد يحكى عنهم: أنهم قالوا: يجوز أن يبعث الله نبيا علم أنه يكفر بعد نبوته، إلا أنه لا ينبغي عد قول الخوارج في عداد أقوال المسلمين و لا عدّهم في زمرة أهل الإسلام، بل و كذا من قال بمقالهم كابن «٢» فورك من الأشاعرة حيث جوز بعثه من كان كافرا، و أمّا ما حكاه شارح التجريد و الفضل بن روزبهان عن الشيعة الإمامية عن أنهم جوزوا للأنبياء اظهار الكفر تقيّة و احترازا عن إلقاء النفس في التهلكة فهو ناش عن الجهل بمذهبهم، او

(١) نافع بن الأزرق الحنفي من بنى حنيف رئيس الفرقة الازارقة، ادعى الخلافة في البصرة و الأهواز و لقب نفسه بأمر المؤمنين، و هجم على المدينة و أغار أموال الناس و قتل كثيرا حتى قتل قرب الأهواز في سنة (٦٥) هـ بواسطة جيش ابن الزبير.

(٢) ابن فورك: ابو بكر محمد بن الحسن بن فورك الاشعري الأصبهاني له مصنفات كثيرة، مات مسموما بأمر السلطان محمود سنة (٤٠٤) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٢

العناد لهم و الافتراء عليهم كيف و من المعلوم المشتهر بين الفريقين انّ مذهب الإمامية هو العصمة المطلقة من الكبائر عمدا و سهوا قبل النبوة و بعدها و أنه لا يجوز على الأنبياء شىء من التقيّة، و إن جاز لغيرهم في محلّها، و هذا المذهب ممّا يعرفه منهم الموافق و المخالف، أمّا جواز التقيّة عليهم و لو في اظهار الكفر فلم يقل به أحد منهم، و لم ينقل عن واحد منهم، و هذه أصولهم و مصنفاتهم يدعون فيها العصمة المطلقة مطلقا، و ليس فيها أثر ممّا افتراه عليهم قوم آخرون حكاية بل صريح كلام مخالفينهم نسبة القول بثبوت العصمة المطلقة إليهم.

قال العضدي في «شرح المختصر»: الأكثر من المحققين على أنه لا يمتنع عقلا على الأنبياء قبل الرسالة ذنب من كبيرة أو صغيرة، و خالفت الروافض في ذلك فمنعوا جواز الذنب مطلقا.

و عن البدخشي في «شرح منهاج الأصول»: الأكثر من المحققين على أنه لا يمتنع عقلا- قبل النبوة ذنب من كبيرة أو صغيرة خلافا للروافض مطلقا، و للمعتزلة في الكبائر و لا خلاف لاحد في امتناع الكفر عليهم إلا الفضلية من الخوارج بناء على أصلهم من أن كل معصية كفر و قد قال الله تعالى: وَ عَصَى آدَمُ «١»، و جوز البعض عليهم عند خوف تلف المهجة إظهار الكفر إلى آخر ما ذكره.

و ظاهره انّ من جوز على الأنبياء الكفر خوفا جماعه غير الشيعة لأنه ذكر أن الشيعة مانعون مطلقا، و بالجملة الإمامية معروفون بإثبات العصمة المطلقة، كما يظهر من كتب الفريقين المصنفة في اصول الكلام و اصول الفقه، و قد تظافت في

(١) طه: ١٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٣

كلامهم حكاية الإجماع على ذلك، و هذا المذهب مأخوذ من ائمتهم عليهم السلام، و من نقل منهم خلافه فهو مفتر مباحث، مع أن ذلك القول فاسد في نفسه، فأنه لو جاز إظهار الكفر تقيّة لكان أولى الأوقات به وقت ظهور الدعوة لأنّ الناس في ذلك الوقت متفقون على التكذيب و الإنكار، فكان لا يجوز اظهار الدعوة لأحد من الأنبياء فيؤدى إلى إخفاء الدين بالكليّة، و لعله من حكي ذلك عنهم رأى في كلامهم ما يدلّ على جواز التقيّة للأئمة و للأوصياء في أيام خلافتهم مع اشتراكهم للأنبياء في العصمة و القدوة، فظنوا أنهم يجوزونها للأنبياء أيضا، و هو كما ترى.

هذا كله في اعتقاد الكفر و الشرك و ما بمنزلةهما، و أمّا الاعتقاد الخطأ الذي لا يبلغ الكفر كاعتقاد عدم بقاء الأعراس فمذهب الإمامية عدم جوازه أيضا عليهم لتزّهمهم و براءتهم عن الخطأ في الاعتقاد و لو فيما لا يتعلّق بالأمر الشرعيّ و لا يدخل تحت التبليغ لما

سيأتي، و أما الجمهور فقد حكى العلامة أعلى الله مقامه في «نهاية الأصول» عنهم فيه قولين: أحدهما المنع لكونه منقرا و الآخر الجواز هذا هو الكلام في القسم الأول.

و أما القسم الثاني: و هو ما يتعلّق بالتبليغ فقد اتفقت الأمة بل جميع أبواب الشرائع و الملل على وجوب عصمتهم عن الكذب و الافتراء و التحريف فيما يتعلّق بالتبليغ عمدا و سهوا، نعم قد يحكى عن القاضي «١» أبى بكر أنه جوّز من ذلك ما كان على سبيل التسيان و فلتات اللسان.

(١) هو القاضي ابو بكر الباقلاني محمد بن الطيب البصرى البغدادي الاشعري كان مشهورا بالمناظرة و سرعة الجواب، توفي ببغداد سنة (٤٠٣) هـ الكنى و الألقاب ج ٢ ص ٦٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٤

و أما القسم الثالث: و هو ما يتعلّق بالفتيا فاجمعوا على امتناع الخطأ فيه عمدا و سهوا و ألا لارتفع الوثوق عن أقوالهم، و ربما يحكى عن بعض العامة جوازه على جهة السهو لا العمد.

و أما القسم الرابع: و هو ما يتعلّق بأفعالهم فاختلّفوا فيه على ثمانية أقوال:

أحدها مذهب أصحابنا الإمامية و هو أنه لا يصدر عنهم الذنب لا صغيرة و لا كبيرة و لا عمدا و لا نسيانا و لا خطأ في التأويل و لا للإسهاء من الله سبحانه و لا لغير ذلك من الأسباب و لم يخالف فيه إلا الصدوق، و شيخه محمد «١» بن الحسن بن الوليد رحمهما الله فأنهما جوّزا الإسهاء لا السهو الذي يكون من الشيطان، و كذا القول في الأئمة الطاهرين، بل قال الصدوق في «الفتاوى»: إن الغلاة و المفوضة لعنهم الله ينكرون سهو النبي عليه و آله في الصلاة و يقولون: لو جاز أن يسهو في الصلاة جاز أن يسهو في التبليغ لأن الصلاة عليه فريضة، كما أن التبليغ عليه فريضة «٢».

ثم فرّق بينهما بما لا يخفى ضعفه إلى أن قال: و كان شيخنا محمد بن الحسن ابن أحمد بن الوليد رحمه الله يقول أول درجة الغلو نفي السهو عن النبي صلى الله عليه و آله «٣».

أقول و سيمرّ عليك في تفسير بعض الآيات المتعلقة بذلك حكاية تمام ما ذكره في المقام مع إيراد ما يرد عليه و على شيخه من وجوه النقض و الإبرام.

ثانيها: ما ذهب إليه اكثر المعتزلة و هو أنه لا يجوز عليهم الكبائر و يجوز

(١) ابن الوليد: محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد شيخ القميين و وجههم ثقة ثقة عين مسكون إليه، كتب في التفسير و غيره توفي سنة (٣٤٣) هـ - الكنى و الألقاب ج ١ ص ٤٤٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه ص ٢٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه ص ٩٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٥

عليهم الصغائر إلا الصغائر الخسيسة المنفرة كسرقة حبة أو لقمة و كلّ ما ينسب فاعله إلى الدناءة و الضعة كالكذب و التطفيف و نحوهما ممّا ينفر، و أما غيره من الصغائر فقد وقعت منهم عمدا و خطأ و سهوا.

ثالثها: أنه يجوز وقوع الكبائر منهم عقلا و ان لم تقع منهم سمعا و هو المحكى عن القاضي «١».

رابعها: تجويز الكفر عليهم فضلا عن الكبائر عقلا و ان لم تقع و هو المحكى عن الغزالي «٢» في كتابه «المنحول» في الأصول حيث قال: و المختار ما ذكره القاضي و هو أنه لا يجب عقلا عصمتهم إذ لا يستبان استحالة وقوعه بضرورة العقل و لا بنظره و ليس هو

مناقضا لمدلول المعجزة، فإنّ مدلوله صدق اللهجة فيما يخبر عن الله تعالى لا عمدا ولا سهوا، ومعنى التنفير باطل فانا نجوز ان ينبي الله تعالى كافرا يؤيده بالمعجزة انتهى قوله لا عمدا ولا سهوا أى ان ما سوى الاخبار عن الله تعالى يجوز منه كل شىء من الذنوب والمعاصى عهدا و سهوا.

خامسها: انه لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة على وجه العمد لكن يجوز على جهة التأويل أو السهو، وهو المحكى عن أبى على الجبائى «٣» و مراده بالتأويل

(١) هو القاضى ابو بكر الباقلانى المتقدم ذكره.

(٢) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الملقب حجة الإسلام الطوسى الفقيه الشافعى و له مصنفات كثيرة فى التصوف والأخلاق وغيرهما، توفى فى ١٤ ج ٢ سنة (٥٠٥) هـ - الكنى والألقاب ج ٢ ص ٤٩٤.

(٣) ابو على محمد بن عبد الوهاب بن سلام المعتزلى، كان من رؤوس المعتزلة توفى سنة (٣٠٣) هـ - الكنى والألقاب ج ٢ ص ١٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٦

ما لم يرجع إلى الغلط والاشتباه مثل ما يعزى إليه من ان آدم كان منهيا عن جنس الشجرة فتأول و ظن ان النهى متعلق بشجرة بعينها، و لذا اعترض عليه علم الهدى «١» بأنه نزهه عن معصية، و أضاف إليه معصيتين لأنه مخطئ على مذهبه فى ترك النظر فى متعلق النهى و فى تناول من الشجرة.

سادسها: انه لا يقع ذلك منهم عمدا و لا من جهة التأويل لكن على سبيل السهو، و هم مأخوذون بما يقع منهم على وجه السهو، و ان كان ذلك موضوعا عن امتهم لقوة معرفتهم و علو رتبهم و كثرة دلائلهم و أنهم يقدرون من التحفظ على ما لا يقدر عليه غيرهم و هو قول النظام و جعفر بن مبشر و من تبعهما.

سابعها: انه لم يقع منهم ذنب كبير و لا صغير عمدا و اما سهوا فقد يقع لكن بشرط أن يتذكروه فى الحال و يعرفوا غيرهم انه سهو.

ثامنها: أنهم كغيرهم من الناس يجوز عليهم الكبائر و الصغائر عمدا و سهوا و خطأ و هو قول الحشوية و كثير من أصحاب الحديث من اهل السنة.

ثم أنهم قد اختلفوا فى وقت العصمة على أقوال ثلاثة: الأول: انه من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه و هو مذهب أصحابنا الامامية.

الثانى: انه من حين بلوغهم و لا يجوز عليهم الكفر و الكبيرة قبل النبوة و هو مذهب كثير من المعتزلة.

الثالث: انه وقت النبوة و اما قبله فيجوز صدور المعصية عنهم، و هو قول اكثر

(١) هو سيد علماء الأئمة، و محيى آثار الأئمة ذو المجددين ابو القاسم على بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن ابراهيم بن الامام موسى الكاظم عليه السلام و له سنة (٣٥٥) هـ، و توفى لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة (٤٣٦) - الكنى والألقاب ج ٢ ص ٤٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٧

الأشاعرة و منهم الرازى، و به قال أبو هذيل و ابو على الجبائى من المعتزلة.

هذا مجمل الكلام فى الأقوال و قد سمعت أن مذهب الامامية كافة هو القول بعصمة النبى و الامام تمام العمر فلنشر إلى معنى العصمة و الدليل على إثباتها و دفع حجج منكريها فى مباحث:

الأول: فى معنى العصمة و هى فى اللغة المنع، و منه قوله تعالى: وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ «١» أى يمنعك و قوله: سَأْوِي إِلَى جَبَلٍ

يَعِصُنِي مِنَ الْمَاءِ «٢» قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ «٣»، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ «٤» أَى امتنعوا به، و المراد بها عند العدليّة هو اللطف المانع للمكلف من ترك الواجبات و فعل المحرّمات يفعله الله تعالى به غير سالب للقدرة على خلاف مقتضى اللطف، و الّا فمع انتفاء القدرة ينتفى التكليف، فلا يستحقّ مدحا و لا ثوابا، و هذا هو الذى يقتضيه الأصول المقرّرة عند العدليّة على ما هو المذكور فى الكتب الكلاميّة.

و إليه يرجع ما قيل ايضا: من أنّها ملكة ربانيّة تمنع من فعل المعصية و الميل إليها مع القدرة عليها.
و ما استقرّ به العلامة أعلى الله مقامه فى «أنوار الملكوت» حاكيا له عن بعض العامّة: من أنّها عبارة عن لطف يفعل الله بالمكلف لا يكون معه داع إلى المعصية و إلى ترك الطاعة مع قدرته عليهما.

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) هود: ٤٣.

(٣) هود: ٤٣.

(٤) آل عمران: ١٠٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٨

و لعلّه إليه يرجع ايضا ما هو المحكى عن الحكماء فى تعريفها من أنّها ملكة تمنع الفجور ناشئة من العلم بمثالب المعاصى و مناقب الطاعات و تتأكد فى الأنبياء بتتابع الوحي إليهم بالأوامر الداعية إلى ما ينبغى و النواهى الزاجرة عمّا لا ينبغى.
و ربما يزداد فيه بعد قوله: تمنع الفجور منعا غير سالب للقدرة، بل قد يورد عليه بأن قولهم ناشئة من العلم ليس بشىء لأن العلم لا يثمر تلك الملكة إلّا أن يراد به العلم الحقيقى و هو المقترن بالعمل بحيث لا يتخلّف عنه فى حال، فحينئذ يكون صورة للعصمة، و مادّتها طلب الله سبحانه من المكلف و هدايته، و روحها ذلك اللطف.

و على هذا يكون هذا التعريف مع اعتبار القيد أقرب لاشتماله على جنس القريب، إلّا أنّه لا يخفى أن أمثال هذه التعاريف إنّما هو الكشف عن نوع المعنى، و الإشارة إلى ما ينتقل منه إليه، و ان لم يشتمل على الاجزاء الحقيقية من الجنس و الفصول المميزة، بل و لم يسلم طردا و عكسا على حدّ سائر التعاريف العرفية و البيانات اللغوية، بل و كثير من البيانات الشرعية أيضا.

مثل ما رواه فى «المعاني» بالإسناد عن موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن الحسين عليهم السلام قال: الامام منّا لا يكون إلّا معصوما و ليست العصمة فى ظاهر الخلقة فيعرف بها فذلك لا يكون إلّا منصوبا فليل له يا ابن رسول الله فما معنى المعصوم؟ فقال عليه السلام: هو المعتصم بحبل الله، و حبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، و الامام يهدى إلى القرآن، و القرآن يهدى إلى الامام، و ذلك قول الله

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٦٩

عزّ و جل: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ «١». «٢» و فيه بالإسناد عن الحسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم ما معنى قولكم: إنّ الامام لا يكون إلّا معصوما؟ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال عليه السلام: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله قال الله تعالى: وَ مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ «٣». «٤» و فى «العلل» و «المعاني» و «الأمالى» بالإسناد عن ابن أبى عمير قال: ما سمعت و لا استفدت من هشام بن الحكم فى طول صحبتى آياه شيئا أحسن من هذا الكلام فى عصمة الامام عليه السلام فأتى سألته يوما عن الإمام أهو معصوم؟ قال: نعم، قلت له: فما صفة العصمة فيه؟ و بأيّ شىء تعرف؟ قال: إنّ جميع الذنوب لها أربعة أوجه لا خامس لها: الحرص و الحسد و الغضب و الشهوة، فهذه منتفية عنه.

لا يجوز أن يكون حريصا على هذه الدنيا و هى تحت خاتمه، لأنّه خازن المسلمين فعلى ماذا يحرص؟

ولا يجوز أن يكون حسوداً لأنَّ الإنسان إنَّما يحسد من هو فوقه وليس فوقه أحد فكيف يحسد من هو دونه.
ولا يجوز أن يغضب لشىء من أمور الدنيا إلا أن يكون غضبه لله عزَّ وجلَّ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ قد فرض عليه إقامة الحدود، وان لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا رافة في دينه

(١) الإسراء: ٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٩٤ عن المعاني ص ٤٤.

(٣) آل عمران: ١٠١.

(٤) البحار ج ٢٥ ص ١٩٤ ص ٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٠

حتَّى يقيم حدود الله عزَّ وجلَّ.

ولا-يجوز أن يتبع الشهوات و يؤثر الدنيا على الآخرة لأنَّ الله عزَّ وجلَّ حبَّ إليه الآخرة كما حبَّ إلينا الدنيا فهو ينظر إلى الآخرة كما ينظر إلى الدنيا فهل رأيت أحدا ترك وجهها حسنا لوجهه قبيح و طعاما طيبا لطعام مرَّ و ثوبا لطيفا لثوب خشن، و نعمه دائمة باقية لدنيا زائلة فانية؟ «١» ففي هذه الاخبار الإشارات إلى ما مرَّ من معنى العصمة اما الخبر الأول فلاشتماله على الاعتصام بحبل الله الذى هو القرآن، و قضية الاعتصام به موافقة أفعاله و أقواله و أحواله و خيالاته و إرادته لحكم القرآن المشتمل بظهوره و بطونه لكل شىء، إذ فيه تفصيل كل شىء.

و اما الثانى: فلان الامتناع بالله هو الالتجاء إليه بجميع مراتب الوجود، و فى كل حال من الأحوال، و قضية ذلك أن لا يكون للشيطان عليه سلطان، فلا يفوته شىء من الخيرات، و لا ترهقه قتره السيئات.

و اما الثالث: فلاشتماله على أصول المعاصى و شعبها، و لمية تنزهه عن اقرار شىء منها، لأنه بصيرته النافذة يرى الدنيا و الآخرة بحقيقتهما، و يرى كلا من الطاعات و المعاصى على ما هى عليه فى ذاتها، و لذا لا يختار المعصية على الطاعة، و لا البعد على القرب و لا يستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير، كما أشير إليه فى ذيل الخبر، مع ما فيه من الإشارة إلى بقاء القدرة و لمية حسن الاختيار من دون إلجاء و اضطرار.

(١) الخصال ص ١٠١ و ١٠٢ و عنه البحار ج ٢٥ ص ١٩٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧١

وفيه ابطال لمذهب الأشاعرة حيث ذهبوا إلى أن المعصوم هو الذى لا يمكنه الإتيان بالمعاصى بان يكون مختصا بكيفية بدنية او قائمة ببدنه او نفسانية او قائمة بنفسه يقتضى امتناع الاقدام على المعصية، أو انه الذى يكون قادرا على الطاعة لا غير، أو يكون غير قادر على المعصية.

و هذه الأقوال الثلاثة على اختلافها فى الجملة مشتركة فى نفى القدرة حكاها عنهم فى «أنوار الملكوت» و الكل مخالف لأصول المذهب كما لا يخفى، بل قد سمعت أن الامامية قد اعتبروا فى تحقق العصمة مضافا إلى ترك المعاصى مطلقا عن اختيار و قدرة نفى السهو و الغفلة ايضا.

و لذا كان الأولى فى تعريفها أن يقال: إنها ملكة ربانية تنبعث على ترك المعاصى مع بقاء القدرة و على نفى الخطأ و الزلة حتى السهو و الغفلة، و لذا ورد فى أخبار كثيرة أن الإمام لا يسهو «١» و لا يغفل مغللا بكونه معصوما على ما يأتى تمام الكلام فيه فى تفسير قوله: **إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** «٢»، و قوله: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ** «٣».

و في الزيارة الجامعة: عصمكم الله من الزلل و آمنكم من الفتن، و طهركم من الدنس، و أذهب عنكم الرجس «٤».

و في الزيارة المروية في مزار البحار عن الشيخ المفيد، و ابن طاوس،

(١) البحار ج ٩٣ ص ٦٤ و ج ٢٥ ص ١٦٤.

(٢) البقرة: ١٢٤.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٣٧١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٢

و الشيخ محمد بن المشهدى في الثناء على أهل البيت و فيها: «انّ لكم القلوب التي تولى الله رياضتها بالخوف و الرجاء، و جعلها أوعية للشكر و الثناء و آمنها من عوارض الغفلة، و صفاها من شواغل الفترة، الزيارة «١».

ثم ان السبب في تحقق العصمة لأهلها ما قيل من أن الله تعالى خلق الأشياء، بفعله على حسب قوابلها لفعله، بمعنى أنه أحدث موادها لا من شيء، و صورها كما قبلت، فمن لطف مادته و رقت لشدة نوريتها و قربها من المبدأ الفيض الذي هو مشيئة الله و فعله، تلاشت أيتها و ضعفت بحيث لا تكاد تنافي هيئته فعله، فلا تبدو عنها هيئة تخالف هيئته فعله، فلا يقع لها متعلق اقتضاء غير ما اقتضته هيئته مشيئة، فلا يريد ذلك المخلوق غير ما يريد خالقه كما قال تعالى: «وَمَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» «٢»، و هو معنى قول علي عليه السلام: «فجعلهم ألسن إرادته» «٣» يعني أن إرادته تعالى تنطق بهم، فقولهم قوله تعالى، و فعلهم فعله عزّ و جلّ، و هو معنى قولهم عليهم السلام: نحن محالّ مشيئة الله «٤».

و في زيارة الحجية عجل الله فرجه التي رواها أبو جعفر محمد بن عثمان العمري: مجاهدتك في الله ذات مشيئة الله، و مقارعتك في الله ذات انتقام الله، و صبرك في الله ذو أناة الله، و شكرك لله ذو مزيد الله و رحمته، إلى أن قال: و القضاء؟؟؟ ما

(١) بحار الأنوار ج ١٠٢ ص ١٦٤.

(٢) سورة الإنسان: ٣٠.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١١٤.

(٤) لم اظفر على مصدره و لكن بمضمونه رواية اخرى في البحار ج ٢٥ ص ٣٣٧ و هي: «قلوبنا أوعية لمشيئة الله...»

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٣

استأثرت به مشيئتهم، و الممحو ما لا استأثرت به ستتكم به «١».

فكان بعناية الله تعالى و لطفه عن قابليته سابقا لكل من لم يكن كذلك، و كانت فطرته على هيئته فعله تعالى و محبته، فحين توجه إليه أمر ربه كان ميل فطرته و دواعي صورته الغيبية مطابقا لمحبية الله و إرادته و امره، مع دوام الرياضة و التربية حقيقة ما هو اهله بالتوفيق و التسديد و عدم التخليه مع مطابقتها تلك الفطرة لفعل الله و محبته و إرادته.

و أمّا عدم غفلته و سهوه و نسيانه فلدوام تيقظه و تبّيه و توقّد نورية قلبه و دوام توجهه إلى ربه، و سلامة قلبه عن استيلاء حزب الشياطين و وساوسهم و نزعاتهم، و ذلك لما قرّر في محلّه من أنّ سبب الغفلة و النسيان هو البعد عن ساحة القرب الموجب لاستيلاء الشيطان، و لذا قال مولانا الحسن المجتبي عليه السلام في جواب من سأله عن جملة من المسائل على ما رواه في «العلل» و «العيون» إلى أن قال: و أمّا ما ذكرت من أمر الذكر و النسيان فإنّ قلب الرّجل في حقّ و على الحقّ طبق فإنّ صلّى الرّجل عند ذلك على محمد و آل محمد صلاة تامّة انكشف ذلك الطبّق عن ذلك الحقّ فأضاء القلب، و ذكر الرّجل ما كان نسي، و إن هو لم يصلّ على محمد و

آل محمد، أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق فأظلم القلب و نسي الرجل ما كان ذكره. «٢» الخبر.
فإن الصلوة مشتقة من الصلة و الوصل و الاتصال، فإذا اتصل العبد بالأنوار

(١) بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٤٢٥- عن كمال الدين و العيون.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٤

القادسية الالهية، و ارتفع عن وجه قلبه الحجب الظلمانية أشرفت تلك الأنوار على مرآة قلبه الصقيلة و انتقش فيها صور الأشياء على ما هي عليها من دون أن يقربه سهو أو نسيان أو غفلة، و هذا هو المقصود بالصلوة التامة عليه و آله صلى الله عليه و آله و آله فمن البين أن مجرد اجراء تلك اللفظة على اللسان مع غفلة القلوب و احتجابها بالحجب الظلمانية عن الاستضاءة بالأنوار القدسية ليست صلاة تامة.

الثاني: في إقامة الحجّة على عصمة الأنبياء و أوصيائهم عليهم الصلوة و السلام، و العمدة في ذلك إجماع أصحابنا الإمامية المعلوم لنا تحقيقا و نقلا مستفيضا بل الحق على ما صرح به غير واحد من الأصحاب أنه صار من ضروريات مذهب الامامية، بحيث يعرفه منهم كل من دخل في هذا المذهب، بل يعرفه منهم المخالفون لهم ايضا حيث نسبوا في كتبهم الكلامية و غيرها إلى الامامية القول بلزوم العصمة من جميع الذنوب صغائرها و كبائرها و من السهو و النسيان و الخطأ من أول العمر إلى آخره، قبل النبوة و بعدها، و لذا رمت الامامية قول الصدوق و شيخه ابن الوليد في جواز السهو او الإسهاء عليهم بقوس واحدة بل تبرأوا من هذا القول و هجروه و نسبوه إلى الشذوذ و الوهن الناشى عن الاختلاط بالقميين الذين يبالغون في نفى الغلو و الارتفاع في حق الحجج عليهم السلام، حتى أنهم إذا رأوا واحدا من الرواة يروون بعض مناقب الأئمة و فضائلهم و غرائب معجزاتهم هجروه و تركوا حديثه و نسبوه إلى الغلو و الارتفاع، و هذا هو السبب الأقوى في تضعيف ابن الغضائري كثيرا من الثقات بل ربما يسرى الوهم إلى غيره، و لذا ضعفوا محمد بن سنان، و المعلّى بن خنيس، و المفضل بن عمر الجعفي، و نصر بن الصباح،

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٥

و غيرهم من المشايخ الثقات الذين كانوا من أبواب الأئمة عليهم السلام.

و بالجملة لا- ريب في قيام الضرورة من المذهب في هذه الأعصار على عصمة الحجج كلها من الأنبياء و الأوصياء و هي الحجّة القطعية، مضافا إلى الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة على ذلك حسبما تسمع شطرا منها في تفسير الآيات الآتية المتعلقة بعصمة الأنبياء و الحجج.

نعم قد تصدى جملة من أصحابنا شكر الله مساعيهم لإثبات ذلك بإقامة الحجّة عليه من طريق العقل، فلا بأس بالتعرض لجملة من حججهم، و ان كان في بعضها بعض القصور عن إفادة تمام المطلوب، إلا أنه لا بأس به بعد ما سمعت أن عمدة الدليل هو الضرورة و الإجماع، فمنها دليل التنفير على ما أشار اليه غير واحد من الأصحاب.

قال السيد المرتضى رضى الله عنه في كتاب «تنزيه الأنبياء»: اعلم أن جميع ما نزه الأنبياء عليهم السلام عنه و نمنع من وقوعه منهم يستند إلى دلالة العلم المعجز إما بنفسه او بواسطة، و ذلك أن العلم المعجز إذا كان واقعا موقع التصديق لمدعى النبوة و الرسالة و جاريا مجرى قوله تعالى له صدقت في انك رسولى و مؤدّ عنى، فلا بد أن يكون هذا المعجز مانعا من كذبه على الله تعالى فيما يؤدّيه، لأنه تعالى لا يجوز أن يصدق الكذاب، لأن تصديق الكذاب قبيح كما أن الكذب قبيح، و أما الكذب في غير ما يؤدّيه و سائر الكبائر فأنما دل المعجز على نفيها من حيث كان دالا على وجوب اتباع الرسول و تصديقه فيما يؤدّيه و قبوله منه، لأن الغرض في بعثة الأنبياء و تصديقهم بالأعلام المعجزة هو أن يمثل ما يأتون به، فما قدح في الامثال

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٦

والقبول و أثر فيهما يجب أن يمنع المعجز منه، فلهذا قلنا: أنه يدل على نفي الكذب و الكبائر عنهم في غير ما يؤدونه بواسطة، و في الأول يدل بنفسه، و أما إن تجوز الكبائر يقدر فيما هو الغرض بالبعثه من القبول و الامتثال فلائنه لا شبهه في أن من نجوز عليه كبائر المعاصي و لا نأمن منه الإقدام على الذنوب لا تكون أنفسنا ساكنه إلى قبول قوله و استماع وعظه سكونها إلى من لا نجوز عليه شيئا من ذلك، و هذا هو معنى قولنا: ان وقوع الكبائر ينفر عن القبول، و المرجع فيما ينفر و ما لا ينفر إلى العادة و اعتبار ما يقتضيه، و ليس ذلك مما يستخرج بالأدلة و المقاييس، و من رجع إلى العادة علم ما ذكرناه، و أنه من أقوى ما ينفر عن قبول القول و ان حظ الكبائر في هذا الباب ان لم يزد عن حظ السخف «١» و المجون «٢» و الخلاعة «٣» لم ينقص منه.

فان قيل: أليس قد جوز كثير من الناس على الأنبياء الكبائر، مع أنهم لم ينفروا عن قبول أقوالهم و العمل بما شرعوه من الشرائع، و هذا ينقص قولكم: إن الكبائر منفره.

قلنا هذا سؤال من لم يفهم ما أوردناه، لأننا لم نرد بالتنفير ارتفاع التصديق و أن لا يقع امتثال الأمر جملة، و إنما أردنا ما فسّرناه من أن سكون النفس إلى قبول قول من يجوز ذلك عليه لا يكون على حد سكونها إلى من لا يجوز ذلك عليه، و إنما مع تجوز الكبائر نكون أبعد من قبول القول، كما أننا مع الأمان من الكبائر نكون أقرب إلى القبول، و قد يقرب من الشيء ما لا يحصل الشيء عنده، كما يبعد عنه ما

(١) السخف: رفة العقل و نقصانه.

(٢) المجون: المزاح و قلة الحياء و صلابه الوجه.

(٣) الخلاعة: الانقياد للهوى و التهتك و الاستخفاف.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٧

لا يرتفع عنده، ألا ترى أن عبوس الداعي للناس إلى طعامه و تصجره و تبرمه منفر في العادة عن حضور دعوته و تناول طعامه، و قد يقع مع ما ذكرناه الحضور و تناول و لا يخرج من أن يكون منفر، و كذلك طلاقه وجهه و استبشاره و تبسمه يقرب من حضور دعوته و تناول طعامه، و قد يرتفع الحضور مع ما ذكرناه و لا يخرج من أن يكون مقربا، فدل على أن المعتبر في باب المنفر و المقرب ما ذكرناه دون وقوع الفعل المنفر عنه او ارتفاعه.

فان قيل: فهذا يقتضى أن الكبائر لا تقع منهم في حال النبوة فمن أين أنها لا تقع منهم قبل النبوة و قد زال حكمها بالنبوة المسقطه للعقاب و الدم و لم يبق وجه يقتضى التنفير؟

قلنا الطريقة في الأمرين واحدة لأننا نعلم أن من يجوز عليه الكفر و الكبائر في حال من الأحوال و ان تاب منه و خرج من استحقاق العقاب به لا نسكن إلى قبول قوله مثل سكوننا إلى من لا يجوز ذلك عليه في حال من الأحوال و على وجه من الوجوه، و لهذا لا يكون حال الواعظ لنا الداعي إلى الله تعالى و نحن نعرفه مقارفا للكبائر مرتكبا لعظيم الذنوب و ان كان قد فارق جميع ذلك و تاب منه عندنا و في نفوسنا كحال من لم يعهد منه إلا النزاهة و الطهارة، و معلوم ضرورة الفرق بين هذين الرجلين فيما يقتضى السكون و التفور، و لهذا كثيرا ما يعير الناس من يعهدون منه القبائح المتقدمة بها و ان وقعت التوبة منها، و يجعلون ذلك عيبا و نقصا و قادحا و مؤثرا، و ليس إذا كان تجوز الكبائر قبل النبوة منخفضا عن تجوزها في حال النبوة و ناقصا عن رتبته في باب التنفير و جب أن لا يكون فيه شيء من التنفير، لأن

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٨

الشيئين قد يشتركان في التنفير و ان كان أحدهما أقوى من صاحبه، ألا ترى أن كثيرا من السخف و المجون و الاستمرار عليه و

الانهماك فيه منفر لا محالة، و انّ القليل من السخف الذي لا يقع إلّا في الأحيان و الأوقات المتباعدة منفر أيضا، و ان فارق الأوّل في قوّة التنفير و لم يخرج نقصانه في هذا الباب عن الأوّل عن أن يكون منفرًا في نفسه.

فان قيل: فمن أين انّ الصغائر لا تجوز على الأنبياء في حال التّبوء و قبلها؟

قلنا: الطريقة في نفي الصغائر في الحالين: هي الطريقة في نفي الكبائر في الحالين عند التأمل لأننا كما نعلم انّ من نجوّز كونه فاعلا لكبيره متقدمة قد تاب منها و اقلع عنها و لم يبق معه شيء من استحقاق عقابها و ذمّها لا يكون سكوننا إليه كسكوننا إلى من لا نجوّز ذلك عليه فكذلك نعلم أنّ من نجوّز عليه من الأنبياء عليهم السّلام أن يكون مقدما على القبائح مرتكبا للمعاصي في حال نبوّته أو قبلها و ان وقعت مكفرة لا يكون سكوننا إليه كسكوننا إلى من نأمن منه كلّ القبائح و لا نجوّز عليه فعل شيء منها «١» انتهى كلامه زيد مقامه «٢».

و مرجع هذا الدليل إلى ما قرّر في أصول الإماميّة من وجوب اللّطف عليه سبحانه، فاللّطف المذى حسن التكليف و أوجب البعثه هو الذي أوجب العصمة فيمن هو الحجّة ليتوفّر معها دواعي المكلفين على الإقبال عليه و التوجّه إليه، و حسن الظنّ به، ضرورة أنّه يرتسم في قلب كلّ عارف باتّصافه بصفه العصمة اشتماله على

(١) تنزيه الأنبياء ص ٤-٦.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٩١-٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٧٩

غاية الكمال و نهاية الجمال الموجب لتعظيمهم و اعتقاد نورانيتهم التي من شأنها ان تجذب النفوس إليها جذب لطف و تسخير و تربية و تجذب النفوس إليها انجذاب استكمال و محبة و عشق و نسبة طبيعيّة فطريّة جليّة كانجذاب الحديد إلى المغناطيس، و ذلك لأنّه قد تقرّر في الحكمة انّ النفوس بطباعها منجذبة إلى الأنوار فكلمّا كانت النورانيّة أتمّ و أكمل كان انجذابها إليها أشدّ و أقوى، هذا مضافا إلى إتمام الحجّة عليهم و قطع المعذرة عنهم بحسب الظاهر لئلا يقول أحد لو لا أرسلت إلينا رسولا هاديا معصوما عن الخطايا و المعاصي و سائر الأمور المنفرة فتتبع من آياتك من قبل أن نذلّ و نخزي، و أنت ترى أنّ واحدا من رؤساء الدّين في بلد او قرية لو اقترف شيئا من المعاصي و الذّنوب الصغيرة أو الكبيرة سقطت هيئته من عيون النّاس، و لم ينجع موعظته فيهم بالنسبة إلى هذه المعصية التي اقترفها و غيرها و ان داوم على الموعظة و النصيحة في كلّ صباح و مساء.

و من هنا يظهر أنّه لا فرق في باب التنفير بين الكبائر و الصغائر. سيّما مع ما قيل من أنّ الكبائر عندهم على ما رووه عن النبي صلّى الله عليه و آله سبع، و رووا عن ابن عمر أنّه زاد فيهما اثنتين، و عن ابن مسعود أنّه زاد على قول ابن عمر ثلاثة، و لا شكّ انّ كثيرا من عظام الذّنوب التي عدّوها من الصّغائر ليست من الأمور الخسيسه التي استثنوها كالتطيف بحبّه و سرقة درهم، فيلزمهم تجويز ما لم يكن من الصّغائر المذكورين كالاغتغال بأنواع المعارف و الملاهي، و ترك الصلاة، و اصناف المعاصي التي تقارنها ملوك الجور في الخلوات بل على رءوس الأشهاد.

و لذا قيل: انّ هؤلاء ايضا مخطئون للأنبياء، و لكن في لباس التنزيه، و لا

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٠

يرتاب عاقل في انّ من هذا شأنه لا يصلح لرئاسة الدّين و الدّنيا و انّ النفوس تتنفر عنه، بل لا يجوز أحد أن يكون مثله صالحا لأن يكون واعظا و هاديا للخلق في أدنى قرية، فكيف، يجوز أن يكون ممّن قال الله تعالى فيهم: اللَّهُ يَضِيظُنِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ «١». «٢» و أمّا تنزيههم عن المعاصي قبل النبوءة و عن السّهو و الخطأ مطلقا فيمكن الاستدلال له بما تقدّم من التنفير و التقريب على ما مرّ، مضافا إلى الإجماع فيهما ايضا بسيطا و مركبا تحقيقا و نقلا حسبما سمعت.

و منها جملة من الآيات الدالة عليها كقوله: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ «٣»، بناء على أن المراد بهذا العهد إما عهد النبوة أو عهد الامامة التي هي وجوب الاقتداء و هو على المعنيين ثابت للنبي صلى الله عليه وآله فلو كان عاصيا لكان من الظالمين (هف) و من (لهذا خلف).

و قوله حكاية عن إبليس: فَبِعَزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ «٤».
فلو عصى نبي لكان قد أغواه الشيطان و لم يكن من المخلصين، و هما فاسدان بالإجماع.
و لقوله تعالى: في إبراهيم و اسحق و يعقوب إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى

(١) الحج: ٧٥.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٩٤.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) ص: ٨٢-٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨١

الدَّارِ «١»، و في يوسف: إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ «٢»، و بضميمة عدم القول بالفرق يتم المطلوب.
و قوله: وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ «٣»، و الأنبياء من ذلك الفريق بالانفاق، و غير ذلك من الآيات التي ستسمع تقريب الاستدلال بها عند التعرض لها.

و منها: انه لو صدر عنه الذنب للزم اجتماع الضدين و هما وجوب متابعتة و مخالفتة.
أما الأول: فللإجماع على وجوب متابعتة النبي صلى الله عليه وآله، و لقوله: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ «٤»، و قوله: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ «٥»، و غيره ممّا يدل على وجوب التأسى و المتابعة، بل و ما دل على حجّية قوله و فعله و تقريره.

و أما الثاني: فلضرورة حرمة متابعة المذنب، و اعتبار قيد الحيثية ينفيه إطلاق ما تقدّم من الأدلة حيث يستفاد منها نصب الحجّة بحيث لا يحتاج مع متابعتة إلى الفحص و التبين أصلا.

و منها: أنّه لو صدر عنه الذنب لوجب منعه و زجره و الإنكار عليه، لعموم أدلّة

(١) ص: ٤٥.

(٢) يوسف: ٢٤.

(٣) سبأ: ٢٠.

(٤) آل عمران: ٣١.

(٥) الأحزاب: ٢١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٢

الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، لكنّه حرام لاستلزامه إيذائه المحرّم بالإجماع و بقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ «١».

و منها: أنّه لو أقدم على الفسق لزم أن يكون مردود الشهادة إذ لا شهادة للفاسق بالإجماع، و لقوله: إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا «٢»، مع أنّ من لا يقبل شهادته في الشّيء اليسير من متاع الدنيا فكيف تسمع شهادته في الأمور الدّينية و الاخبار السماوية، مع أنّه تعالى جعل

الأنبياء شهداء على الأمم كما أشير إليه في قوله: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً «٣». ومنها: أَنَّهُ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونُوا مِنْ حِزْبِ الشَّيْطَانِ وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ «٤» فَإِنَّ اللَّازِمَ قَطْعَى الْبَطْلَانِ وَإِنْ لَا يَكُونُوا مُسَارِعِينَ إِلَى الْخَيْرَاتِ مَعَ أَنَّهُ قَالَ فِي حَقِّهِمْ أَوْلَيْكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ «٥»، وَإِنْ يَسْتَحِقُّوا الْعَذَابَ وَاللَّعْنَ لِقَوْلِهِ: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ «٦»، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ «٧»، وَإِنْ يَسْتَحِقُّوا الدَّمَ وَالْعِقَابَ الَّذِي تَضَمَّنَهُ قَوْلُهُ: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ «٨»، أَمْ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ

(١) الأحزاب: ٥٧.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) النساء: ٤١.

(٤) المجادلة: ١٩.

(٥) المؤمنون: ٦١.

(٦) هود: ١٨.

(٧) الجن: ٢٣.

(٨) الصف: ٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٣

أَنْفُسَكُمْ «١».

ثُمَّ أَنَّهُ لَا يَخْفَى أَنَّ هَذِهِ الْوُجُوهَ وَإِنْ تَطَرَّقَ إِلَيْهَا بَعْضُ الْمُنَاقَشَاتِ، إِلَّا أَنَّ الْعَمْدَةَ مَا سَمِعْتَ مِنْ قِيَامِ الْإِجْمَاعِ بِالضَّرُورَةِ مِنْ مَذْهَبِ الْإِمَامِيَّةِ عَلَى اشْتِرَاطِ الْعِصْمَةِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَحُجَّتَيْهِمَا عَلَى غَيْرِهِمَا مَوْقُوفَةٌ عَلَى ثُبُوتِ الْعِصْمَةِ كَمَا قَرَّرَ فِي مَحَلِّهِ فَلَا دُورَ. الثَّلَاثُ: فِي دَفْعِ شَبْهِ الْمَخْطِئَةِ الَّذِينَ اجْتَرَأُوا عَلَى أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَوْلِيائِهِمْ فَنَسَبُوهُمْ إِلَى الْخَطَا وَالْجَهَالَةِ وَالضَّلَالَةِ وَوَجُوهِ مِنَ الْفَسْقِ وَالْمُخَالَفَةِ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَبَعْدَهَا وَلَهُمْ فِي تَخْطِئَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَتَفْسِيقِهِمْ شَبَهَاتٍ وَأَوْهَامٍ لَمْ نَقْصِدِ التَّعَرُّضَ لَهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ، بَلْ فَرَقْنَا عَلَى الْآيَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَا.

فَإِنْ مِنْهَا مَا تَمَسَّكَ بِهَا فِي بَابِ الْإِعْتِقَادِ كَقَوْلِهِ: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا رُؤُوسًا لِيُشِيرَ عَلَيْهَا «٢»، الْآيَةُ وَقَوْلُهُ: حِكَايَةُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ:

هَذَا رَبِّي * «٣»، وَرَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى «٤» وَقَوْلُهُ: فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسَدِّئِ لِلَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ «٥»، الْآيَةُ.

وَمِنْهَا: مَا تَمَسَّكَ بِهَا فِي بَابِ التَّبْلِيغِ كَقَوْلِهِ: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ «٦»، الْآيَةُ سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى «٧»، لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا «٨».

(١) البقرة: ٤٤.

(٢) الأعراف: ١٨٩.

(٣) الانعام: ٧٧.

(٤) البقرة: ٢٦٠.

(٥) يونس: ٩٤.

(٦) الحج: ٥٢.

(٧) الأعلى: ٦.

(٨) الجن: ٢٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٤

الآية.

ومنها: ما تمسكوا بها في باب الفتيا كقوله: وَ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ إِذِ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ «١» وقوله: مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسِيرَى «٢»، عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنُتَ لَهُمْ «٣» وغيرها مما يأتي.

ومنها: ما تمسكوا به في باب الأفعال وهي وان كانت كثيرة جدًا إلا أن المقصود في المقام دفع ما قيل من أنه أعظم شبهاتهم وهو التمسك بقصة آدم على نبينا وآله عليه السلام فاستدلوا بما ورد فيها من وجوه:

الأول: أنه عليه السلام كان عاصيا لقوله تعالى: وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى «٤»، والعاصي مذنب بل هو اسم ذم لا يتناول إلا صاحب الكبيرة لقوله تعالى: وَ مَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ «٥».

الثاني: أنه سماه غاويا في قوله: فَغَوَى «٦»، والغى خلاف الرشد للآية قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ «٧».

(١) الأنبياء: ٧٨.

(٢) الأنفال: ٦٧.

(٣) التوبة: ٤٣.

(٤) طه: ١٤١.

(٥) الجن: ٢٣.

(٦) طه: ١٢١.

(٧) البقرة: ٢٥٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٥

وللخبر: أمر بين رشده فيتبع وأمر بين غيئه فيجتنب، والغواية إنما تكون بارتكاب الذنب بل خصوص الكبيرة سيما إذا ترتبت على العصيان بل في الخبر اشارة إلى ذلك لقوله عليه السلام بعد ما مرّ وشبهات بين ذلك فمن ترك الشبهات نجى من المحرّمات «١».

الثالث: أنه تعالى سماه ظالما في قوله: فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * «٢»، وهو ايضا قد أقرّ على نفسه ذلك في قوله: رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا «٣»، و الظالم ملعون لقوله تعالى: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ «٤»، ومن استحقّ اللعن هو صاحب الكبيرة.

الرابع: أنه ارتكب المنهية عنه في قوله: وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ * «٥»، ولذا قال تعالى: أَلَمْ أَنهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ «٦»، و ارتكاب المنهية عنه معصية بل كبيرة، ولذا عوتب على المخالفة.

الخامس: أنه تائب و التائب مذنب أما أنه تائب فلقوله: فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ «٧»، و اما ان التائب مذنب فلان التائب هو النادم على فعل الذنب و النادم على فعل الذنب مخبر عن كونه فاعلا للذنب فان صدق فهو المطلوب

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢١.

(٢) البقرة: ٣٥، و الأعراف: ١٩.

(٣) الأعراف: ٢٣.

(٤) هود: ١٨.

(٥) البقرة: ٣٥، والأعراف: ١٩.

(٦) الأعراف: ٢٢.

(٧) البقرة: ٣٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٦

وَالَّذِينَ هُمْ يَكْتُمُونَ بِالْكَذِبِ.

السادس: أنه اخرج من الجنة بسبب وسوسة الشيطان وإضلاله جزاء و عقوبة على ما أقدم عليه من المخالفة، و ذلك يدل على كونه فاعلا للكبيرة و لذا قال تعالى:

يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ «١».

السابع: اعترافه بأنه خاسر لو لا مغفرة الله له بقوله: وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ «٢» و ذلك يقتضى كونه ذا كبرية.

الثامن: أنه نسب إليه الهداية بعد التوبة فى قوله: ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى «٣» و ظاهره أنه كان قبل التوبة على الضلالة.

التاسع: أنه عرضه النسيان لقوله: وَ لَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَّا وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا «٤»، و هو ينافى العصمة على مذهب الإمامية كما مر.

العاشر: ما يدل على الأخبار المأثورة من طرق الفريقين من أنه ارتكب الخطيئة و اقترف الذنب و طلب التوبة و أنه بكى على ذنبه كذا و كذا سنة و أنه تعالى قد حرّم عليهما أكل الشجرة و أنّهما ظنّا أنه قد أحلّها لهما بعد تحريمها و أنه تعالى قال لهما اهبطا من سمواتى إلى الأرض فإنه لا- يجاورنى فى جنتى و لا فى سمواتى عاص ظالم و أنّهما نظرا إلى منازل محمّد و آل محمّد عليهم السّلام بعين الحسد إلى غير ذلك ممّا أشير اليه فى الأخبار المتقدّمة و غيرها.

(١) الأعراف: ٢٧.

(٢) الأعراف: ٢٤.

(٣) طه: ١٢٢.

(٤) طه: ١١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٧

و الجواب عن هذه الوجوه من وجهين: الإجمال و التفصيل، أمّا الإجمال:

فهو أنّ هذه الوجوه ظواهر مستفادة من الأدلّة اللفظية بعد فرض دلالتها و سلامتها عن المناقشات و ما ذكرناه من الإجماع و الضرورة دليل العقل على لزوم العصمة ادلة قطعية لا تحتل الرّد و التخصيص فيجب التصرف فى الظواهر بصرفها عن ظاهرها و حملها على ما لا- ينافى تلك الأدلّة كما هو القانون فى تعارض الظنى و القطعى، و هذا الجواب الإجمالى جار فى غير المقام ايضا من الموارد التى استدلوا فيها ببعض الظواهر على نفي عصمتهم.

و أمّا التفصيل: فقد أجيب عن الأوّل بوجوه: أحدها: ما يظهر من فحوى بعض الأخبار من أنّ الأمر لم يكن على وجه الوجوب و لا التدب بل كان امرا إرشاديا و ذلك أنه سبحانه كان خلقه لعمارة الأرض و خلافتها كما أخبر به ملائكته قبل خلقه بقوله: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً «١» فلما خلقه الله سبحانه بيده و فسح له فى جنته و نعمته أعلمه أنه ان كان يريد البقاء فى الجنة و دوام الراحة فلا بد أن لا- يقرب الشجرة و لذا خاطبه بقوله: فَلَا- يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَ لَا تَعْرَى وَ أَنْتَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَصْحَى «٢» و بين له أنه مع اكله من الشجرة لا بد أن يخرج منها إلى الدنيا و يجعل له و لذريته الأرض بساطا و معاشا مع ابتلائهم فيها

بأنواع المحن والمشاق والبلبات و شرط لهم العدو إلى تلك الجنة ثم إلى جنة الخلد مع الانقياد والطاعة و امثال التكليف في الدنيا و لذاتها و النهى عن

(١) البقرة: ٣٠.

(٢) طه: ١١٧-١١٨-١١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٨

قرب الشجرة على وجه الإرشاد إلى ما فيه الراحة العاجلة و ان كان في خروجه منها و الابتلاء بمحن هذه الدار الفوز بالكرامة العظيمة الاجلة التي أوجبت خلقه أولاً لذلك لا للكون في الجنة التي كان فيها أولاً فإنها نازلة الرتبة يسيرة الخطب بالنسبة إلى جنة الخلد فأطلق العصيان باعتبار مخالفته ما أرشده إليه مما فيه الخلاص عن المشاق الدنيوية.

و عندي أن هذا الوجه أظهر الوجوه و ان لم يحضرني من صرح به من الأصحاب و غيرهم، نعم قد يستفاد من فحوى بعض الأخبار الدالة على أن المقصود من خلقه تعمير الأرض و إسكانه فيها كما هو الظاهر من الآية ايضاً، ففي «تفسير العياشي» و «القصص» عن أبي جعفر عليه السلام أن آدم لما هبط عليه ملك الموت قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أني عبد الله و خليفته في أرضه ابتداني بإحسانه و أسجد لي ملائكته و علمني الأسماء كلها ثم أسكنني جنته و لم يكن جعلها دار قرار و لا منزل استيطان، و إنما خلقتي لأسكن «١» الأرض للذي أراد من التقدير و التدبير.

و زاد في تفسير العياشي: و قدر ذلك كله قبل أن يخلقني، فمضيت في قدرته و قضائه و نافذ أمره، ثم نهاني أن آكل من الشجرة، فعصيته و أكلت منها فأقالتني عثرتي و صفح لي عن جرمي، فله الحمد على جميع نعمه عندي حمداً يكمل به رضاه عني «٢».

(١) في البحار: ليسكنني.

(٢) البحار ج ٢٣ ص ٦١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٨٩

و في «العلل» بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال: ما يستطيع اهل القدر أن يقولوا: و الله لقد خلق الله آدم للدنيا و أسكنه الجنة ليعصيه فيردّه إلى ما خلقه له فقوله ليعصيه أي عالماً بأنه يخليه مع اختياره بعد ما أرشده إلى ما فيه النفع العاجل، من دون أن يكون هناك طلب على وجه الإيجاب او الاستحباب، فاختار آدم ما فيه الخير الكثير الآجل كما خلقه الله تعالى لذلك.

و لعله ينزل عليه ما أجاب به آدم موسى عليهما السلام على ما هو المروي في تفسير القمي و غيره عن الصادق عليه السلام قال: ان موسى عليه السلام سأل ربه أن يجمع بينه و بين آدم عليه السلام فجمع الله بينهما فقال له موسى: يا أبا آدم يخلقك الله بيده و نفخ فيك من روحه و أسجد لك ملائكته، و أمرك أن لا تأكل من الشجرة فلم عصيته؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين سنة قال: فهو ذلك، قال: فحج «١» آدم موسى عليهما السلام.

بناء على أن المراد أنه سبحانه كتب في التوراة أنه تعالى قدر على آدم عمارة الأرض و قدر عليه أنه و كله إلى اختياره، حتى فعل ما فعل لمصلحة إهباطه إلى الأرض، و ان ذلك التقدير كان قبل خلق آدم بثلاثين سنة فالمعنى بكم وجدت تقدير خطيئتي قبل خلقي؟ و من هنا يظهر أنه لا داعي إلى التكلف لكونه قبل خلقه بان التوراة كتب في الألواح السماوية في ذلك الوقت و ان وجده موسى عليه السلام بعد بعثته، أو أن المراد اطلاع روح موسى على ذلك قبل خلق جسد آدم، كما لا وجه لحملة على التقيّة لمجرد

(١) فحج آدم موسى: أي غلب آدم موسى بالحجة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٠

وروده في كتبهم بطرق كثيرة و عن السيد في «الطرائف» رده، لكنه ليس في محله بعد موافقة مضمونه لما يستفاد من غيره. بل لعله هو المراد ايضا بما في التوحيد للصدوق (رحمه الله) في خبر الفتح ابن يزيد عن أبي الحسن عليه السلام: إن لله تعالى إرادتين و مشيئين: ارادة حتم و ارادة عزم، ينهى و هو يشاء، و يأمر و هو لا- يشاء، او ما رأيت ان الله تعالى نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشجرة و هو شاء ذلك؟ و لو لم يشاء لم يأكلا، و لو اكلا لغلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى، و أمر ابراهيم بذبح ابنه عليهما السلام و شاء أن لا يذبحه، و لو لم يشاء أن لا يذبحه لغلبت مشيئة ابراهيم مشيئة الله عز و جل «١».

بناء على أن المراد أنه نهى إرشاد، و شاء أن يأكل من الشجرة لما فيه من المصلحة الكلية، فالنهي فيه ليس على حقيقته، كما ان أمر ابراهيم بذبح ابنه ليس على حقيقته بل لمجرد التوطين و الامتحان، إلا أن الظاهر من مساق الخبر حملهما على الإرادة التكوينية و التشريعية على ما فصلناه في موضع آخر، و يؤيده أنه عليه السلام إنما ذكر ذلك جوابا عن الراوى، حيث سأله ان عيسى خلق من الطين طيرا دليلا- على نبوته، و السامرى خلق عجلا- جسدا لنقض نبوة موسى عليه السلام، و شاء الله أن يكون ذلك كذلك إن هذا لهو العجب! فقال عليه السلام: ويحك يا فتح ان لله إرادتين، آه.

و إلى هذا يرجع ما ذكره الصدوق (رحمه الله) بعد إيراد الخبر ان الله تعالى نهى آدم و زوجته عن أن يأكلا من الشجرة، و قد علم أنهما يأكلان منها لكنه شاء أن لا يحوم بينهما و بين الأكل منها بالجبر و القدرة كما منعهما من الأكل منها بالنهي

(١) بحار الأنوار ج ٥ ص ١٠١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩١

و الزجر، فهذا معنى مشيئته فيهما، و لو شاء عز و جل منعهما من الأكل بالجبر ثم اكلا منها لكان مشيئتهما قد غلبت مشيئة الله تعالى كما قال العالم عليه السلام: تعالى الله تعالى عن العجز علوا كبيرا.

ثم أنه قد ظهر ممّا ذكرناه في معنى ترك الأولى الفرق بينه و بين ترك المندوب فضلا عن ارتكاب المكروه، فإن الأمر و النهى في الأخيرين طلبى و مخالفة الطلب لازم فيهما على كل حال بخلاف الأول الذى لم يقصد فيه إلا مجرد الإرشاد إلى ما فيه المصلحة العاجلة في المقام حسبما سمعت.

و أمّا ما ذكره صاحب «الفصول» حيث قال في جملة كلام له: انّ المعتبر في الكراهة ليس مجرد المرجوحية، و إلا لكان تارك كل مندوب فاعلا لمكروه و هو تركه، و لا خفاء في فساده بل المرجوحية الموجبة لمنقصة ديتية في فاعلها غير محرمة، و لا ريب ان مجرد تفويت الثواب او ترك الرجح لا يوجب ذلك، و بهذا يظهر الفرق بين الترك المكروه و خلاف الأولى انتهى.

فهو و إن كان لا بأس به فيما ذكره من الفرق بين ترك المندوب و فعل المكروه، و كذا بين الترك المكروه و خلاف الأولى إلا أن ظاهره كون خلاف الأولى شاملا لكل من تفويت الثواب و ترك الرجح و هو في الأخير ليس على ما ينبغي، و أمّا الأول فلا بأس به مع فرض المقام مجردا عن الطلب رأسا و تفسير الثواب بما يعم كل شىء من المصالح و المقاصد الدنيوية و الأخروية و إلا فلنظر فيه ايضا مجال.

ثانيها: ما ذكره السيد المرتضى رضى الله عنه و هو أن المعصية مخالفة الأمر

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٢

و الأمر من الله سبحانه يكون مرة على وجه الوجوب، و اخرى على التدب، قال: فلا يمتنع على هذا أن يكون آدم عليه السلام مندوبا إلى ترك التناول من الشجرة، و يكون بموافقها تاركا نفلا و فضلا، و غير فاعل لقبیح، و ليس يمتنع أن يسمى تارك النفل عاصيا، كما سمي بذلك تارك الواجب، فإن تسمية من خالف ما أمر به سواء كان واجبا أو نفلا بأنه عاص ظاهرا، و لهذا يقولون: أمرت فلانا

بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفتني، وان لم يكن ما أمر به واجبا.

ثم أورد على نفسه بأنه كيف يجوز أن يكون ترك التدب معصية أو ليس هذا يوجب أن يوصف الأنبياء عليهم السلام بأنهم عصاة في كل حال، وأنهم لا ينفكون عن المعصية لأنهم لا يكادون ينفكون من ترك التدب، وأجاب عنه: بأن وصف تارك الثواب التدب بالعصيان توسع وتجاوز، والمجاز لا يقاس عليه ولا يعدى به موضعه، ولو قيل: أنه حقيقة في فاعل القبيح و تارك الأولى والأفضل لم يجز إطلاقه أيضا في الأنبياء عليهم السلام إلا مع التقييد، لأن استعماله قد كثر في القبايح فإطلاقه بغير تقييد موهم لكننا نقول: ان أردت بوصفهم بأنهم عصاة أنهم فعلوا القبايح فلا يجوز ذلك، وان أردت بأنهم عصاة تركوا ما لو فعلوه لاستحقوا الثواب و كان أولى فهم كذلك.

أقول: قد صرح بعض المحققين بأن استعمال العصيان في ترك المندوب حقيقة و يؤيده ما في «الصحاح» و «القاموس» من أنه خلاف الطاعة إذ من البين ان الطاعة تطلق على فعل كل من الواجب و التدب على احتمال أن يكون تفسيره بالأعم كما هو الشائع في كلامهم، نعم قد شاع إطلاقه في ترك الواجب و لذا صح

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٣

الإطلاق في قوله: وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ * «١»، الآية و قد استدلل الأصوليون على كون الأمر للوجوب بقوله: أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي «٢» حيث عبر عن مخالفة الأمر بالعصيان.

و على كل حال فلا بد من حمله في المقام على ترك الأولى، لأنه اللائق بعصمة الأنبياء عليهم السلام المعلومة من العقل و الإجماع بل ضرورة المذهب.

و من هنا يظهر ضعف ما قد يقال في المعارضة: من أنه الأليق برحمة أكرم الأكرمين و كرم أرحم الراحمين أن لا يؤخذ على تركه الأولى نسيانا بمعاتبته بقوله: أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَ أَقَلَّ لَكُمَا «٣». الآية، و بالفضيحة حيث بدت سوءاتهما، و بإخراجه من جواره، و بالتفريق بينه و بين حواء مائة سنة أو مأتين، و بإلقاء العداوة و البغضاء بينهم، و بالتداء عليهم باسم العصيان و الغواية، و بتسليط العدو على أولاده، بقوله: وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجْلِكَ «٤» و بجعل الدنيا سجنا له و لأولاده و بالتعب و الشقاء في قوله: فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى «٥». إلى غير ذلك مما يختص بالنساء من الحيض، و ثقل الحمل و الطلق و نحوها كما ورد في الأخبار.

إذ فيه مع ان كثيرا مما عدّه في المقام من لوازم هذه الدار و مقتضيات الكون بها و الابتلاء فيها ان جلاله قدر الأنبياء و عظم قدرهم و كبر شأنهم يقتضى تعظيم ما

(١) الجن: ٢٣.

(٢) طه: ٩٣.

(٣) الأعراف: ٢٢.

(٤) الإسراء: ٦٤.

(٥) طه: ١١٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٤

يصدر عنهم أحيانا من ترك الأولى لعلو قدرهم و كثرة معرفتهم و لذا ورد: «ان حسنات الأبرار سيئات المقربين» «١» بل ربما يستقلون ما يصدر عنهم من الطاعات و يستحقرونه في جنب عظمة الله سبحانه، و لذا كان يصدر عنهم من التضرع و البكاء و الأنين ما لم يلحقهم فيها أحد من العالمين، فان أعلم الخلق بالله اخشاهم منه إنما يخشى الله من عباده العلماء «٢» و قد روى عن الصادق عليه

السلام أنه قال: لنا مع الله حالات نحن فيها هو و هو نحن، و هو هو و نحن نحن «٣».

و هذا هو الذي أشار إليه الحجّة عجل الله فرجه في دعاء شهر رجب:

فجعلتهم معادن لكلماتك و أركاناً لتوحيدك و آياتك و مقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك و بينها إلا أنهم عبادك و خلقك «٤» آه.

و هذه مقامهم في قربهم و مثالهم في هذه الحال بالنسبة إلى فعل الله و مشيئته مثل الحديدية المحمأة بالنار، فأنه يصدر عنها ما يصدر عن النار من الإضاءة و الإحراق لا فرق بينها و بينها إلا أن الحديدية حينئذ محل فعل النار و مظهر شؤونها كما أنهم عليهم السلام محل مشيئة الله سبحانه المظهرون لأمره العاملون بإرادته، و لهم أيضا مقامات أخر باعتبار كونهم التشريعي التبليغي الناسوتى من أكلهم و شربهم و نكاحهم و تبليغهم الشرائع و الاحكام إلى كافة الأنام و غيرها ممّا لا ريب في أنهم مأمورون بها إقامة لمنصب النبوة و الولاية و رسم التبليغ و التجانس إلا أنها بالنسبة إلى الحالة

(١) بحار الأنوار ص ٢٠٥.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) لم اظفر على مصدره.

(٤) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ٣٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٥

الأولى سيئات و معاصى يستغفرون الله منها و يتوبون الله على ما يأتى، فإذا كان هذه حالهم في عباداتهم الظاهرة و معاشراتهم مع الناس فما ظنك بما يصدر عنهم أحيانا من ترك الأولى الذى دعاهم إليه على جهة التدب و الاستحباب.

ثالثها: ما أجاب به بعض من جوّز عليه الذنب فى الجملة و هو انّ آدم عليه السلام لم يكن حين صدر عنه الذنب نبيا بناء على أنّ المعلوم من لزوم العصمة إنّما هو بعد النبوة، و ربّما يؤيد ايضا بما رواه فى «الأمالي» و «العيون» بالإسناد عن الرضا عليه السلام حيث سأله على بن محمّد بن الجهم فقال له يا ابن رسول الله صلّى الله عليه و آله: أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال: فما تعمل فى قول الله عزّ و جلّ: وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى «١»، إلى أن قال عليه السلام: ويحك يا على اتق الله و لا تسب إلى أنبياء الله الفواحش و لا تتأول كتاب الله عزّ و جلّ برأيك فإنّ الله عزّ و جلّ يقول: مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ «٢»، أمّا قوله عزّ و جلّ فى آدم: وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى فَانّ الله عزّ و جلّ خلق آدم حجّية فى أرضه و خليفته فى بلاده لم يخلقه للجنة و كانت المعصية من آدم فى الجنة لا فى الأرض لتتم مقادير أمر الله عزّ و جلّ فلما أهبط إلى الأرض و جعل حجّية و خليفه عصم بقوله عزّ و جلّ: إِنَّ اللَّهَ اضْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ «٣». «٤» أقول: أمّا جواز صدور الذنب قبل البعثة فقد عرفت أنه مخالف لما هو

(١) طه: ١٢١.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) آل عمران: ٣٣.

(٤) بحار الأنوار ج ١١ ص ٧٢ ح ١ عن الأمالي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٦

المعلوم من مذهب الإمامية من وجوب عصمتهم فى جميع الأحوال، و أمّا الخبر فمحمول على نوع من التقيّة مماشاة معهم فى أقوالهم، أو أنّ المراد بالخطيئة ارتكاب خلاف الأولى على ما عرفت، و يكونون بعد البعثة معصومين عن جميع الذنوب ايضا، و يكون ذكر

الجنة لبيان كون النهى ارشادياً لا طلياً حيث ان الجنة ليست بدار تكليف حتى يتصور فيها النهى التحريمى و التنزيهى ايضا، و ربما يحمل على وجه التنزل و الاستظهار رداً على من جوز الذنب مطلقا عليهم صلوات الله.

رابعها: ان المعصية كانت من آدم فى الجنة لا فى الأرض التى هى دار التكليف فلا يلزم صدور المعصية عنه عليه السلام قبل النبوة و لا بعدها فى دار التكليف و لعل فى قول الرضا عليه السلام فى الخبر المتقدم اشارة إليه، لكنه كما سمعت مناف لما هو المعلوم من المذهب، بل قيل إن هذا الوجه لا ينطبق على شىء من المذاهب.

خامسها: ما أجاب به اكثر المعتزلة من أن معصيته عليه السلام كانت من الصغائر المكفرة دون الكبائر التى تنافى العصمة، و ان كان يشملهما معا اسم المعصية.

وفيه: أنه مناف ايضا لضرورة المذهب، و قد سمعت فيما مر من كلام السيد فى باب التنفير ان الطريقة فى نفي الصغائر قبل البعثة و بعدها هى الطريقة فى نفي الكبائر فى الحالين.

و اما ما رواه فى «العيون» و «الاحتجاج» عن الرضا عليه السلام من أنه كان ذلك يعنى الاكل من الشجرة من آدم قبل النبوة و لم يكن ذلك بذنب كبير استحق به دخول النار و إنما كان من الصغائر الموهوبة التى تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم فلما اجتباها الله و جعله نبيا كان معصوما لا يذنب صغيرة و لا كبيرة قال الله عز و جل:

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٧

وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى (١) و قال عز و جل:

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢)، الخبر فلعله محمول على التقية، او على التنزيل، او لجواز ارتكابه لترك الأولى قبل البعثة، و أما بعدها فعلا قدرهم يمنع من ارتكابهم له أيضا و ان لم يكن ذنبا و معصية.

سادسها: ما قيل: من أنه عليه السلام لما نهى عن الاكل من الشجرة ظن أن النهى عن عين الشجرة لا عن نوعها، و كان الله سبحانه أراد نهيها عن نوعها، و لكنه لم يقل لهما:

لا تقربا نوع هذه الشجرة و لا من جنسها.

و اللفظة قد يراد بها النوع كما روى عن النبى صلى الله عليه و آله أنه أشار إلى حرير و ذهب و قال: هذان حرامان على رجال من امتى و أنه عليه السلام قال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة إلا به.

و كان ظنه ذلك لأن إبليس حلف لهما بالله كاذبا أنه لهما لمن الناصحين، و لم يكن شاهد قبل ذلك من يحلف بالله كذلك فأكل من شجرة أخرى من نوعها، و كان ذلك من قبيل الخطأ فى الاجتهاد و ليس من كبائر الذنوب التى يستحق بها دخول النار (٣).

و قد يؤيد بما رواه فى «العيون» و «الاحتجاج» عن على بن محمد بن الجهم، قال: حضرت مجلس المأمون و عنده على بن موسى عليهما السلام فقال له المأمون يا بن رسول الله أليس من قولك: إن الأنبياء معصومون؟ قال: بلى قال: فما معنى قول الله

(١) طه: ١٢١.

(٢) آل عمران: ٣٣.

(٣) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٩٨-١٩٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٨

عز و جل: وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١)، فقال عليه السلام إن الله تبارك و تعالى قال لآدم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها رغداً حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة (٢) و أشار لهما إلى شجرة الحنطة فتكونا من الظالمين و لم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة، و لا ميا كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة، و إنما اكلا من غيرها لما أن وسوس الشيطان إليهما و قال: ما نهاكما ربكما عن هذه

الشَّجَرَةَ (٣) و إنما نهيكما أن تقربا غيرها، و لم ينهكما عن الأكل منها إلّا أن تكونا ملكين او تكونا من الخالدين و قاسيَ مَهْمَا إِنِّي لَكَمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٤) و لم يكن آدم و حواء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذبا فدلاًهما بَعْرُورٍ (٥) فأكلا منها ثقةً بيمينه بالله و كان ذلك من آدم قبل النبوة (٦).

إلى آخر ما تقدّم في الوجه السابق، و يؤيده أيضا ما مرّ عن تفسير الامام عليه السلام مفصّلاً (٧).

و هو بظاهره لا- يتمّ على أصولنا إذ فيه أولاً- أن اسم الإشارة موضوع للإشارة إلى الأشخاص، و الإشارة به إلى النوع لا تصحّ إلّا مع القرينة الدالة عليه، فإذا حمّله على حقيقته فأى خطأ يلحقه فيه.

(١) طه: ١٢١.

(٢) البقرة: ٣٥.

(٣) الأعراف: ٢٠.

(٤) الأعراف: ٢١.

(٥) الأعراف: ٢٢.

(٦) عيون الاخبار ص ١٩٥-١٩٦.

(٧) تفسير الامام عليه السلام ص ٩٠-٩١ و عنه البحار ج ١١ ص ١٨٩-١٩٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٣٩٩

و توهم أنه قد قرنه بما يدلّ على أنّ المراد به النوع مدفوع بأنّ القرينة لا بدّ أن تكون مفهومة و معها يتمّ المحذور، و إلّا فلا إفهام فلا تكليف، و لذا قيل: إنّه لو كلفه على الوجه المذكور من دون قرينته تدلّ على المراد لزم التكليف بما لا يطاق و مع القرينة يلزم الإخلال بالنظر و التقصير في المعرفة (١).

و أمّا ما يقال من أنه تعالى عزّفه القرينة وقت الخطاب ثمّ غفل عنها و نسيها لطول المدّة أو غيره.

ففيه أنّه مبنيّ على جواز النسيان على الأنبياء و فيه ما لا يخفى.

و ثانياً: إنّ الأنبياء لا يجوز عليهم الاجتهاد و العمل بالظنّ أو اعتقاد خلاف الواقع و لو على طريق غير الجزم.

و عدم كونه وقت الخطاب نبياً كما تضمّن الخبر غير حاسم لمادّة الأشكال على أصولنا، كما أنّه لا يحسمها القول بارتكابه على جهة التأويل كما هو المحكّي عن أبي علي (٢) و غيره، و لذا أورد عليهم المرتضى رضى الله عنه بأنّه و ان نرّاه عن تعمد معصية، إلّا أنّ أضاف إليه معصيتين: ترك التأمل في متعلّق النهي أنّه هل هو الجنس أو العين، و التناول من الشجرة و لو مع اعتقاد الحليّة للخطأ في الاجتهاد و الاعتقاد و توهم أنّ النظر فيما كلفه من الامتناع من الجنس او النوع لم يكن واجبا عليه مدفوع بأنّه ان لم يكن واجبا عليه فكيف يكون مكلفاً (٣).

نعم ربما يقال: أنّه توجيه متّجه و لو بمعونة الرضوى و العسكري المتقدمين،

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٩٩.

(٢) هو ابو عليّ الجبائي محمد بن عبد الوهاب المعتزلي: المتوفى (٣٠٣) هـ.

(٣) تنزيه الأنبياء ص ٧-٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٠

و يرجع إلى ترك الأولى، و هو ليس بذنب في الحقيقة و لا بأس به، إلّا أنّ مرجعه إلى أحد الأولين.

و أمّا ما يقال أيضا في بيان الخطأ في الاجتهاد: من أنّه قال: ولا تقربا فظن آدم أنّه نهى لهما على الجمع، فيجوز لكلّ منهما الأكل منفردا، إذ لا يلزم من حصول النهي حال الاجتماع حصوله حال الانفراد «١».

فهو ممّا لا ينبغي الإصغاء إليه و ان ذكره الرازي وغيره.

سابعها: انّ نسبة العصيان إلى آدم مبيّنه على تقدير مضاف و المراد و عصى أولاد آدم كما في قوله: وَ سَيِّئِلِ الْقَرْيَةَ «٢»، بل قد يؤيد بقوله في قصّة آدم و حوّاء: فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا «٣»، و من المعلوم أنّهما لم يشركا و إنّما أشرك أولادهما. و ردّ بانه و ان كان احتمالا يصحّ اللفظ، لكنّه مخالف لما في الواقع، فإنّ أولاد آدم لم يقع منهم الاكل من الشجرة الخلد و لم يكونوا منهيّين عن ذلك أيضا، و لم يكن ذلك إلّا من آدم و حوّاء.

نعم ربّما تؤول الشجرة في الآية بحبّ الدنيا و رئاستها و زينتها و خصوص علم الإكسير و هو على فرضه لا يمنع من ارادة الظاهر بل لا يتمّ إلّا معها.

ثامنها: أنّ النهي و ان كان ظاهرا في التحريم لكنّه ليس نصّا فيه، و أنّما صرفه عن الظاهر لدليل ظنه قرينه عليه.

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٣ ص ١٥.

(٢) يوسف: ٨٣.

(٣) الأعراف: ١٩٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠١

و ضعفه واضح جدّا بل لم أعرف به قائلا و ان حكاها شارح الطوالع عن بعضهم.

تاسعها: انّ الذي صدر منه عليه السلام كان عن نسيان بنصّ القرآن لقوله:

فَنَسِيَ «١» فهو ليس بذنب، و المؤاخذه إنّما كانت على ترك التّحفظ و التّقصير الذي نشأ منه النسيان، و هو ترك أولى، و سمّي ذنبا لأنّهم مؤاخذون به، كما ورد أنّ الأنبياء لمؤاخذون بمثاقيل الدّر، و سمّي معصية و غواية تحذيرا للأنبياء، و لطفًا لأممهم، و لله تعالى من تسمية ذلك معصية و غواية ما ليس لغيره، فليس لأحد أن يتجاسر على نسبة العصيان إليه.

و فيه انّ الالتزام بعروض النسيان ممّا ينفيه المذهب، ثمّ التّحفظ على عدمه إن كان واجبا فتركه التّزام بالعصيان مضافا إلى النسيان، أولى فلا جدوى للالتزام بالنسيان.

عاشرها: الحمل على النسيان بمعنى آخر لا ينفيه المذهب و يساعده بعض الاخبار على ما يأتي ان شاء الله.

و أجب عن الثّاني أوّلا- بأنّ الغواية هي الخيبة على ما صرح به الجوهري و الجزري يقال: غوى إذا خاب، و أغواه أي خيبه، فمعنى غوى أنّه خاب عن بغيته، لأنّنا نعلم أنّه لو فعل ما أرشده إليه من ترك التناول من الشجرة لاستحقّ الثّواب العظيم، فإذا خالف الأمر الإرشادي أو التّديبي و لم يصر إلى ما أرشده إليه فقد خاب لا محالة من حيث أنّه لم ينل ما طلب و لم يصر إلى الثّواب الذي كان يستحقّ

(١) طه: ١١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٢

بالامتناع و استعماله في هذا المعنى حقيقة على ما هو الظاهر من أنّمة اللّغة قال الشاعر:

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره و من يغو لا- يعدم على الغي لائما و لذا قيل: إنّ الظاهر من قوله: عصى فغوى انّ الذي دخلته الفاء جزاء على المعصية و أنّه كلّ الجزاء المستحقّ بالمعصية إذ الظاهر من قول القائل: سرق فقطع و قذف فجلد ثمانين انّ ذلك جميع

الجزاء لا بعضه و كذلك إذا قال القائل من دخل دارى فله درهم فإنّ معناه أنّ الدرهم جميع جزائه و لا يستحقّ بالدخول سواه و من لم يفعل الواجب استحقّ الدّم و العقاب و حرمان الثواب و اما من لم يفعل ما أرشده إليه و ندبه فلا يستحقّ إلّا حرمان الثواب فقط، و حيث أنّ مدخول الفاء تمام الجزاء و قد سمعت أنّه الخيبة و عدم نيل المطلوب فلا بدّ أن يكون العصيان بترك الأولى حسبما سمعت «١».

ثانيا: سلّمنا أن يكون المراد بالغى هو الضلال كما صرح به الجوهري بكونه من معانيه إلّا أنّ الضلال هو البعد عن المطلوب بارتكاب ما يبعده عنه كما أنّ الرشد هو التوسل بشيء إلى شيء و سلوك طريقة موصلة إلى المطلوب، و حيث أنّه قد بعد بمخالفة النهى التزيهية او الارشادية عن نيل الثواب الذى هو المقصود جاز اطلاق كونه ضالاً غاوريا عن نيل مقصوده «٢».

و عن الثالث: بأنّ الظلم فى أصله موضوع لوضع الشيء فى غير موضعه كما

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٠٠ عن السيد المرتضى فى جواب المسائل التى وردت عليه من الرى.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٠٠ مع تفاوت فى العبارات.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٣

نصّ عليه الجوهري و الفيروزآبادى و الفيومي و غيرهم ممّن صنف فى اللّغة و استشهد عليه فى الصّحاح و غيره بقوله تعالى: وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً «١» و قول الشاعر: و من يشابه أباه فما ظلم.

و بالمثل: من استرعى الذئب فقد ظلم، و يقال: إنّ أصله انتقاص الحقّ و به فسّر الآية فى «القاموس» و عن الجزرى أنّه قال فى حديث ابن زمّل: لزموا الطريق فلم يظلموه، اى لم يعدلوا عنه يقال أخذ فى طريق فما ظلم يمينا و شمالا «٢».

و بالجملة فمرجع معنى الظلم لغة و عرفا إلى شيء من الثلاثة، و من البيّن أنّ الوصف به لا- يستلزم ما ادّعاه المستدلّ على جميع الوجوه، و ذلك لأنّ مخالفة ما هو الأولى أو المندوب إليه وضع للشيء فى غير موضعه، و موجب لنقص الثواب، و عدول عن الطريق المؤدّى له إلى المراد.

و أمّا ما استدللّ به على أنّ الظالم ملعون، ففيه أنّ الحكم معلق على الموضوع المقيّد بالصّيد عن سبيل الله و الكفر بالآخرة، و لذا قال فى الأعراف و فى هود ألا- لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ «٣»، و أين هذا من دلالة على لعن مطلق الظالمين او خصوص صاحب الكبيرة من المسلمين، بل قيل: إنّ اللّعن ايضا لا يدلّ على كون المعصية كبيرة، لورود الأخبار بلعن صاحب الصغيرة، بل من ارتكب النهى التزيهية ايضا، لأنّ معنى اللّعن هو الطرد و الابعاد عن الرّحمة، و يحصل البعد عنها بفعل المكروه

(١) الكهف: ٣٣.

(٢) النهاية لابن الأثير الجزرى المتوفى (٦٠٦) ه ج ٣ ص ١٦١ فى «ظلم».

(٣) هود: ١٨-١٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٤

و ترك المندوب ايضا.

نعم قد يقال: إنّ لما غلب استعماله فى المشركين و الكفار لا يجوز استعماله فى صلحاء المؤمنين قطعا و فى فساقهم اشكال و الأولى التّرك.

و عن الرابع: واضح بعد ما مرّ من كون النهى ارشاديا او تنزيهيا و دعوى كون مخالفة المنهى عنه مطلقا معصية واضح الفساد فضلا عن

كونها كبيرة.

و عن الخامس: أن التوبة أعم من فعل الذنب بالمعنى الأخص، فلا توجب إسقاط العقاب المترتب على استحقاقه و يشهد له كثير من الأدعية المأثورة عن النبي و الأئمة المتضمنة لاجتهادهم في التوبة و الانابة و الاستغفار.

و عن السادس: أن الإخراج من الجنة لعله كان على وجه المصلحة المقضية لإخراجه منها إذا تناول من الشجرة، على ما أشرنا إليه في الجواب الثاني عن الوجه الأول.

و عن السابع: أن المراد بالخسران قلّة الثواب او الخيبة عن النفع العاجل و ان ترتب عليه الثواب الجزيل الآجل.

و عن الثامن: واضح ممّا مرّ.

و عن التاسع: أن المراد بالنسيان هو الترك كما يشهد به اللغة و يعضده الاخبار و صحيح الاعتبار و لو بمعونه ما دلّ على العصمة و فيه وجه آخر سنشير إليه في تفسير الآية المتضمنة للنسيان إنشاء الله كما أنه قد ظهر من جمع ذلك الجواب عن العاشر أيضا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٥

مستطرف من الكلام في طرف من احوال آدم (عليه السلام)

روى العياشي في تفسيره عن جابر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: كَانَ إبليس أوّل من ناح، و أوّل من تغنى، و أوّل من حدا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَمَّا أَكَلَ آدَمُ مِنَ الشَّجَرَةِ تَغَنَّى فَلَمَّا أَهْبَطَ حِدَا بِهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ عَلَى الْأَرْضِ نَاحَ فَأَذَكَرَهُ مَا فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ آدَمُ: رَبِّ هَذَا الَّذِي جَعَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ الْعِدَاوَةَ لَمْ أَقُو عَلَيْهِ وَ إِنَا فِي الْجَنَّةِ وَ إِن لَمْ تَعْنَى عَلَيْهِ لَمْ أَقُو عَلَيْهِ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: السَّيِّئَةُ بِالسَّيِّئَةِ وَ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةٍ، قَالَ: رَبِّ زِدْنِي، قَالَ: لَا يُولَدُ لَكَ وَلَدٌ إِلَّا جَعَلْتُ مَعَهُ مَلَكًا أَوْ مَلَكِينَ يَحْفَظَانَهُ، قَالَ: رَبِّ زِدْنِي قَالَ: التَّوْبَةُ مَفْرُوضَةٌ فِي الْجَسَدِ مَا دَامَ فِيهَا الرُّوحُ، قَالَ: زِدْنِي قَالَ: أَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَ لَا أَبَالِي، قَالَ: حَسْبِي.

قال: فقال إبليس: ربّ هذا الذي كزمت عليّ و فضلمته و ان لم تفضّل عليّ لم أقو عليه، قال: لا يولد له ولد إلّا ولد لك ولدان، قال: ربّ زدنّي قال: تجرى منه مجرى الدّم في العروق، قال: ربّ زدنّي قال: تتخذ أنت و ذريتك في صدورهم مساكن، قال: ربّ زدنّي قال تعدهم و تمنّهم و ما يعدهم الشيطان إلّا غرورا «١».

و فيه عن الصّيدق عليه السّلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم، و يوسف، و داود فقلت: ما بلغ من بكائهم؟ فقال: أمّا آدم عليه السّلام فبكى حين أخرج من الجنة، و كان رأسه في باب من أبواب السّماء، فبكى حتّى تأذى به اهل السّماء فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته. الخبر «٢».

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢١٢ ح ٢٠ عن العياشي.

(٢) البحار ج ١١ ص ٢١٣ ح ٢١ عن العياشي.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٦

و في «العلل» عن الصادق عليه السّلام قال: البكاؤن خمسة: آدم، و يعقوب، و يوسف، و فاطمة بنت محمّد، و عليّ بن الحسين عليهما السّلام فأما آدم فبكى على الجنة حتّى صار في خديه أمثال الأودية «١».

و في «البصائر» عن الصادق عليه السّلام قال: كان مع عيسى بن مريم عليهما السّلام حرفان يعمل بهما. و كان مع موسى عليه السّلام أربعة أحرف، و كان مع ابراهيم ستّة أحرف، و كان مع آدم خمسة و عشرون حرفا، و كان مع نوح ثمانية و جمع ذلك كله لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، إن اسم الله ثلاثة و سبعون حرفا «٢».

و في معناه أخبار آخر، و روى الصّيدق في خبر طويل يتضمن سؤال ملك الروم عن الحسن بن عليّ عليهما السّلام و فيه أنه دعى

الملك بالأصنام فأول صنم عرض عليه في صفة القمر فقال الحسن عليه السّلام فهذه صفة آدم عليه السّلام أبو البشر ثمّ عرض عليه آخر في صفة الشمس فقال الحسن عليه السّلام: هذه صفة حوّاء أمّ البشر ثمّ عرض عليه آخر في صفة حسنة فقال: هذه صفة شيث بن آدم و كان أول من بعث و بلغ عمره في الدنيا ألف سنة و أربعين يوما «٣». الخبر.

قوله: و كان أول من بعث اى من أولاد آدم، او بعد تناسل الذريّة، او مقيدا ببلوغ عمره ألف سنة، و ان كان و الأول اظهر. و في «العلل» عن زرّ بن حبّيش، قال: سألت ابن مسعود، عن أيّام البيض ما سببها، و كيف سمعت؟ قال: سمعت النبي صلّى الله عليه و آله يقول: إنّ آدم لمّا عصى ربّه

(١) البحار ج ١١ ص ٢٠٤ عن العلل.

(٢) بصائر الدرجات ص ٦٥ و عنه البحار ج ١١ ص ٦٨.

(٣) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٦١ عن تفسير القمى ص ٥٩٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٧

عزّ و جلّ ناداه مناد من لدن العرش: يا آدم أخرج من جوارى فإنّه لا يجاورنى أحد عصانى، فبكى و بكت الملائكة، فبعث الله عزّ و جلّ اليه جبرئيل فأهبطه الى الأرض مسودا، فلما رآته الملائكة ضجّت و بكت و انتجت و قالت: يا ربّ خلقا خلقته، و نفخت فيه من روحك، و أسجدت له ملائكتك بذنب واحد حوّلت بياضه سوادا؟! فنادى مناد من السماء صم لربك اليوم، فصام فوافق يوم الثالث عشر من الشهر فذهب ثلث السواد، ثمّ نودى فى يوم الرابع عشر بالصيام، فصام فذهب ثلثا السواد ثمّ نودى فى يوم خمسة عشر بالصيام فصام و قد ذهب السواد كلّ، فسُميت أيّام البيض الذى ردّ الله عزّ و جلّ فيه على آدم من بياضه، ثمّ نادى مناد من السّماء يا آدم هذه الثلاثة الأيام جعلتها لك و لولدك من صامها فى كلّ شهر فإنّما صام الدهر.

و زاد الحميدى فى الحديث: فجلس آدم عليه السّلام جلسة القرفصاء «١»، و رأسه بين ركبته كئيبا حزينا، فبعث الله تبارك و تعالى إليه جبرئيل فقال: يا آدم مالى أراك كئيبا حزينا؟ فقال: لا- أزال كئيبا حزينا حتّى يأتى أمر الله، قال: فأنّى رسول الله إليك و هو يقرئك السّلام و يقول: يا آدم حيّاك الله و بياك، قال أمّا حيّاك الله فأعرفه، فما بياك؟ قال: أضحكك، قال: فسجد آدم فرفع رأسه إلى السّماء و قال: يا ربّ زدنى جمالا فأصبح و له لحيّة سوداء كالحمم، فضرب بيده إليها فقال يا ربّ ما هذه؟ فقال: هذه اللّحيّة زيّنتك بها أنت و ذكور ولدك إلى يوم القيمة «٢».

(١) قال الجوهرى: القرفصاء: ضرب من القعود، يمدّ و يقصر و هو أن يجلس على ركبته منكبا و يلصق بطنه فخذه و يتأبط كفيه.

فى «المنجد»: ترفصه: جمعه و شدّ يديه تحت رجله.

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٧١-١٧٢ عن العلل ص ١٣٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٨

و فى «العلل» عن الصادق عليه السّلام قال: أوحى الله عزّ و جلّ إلى آدم عليه السّلام إنّى سأجمع لك الخير كلّ فى اربع كلمات: واحدة منهّن لى، و واحدة لك، و واحدة فيما بينى و بينك، و واحدة فيما بينك و بين الناس، فأمّا التى لى فتعبدنى و لا تشرك بى شيئا، و أمّا التى لك فاجازيك بعملك أحوج، ما تكون إليه، و أمّا التى بينى و بينك فعليك الدّعاء و على الإجابة، و أمّا التى فيما بينك و بين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك و تكره لهم ما تكره لنفسك «١».

و فى «المحاسن» عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ آدم عليه السّلام شكّا إلى جبرئيل عليه السّلام حديث النفس فقال: أكثر من قول لا حول و لا قوّة إلّا بالله العلىّ العظيم.

وفي «المجالس» و «الأمالي» و «الإكمال» عن الصادق عليه السلام قال: أنا سيّد النبيين و وصي سيّد الوصيين و اوصيائي سادات الأوصياء، إن آدم عليه السلام سأل الله عزّ و جلّ أن يجعل له وصيًا صالحًا فأوحى الله عزّ و جلّ إليه أنّي أكرمت الأنبياء بالنبوّة ثم اخترت خلقي و جعلت خيارهم الأوصياء ثم أوحى الله عزّ و جلّ إليه يا آدم أوص إلى شيث فأوصى آدم إلى شيث و هو هبة بن آدم ثم ذكر اتصال الوصية منه عليه السلام إلى نبينا و الأئمة المعصومين صلى الله عليهم أجمعين (٢).

وفي «تفسير العياشي» عن أبي جعفر عليه السلام بعد ذكر قصّة قابيل قال: فلما علم آدم بقتل هابيل جزع عليه جزعا شديدا، و دخله حزن شديد، قال فشكى إلى الله ذلك، فأوحى الله إليه إني واهب لك ذكرا يكون خلفا لك من هابيل، قال: فولدت

(١) الخصال ج ١ ص ١١٦ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٥٧.

(٢) البحار ج ١٧ ص ١٤٨ و ج ٢٣ ص ٥٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٠٩

حواء غلاما زكيا مباركا، فلما كان اليوم السابع سمّاه آدم شيث فأوحى الله إلى آدم إنّما هذا الغلام هبة منّي لك فسمّه هبة الله، قال فسمّاه هبة الله، قال فلما دنى أجل آدم أوحى الله إليه، أن يا آدم أنّي متوفيك و رافع روحك إلىّ يوم كذا و كذا، فأوص إلى خير ولدك و هو هبتي الذي وهبته لك فأوص إليه و سلّم إليه ما علمناك من الأسماء و الاسم الأعظم، فاجعل ذلك في تابوت فأنّي احبّ ان لا يخلو أرضي من عالم يعلم علمي و يقضى بحكمي، اجعله حجّة على خلقي.

قال: فجمع آدم عليه السلام جميع ولده من الرجال و النساء، فقال لهم: يا ولدي انّ الله اوحى إلىّ أنّه رافع إليه روحي، و أمرني أن أوصي إلىّ خير ولدي، و أنّه هبة الله و أنّه اختاره لي و لكم من بعدى، أسمعوا له و أطيعوا أمره، فأنّه وصي و خليفتي عليكم فقالوا جميعا: نسمع له و نطيع أمره و لا نخالفه، قال: فأمر بالتابوت فعمل ثم جعل فيه علمه و الأسماء و الوصية، ثم دفعه إلى هبة الله، و تقدّم إليه في ذلك و قال له: انظر يا هبة الله إذا متّ فاغسلني و كفني و صلّ عليّ و أدخلني في حفرتي فإذا مضى بعد وفاتي أربعون يوما فاخرج عظامي كلّها من حفرتي بأجمعها جميعا، ثم اجعلها في التابوت و احتفظ به و لا تأمننّ عليه أحدا غيرك فإذا حضرت وفاتك و أحسست بذلك من نفسك فالتمس خيرا ولدك و ألزمهم لك صحبتته و أفضلهم عندك قبل ذلك فأوص إليه بمثل ما أوصيت به إليك، و لا تدعنّ الأرض بغير عالم منّا اهل البيت، يا بني إنّ الله تبارك و تعالى أهبطني إلى الأرض و جعلني خليفته فيها حجّة له على خلقه، فقد أوصيت لك بأمر الله و جعلتك حجّة الله على خلقه في أرضه بعدى فلا تخرج من الدنيا حتّى تدع لله حجّة و وصيا و تسلّم إليه التابوت و ما فيه، كما سلّمته

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٠

إليك و أعلمه أنّه سيكون من ذريتي رجل اسمه نوح يكون في نبوته الطوفان و الغرق، فمن ركب في فلكه نجى، و من تخلف عن فلكه غرق، و أوص وصيك أن يحفظ بالتابوت و بما فيه فإذا حضرت وفاته أن يوصي إلىّ خير ولده، و ألزمهم له و أفضلهم عنده و سلّم إليه التابوت و ما فيه، و ليضع كلّ وصي وصيته في التابوت و ليوص بذلك بعضهم إلى بعض فمن أدرك نبوة نوح فليركب معه، و ليحمل التابوت و جميع ما فيه في فلكه، و لا يتخلف عنه أحد، و احذر يا هبة الله و أنتم يا ولدي الملعون قابيل و ولده، فقد رأيتم ما فعل بأخيكم هابيل، فاحذروه و ولده و لا تناكحوهم و لا تخالطوهم، و كن أنت يا هبة الله و إخوتك و أخواتك في أعلا الجبل و اعزله و ولده و دع الملعون قابيل و ولده في أسفل الجبل.

قال: فلما كان اليوم الذي أخبر الله تعالى أنّه متوفيه فيه تهيأ آدم للموت و أذعن به، قال: و هبط عليه ملك الموت فقال آدم: دعني يا ملك الموت حتّى أتشهد و أثنى على ربّي بما صنع عندي من قبل أن تقبض روحي، فقال آدم: اشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له و أشهد أنّي عبد الله و خليفته في أرضه، ابتداني بإحسانه و خلقني بيده، لم يخلق خلقا بيده سواي، و نفخ فيّ من روحه، ثم

أجمل صورتى و لم يخلق على خلقى أحدا قبلى ثم أسجد لى ملائكته، و علمنى الأسماء كلها، و لم يعلمها ملائكته، ثم أسكننى جنته، و لم يكن جعلها دار قرار، و لا منزل استيطان، و أنما خلقنى ليسكننى الأرض للذى أراد من التقدير و التدبير، و قدر ذلك كله قبل أن يخلقنى، فمضيت فى قدرته و قضائه و نافذ أمره، ثم نهانى أن آكل من الشجرة فعصيته و أكلت منها، فإلانى عثرتى و صفح لى عن جرمى، فله الحمد على

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١١

جميع نعمه عندى حمدا يكمل به رضاه عنى.

قال: فقبض ملك الموت روحه صلوات الله عليه فقال أبو جعفر عليه السلام: إن جبرئيل نزل بكفن آدم و بحنوطه و بالمسحاة معه، قال: و نزل مع جبرئيل سبعون ألف ملك ليحضروا جنازة آدم عليه السلام قال: فغسله هبة الله و جبرئيل و كفنه و حنطه ثم قال: يا هبة الله تقدّم فصلّى على أبيك و كبر عليه خمسا و عشرين تكبيرة، فوضع سرير آدم، ثم قدم هبة الله و قام جبرئيل عليه السلام عن يمينه و الملائكة خلفهما، فصلّى عليه و كبر عليه خمسا و عشرين تكبيرة، و انصرف جبرئيل و الملائكة فحفروا له بالمسحاة ثم أدخلوه فى حفرته، ثم قال جبرئيل يا هبة الله هكذا فافعلوا بموتاكم، و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت.

فقال أبو جعفر عليه السلام: فقام هبة الله فى ولد أبيه بطاعة الله و بما أوصى أبوه فاعتزل ولد الملعون قاييل، فلما حضرت وفاة هبة الله أوصى إلى ابنه قينان، و سلم إليه التابوت و ما فيه و عظام آدم، و قال له: ان أنت أدركت نبوة نوح فاتبعه و احمل التابوت معك فى فلكه، و لا تخلفن عنه فإن فى نبوته يكون الطوفان و الغرق، فمن ركب فى فلكه نجى، و من تخلف عنه غرق.

قال: فقام قينان بوصية هبة الله فى اخوته و ولد أبيه و أمرهم بطاعة الله قال:

فلما حضرت قينان الوفاة أوصى إلى مهلائيل و سلم إليه التابوت و ما فيه، و الوصية، فقام مهلائيل بوصية قينان و سار بسيرته فلما حضرت مهلائيل الوفاة أوصى إلى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٢

ابنه (١) برد، فسلم إليه التابوت و جميع ما فيه و الوصية، فتقدم إليه فى نبوة نوح فلما حضرت وفاة برد اوصى به إلى ابنه أخنوخ و هو إدريس، فسلم إليه التابوت و جميع ما فيه و الوصية، فقام أخنوخ بوصية برد، فلما قرب أجله أوحى الله تعالى إليه إنى رافعك إلى السماء و قابض روحك فى السماء فأوصى إلى ابنك حرقاسيل بوصية أخنوخ، فلما حضرته الوفاة اوصى إلى ابنه نوح و سلم إليه التابوت و جميع ما فيه و الوصية، قال: فلم يزل التابوت عند نوح حتى حمله معه فى فلكه فلما حضرت نوح الوفاة اوصى إلى ابنه سام و سلم إليه التابوت و جميع ما فيه و الوصية.

قال حبيب السجستاني: ثم انقطع حديث ابى جعفر عليه السلام عندها (٢).

و فى «القصص» عن الصادق عليه السلام فى خبر طويل إلى أن قال: فلم يلبث آدم عليه السلام بعد ذلك إلا يسيرا حتى مرض و دعا شيئا و قال: يا بنى ان اجلى قد حضر و انا مريض و ان ربى قد انزل من سلطانه ما قد ترى، و قد عهد إلى فيما قد عهد أن أجعلك وصيى، و خازن ما استودعنى، و هذا كتاب الوصية تحت رأسى، و فيه أثر العلم و اسم الله الأكبر، فإذا أنا مت فخذ الصحيفة و إياك أن يطّلع عليها احد، و أن تنظر فيها إلى قابل فى مثل هذا اليوم الذى يصير إليك فيه و فيها جميع ما تحتاج إليه فى امور دينك و دنياك و كان آدم صلوات الله عليه نزل بالصحيفة التى فيها الوصية من الجنة.

ثم قال آدم لشيث صلوات الله عليهما: يا بنى انى قد اشتهيت ثمرة من ثمار

(١) فى المصدر و قصص الأنبياء: يرد بالياء.

(٢) تفسير العياشى ج ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٣

الجنة فاصعد إلى جبل الحديد فانظر من لقيته من الملائكة فاقراه منى السلام وقل له: إن أبى مريض و هو يستهديكم من ثمار الجنة، قال: فمضى حتى صعد الى الجبل فإذا هو بجبرئيل فى قبائل من الملائكة، فبدأه جبرئيل السلام ثم قال: إلى أين يا شيث فقال له شيث: و من أنت يا عبد الله؟ قال: انا الزوج الأمين جبرئيل فقال إن أبى مريض و قد أرسلنى إليكم و هو يقرئكم السلام و يستهديكم من ثمار الجنة، فقال له جبرئيل عليه السلام: و على أبيك السلام يا شيث، اما أنه قد قبض، و أنما نزلت لشأنه فعظم الله على مصيبتك فيه أجرىك، و أحسن على العزاء منه صبرك، و آنس منك عظيم و حشتك، ارجع فرجع معهم، و معهم كل ما يصلح به آدم صلوات الله عليه، قد جاءوا به من الجنة فلما صاروا إلى آدم كان أول ما صنع شيث أن أخذ صحيفة الوصية من تحت رأس آدم صلوات الله عليه فشدّها على بطنه، فقال جبرئيل عليه السلام: من مثلك يا شيث قد أعطاك الله سرور كرامته و البسك لباس عافيته فلعمري لقد خصّيك الله منه بأمر جليل، ثم إن جبرئيل عليه السلام و شيئا أخذنا فى غسله، و أراه جبرئيل كيف يغسله حتى فرغ، ثم أراه كيف يكفنه و يحنطه حتى فرغ ثم أراه كيف يحفر له، ثم إن جبرئيل عليه السلام أخذ بيد شيث فأقامه للصلاة عليه كما تقوم اليوم نحن، ثم قال كبر على أبيك سبعين تكبيره و علمه كيف يصنع ثم إن جبرئيل عليه السلام أمر الملائكة ان يصطفوا قياما خلف شيث كما يصطف اليوم خلف المصلّى على الميت، فقال شيث: يا جبرئيل و يستقيم هذا لى و أنت بالمكان من الله الذى أنت و معك عظماء الملائكة؟ فقال جبرئيل: يا شيث ألم تعلم أن الله تعالى لما خلق أباك آدم أوقفه بين الملائكة و أمرنا بالسجود له فكان إمامنا ليكون ذلك سنة فى ذريته، و قد

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٤

قبضه اليوم و أنت وصيه و وارث علمه، و أنت تقوم مقامه، فكيف نتقدمك و أنت إمامنا؟ فصلّى بهم عليه كما أمره، ثم أراه كيف يدفنه، فلما فرغ من دفنه و ذهب جبرئيل و من معه ليصعدوا من حيث جاءوا بكى شيث و نادى: يا وحشته فقال له جبرئيل: لا وحشة عليك مع الله تعالى يا شيث، بل نحن نازلون عليك بأمر ربك و هو يونسك فلا تحزن و أحسن ظنك بربك فإنه بك لطيف و عليك شفيق، ثم صعد جبرئيل و من معه، و هبط قابيل من الجبل، و كان على الجبل هاربا من أبيه آدم عليه السلام أيام حياته لا يقدر أن ينظر إليه فلقى شيئا فقال: يا شيث إنى إنما قتلت هايبيل أخى لأن قربانه قد تقبل و قد خفت أن يصير بالمكان الذى قد صرت أنت اليوم فيه، و قد صرت بحيث اكره، و ان تكلمت بشيء مما عهد إليك أبى لأقتلنك كما قتلت هايبيل.

قال زرارة: ثم قال أبو عبد الله عليه السلام بيده إلى فمه فامسكه يعلمنا اى هكذا انا ساكت «فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» معشر شيعة فتمكنوا عدوكم من رقابكم فتكونوا عبيدا لهم بعد إذ أنتم أربابهم و ساداتهم. الخبر (١).

و فى خبر آخر عن أبى جعفر عليه السلام قال: أرسل آدم ابنه إلى جبرئيل فقال: قل له: يقول لك أبى: أطعمنى من زيت الزيتون التى فى موضع كذا و كذا من الجنة، فلما جبرئيل فقال له إرجع إلى أبيك فقد قبضه الله و أمرنا بإجهازه و الصلاة عليه، قال: فلما جهّزه قال جبرئيل: تقدّم يا هبة الله فصلّ على أبيك فتقدم و كبر عليه خمسا و سبعين تكبيره سبعين تفضيلا لآدم و خمسا للسنة قال: و آدم عليه السلام لم يزل

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ٢٦٢-٢٦٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٥

يعبد الله بمكة حتى إذا أراد أن يقبضه بعث إليه الملائكة معهم سرير و حنوط و كفن من الجنة فلما رأت حواء الملائكة ذهبت لتدخل بينه و بينهم، فقال لها آدم: خلّى بينى و بين ربي، فقبض فغسلوه بالسدر و الماء ثم لحدوا قبره، و قال: هذا سنة و لده من بعده فكان عمره منذ خلقه الله إلى أن قبضه تسعمائة و ستا و ثلاثين سنة و دفن بمكة و كان بين آدم و نوح صلوات الله عليهما ألف

و خمسمائة سنة «١».

و في «كمال الدين» عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي عليه السلام قال: عاش آدم ابو البشر تسعمائة و ثلاثين سنة «٢».

و عن المسعودي في المروج توفي يوم الجمعة لست خلون من نيسان في الساعة التي كان فيها خلقه و كان عمره تسعمائة و ثلاثين سنة «٣».

و عن السيد في سعد السعود نقلا من صحف إدريس عليه السلام: إن مرضه عشرة أيام بالحمى، و وفاته يوم الجمعة لإحدى عشر يوما خلت من المحرم، و دفنه في غار في جبل أبي قبيس و وجهه إلى الكعبة، و إن عمره في وقت نفخ فيه الروح إلى وفاته ألف سنة و ثلاثين و ان حواء ما بقيت بعده إلا سنة ثم مرضت خمسة عشر يوما ثم توفيت و دفنت إلى جنب آدم عليهما السلام، ثم قال و نبأ الله شيئا، و أنزل عليه خمسين صحيفة فيها دلائل الله و فرائضه و أحكامه و سننه و شرائعه و حدوده، فأقام بمكة يتلو تلك الصحف على بني آدم و يعلمها و يعبد الله، و يعمر الكعبة فيعتمر في

(١) قصص الأنبياء ص ٦٤ ح ٤٤ و عنه البحار ج ١١ ص ٣٦٦ ح ١٥.

(٢) كمال الدين ص ٥٢٣ ح ٣.

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٦

كل شهر، و يحج في أوان الحج حتى تم له تسعمائة سنة و اثني عشر سنة، فمرض فدعا ابنه أيوس «١» فأوصى به اليه و أمره بتقوى الله ثم توفي فغسله أيوس ابنه و قينان بن أيوس و مهلائيل بن قينان فتقدم أيوس فصلي عليه و دفنوه عن يمين آدم عليه السلام في غار أبي قبيس «٢».

ثم قال السيد رضي الله عنه على ما حكى عنه المجلسي طاب ثراه: وجدت في السفر الثالث من التوراة: أن حياة آدم كانت تسعمائة و ثلاثين سنة.

و قال محمد بن خالد البرقي (ره): إن عمر آدم كان تسعمائة و ستا و ثلاثين سنة «٣».

و في تفسير القمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: و كان عمر آدم من يوم خلقه الله تعالى إلى يوم قبضه تسعمائة و ثلاثين سنة و دفن بمكة و نفخ فيه يوم الجمعة بعد الزوال، ثم برأ زوجته من أسفل أضلاعه و اسكنه جنته من يومه ذلك فما استقر فيها إلا ست ساعات من يومه ذلك حتى عصى الله تعالى و أخرجهما من الجنة بعد غروب الشمس و ما بات فيها «٤».

و عن ابن الأثير في الكامل قيل: إن شيث كان لم يزل مقيما بمكة يحج و يعتمر إلى أن مات و أنه كان قد جمع ما أنزل عليه و على أبيه آدم من الصحف

(١) هكذا في النسخ و الصحيح: انوش كما في المصدر.

(٢) سعد السعود ص ٣٧ - ٣٨.

(٣) سعد السعود ص ٤٠ و فيه تسعمائة و ست و ثلاثون.

(٤) تفسير القمي ج ١ ص ٤٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٧

و عمل بما فيها و أنه بنى الكعبة بالحجارة و الطين.

و قيل: إنه لما مرض أوصى إلى ابنه انوش و مات و دفن مع أبويه بغار أبي قبيس و كان مولده لمضى مائتي سنة و خمس و ثلاثين

سنة من عمر آدم وقيل غير ذلك و كانت وفاته و قد أتت له تسعمائة سنة و اثنتا عشر سنة «١».

و في «المعاني» و «الخصال» في خبر أبي ذر عن النبي صلى الله عليه و آله: ان أربعة من الأنبياء سريان يون آدم، و شيث، و إدريس، و نوح و ان الله تعالى انزل على شيث خمسين صحيفة «٢».

و روت العامة عن النبي صلى الله عليه و آله: ان آدم كان كتب له ألف سنة فوهب لداود ستين سنة ثم رجع «٣».

و رووا عن ابن عباس انه و هب من الألف أربعين فجحد فأكمل الله لآدم ألف سنة و لداود مائة سنة و سيأتي في تفسير آية المداينة في آخر السورة عن الصادق عليه السلام: انه و هب من عمره ستين سنة.

و عن أبي جعفر: انه و هب ثلاثين سنة و انه لما هبط عليه ملك الموت لقبض روحه قال له آدم يا ملك الموت انه قد بقي من عمري ثلاثون سنة فقال له ملك الموت: يا آدم الم تجعلها لابنك داود النبي و طرحتها من عمرك حين عرضت عليك اسماء الأنبياء من ذريتك و عرضت عليك أعمارهم و أنت يومئذ بوادي الدخياء؟

(١) الكامل ج ١ ص ٥٤ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٦٢.

(٢) معاني الاخبار ص ٣٣٣- و الخصال ٥٢٤.

(٣) البحار ج ١١ ص ٢٦٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٨

قال: فقال آدم: ما اذكر هذا فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجحد الم تسأل الله عز و جل أن يثبتها لداود و يمحوها من عمرك فأثبتها لداود في الزبور و محاهها من عمرك في الذكر؟ قال آدم: حتى اعلم ذلك.

قال أبو جعفر عليه السلام و كان آدم عليه السلام صادقا لم يذكر و لم يجحد فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك و تعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا و تعاملوا إلى أجل مسمى لنسيان آدم و جحوده ما جعل على نفسه «١».

أقول: لكنه كما ترى بظاهره مخالف لما أجمعت عليه الطائفة المحقة على ما مرّت إليه الإشارة من نفى السهو و الإسهاء عن الأنبياء عليهم السلام و لو في غير ما يتعلّق بالتبليغ و لذا كان الاولى حملة على التقية، و ألا فليحمل على ضرب من التأويل و لعل الأول أقرب سيما مع اشتهاار القصّة بين العامة و روايتهم لها بطرق متعدّدة.

تبصرة: روى الشيخ الجليل جعفر بن محمد بن قولويه في كامل الزيارات بالإسناد عن الصادق عليه السلام قال: إن الله تبارك و تعالى أوحى إلى نوح و هو في السفينة أن يطوف بالبيت اسبوعا فطاف بالبيت اسبوعا كما أوحى الله تعالى إليه ثم نزل في الماء و الماء إلى ركبته، فاستخرج تابوتا فيه عظام آدم عليه السلام فحمل التابوت في جوف السفينة حتى طاف بالبيت ما شاء الله أن يطوف ثم ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدنا ف فيها قال الله تعالى يا أرض ابلعي ماءك فبلعت مائها من مسجد

(١) علل الشرائع ص ٥٥٣ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٥٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤١٩

الكوفة كما بدأ الماء من مسجدنا و تفرّق الجمع الذين كانوا مع نوح في السفينة فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغرى «١».

و في القصص بالإسناد إلى الصدوق باسناده إلى وهب قال: لما حضر آدم الوفاة أوصى إلى شيث و حفر لآدم في غار في أبي قبيس يقال له غار الكنز فلم يزل آدم في ذلك الغار حتى كان زمن الغرق استخرجه نوح في تابوت و جعله معه في السفينة «٢».

و قد مرّ في خبر العياشي الطويل المتقدم ان آدم عليه السلام أوصى إلى هبة الله عليه السلام و قال له: أنظر يا هبة الله إذا أنا مت فاغسلني و كفنني و صلّ عليّ و أدخلني في حفرتي فإذا مضى بعد وفاتي أربعون يوما فاخرج عظامي كلّها من حفرتي بأجمعها جميعا

ثم اجعلها في التابوت احتفظ به و لا تأمننّ عليه أحدا غيرك «٣». الخبر على ما مرّ.
ثمّ أنّه قد يستشكل في هذه الأخبار فيما ورد عن الصادق عليه السّلام من أنّ الله تبارك و تعالى أوصى إلى موسى بن عمران أن
اخرج عظام يوسف من مصر و وعده طلوع القمر إلى أن قال عليه السّلام: فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر، فلمّا أخرجه
طلع القمر فحملة إلى الشّام «٤».
من وجوه: أحدها: أنّها بظاهرها تدلّ على جواز نقل الموتى بعد الدفن إلى

(١) كامل الزيارات ص ٣٨-٣٩ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٤٨.

(٢) قصص الأنبياء ص ٧٢ ح ٥٥.

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٠٦-٣٠٩.

(٤) البحار ج ١٣ ص ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٠

المواضع الشريفة أو مطلقا و ظاهر الأصحاب تحريم ذلك حتى قال ابن إدريس: أنّه بدعه في شريعة الإسلام سواء كان النقل إلى
مشهد او غيره مضافا إلى ظهور اتّفاقهم على حرمة النيش بعد الدفن.

و ثانيها: أنّه قد ورد في جملة من الأخبار أن الأنبياء و الأوصياء صلّى الله عليه و آله يرفعون بعد الدفن بأبدانهم من الأرض.

ففي «الكافي» و «الفيح» و «التهذيب» و غيرها عن زياد بن أبي الحلال عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ما من نبيّ او وصيّ «١» نبيّ
يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيّام حتى يرفع بروحه و لحمه و عظامه «٢» إلى السّماء و إنّما يؤتى موضع آثارهم و يبلغونهم عن بعيد
السّلام و يسمعونهم في موضع آثارهم عن قريب «٣».

و في «التهذيب» عن عطية قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: لا تمكث جثّة نبيّ و لا وصيّ نبيّ في الأرض أكثر من أربعين
يوما «٤».

الى غير ذلك ممّا يدلّ على أنّهم يرفعون بأبدانهم العنصريّة من الأرض إلى السّماء بعد ثلاثة أيّام أو أربعين يوما او غيرها مع أنّ الظاهر
من الأخبار المتقدّمة بقاؤهم فيها إلى أن نقلوا من مدفنهم إلى غيره بعد سنين عديدة.

ثالثها: أنّ ظاهر الاخبار المتقدّمة أنّ الأرض تأكل من أبدانهم و تفرّق بين

(١) في نسخة: و لا وصيّ نبيّ.

(٢) في البحار: و عظمه.

(٣) بصائر الدرجات ص ٤٤٥ ح ٩.

(٤) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢١

لحومهم و عظامهم حيث خصّ النقل فيها بالعظام، بل في خبر العياشي إخراج عظامه عليه السّلام بعد أربعين يوما مع أنّه قد روى في
أخبار كثيرة أنّ لحومهم محرّمة على الأرض و على الدود.

ففي «الفيح» عن الصادق عليه السّلام قال: إنّ الله عزّ و جلّ حرّم لحومنا على الأرض و حرّم لحومنا على الدود ان تطعم منها شيئا.

و فيه عنه عليه السّلام: أنّ الله تبارك و تعالى حرّم لحومنا على الأرض أن تطعم منها شيئا «١».

و الجواب عن الأوّل: أنّه بعد ثبوت جواز النيش و النقل على فرضه لا بدّ من حمل هذه الأخبار على كونها قضايا في وقائع خاصّة فلا

يتعدى الحكم إلى غيرها على أن عدم جواز النقل ليس مقطوعاً به في كلامهم و ان كان القول به مشهوراً عندهم بل هي مسألة خلافية، وربما استدلل للقول بالجواز بالأخبار المتقدمة بناء على قضاء الاستصحاب ببقاء الأحكام الثابتة في الشرائع السابقة وبالأصل السالم عن معارضة الدليل، سيما مع انتفاع الميت بشرافة الأرض و جوار من شرفت به، و لعل جوازه كان معلوماً بين الشيعة في الأعصار المتقدمة القريبة من عصر الامام عليه السلام بحيث ربما يظهر منه تقريره له و رضاه به لذا نقل عن جملة من علمائنا أنهم دفنوا ثم نقلوا كالفيد من داره بعد مدة إلى جوار الكاظمين عليهما السلام، و المرتضى من داره إلى جوار الحسين عليه السلام. و الشيخ البهائي من أصبهان إلى المشهد الرضوى

(١) بصائر الدرجات ص ٤٤٣ و عنه البحار ج ٢٢ ص ٥٥٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٢

على مشرفه السلام، و لذا أفتى كثير من الأصحاب بجواز النيش للنقل إلى تلك المشاهد و غيرها بل عدّ في «كشف الغطاء» ممّا استثناء من حرمة النيش ان يكون ذلك لا يصله الى محل يرجى فوزه بالثواب أو نجاته من العقاب. كالتنقل الى المشاهد المشرفة، بل مقابر مطلق الأولياء و الشهداء و العلماء و الصلحاء، ثم قال:

و ربما كان هذا القسم أولى من غيره فيخرجه كلاً او بعضاً عظماً او لحمًا او مجتمعاً و لو لا قيام الإجماع و السيرة على عدم وجوبه لقلنا بالوجوب في بعض المحال بل قد يحكى عنه أنه قال: لو توقّف نقله على تقطيعه إرباً إرباً جاز و لا هتك فيه للحرمة إذا كان بعنوان النفع له و دفع الضرر عنه كما يصنع مثله في الحيّ و تمام الكلام في الفقه.

و عن الثانی: أنه و ان كان بين الخبرين منافاة بحسب الظاهر إلا أنّ لأصحابنا في الجمع بينهما طرقاً منها: أنهم يرفعون بعد الثلاثة ثم يرجعون إلى قبورهم و يؤيد ما قيل: إنّه ورد في بعض الاخبار: انّ كلّ وصيّ يموت يلحق بنيه ثم يرجع إلى مكانه.

و هذا الوجه و إن احتمله شيخنا المجلسي إلا أنه بعيد جداً من سياق الأخبار المتقدمة و غيرها ممّا يدلّ عليه بل مخالف لبعض الأخبار. مثل ما رواه في كامل الزيارات عن عبد الله بن بكر قال: حججت مع أبي عبد الله عليه السلام إلى أن قال: يا ابن رسول الله لو نيش قبر الحسين بن عليّ هل كان يصاب في قبره شيء؟ فقال: يا ابن بكر ما أعظم مسائلك إنّ الحسين بن عليّ مع أبيه و أمه و أخيه في منزل رسول الله صلّى الله عليه و آله و معه يرزقون و يحبرون، و أنّه لعن يمين العرش

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٣

متعلق به يقول: يا ربّ أنجز لى ما وعدتني «١»، الخبر.

و منها: أنّ أخبار الرفع صدرت لنوع مصلحة تورية لقطع طمع الخوارج و التواصب الذين كانوا يريدون نيش قبورهم و إخراجهم منها و قد عزموا على ذلك مرارا فلم يتيسر لهم، و ربما يؤيد ذلك بما في بعض الأخبار من أنّهم نبشوا قبر الحسين عليه السلام فوجدوه في قبره و أنّهم حفروا في الرصافة قبراً فوجدوا فيها شعيب بن صالح، و هذا الوجه ضعيف جداً بل هو طرح للأخبار المذكورة من دون شاهد رجماً بالغيب مع أنّ الله سبحانه قد منع أعدائه من أن ينالوا قبور أوليائه بوجوه من المنع من دون أن يلجئهم إلى مثل هذا الكذب الذي يسرع ظهوره بالنيش فإنّ المعاندين قد بالغوا في إمعان قبورهم و آثارهم و إطفاء أنوارهم فأبى الله إلا أن يتمّ نوره و لو كره المشركون.

و منها: ما احتمله شيخنا المجلسي أيضاً من حمل أخبار نقل العظام على أنّ المراد نقل الصندوق المتشرف بعظامهم و جسدهم في ثلاثة أيام أو أربعين يوماً و هو بعيد جداً.

و منها: ما احتمله أيضاً من ردّهم بعد الرفع إلى الأرض لترتب تلك المصلحة المقتضية للرفع.

و منها ما ذكره المحدّث الفيض أفاض الله عليه من رحمته بعد نقل الخبر الدال على الرفع حيث قال: حمل هذا الحديث على ظاهره

غير مستبعد في عالم

(١) كامل الزيارات ص ٢٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٤

القدرة و في خوارق عاداتهم عليهم السلام، مع أنه يحتمل أن يكون المراد باللحم و العظم المرفوعين المثاليين منهما أعنى البرزخيين، و ذلك لعدم تعلقهم بهذه الأجساد العنصرية فكأنهم و هم بعد في جلايب من أبدانهم قد نفصوها و تجردوا عنها فضلا عما بعد وفاتهم.

و الدليل على ذلك من الحديث قوله عليه السلام: إن الله خلق أرواح شيعتنا مما خلق منه أبداننا «١».

فأبدانهم ليس إلا تلك الأجساد اللطيفة المثالية، و أما العنصرية فكأنها أبدان الأبدان.

و يدل على ذلك ما ورد: إن الله أوحى إلى نوح أن يستخرج من الماء تابوتا فيه عظام آدم عليه السلام فيدفنه في الغرى ففعل «٢».

و ما ورد: إن الله سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران ان أخرج عظام يوسف ابن يعقوب من مصر فاستخرجها من شاطئ النيل في صندوق مرمر «٣».

فلو لا- أن الأجساد العنصرية منهم تبقى في الأرض لما كان لاستخراج العظام و نقلها من موضع إلى موضع آخر بعد سنين عديدة معنى.

و اعترضه المحدث البحراني بأنه مبني على ثبوت الأجساد المثالية في النشأة الدنيوية بحيث يكون للروح فيها جسدان مثالي و عنصري، و هذا مما لم يقم

(١) البصائر ص ٧ و فيه: و خلق أرواح شيعتنا من أبداننا.

(٢) كامل الزيارات ص ٣٨-٣٩ و عنه البحار ج ١١ ص ٢٤٨.

(٣) بحار الأنوار ج ١٣ ص ١٢٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٥

عليه دليل، و غاية ما يستفاد من الأخبار: أن المؤمن إذا مات جعل الله روحه في النشأة البرزخية في قالب كقالبه في الدنيا بحيث لو رأته لقلت: فلان ثم ينقل إلى وادي السلام و أنهم يجلسون حلقا حلقا يتحدثون و يتنعمون، و أيضا فتصريح الخبر برفع اللحم و العظم لا- ينطبق إلا على الجسد العنصري، لأن إثبات ذلك للجسد الثاني لا يخلو عن تمحل و تعسف لدلالة الخبرين على الرفع بالأبدان العنصرية كما يدل عليه أيضا.

ما رواه الشيخ في «التهذيب» عن سعد الإسكاف قال: حدثني أبو عبد الله عليه السلام قال: أنه لما أصيب أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسن و الحسين عليهما السلام: غيباني و كفناني و حنطاني و احملاني على سرير و احملا مؤخره تكفيان مقدمه، فإنكما تنتهيان إلى قبر محفور و لحد ملحود و لبن موضوع فالحداني، و اشرجا اللبن علي و ارفعا لبنه مما يلي رأسي فانظرا ما تسمعان، فأخذ اللبنه من عند رأسه فإذا ليس في القبر شيء، و إذا هاتف يهتف:

أمير المؤمنين كان عبدا صالحا لله فألحقه الله بنبيه، و كذلك يفعل بالأوصياء بعد الأنبياء حتى لو أن نبيا مات في المشرق و مات وصيه في المغرب لألحق الوصي بالنبى «١».

أقول: و فيه أن الأجسام المثالية في هذا العالم مما لا مساغ لأحد إلى إنكارها بعد ما دلت الآيات الآفاقية و الأنفسية على ثبوتها فإن الثائم يرى فيما يراه أنه قد

(١) فرحة الغرى ص ٢ و ص ٢٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٦

ضرب في الأرض و دخل البلاد و تكلم مع كثير من الأشخاص و شاهدهم و سمع منهم مع أن بدنه العنصرى متدثر بدثار النوم في بيته، و ربما يكون كثيرا ممّا رآه موافقا لما في الواقع إمّا تطبيقا او تأويلا- و تحويلا بل ربما يرى الأشخاص الكثيرة من الأحياء و الأموات، و يتكلم معهم و يستفيد ممّا عندهم مع أن الأبدان العنصرية لتلك الأشخاص غير مشاهد له قطعا و لعلها صارت عظاما و رفاتا، و هو يراهم في صورة الأحياء الذين يشافهمهم و يناظرهم، و حمل الرؤيا على مجرد الخيال من خيالات الفلاسفة، إذ الظاهر من الشرع و اهله كونها بالأبدان المثالية للزائى و المرئى على ما تأتى إليه الإشارة.

بل ربما يدلّ عليه النبوى المستفيض من طريق الفريقين: من رأى فقد رأى فانّ الشيطان لا يتشبهه بى.

و فى خبر آخر: لا يتمثل بى. و فى ثالث: من رأى فى النوم فقد رأى فانه لا ينبغى للشيطان أن يتمثل فى صورتى.

و فى رابع: من رأى فقد رأى الحقّ فإنّ الشيطان لا يتراءى بى.

و فى خامس: رواه الرضا عليه السلام عنه صلى الله عليه و آله: من رأى فى منامه فقد رأى لأنّ الشيطان لا يتمثل فى صورتى و لا فى

صورة أحد من اوصيائى و لا فى صورة احد من شيعتهم «١».

فانّ الظاهر منه باختلاف ألفاظه أنّها إنّما تكون بالتمثل و التشبه و معناه تعلق

(١) امالى الصدوق ص ٦٤ و عنه البحار ج ٤٩ ص ٢٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٧

الرؤيا حال الرؤيا بالصورة و المثال من جهة المرئى.

و أما كونه من جهة الزائى من جهة المثال فواضح، هذا مضافا إلى الشواهد الكثيرة الدالة على ثبوتها من الأخبار و الاعتبار على ما نشير إليها فى تفسير الآيات المتعلقة بأحوال البرزخ و المعاد و لذا يعزى القول بها إلى كثير من المسلمين.

قال شيخنا المجلسى (رحمه الله) فى جملة كلام له: انّ الرّوح يتعلّق فى البرزخ بالأجساد المثالية اللطيفة الشبيهة بأجسام الجنّ و

الملائكة المضاهية فى الصّورة للأبدان الأصليّة ثم قال: إنّه و إن كان يمكن تصحيح بعض الأخبار بالقول بتجسّم الرّوح ايضا بدون

الأجسام المثالية، لكن مع ورود الأجساد المثالية فى الأخبار المعتمدة المؤيدة بالأخبار المستفيضة لا محيص عن القول بها إلى أن قال:

و قد قال به كثير من المسلمين كشيخنا المفيد قدس الله روحه و غيره من علمائنا المتكلمين و المحدّثين، بل لا يبعد القول بتعلّق

الرّوح بالأجساد المثالية عند النّوم ايضا كما يشهد به ما يرى فى المنام، و قد وقع فى الاخبار تشبيه حالة البرزخ و ما يجرى فيها بحالة

الرؤيا و ما يشاهد فيها، بل يمكن أن يكون للنفوس القويّة العالية أجساد مثالية كثيرة كأئمتنا صلوات الله عليهم حتّى لا نحتاج إلى

بعض التأويلات و التّوجيهات فى حضورهم عند كلّ ميت و سائر غرائب أحوالهم من عروجهم إلى السموات كلّ ليلة جمعة و غير

ذلك «١».

ثمّ انّ من جميع ذلك و غيره يظهر لك ضعف ما ذكره المحدّث المذكور فى

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٦٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٨

جملة كلام له لم تعرّض لحكايته: من أنّا لم نقف فى الأخبار على ما يدلّ على ثبوت الأجساد المثالية للأنبياء و الأئمة صلوات الله

عليهم بعد الموت فضلا عما ادّعه المحدث الفيض من الوجود في الدنيا.

إذ فيه أنّ الأخبار على ذلك كثيرة جدًا مثل ما ورد من أنّ الملائكة اشتاقت إلى رؤية عليّ بن ابي طالب فخلق الله تعالى صورته في السموات.

و إنّ لكلّ مؤمن مثالا في السماء يفعل كفعله في الدنيا، على ما مرّت الإشارة إليها و إلى غيرها فيما تقدم.

و أما ما ذكره الفيض من رفع المثالي و بقاء العنصرى فهو بعيد جدًا، بل لعلّه مقطوع العدم عن مساق أخبار الباب بكثرتها و اشتهاها بين العصابة، مع أنّ جميع المؤمنين مشتركون معهم في نقل أبدانهم المثالية عن قبورهم إلى جنان البرزخ، فلا اختصاص لهم بذلك، مع أنّ ظاهر الأخبار هو الإختصاص، و لذا قال المفيد في شرح العقائد: إنّّه قد جاء في الحديث: إنّ الأنبياء خاصّة و الأئمّة عليهم السّلام من بعدهم ينقلون بأجسادهم و أرواحهم من الأرض إلى السماء فينعمون في أجسادهم التي كانوا فيها عند مقامهم في الدنيا، و هذا خاصّ بحجج الله دون من سواهم من الناس.

فرفع أبدانهم العنصريّة ممّا لا ريب فيه، نعم من المحتمل قريبا أن يبقى في قبورهم بعد رفعهم بدن من أبدانهم المثالية لما يقصدونهم الناس، و هو الذي يرى في قبورهم عند النّش أزمنة طويلة، و إنّما جعل الله هذا المثال لبركات العباد و توجّجاتهم و ضراعاتهم كما جعل في أيام حياتهم و بقائهم بأبدانهم العنصريّة في الدنيا مثالهم في السموات ليكون مثابه و أمنا و مطافا للملائكة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٢٩

و منها: ما ذكره المحدث البحراني بعد تمهيد مقدّمه هي: أنّ الاستفادة من جملة من الأخبار أنّ دفن الميت إنّما يقع في موقع تربته التي خلق منها كما في «الكافي» في الصحيح عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: من خلق من ترابه دفن فيها (١). و فيه عن الصادق عليه السّلام: إنّ التّطفة إذا وقعت في الرّحم بعث الله ملكا فأخذ من التّربة التي يدفن فيها فمائها في التّطفة فلا يزال قلبه يحنّ إليها حتّى يدفن فيها.

إلى غير ذلك من الأخبار الدّالة عليه و حينئذ فنقول: ما ورد من الأخبار دالّا على رفعهم عليهم السّلام من الأرض بالأبدان العنصريّة يجب تقييده بما دلّت عليه هذه الأخبار من الدّفن في الموضع الاصلى و المقرّ الحقيقى الذي أخذت منه الطينة و يجب حمل خبرى عظام آدم و يوسف عليهما السّلام على الدّفن في غير الموضع المشار اليه فكأنّه إنّما وقع على وجه الإيداع في هذا المكان لمصلحة لا نعلمها و المقرّ الحقيقى إنّما هو الموضع الذي أمر الله سبحانه بالنقل اليه و بعد فيصير الدّفن في ذلك الموضع من قبيل ما لو بقى على وجه الأرض من غير دفن في وجوب بقاء الجسد العنصرى و إنّ جاز انتقال كلّ منهما عليهما السّلام إلى بدن مثالى في ذلك العالم لعدم إمكان نقل البدن العنصرى حيث إنّّه مأمور بنقله إلى ذلك المكان الآخر بعد الإيداع في هذا المكان مدّة، فمن أجل ذلك لم يرفعا به، و أمّا وجه الحكم في الدّفن أوّلا في مكان مع عدم كون المكان الاصلى و التّربة الحقيقية، فلا يجب علينا أن نطلب وجهه، و إنّما علينا

(١) الكافي: ج ٣ ص ٢٠٢ ح ١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٠

الإيمان به.

قال: و هذا وجه وجهه تلتئم عليه الأخبار من غير تأويل و لا خروج عن ظواهر ألفاظها.

و أمّا الجمع بين خبرى الثلاثة و الأربعين فيمكن حمل الأوّل على اقل المدّة، و الثانى على أكثرها، و لعلّ ذلك بتفاوت مراتبهم عنده سبحانه.

أقول: و هذا الوجه لا بأس به، و ان كان فيه خروج عن ظاهر لفظ الخبر، و غيره من الأخبار الدّالة على دفن آدم، و أنّه لا يمكث جثّة

من نبي ولا وصي نبي في الأرض أكثر من كذا وكذا.

ومنّه يظهر ضعف ما ادّعه من قيام الأخبار عليه من غير تأويل ولا خروج عن ظواهرها.

وعن الثالث: أنّ المراد بالعظام في الخبرين تمام البدن باجزائه تسمية للكُلّ باسم الجزء الذي به قوامه كإطلاق الرقبة على الإنسان فإنّ العظام دعامة البدن وأشرف ما فيه من وجه حتّى أنّ جميعها يقوم مقام الجسد في الاحكام من وجوب الصلوة على جميع عظام الميت إذا وجدت وكون الإطلاق مجازيًا لا بأس به بعد دلالة الأخبار المستفيضة على أنّ الأرض لا تأخذ من جسد بل ولا من جسد شيعة بل هو المشاهد أيضًا في كثير من الأزمنة حيث نبشوا قبور بعض المؤمنين فوجدوه غصًا طريًا بعد أن مضى من وفاتهم أعصار طويلة فمن ذلك ما يحكى عن روضة العارفين نقلًا عن بعض الثقات المعاصرين له أنّ بعض حكام بغداد رأى بناء قبر شيخنا أبي جعفر الكليني عطر الله مرقده فسأل عنه فقيل: إنّ قبر بعض الشيعة

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣١

فأمر بهدمه فحفر القبر فرآه بكفنه لم يتغير ومدفون معه آخر صغير بكفنه أيضا فأمر بدفنه وبنى عليه قبة، ويقال: إنّ بعض حكام بغداد أراد نبش قبر سيدنا أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام وقال: إنّ الرافضة يدعون في أئمتهم أنّهم لا تبلى أجسادهم بعد موتهم وأريد أنّ أكذبهم فقال له وزيره: إنّهم يدعون في علمائهم أيضا ما يدعون في أئمتهم و هنا قبر محمد بن يعقوب الكليني من علمائهم فأمر بحفره فإن كان على ما يدعونه عرفنا صدق مقالهم في أئمتهم وإلا تبين كذبهم، فلما حفروا قبره وجدوه بكفنه كما مرّ، بل قد وقع مرّات كثيرة بالنسبة إلى الشهداء والعلماء وسائر المؤمنين وقد اتفق في عصرنا أنّ انهدم قبر الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه بالرى فرأوه بكفنه لم يتغير أصلا، ورآه خلق كثير من أهل طهران ومن الزوار والقوافل إلى أنّ أمر السلطان محمد شاه غفر الله له بتعمير قبته على ما هو عليه الآن، وقد حدّثني جمع كثير من الثقات أنّهم رأوا بدنه الشريف.

وأما ما يقال: من أنّ هذا كلفه معارض بما روى من أنّه كان رجل ذمّي في زمن الامام العسكري عليه السلام وأنّه كان يمدّ يده إلى السماء فيقع المطر حتّى اضطرب بعض المسلمين فأرسل المتوكّل لعنه الله إلى العسكري عليه السلام ان أدرك دين جدك فلما حضر عليه السلام قال للرجل أدع فلما مدّ يده قبض عليها الامام عليه السلام وأخذ منها عظما فقال له أدع ان كنت صادقا فلما دعا لم ينزل المطر، فقال عليه السلام: إنّ هذا عظم نبي من أنبياء الله و ما كشف عظم نبي تحت السماء إلا وقع المطر «١».

(١) منقول المعنى ومصدره مناقب إلى أبي طالب ج ٤ ص ٤٢٥ ومختار الخرائج ص ٢١٤ و عنهما البحار ج ٥٠ ص ٢٧٠ ح ٣٧ وأخرجه في كشف الغمّة ج ٣ ص ٣١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٢

ففيه أنّه غير صالح لمعارضه ما سمعت من الأخبار المشتملة على الصّحاح وغيرها بعد شهرتها بين الطائفة بل بين مخالفينا أيضا كما مرّ مضافا إلى شهادة العيان بصدقها سيّما مع ضعف الخبر المذكور سندا.

وربما أجاب عنه الشيخ الأمجد الاحسائي مرّة بأنه يحتمل أن يكون ذلك الخبيث قطعه من جسد ذلك النبي عليه السلام وكشط ما به من اللحم، و اخرى بأن يكون معنى قوله في تلك الاخبار ان جسده لا يبلى ولا تأكله الأرض أى لا تفنى منه شيئا وان تفكك واختلت بنبته فهذه باقية إذ لا عرض فيها لأنّه عليه السلام صفاها في الدنيا كمال التصفية فجسده كالذهب الصافي وان تفرّق بالتقطع والمبرد لا يفنى منه شيء بل إذا جمعته وأذبتة رجع بكماله.

أقول وفيهما نظر اما الأوّل فلانّ جسد نبي من الأنبياء لم يبق في الأرض في زمان العسكري حتّى يقطعه الخبيث ويكشط ما به اللحم إلا أنّ يبنى على شيء من الوجوه المتقدّمة من تأخير الرّفيع او تعقيبه بالنزول او غيرهما وهو غير واضح.

و اما الثّاني: فلاّنه لا وجه لصرف تلك الأخبار عن ظواهرها و ارتكاب التّأويل فيها و مجرد صفاء أبدانهم من الكدورات و العوارض

الدنيوية لا يقضى بارتكاب التاويل فيها بل هو مما يقتضى حملها على ظواهرها فإن التفكيك و اختلال البنية لا يمكن تطرقه إلى شيء من الأبدان إلّا باستيلاء المؤثرات الخارجة عليها و انفعال تلك الأبدان منها و المؤثر الخارجى فى المقام إنّما هى الأرض التى تبلى الأبدان و تعيدها رفاتا و فتاتا، و بالجملة فلا وجه لردّ تلك الاخبار، بل فى ردّها ردّ أخبار الزّرع ايضا.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٣

تفسير الآية (٤٠)

إشارة

يا بِنَى كلمة «يا» حرف نداء للبعيد. أو كالبعيد كما قال ابن مالك «١» فى ألفيته:
و للمنادى الناء أو كالتاء يا و أى و أ، كذا أيا ثم هيا و زعم بعضهم أنّ «يا» اسم فعل معناها انادى، و لكنّ الفخر الرازى «٢» ردّ عليه و قال:

أما الذين فسروا قولنا: «يا زيد» بأنادى زيدا، أو أخاطب زيدا فهو خطأ من وجوه:

أحدها: أنّ قولنا: أنادى زيدا خبر يحتمل التصديق و التكذيب، و قولنا: يا زيد لا يحتملها.

و ثانيها: أنّ قولنا: يا زيد يقتضى صيرورة زيد منادى فى الحال، و قولنا: أنادى زيدا لا يقتضى تلك.

و ثالثها: أنّ قولنا: يا زيد يقتضى صيرورة زيد مخاطبا بهذا الخطاب، و قولنا:

أنادى زيدا لا يقتضى ذلك. لأنّه يمتنع أن يخبر إنسانا آخر بأنى أنادى زيدا.

و رابعها: أنّ قولنا: أنادى زيدا إخبار عن النداء، و الإخبار عن النداء غير النداء، و النداء هو قولنا يا زيد، فإذن قولنا أنادى زيدا غير قولنا يا زيد. «٣» و ليعلم أنّ «يا» كما تقدّم حرف وضع فى أصله لنداء البعيد و لكن قد يستعمل فى مناداة من سهى و غفل و إن كان قريبا من المنادى، تنزيلا منزلة البعيد.

(١) هو محمد بن عبد الله الاندلسى الشافعى النحوى اللغوى المقرئ الأديب المتوفى سنة (٦٧٢) هـ.

(٢) هو محمد بن عمر بن الحسين الطبرى الأصل الرازى المولد الاشعري الأصول الشافعى الفروع المعروف بالفخر الرازى و الملقب بابن الخطيب توفى سنة (٦٠٦) هـ

(٣) التفسير الكبير للرازى: ج ٢ ص ٨٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٤

فإن قيل: فلما ذا يقول الداعى: يا ربّ يا الله؟ مع أنّه تعالى أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ قيل فى الجواب: هو استبعاد لنفس الداعى من مظانّ الزلفى هضما لنفسه، و إقرارا عليها بالتنصيص كما عن زين العابدين و سيّد الساجدين عليه صلوات الله فى دعائه المشهور المروية عن أبى حمزة الثمالى «١» أنه قال مناجيا لربّه سبحانه: «و أن الراحل إليك قريب المسافة و أنك لا تحتجب عن خلقك إلّا أن تحجبهم الأعمال دونك.

و قيل بالفارسية:

دوست نزدیک تر از من به من است این عجب تر که من از وی دورم چکنم با که توان گفت که دوست در کنار من و من مهجورم بِنَى منادى مضاف، و علامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم و قد تغیر بناء مفردة، و حذف منه النون للإضافة. و واحده ابن شبيه بجمع التكسير، و لذلك قالوا فى جمعه: أبناء، و فى جمع سلامته قالوا: بنون، و هو جمع شاذّ، و عاملت

العرب في هذا الجمع معاملة جمع التفسير فألحقت التاء في فعله كما ألحقت في فعل جمع التفسير قال النابغة «٢»:

(١) هو ثابت بن دينار المعروف بأبي حمزة الثمالي، كان لقمان زمانه جليل القدر و كان من مشايخ أهل الكوفة و زهادهم توفي سنة (١٥٠) هـ.

(٢) هو قيس بن عبد الله الجعدي العامري، صحابي من المعمرين، جاوز المائة، و كان ممن هجر الأوثان قبل ظهور الإسلام و وفد على النبي صلى الله عليه و آله فأسلم و أدرك صفين فشهدا مع علي عليه السلام، ثم سكن الكوفة، فسيره معاوية الى أصبهان مع أحد ولاتها فمات فيها نحو سنة (٥٠) هـ الأعلام ج ٦ ص ٥٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٥

قالت بنو عامر خالو بني أسد يا بؤس للجهل ضرارا لأقوام قد سمع الجمع بالواو و النون فيه مصغرا، قال يسدد:

أبينوها الأصغر خلتي ... و هو شاذ أيضا. «١» و هو مختص بالأولاد الذكور، و إذا أضيف عم في العرف الذكور و الإناث فيكون بمعنى الأولاد- و هو المراد هنا-

و هو محذوف اللام، و في كونها ياء أو واو خلاف فذهب الى الأول ابن درستويه «٢» و جعله مشتقا من البناء و هو وضع الشيء على الشيء، لأنّ الابن فرع الأب و مبنى عليه، و لهذا ينسب المصنوع الى صانعه، فيقال للقسيده بنت الفكر، و قد أطلق في الشرائع المنسوخة على بعض المخلوقين أبناء الله تعالى- بهذا المعنى، لكن لما تصوّر من هذا الجهلة الأغبياء- معنى الولادة- حظر ذلك حتى صار التفوه به كفرا.

و ذهب الى الثاني الأخفش و أيده بأنهم قالوا: البنوة، و بأن حذف الواو أكثر، و قد حذفت في- أب و أخ- و به قال الجوهري «٣»، و لكن لا دلالة في قولهم: البنوة، لأنهم قالوا أيضا: الفتوة، و لا خلاف في أنها من ذوات الياء، و أمر الأكثرية سهل. و قال الطبرسي في «مجمع البيان»: الإبن و الولد و النسل و الذرية متقاربة المعاني إلّا أنّ الابن للذكر، و الولد يقع على الأنثى و الذكر، و النسل و الذرية يقع على جميع ذلك و أصله من البناء و هو وضع الشيء على الشيء. فالابن مبنى على الأب لأن الأب أصل و الابن فرع، و البنوة مصدر الابن و ان كان من الياء كالفتوة مصدر

(١) تفسير البحر المحيط: ج ١ ص ١٧١.

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه الفارسي النحوي أبو محمد توفي ببغداد سنة (٣٤٧) هـ و له (٨٩) سنة، العبر: ج ٢ ص ٢٨٢.

(٣) الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي صاحب «صاح اللغه» توفي سنة (٣٩٣) هـ.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٦

الفتى، و تثنيته فتيان. «١» إسرائيل مضاف إليه مجرور و علامة جزه الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية و العجمة. و فيه ثمان لغات: إسرائيل و هي لغة القرآن في «٤٣» آية أولاها هذه الآية، و هي القراءة المشهورة مهموز ممدود مشبع، و «إسرائيل» بيائين بعد الألف، و هي قراءة أبي جعفر «٢»، و الأعمش «٣»، و عيسى بن عمر «٤» و «إسرائيل» بهمزة و لام، و هو مروى عن ورش «٥» و عن الأخفش، و «إسرال» من غير همز و لا ياء حكى عن قطرب «٦» كما في «مجمع البيان» «٧».

و «إسرئل» بهمزة مكسورة بعد الراء، و «إسرائل» بهمزة مفتوحة بعد الراء

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢.

(٢) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي المدني أحد القراء العشرة، تابعي مشهور، مات بالمدينة سنة (١٣٠) هـ، غاية النهاية: ج ٢

ص ٣٨٢ رقم ٣٨٨٢.

(٣) هو سليمان بن مهران الأعمش أبو محمد الاسدى الكوفى ولد سنة (٦٠) و أخذ القراءة عن جماعة منهم عاصم بن أبى النجود و رواها عنه جماعة منهم حمزة الزيات توفى سنة (١٤٨) هـ، غاية النهاية: ج ١ ص ٣١٥.

(٤) هو عيسى بن عمر أبو عمر الهمداني الكوفى القارئ الأعمى. مقرئ الكوفة بعد حمزة الزيات، مات سنة (١٥٦) هـ، غاية النهاية ج ١ ص ٦١٢.

(٥) هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمر المصرى الملقب بورش شيخ القراء فى زمانه ولد سنة (١١٠) بمصر و رحل الى نافع و عرض عليه القرآن عدّة ختمات فى سنة (١٥٥) مات بمصر سنة (١٩٧) هـ، غاية النهاية: ج ١ ص ٥٠٢.

(٦) قطرب: أبو على محمد بن المستنير البصرى اللغوى النحوى الأديب البارع مات سنة (٢٠٦) هـ، هدية الأحياب: ص ٢٢٠.

(٧) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٧

كما فى تفسير القرطبي «١»، و «إسرائيل» بالنون حكى عن تميم كما فى جامع القرطبي قال الشاعر:
يقول أهل السوء لَمَّا جِنَا هَذَا وَ رَبَّ الْبَيْتِ إِسْرَائِيلَا
بَأَلْفِ مَمَالَةٍ بَعْدَهَا لَامٌ خَفِيفَةٌ أَوْ غَيْرِ مَمَالَةٍ، قال أميئة:
لا أرى من يعيشنى فى حياتى غير نفسى إلّا بنى إسرائيلاً «٢»

إسرائيل فى اللغة

هذه الكلمة مركبة من كلمتين: إسراء، وإيل، و «إسراء» فى اللغة العبرانية بمعنى العبد كما حكى عن ابن عباس، و «إيل» فى هذه اللغة هو الله سبحانه فمعنى إسرائيل: عبد الله، فيكون مثل جبرائيل، و ميكائيل، و اسرافيل، و عزرائيل.
وقيل: «إسراء» بمعنى الصفوة، و «إيل» هو الله تعالى. فمعناه: صفوة الله، روى ذلك أيضا عن ابن عباس.
وقيل: «إسراء» مشتق من الأسر، و هو الشدّ فكأن إسرائيل الذى شدّه الله و أتقن خلقه ذكره القرطبي و أبو حيان «٣».

(١) القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصارى الخزرى الأندلسى المفسر توفى فى التاسع من شوال سنة (٦٧١) هـ.

(٢) البحر المحيط فى التفسير لأبى حيان الأندلسى: ج ١ ص ١٧١-١٧٢.

(٣) أبو حيان محمد بن يوسف بن على الاندلسى الجياني النحوى الأديب توفى سنة (٧٤٥) هـ و من مصنفاته: البحر المحيط فى التفسير.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٨

وقيل: أسرى يعقوب ذات ليلة مهاجرا الى الله تعالى فسّمى إسرائيل حكاة القرطبي عن السهيلي «١».

وقيل: أسرى يعقوب جنيا كان يطفى سرج بيت المقدس و كان اسم الجنى «إيل» و كان يخدم بيت المقدس و كان أول من يدخل و أخر من يخرج، ذكره أبو حيان عن كعب «٢».

وقيل: أسرى بالليل هاربا من أخيه «عيمو» الى خاله فى حكاية طويلة ذكروها، فأطلق ذلك عليه و هذه أقاويل ضعاف «٣». و فيها تصرّفات لا يعتمد عليها.

«إسرائيل» هو يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم عليهم السلام.

قال القرطبي: قال ابو الفرج الجوزى «٤»: ليس فى الأنبياء من له اسمان غيره إلّا نبينا محمد صلى الله عليه و آله، فإنّ له أسماء كثيرة، ذكره فى كتاب «فهوم الآثار».

قلت: وقد قيل في المسيح: إنه اسم علم لعيسى عليه السّلام غير مشتق، وقد سمّاه الله روحا وكلمة، وكانوا يسمّونه أيل الأيلين، ذكره الجوهرى في «الصّحاح».

- (١) السهيلي أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد الاندلسي النحوي اللغوي المفسر توفي سنة (٦٨١) هـ بمراكش.
- (٢) كعب بن ماتع بن ذى هجن الحميري أبو إسحاق، تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، فأخذوا عنه كثيرا من أخبار الأمم الغابرة. خرج الى الشام فسكن حمص ومات فيها سنة (٣٢) هـ عن (١٠٤) سنين، وفي البحار ج ٥٧ ص ٩٠: كان عند عمر فاعترف بأن أمير المؤمنين عليه السّلام أعلم الناس بعد النبي صلّى الله عليه وآله فغضب عمر، وقال ابن أبي الحديد كما في البحار ج ٣٤ ص ٢٨٩: كان كعب الأخبار منحرفا عن أمير المؤمنين عليه السّلام.
- (٣) تفسير البحر المحيط لأبي حيان: ج ١ ص ١٧١.
- (٤) أبو الفرج عبد الرحمن على الحنبلي المفسر الواعظ صاحب تصانيف معروفة، توفي سنة (٥٩٧) هـ.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٣٩

و ذكر البيهقي «١» في دلائل النبوة عن الخليل بن أحمد «٢»: خمسة من الأنبياء ذو اسمين: محمد وأحمد نبينا صلّى الله عليه وآله، وعيسى والمسيح، وإسرائيل ويعقوب، ويونس و ذو النون، وإلياس و ذو الكفل صلى الله عليهم وسلم. «٣» وفي «عيون الأخبار» باسناده عن أمير المؤمنين عليه السّلام حديث طويل وفيه:

سأله عن ستّة من الأنبياء لهم اسمان؟ فقال عليه السّلام: يوشع بن نون، وهو ذو الكفل، ويعقوب وهو إسرائيل، والخضر وهو حلقيا، ويونس وهو ذو النون، وعيسى وهو المسيح، ومحمد وأحمد صلّى الله عليه وآله. «٤» يا بني إسرائيل اتفق المفسرون على أنّ إسرائيل هو يعقوب بن إسحاق ابن إبراهيم، وفي أحاديث أهل البيت عليهم السّلام تصريح بذلك، منها ما رواه ابن بابويه رضى الله عنه «٥» في «علل الشرائع» باسناده عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: كان يعقوب و عيص توأمين، فولد عيص، ثم ولد يعقوب فسمّى يعقوب لأنه خرج بعقب أخيه عيص، ويعقوب هو إسرائيل، ومعنى إسرائيل عبد الله، لأنّ اسرا هو عبد، وإيل هو الله عزّ وجلّ «٦»

- (١) خليل بن أحمد الازدي البصري صاحب العربية والعروض و صاحب كتاب العين في اللغة توفي سنة (١٧٥) هـ على أحد الأقوال، العبر ج ١ ص ٢٦٨.
- (٢) البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي الشافعي الخسروجردي الحافظ الفقيه، توفي بنيسابور سنة (٤٥٨) هـ.
- (٣) تفسير القرطبي: ج ١ ص ٣٣٠.
- (٤) عيون الأخبار: ج ١ ص ٢٤٥ ب ٢٤ ح ١.
- (٥) هو ابو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي شيخ الحفظه و وجه الطائفة رئيس المحدثين و الصدوق فيما يرويه عن الأئمة الطاهرين عليهم السّلام توفي سنة (٣٨١) هـ و دفن بالرى قرب عبد العظيم الحسنى قدس الله روحه، هدية الأحاب: ص ٤٩.
- (٦) علل الشرائع: ج ١ ص ٤٣ ح ١.
- تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٠

و روى في خبر آخر: أن اسرا هو القوّة، وإيل هو الله عزّ وجلّ فمعنى إسرائيل: قوّة الله عزّ وجلّ. «١» يا بني إسرائيل خطاب لأولاد يعقوب نسبهم الى الأب الأعلى و لم يقل: يا بني يعقوب، لما في لفظ إسرائيل كما تقدم أنّ معناه عبد الله أو قوّة الله أو صفوة الله فهزّهم بالإضافة إليه فكأنه قيل: يا بني عبد الله أو يا بني صفوة الله، فكأن في ذلك تنبيه على أن يكونوا مثل أبيهم في العبودية لله و الاصطفاء، كما تقول: يا ابن الرجل الصالح أطلع الله فتضيفه الى ما يحركه لطاعة الله، لأنّ الإنسان يحبّ أن يقتفى آثار آباءه و إن لم

يكن بذلك محمودا فكيف إذا كان محمودا.

قال شيخ الطائفة «٢» في «التيان»: قال أكثر المفسرين: إن المعنى بهذا الخطاب أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهرائي مهاجر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، وهو المحكى عن ابن عباس.

و قال الجبائي «٣»: المعنى به بنو إسرائيل من اليهود والنصارى ونسبهم الى الأب الأعلى، كما قال: يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ «٤». «٥» قال أبو حيان: المراد بقوله: «يا بنى إسرائيل» من كان بحضرة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله

(١) علل الشرائع: ج ١ ص ٤٣ ح ٢.

(٢) هو ابو جعفر الطوسى محمد بن الحسن شيخ الطائفة المحققة توفى فى ٢٢ محرم سنة (٤٦٠) هـ قال صاحب تحفة المقال السيد حسين البروجردى صاحب تفسير الصراط المستقيم هذا الكتاب فى منظومته:

محمد بن الحسن الطوسى أبو جعفر الشيخ الجليل الأنجب

جل الكمالات اليه ينتسب تنجز القبض (٤٦٠) و عمره (٧٥) عجب

(٣) هو أبو على الجبائى محمد بن عبد الوهاب البصرى شيخ المعتزلة، و ابو شيخ المعتزلة أبى هاشم، توفى سنة (٣٠٣) هـ، العبر ج ٢ ص ١٣١.

(٤) الأعراف: ٣١.

(٥) التبيان: ج ١ ص ١٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤١

بالمدينة و ما والاها من بنى إسرائيل، أو من أسلم من اليهود و آمن بالنبي صَلَّى الله عليه وآله أو أسلاف بنى إسرائيل، أقوال ثلاثة و الأقرب الأول، لأن من مات من أسلافهم لا يقال له: آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ «١» إِلَّا عَلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّوِيلِ، و من آمن منهم لا- يقال له: آمَنُوا... إِلَّا بِمَجَازٍ بَعِيدٍ «٢» و تخصيص هذه الطائفة بالذكر و التذكير و التذكير لما أنهم أوفر الناس نعمة و أكثرهم كفرا بها.

أذْكَرُوا فَعَلَ أَمْرٌ مَبْنِيٌّ عَلَى حَذْفِ النَّونِ لِاتِّصَالِهِ بِوَاوِ الْجَمَاعَةِ، و الواو فاعل، و هو مشتق من الذكر- بكسر الذال و ضمها- بمعنى واحد، و يكونان باللسان و الجنان.

قال الكسائى «٣»: هو بالكسر للسان، و بالضم للقلب. و ضدّ الأول الصمت، و ضدّ الثانى النسيان.

و على الأول يكون المعنى أمروا النعم على السنتكم و لا تغفلوا عنها، فإن إمرارها على اللسان و مدارستها سبب لأن لا تنسى.

و على الثانى يكون المعنى تبتهوا للنعم و لا تغفلوا عن شكرها.

نَعْمَتِي هِيَ مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ بِفَتْحِهِ مَقْدَرَةٌ عَلَى مَا قَبْلَ يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ و الياء مضاف إليه.

(١) البقرة: ٤١.

(٢) تفسير البحر المحيط: ج ١ ص ١٧٤.

(٣) هو ابو الحسن على بن حمزة الكوفى الكسائى، أحد القراء السبعة و مؤدب هارون و الأمين، و كان من تلامذة الخليل.

قال الشافعى: من أراد أن يتبحر فى النحو فهو عيال على الكسائى مات سنة (١٨٩) هـ، العبر ح ١ ص ٣٠٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٢

«حَدَّ النِّعْمَةَ» قال الراغب «١» فى «المفردات»: النعمة: (بالكسر) الحالة الحسنه، و بناء النعمة بناء الحالة التى يكون عليها الإنسان

كالجلسة و الركبة، و النعمة (بفتح النون): التمتع و بناؤها المرّة من الفعل، كالضربة و الشتمة، و النعمة، و النعمة (بالكسر) للجنس تقال للقليل و الكثير، قال: وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا «٢»، اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ «٣».

و قال الرازى فى «مفاتيح الغيب»: النعمة هى المنفعة المفعولة على جهة الإحسان الى الغير، و قولنا: المفعولة على جهة الإحسان لأنها لو كانت منفعة و قصد الفاعل نفع نفسه لا نفع المفعول به أو قصد الإضرار به لم يكن ذلك نعمة.

إذا عرفت النعمة فلنذكر مطلبين: الأول: أن كل ما يصل إلينا أثناء الليل و النهار فى الدنيا و الآخرة من النفع و دفع الضرر فهو من الله تعالى على ما قال تعالى: وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ «٤».

ثم إن النعمة على ثلاثة أوجه:

أحدها: نعمة تفرد بها الله تعالى نحو الخلق، و الرزق.

و ثانيها: نعمة وصلت إلينا من جهة غيره، بأن خلقها و خلق المنعم، و مكّنه من الإنعام، و خلق فيه داعيته و وفقه عليه و هداه إليه، فهذه النعمة فى الحقيقة أيضا من الله عزّ و جلّ، إلّا أنه تعالى لما أجزاها على يد عبده كان ذلك العبد مشكورا، و لكن

(١) الراغب الاصفهاني: أبو القاسم حسين بن محمد المفضل الشافعى صاحب اللغة و العربية و الحديث و الشعر و الأدب توفى سنة (٥٠٢) هـ.

(٢) النحل: ١٨.

(٣) البقرة: ٤٠.

(٤) النحل: ٥٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٣

المشكور فى الحقيقة هو الله عز و جل، و لهذا قال: أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لِرَبِّكَ «١» فبدأ بنفسه.

و ثالثها: نعمة وصلت إلينا من الله تعالى بواسطة طاعاتنا و هى أيضا من الله تعالى، لأنه لو لا أنه سبحانه و تعالى وفقنا على الطاعات و أعاننا عليها و هدانا إليها و أزاح الأعداء لما وصلنا الى شىء منها. فظهر بهذا التقرير أن جميع النعم من الله تعالى.

المطلب الثانى: أن نعم الله تعالى على عبده ممّا لا- يمكن عدّها و حصرها على ما قال: وَ إِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا «٢» لأنّ المنفعة هى اللذة، أو ما يكون وسيلة الى اللذة، و جميع ما خلق الله تعالى كذلك، لأنّ كل ما يلتذ به و هو وسيلة الى دفع الضرر فهو كذلك، و الذى لا يكون جالبا للنفع الحاضر و لا دافعا للضرر الحاضر فهو صالح لأن يستدلّ به على الصانع الحكيم فيقع ذلك وسيلة

الى معرفته و طاعته و هما وسيلتان الى اللذات الأبدية، فثبت أن جميع مخلوقاته سبحانه نعم على العبيد، و العقول قاصرة عن عدّها.

فإن قيل: فإذا كانت النعم غير متناهية، و ما لا يتناهى لا يحصل العلم به فى حق العبد فكيف أمر بتذكّرها فى قوله تعالى: اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ؟

الجواب أنها غير متناهية بحسب الأشخاص و الأنواع، إلّا أنّها متناهية بحسب الأجناس، و ذلك يكفى فى التذكّر الذى يفيد العلم بوجود الصانع الحكيم «٣».

(١) لقمان: ١٤.

(٢) النحل: ١٨.

(٣) مفاتيح الغيب: ج ٣ ص ٣٠-٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٤

مضافا إلى أن المراد بالنعم في الآية، النعم المخصوصة ببنى إسرائيل بقرينة «أنعمت عليكم» و النعم المخصوصة بهم متناهية بكثرتها منها: استنقاذهم مما كانوا فيه من البلاء من فرعون وقومه، و أبدلهم من ذلك بتمكينهم في الأرض و تخليصهم من العبودية كما قال تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَ نَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِيَ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١﴾.

و منها: جعلهم أنبياء و ملوكا بعد أن كانوا عبيدا للقبط، فأهلك أعدائهم و أورثهم أرضهم و ديارهم و أموالهم كما قال تعالى: كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاها بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢﴾.

و منها: أنزل عليهم الكتب العظيمة التي ما أنزلها على أمة سواهم كما قال عز من قائل: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَ جَعَلَ لَكُم مُلُوكًا وَ آتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾.

روى عن ابن عباس أنه قال: من نعمته الله على بنى إسرائيل أن نجّاهم من آل فرعون، و ظلل عليهم الغمام، و أنزل عليهم المنّ و السلوى في التيه، و أعطاهم الحجر الذي كان كراس الرجل يسقيهم ما شاءوا من الماء متى أرادوا، فإذا استغنوا عن الماء رفعوه فاحتبس الماء عنهم، و أعطاهم عمودا من النور ليضيء لهم بالليل، و كان رؤوسهم لا تشعث و ثيابهم لا تبلى.

(١) القصص: ٦.

(٢) الشعراء: ٥٩.

(٣) المائدة: ٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٥

و اعلم أنه سبحانه ذكّرهم بهذه النعم لوجوه:

أحدها: أن في جملة النعم ما يشهد بصدق محمد صلى الله عليه و آله، و هو التوراة و الإنجيل و الزبور.

و ثانيها: أن كثرة النعم توجب عظم المعصية، فذكّرهم تلك النعم لكي يحذروا فخالفه ما دعوا إليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه و آله و بالقرآن.

و ثالثها: أن تذكير النعم الكثيرة يوجب الحياء عن إظهار المخالفة.

و رابعها: أن تذكير النعم الكثيرة يفيد أن المنعم خصّهم من بين سائر الناس بها، و من خصّ أحدا بنعم كثيرة فالظاهر أنه لا يزيلها عنهم لما قيل: إتمام المعروف خير من ابتدائه فكان تذكير النعم السالفة يطمع في النعم الآتية، و ذلك الطمع مانع من اظهار المخالفة و العصيان.

فإن قيل: هذه النعم ما كانت للمخاطبين بهذه الآية، بل كانت لآبائهم فكيف تكون سببا لعظم معصيتهم؟

قيل في الجواب وجوه:

أحدها: لو لا- هذه النعم على آبائهم لما بقوا و ما كان يحصل هذا النسل فصارت النعم على الآباء كأنها تعم على الأبناء و ثانيها: ان الانتساب الى الآباء و قد خصّهم الله تعالى بنعم الدين و الدنيا نعمة عظيمة في حق الأولاد.

و ثالثها: الأولاد متى سمعوا أن الله تعالى خصّ آباءهم بهذه النعم لمكان طاعتهم و إعراضهم عن الكفر و الجحود رغب الولد في هذه الطريقة، لأن الولد مجبول على التشبه بالأب في أفعال الخير، فيصير هذا التذكير داعيا إلى الاشتغال

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٦

بالخيرات و الاعراض عن الشرور.

وَ أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ.

للمفسرين في هذا «العهد» أقوال:

أحدها: جميع ما أمر الله به من غير تخصيص ببعض التكليف.

الثاني: ما حكى عن الحسن البصرى «١» أنه قال: المراد منه العهد الذى أخذه الله على بنى إسرائيل فى قوله تعالى: وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا «٢» وقال تعالى: لئن أقمتم الصلاة و آتيتم الزكاة الى قوله تعالى: وَلأَدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ «٣» فمن وفى لله بعهده، وفى الله له بعهده.

ثالثها: أن المراد أوفوا بما أمرتكم به من الطاعات و نهيتكم عنه من المعاصى أوف بعهدكم، أى أَرْضَى عَنْكُمْ و أدخلكم الجنة، و هو الذى حكاه الضحاك «٤» عن ابن عباس، و تحقيقه ما جاء فى قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ إِلَى قوله تعالى: وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ «٥».

(١) الحسن بن يسار أبو سعيد البصرى ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر و مات سنة (١١٠) هـ، العبر ج ١ ص ١٣٦.

(٢) المائدة: ١٢.

(٣) المائدة: ١٢.

(٤) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير، كان فقيه مكتب عظيم فيه ثلاثة آلاف صبي، و كان يركب حمارا و يدور عليهم إذا عبي، مات بخراسان سنة (١٠٢) هـ، العبر: ج ١ ص ١٢٤.

(٥) التوبة: ١١١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٧

رابعها: أن المراد من هذا العهد ما أثبتته فى الكتب المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه و آله، و أنه سيبعثه على ما صرح بذلك فى سورة المائدة بقوله: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ «١» الى قوله لَمَّا كَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَمَّا دَخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ «٢».

قال الطبرسى فى «مجمع البيان»: إن هذا العهد هو أن الله تعالى عهد إليهم فى التوراة أنه باعث نبيا يقال له: محمد. فمن تبعه كان له أجران اثنان: أجر باتباعه موسى و إيمانه بالتوراة، و أجر باتباعه محمدا و إيمانه بالقرآن. و من كفر به تكاملت أوزاره و كانت النار جزاءه، فقال: أَوْفُوا بِعَهْدِي فى محمد أوف بعهدكم أدخلكم الجنة، عن ابن عباس فسمى ذلك عهدا لأنه تقدم به إليهم فى الكتاب السابق، و قيل: إنما جعله عهدا لتأكيد عهد الذى هو اليمين، كما قال سبحانه: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ «٣» و هذا القول أقوى لأن عليه أكثر المفسرين و به يشهد القرآن. «٤» و أوفوا بعهدى أوف بعهدكم الوفاء ضد الغدر و هو الحفظ و الإتمام و عدم النقض.

قال الراغب: و فى بعهده يفي وفاء، و أوفى إذا تمم العهد و لم ينقض حفظه،

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) آل عمران: ١٩٥.

(٣) آل عمران: ١٨٧.

(٤) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٣-٩٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٨

و اشتقاق ضدّه و هو الغدر و يدلّ على ذلك و هو الترك.

و كثيرا ما يستعمل في القرآن متعديا من باب الإفعال كما في المقام. وقوله تعالى: وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا «١» و يستعمل من باب التفعيل أيضا كما قال تعالى: وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى «٢».

و العهد: حفظ الشيء و مراعاته حالا بعد حال و الاهتمام به، و هو من الصفات الاضافية له تعلق بالعاهد، و المعهود إليه و المعهود به إلا أن في الأول يكون من الإضافة الى الفاعل، و في الثاني كذلك إذا كان مع العوض، كما يكون من الاضافة الى المفعول أيضا. قال الراغب في «المفردات» قوله تعالى: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ «٣» عهد الله تارة يكون بما ركزه في عقولنا، و تارة يكون بما أمرنا به بالكتاب و سنه رسله، و تارة بما نلتزمه كالندور و ما يجرى مجراها و على هذا قوله تعالى: وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ «٤». و الفرق بين الميثاق و العهد أن الميثاق أخص من العهد لأنه العهد المؤكد بانحاء التأكيدات و التوثيقات، سواء أ كان بين الله تعالى و بين خلقه، أم بين خلقه بعضهم مع بعض و مادة «و ث ق» تدل على كمال الثبوت.

(١) البقرة: ١٧٧.

(٢) النجم: ٣٧.

(٣) يس: ٦٠.

(٤) التوبة: ٧٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٤٩

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي الْمَعْنَى: أوفوا بعهدى الذى أبلغته إليكم بواسطة الأنبياء و الرسل من الموثيق و الطاعات و العبادات، و هى كثيرة يأتى فى الآيات التالية تعداد أصولها، و منها ما عهد إليهم الإيمان بشريعته خاتم المرسلين كما يستفاد من قوله تعالى: وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ «١».

و الوفاء بالعهد سواء أ كان من الناس أم من الله تعالى يرجع الى مصلحة الناس أنفسهم، و إنما سمي سبحانه ذلك عهدا و أوجب و فاءه على نفسه تحننا منه و ترغيبا لعباده الى الطاعة حيث يكون لهم حق مطالبه الجزاء مع الشرط، فيصير المقام نظير آية الاشارة: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ «٢»، مع أن السلعة و المشتري و قدرته و إرادته من الله تعالى.

أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ فَعَل مَضَارِعَ مَجْزُومٍ لِأَنَّهُ جَوَابُ الطَّلَبِ مِنْ بَابِ الإِفْعَالِ وَ قَرَأَ الزَّهْرِيُّ «٣»: «أَوْفٍ» بالتشديد من باب التفعيل، يمكن أن يكونا بمعنى، و لا- فرق بينهما، و يمكن أن يراد به الكثير، و هو إشارة الى عظيم كرمه و إحسانه و مزيد امتنانه، حيث أخبر و هو الصادق أنه يعطى الكثير فى مقابل القليل، و هو صرح بذلك فى قوله تعالى: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا «٤».

عن تفسير الإمام عليه السلام: قال الله عز و جل: «يا بنى إسرائيل ولد يعقوب إسرائيل الله

(١) البقرة: ٤١.

(٢) التوبة: ١١١.

(٣) الزهري: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب المدني أحد العلماء الكبار، ولد سنة (٥٠) ه و مات سنة (١٢٤) ه، غاية النهاية: ج ٢ ص ٢٤٢.

(٤) الانعام: ١٦٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٠

«اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم» لما بعث محمدا و أقرته فى مدينتكم، و لم أجشمكم الحط و الترحال اليه، و أوضحت علاماته و دلائل صدقه لئلا يشبهه عليكم حاله. وَأَوْفُوا بِعَهْدِي الَّذِي أَخَذْتَهُ عَلَى أَسْلَافِكُمْ وَ أَنْبِيَائِكُمْ، و أمروا أن يؤدوا الى أخلافهم ليؤمنن

بمحمد العربي القرشي الهاشمي المبان بالآيات، و المؤيد بالمعجزات التي منها أن كلمته ذراع مسمومة و ناطقه ذئب، و حنّ إليه عود المنبر، و كثر الله له القليل من الطعام، و لأن له الصلب من الأحجار، و صلبت لديه المياه السائلة، و لم يؤيد نبيا من أنبيائه بدلالة إله و جعل له مثلها أو أفضل منها، و الذي جعل من أكبر آياته على بن أبي طالب عليه السّلام شقيقه و رفيقه، عقله من عقله، و علمه من علمه، و حلمه من حلمه، مؤيد دينه بسيفه الباتر، بعد أن قطع معاذير المعاندين بدليله القاهر، و علمه الفاصل، و فضله الكامل أوف بعهدكم الذي أوجبت به لكم نعيم الأبد في دار الكرامة و مستقر الرحمة، و إِيَّايَ فَارْهَبُونِ فِي مَخَالَفَةِ مُحَمَّدٍ، فَإِنِّي الْقَادِرُ عَلَى صَرْفِ بِلَاءِ مَنْ يَعَادِيكُمْ عَلَى مِرَافِقَتِي، و هم لا- يقدرّون على صرف انتقامي عنكم إذا آثرتم مخالفتي. «١» و في تفسير علي بن ابراهيم: حدّثني أبي، عن محمد بن أبي عمير «٢»، عن جميل «٣»، عن أبي عبد الله عليه السّلام قال له رجل: جعلت فداك! إن الله يقول: ادْعُونِي

(١) تفسير الامام: ص ٧٦، و عنه البحار: ج ٩ ص ١٧٨ ح ٦ و ج ٢٦ ص ٢٨٧، و تفسير البرهان: ج ١ ص ٩٠ ح ١.

(٢) هو محمد بن زياد بن عيسى المعروف بابن أبي عمير أوثق الناس عند الخاصة و العامة و من أصحاب الإجماع توفي سنة (٢١٧) هـ.

(٣) هو جميل بن دراج بن أبي الصيخ هو أيضا من أصحاب الإجماع توفي أيام الرضا عليه السلام.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥١

أَسْتَجِبْ لَكُمْ «١» و إِنَّا نَدْعُوا فَلَا يَسْتَجَابُ لَنَا؟ قَالَ: لَأَنْكُمْ لَا تُوْفُونَ لِلَّهِ بِعَهْدِهِ، و أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ و اللَّهُ لَوْ وَفَيْتُمْ لِلَّهِ لَوْفَى اللَّهُ لَكُمْ. «٢» و في «أصول الكافي» عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله الله عزّ و جلّ أَوْفُوا بِعَهْدِي قَالَ: بولايه أمير المؤمنين عليه السلام أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ أَوْفٍ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ. «٣» و فيه: عن أحمد بن محمد، عن محمد الحسين، عن عبد الله بن محمد، عن الخشاب، قال: حدّثنا بعض أصحابنا، عن خيثمة، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السّلام: يا خيثمة نحن شجرة النبوة، و بيت الرحمة، و مفاتيح الحكمة، و معدن العلم و موضع الرسالة، و مختلف الملائكة، و موضع سرّ الله، و نحن وديعة الله في عباده، و نحن حرم الله الأكبر، و نحن ذمّة الله، و نحن عهد الله. فمن وفي بعهدنا فقد وفي بعهد الله، و من أخفرهما «٤» فقد خفر ذمّة الله و عهده. «٥» و في «تفسير الفرات» «٦» عن جعفر بن محمد الفزاري «٧»، عن محمد بن

(١) غافر: ٦٠.

(٢) تفسير القمي: ج ١ ص ٤٦.

(٣) الكافي: ج ١ ص ٤٣١ ح ٨٩.

(٤) الخفر: الوفاء بالعهد، و الإخفار: نقض العهد، و الهمزة فيه للإزالة و السلب.

(٥) الكافي: ج ١ ص ٢٢١، مرآة العقول: ج ٣ ص ١٠.

(٦) هو أبو القاسم فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي من أعلام الشيعة و من معاصري الكليني، و ربما كان من الناحية الفكرية زيديا و لعلّ السبب في عدم ذكره في الكتب الرجالية هو أنه لم يكن إماميا حتى تهتم الامامية به، و لم يكن سنيّا حتى تهتم السنة به- راجع مقدمة التفسير ص ١٠-١١- بتحقيق محمد كاظم.

(٧) هو جعفر بن محمد بن مالك الفزاري أبو عبد الله الكوفي وثقه الشيخ الطوسي و قال: يضغفه قوم، روى الفرات عنه في أكثر من مائة مورد.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٢

الحسين الصانع «١»، عن موسى بن القاسم «٢»، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: و أَوْفُوا

بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ قَالَ: أَوْفُوا بَوَلَايَةِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَرَضَ مِنَ اللَّهِ أَوْفٍ لَكُمْ الْجَنَّةَ. (٣) و في «معاني الأخبار» باسناده الى ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَاللَّهُ لَقَدْ خَرَجَ آدَمَ مِنَ الدُّنْيَا وَقَدْ عَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْلَدِهِ شِيثَ، فَمَا وَفَى لَهُ، وَلَقَدْ خَرَجَ نُوحٌ مِنَ الدُّنْيَا وَعَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْصِيَّتِهِ إِسْمَاعِيلَ، فَمَا وَفَتْ أُمَّتَهُ، وَلَقَدْ خَرَجَ إِبْرَاهِيمُ مِنَ الدُّنْيَا وَعَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْصِيَّتِهِ إِسْمَاعِيلَ، فَمَا وَفَتْ أُمَّتَهُ، فَمَا وَفَتْ أُمَّتَهُ، وَلَقَدْ خَرَجَ مُوسَى مِنَ الدُّنْيَا وَعَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْصِيَّتِهِ يُوْسُفَ بْنَ نُونٍ، فَمَا وَفَتْ أُمَّتَهُ، وَلَقَدْ رَفَعَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَدْ عَاهَدَ قَوْمَهُ عَلَى الْوَفَاءِ لَوْصِيَّتِهِ شَمْعُونَ بْنَ حَمُونَ الصَّفَا، فَمَا وَفَتْ أُمَّتَهُ، وَإِنِّي مَفَارِقُكُمْ عَنْ قَرِيبٍ، وَخَارِجٌ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِكُمْ، وَلَقَدْ عَاهَدْتُ إِلَى أُمَّتِي فِي عَهْدِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَإِنِّهَا لِرَاكِبَةٌ سَنَنْ مِنْ قَبْلِهَا مِنَ الْأُمَمِ فِي مَخَالَفَةِ وَصِيِّ وَعَصِيَانِهِ، أَلَا وَأَنِّي مُجَدِّدٌ عَلَيْكُمْ عَهْدِي فِي عَلَيٍّ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ عَلِيًّا إِمَامَكُمْ، وَخَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي عَلَيْكُمْ، وَهُوَ وَصِيِّ وَوَزِيرِي وَأَخِي وَنَاصِرِي وَزَوْجَ ابْنَتِي، وَأَبُو وَلَدِي وَصَاحِبَ شِفَاعَتِي وَحَوْضِي وَلِوَاتِي مِنْ

(١) محمد بن الحسين أبو جعفر الصائغ توفي سنة (٢٦٩) هـ.

(٢) موسى بن القاسم بن معاوية البجلي قال النجاشي: ثقة ثقة جليل حسن الطريقة له كتب، وثقه الشيخ وقال: له ثلاثون كتابا.

(٣) تفسير الفرات: ص ٥٨ ح ١٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٣

أَنْكَرَهُ فَقَدْ أَنْكَرَنِي، وَمَنْ أَنْكَرَنِي فَقَدْ أَنْكَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ أَقْرَبَ بِإِمَامَتِهِ فَقَدْ أَقْرَبَ بِنَبَوَّتِي، وَمَنْ أَقْرَبَ بِنَبَوَّتِي فَقَدْ أَقْرَبَ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَصَى عَلِيًّا فَقَدْ عَصَانِي، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ عَلِيًّا فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ رَدَّ عَلِيًّا عَلَى فَيُوقِلْ أَوْ فَعَلَ فَقَدْ رَدَّ عَلِيًّا وَمَنْ رَدَّ عَلِيًّا فَقَدْ رَدَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ اخْتَارَ مِنْكُمْ عَلِيًّا إِمَامًا فَقَدْ اخْتَارَ عَلِيًّا نَبِيًّا، وَمَنْ اخْتَارَ عَلِيًّا نَبِيًّا فَقَدْ اخْتَارَ عَلِيًّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ رَبًّا.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ عَلِيًّا سَيِّدَ الْوَصِيِّينَ وَقَائِدَ الْغُرِّ الْمَحْجَلِينَ، وَمَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلِيَّهُ وَلِيَّتِي، وَوَلِيَّ اللَّهِ، وَعَدُوَّهُ وَعَدُوِّي وَعَدُوِّي وَعَدُوَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ فِي عَلِيٍّ يَوْمَ الْيَوْمِ بِالْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (١) وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ إِيَّايَ ضَمِيرٌ مَنْفَعِلٌ مَنْصُوبٌ بِفَعْلٍ مَقْدَّرٌ بَعْدَهُ يَفْسِرُهُ الْفَعْلُ الْمَذْكُورُ أَيَّ إِيَّايَ ارْهَبُوا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِقَوْلِهِ: «فَارْهَبُونَ» لِأَنَّهُ مَشْغُولٌ كَمَا لَا يَجُوزُ فِي قَوْلِكَ: «زَيْدًا فَأَكْرَمَهُ» أَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِقَوْلِكَ «فَأَكْرَمَهُ» وَعَدَمُ ظُهُورِ الْفَعْلِ النَّاصِبِ لِاسْتِغْنَائِهِ عَنْهُ بِمَا يَفْسِرُهُ.

فَارْهَبُونِ الرَّهْبَةَ، وَالْخَشْيَةَ، وَالْمَخَافَةَ نِظَائِرًا.

وَقَالَ الرَّاعِبُ فِي «الْمَفْرَدَاتِ»: الرَّهْبَةُ وَالرَّهْبُ مَخَافَةٌ مَعَ تَحَرُّزٍ وَاضْطِرَابٍ، «وَأَيُّ فَارْهَبُونَ» أَيُّ فَخَافُونَ. (٢)

(١) معاني الأخبار: ص ٣٧٢-٣٨٣ ح ١، وعنه تفسير البرهان: ج ١ ص ٩٠ ح ٥.

(٢) المفردات كتاب الرءاء: ص ٢٠٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٤

وقال الشيخ في «التبيان»: الفرق بين الخوف والرهبه أن الخوف هو شك في أن الضرر يقع أم لا. والرهبه معها العلم بأن الضرر واقع

عند شرط، فإن لم يحصل ذلك الشرط لم يقع. «١» وقال الرازي في «مفاتيح الغيب»: اعلم أن الرهبة هي الخوف، قال المتكلمون: الخوف منه تعالى هو الخوف من عقابه، وقد يقال في المكلف: إنه خائف على وجهين: أحدهما مع العلم، والآخر مع الظن، أما مع العلم فإذا كان على يقين من أنه أتى بكل ما أمر به، واحترز عن كل ما نهى عنه، فإن خوفه إنما يكون عن المستقبل، وعلى هذا نصف الملائكة والأنبياء عليهم السلام بالخوف والرهبة، قال تعالى: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ «٢» و أما الظن فإذا لم يقطع بأنه فعل المأمورات واحترز عن المنهيات فحينئذ يخاف أن لا يكون من أهل الثواب. واعلم أن كل من كان خوفه في الدنيا أشد كان أمنه يوم القيامة أكثر، وبالعكس. روى: أنه ينادى مناد يوم القيامة: وعزتي وجلالي إني لا أجمع على عبدى خوفين ولا أمنين، ومن أمننى فى الدنيا خوفته يوم القيامة، ومن خافنى فى الدنيا أمنتته يوم القيامة. «٣»

(١) التبيان: ج ١ ص ١٨٤.

(٢) النحل: ٥٠.

(٣) مفاتيح الغيب: ج ٣ ص ٣٩-٤٠، الخصال: ج ١ ص ٣٩، وفيه: عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدى خوفين ولا أجعل له أمنين، فإذا أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة، وإذا خافنى فى الدنيا أمنتته يوم القيامة.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٥

اعلم أن الفاء فى فَارَهَبُونَ و أمثاله المكررة فى القرآن كثيرا فيها قولان:

أحدهما: أنها فاء الجواب المقدر، تقديره: تتبها، كقولك، «الكتاب فخذ» أى تتبه فخذ الكتاب، ثم قدم المفعول اصطلاحا للفظ لئلا تقع الفاء صدرا، والقول الثانى: أنها زائدة.

و النون فى «فارهبون» ليس نون الجمع لأنها مكسورة و نون الجمع محذوفة جزما، بل هى نون الوحدة و الوقاية تدل بكسرها على ياء محذوفة.

و قرأ ابن أبى إسحاق: «فارهبونى» بالياء على الأصل. «١» قال الطبرسى فى «المجمع»: حذف الياء لأنه رأس آية و رؤوس الآى لا تثبت فيها الياء لأنها فواصل ينوى فيها الوقف، كما يفعل ذلك فى القوافى، و أجمعوا على إسقاط الياء من قوله: «فارهبون» إلّا ابن كثير «٢»، فإنه أثبتتها فى الوصل دون الوقف، و الوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء، و فى كسر النون دلالة على ذهاب الياء. «٣» و يستفاد من جملة و إِيَّايَ فَارَهَبُونَ حصر الرهبة فى الله تعالى، كما فى إِيَّاكَ نَعْبُدُ، بل قال الزمخشري: «و هو أوكد فى افادة الاختصاص من إِيَّاكَ نَعْبُدُ. «٤»

(١) البحر المحيط لأبى حيان: ج ١ ص ١٧٦.

(٢) هو عبد الله بن كثير بن عمرو أبو معبد المكي القارئ المقرئ فى مكة المكرمة ولد بها سنة (٤٥) هـ و مات سنة (١٢٠) هـ، غاية النهاية: ج ١ ص ٤٤٣-٤٤٤.

(٣) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٢.

(٤) الكشف للزمخشري: ج ١ ص ١٣١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٦

قال المجلسى قدس سره فى البحار: و إِيَّايَ فَارَهَبُونَ قيل: الرهبة خوف معه تحرز، و يدل على أن المؤمن ينبغى ألا يخاف أحدا إلّا الله

وَإِيَّايَ فَاتَّقُونَ «١»، أى بالإيمان واتباع الحق و الإعراض عن الدنيا، وقيل: الرهبة مقدّمة التقوى. «٢» و فى «الخصال»: أنواع الخوف خمسة: خوف، و خشية، و وجل، و رهبة، و هيبة، فالخوف للعاصين، و الخشية للعالمين، و الوجل للمخبتين، و الرهبة للعابدين، و الهيبة للعارفين.

أما الخوف فلاجل الذنوب، قال الله عزّ و جلّ: وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ «٣»، و الخشية لأجل رؤية التقصير، قال الله عزّ و جلّ إنّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ «٤».

و أما الوجل فلاجل ترك الخدمة قال الله عزّ و جلّ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ* «٥». و الرهبة لرؤية التقصير قال الله تعالى: وَ حَذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ* «٦» يشير الى هذا المعنى. «٧»

(١) البقرة: ٤١.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٣٣١-٣٣٢.

(٣) الرحمن: ٤٦.

(٤) فاطر: ٢٨.

(٥) حج: ٣٥.

(٦) آل عمران: ٢٩ و ٣٠.

(٧) الخصال: ٢٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٧

وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ أى لا بدّ أن يكون الخوف من الله تعالى الذى هو على كل شىء قدير، و المطّلع على الضمائر و الظواهر، فإنّ الرهبة إن كانت لأجل عظمته الموهب منه و جلاله فلا نهاية لهما فيه عزّ و جلّ، و إن كانت لأجل علمه بموجبات السخط و العقاب فلا يعزب عن علمه شىء فى السماوات و الأرض، و إن كانت لأجل قهاريته التامة فهى من أخصّ صفاته، و عهوده هبات منه عزّ و جلّ فيكون نقضها عظيما.

تفسير الآية (٤١)

إشارة

وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَ إِيَّايَ فَاتَّقُونَ وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ عطف على ما تقدّم، و تفصيل بعد إجمال، فإنّ قوله تعالى: أَوْفُوا بِعَهْدِي «١» يشمل الإيمان بالنبيّ صلى الله عليه و آله، إلّا أنّه تعالى ذكره بالخصوص تنبيها لهم، و تعظيما لأمره، و هذه الآية المباركة تدلّ بالدلالة الالتزامية العادية على اخبار موسى عليه السلام بشريعة خاتم الأنبياء صلى الله عليه و آله لأنّ كلّ شريعة سابقة لا بدّ أن تخبر بالشريعة اللاحقة، كما أخبر تعالى عن الشرائع السابقة فى القرآن. و قوله تعالى: مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ يدلّ على تصديق هذه الشريعة لما تقدم من الشرائع.

(١) سورة البقرة: ٤٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٨

وَ آمَنُوا الْمُخَاطَبُونَ بِهِ هُم بَنُو إِسْرَائِيلَ بِدَلِيلَيْنِ: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ «١» و الثانى: قوله

تعالى: مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ.

وقيل: نزلت في كعب بن الأشرف «٢» وأصحابه علماء اليهود ورؤسائهم فهو أمر لهم، وأفرد سبحانه الإيمان بعد اندراجه في أَوْفُوا بِعَهْدِي بمجموع الأمر به والحث عليه المستفاد من قوله تعالى: مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ للإشارة إلى أنه المقصود للوفاء بالعهود. والظاهر أن المخاطبين بهذه الآيات جميع بنى إسرائيل كما تقدم و يندرج فيه كعب و من معه. بما أَنْزَلْتُ، (ما) موصولة و أَنْزَلْتُ صلته و العائد محذوف، أى أنزلته. وقيل: (ما) مصدرية، قال أبو حيان الاندلسي: و ابعده من جعل ما مصدرية

(١) سورة البقرة: ٤٠.

(٢) كعب بن الأشرف الطائي من بنى نبهان: شاعر جاهلي كانت أمه من بنى النضير فدان باليهودية. يقيم في حصن له قريب من المدينة يبيع فيه التمر و الطعام، أدرك الإسلام و لم يسلم. و أكثر من هجو النبي و أصحابه و تحريض القبائل عليهم. و التشييب بنسائهم، و خرج الى مكة بعد وقعة بدر فندب قتلى قريش فيها و حض على الأخذ بثارهم، و عاد الى المدينة، و أمر النبي بقتله فانطلق اليه خمسه من الأنصار و قتلوه سنة (٣) هـ، الأعلام: ج ٦ ص ٧٩-٨٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٥٩

و أن التقدير- و آمنوا بانزالي لما معكم من التوراة- فتكون اللام في لما من تمام المصدر لا من تمام مُصَدِّقًا، و على القول الأول يكون لما مَعَكُمْ من تمام مُصَدِّقًا، و اللام على كلا التقديرين في لما مقوية للتعدية كاللام في قوله تعالى: فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ* «١». و المراد بما أنزل الله تعالى هو القرآن، و الذي معهم هو التوراة و الإنجيل. و قال قتادة «٢»: المراد بما أنزلت من كتاب و رسول يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة و الإنجيل «٣». و إذا تدبرنا الكتاب الكريم و تعقلنا معنى النزول و الإنزال من الله تعالى علمنا أن النزول و الإنزال لم يكونا من السماء المحسوسة بالبصر، فإن الله سبحانه و تعالى منزّه عن المكان بل المراد النزول و الإنزال عن مقام أسمى من التصور. فكما أن القرآن نازل إلى أراضى القلوب من سماء الربوبية كذلك الرسول نازل برسالته و وحيه- و تتحمل الآية الكريمين كليهما- و صرح سبحانه بأنه تعالى أنزل كتابه و أنزل رسوله- قال تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ

(١) البروج: ١٦.

(٢) هو قتادة بن دعامة بن قنادة بن عزيز ابو الخطاب السدوسي البصري- مفسر حافظ ضرير أكمه- كان أحفظ أهل البصرة- ولد سنة (٦١) هـ و مات بواسط سنة (١١٨) هـ، الأعلام: ج ٦ ص ٢٧.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي محمد بن يوسف المتوفى (٧٥٤): ج ١ ص ١٧٦-١٧٧.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٠

وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا «١».

وقال تعالى: قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا- رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِينَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ «٢».

و كما أن القرآن يصدق كتبهم المنزلة من الله تعالى و أنبيائهم كذلك الرسول صلى الله عليه و آله يصدق كتبهم و أنبيائهم. قال صدر المتألهين «٣» في تفسير في ذيل الآية الكريمة: أمرهم بالإيمان بعد ما أمرهم بايفاء عهد الله تنبيها على أنه العمدة في ذلك،

بل لأحد أن يقول: إن الإيمان بما أنزل الله هو عين الإيفاء بعهد الله، على التأويل الذى سبق ذكره «٤» فى معنى العهد، و هو النور الذى يتنور به القلوب- و يسلك به سبيل الآخرة، و ينكشف به حقائق الأمور، و يطّلع به الإنسان على الحضرة الإلهية و أفعاله و آثاره و لطفه، و حكمته فى الدنيا و الآخرة، قال تعالى: قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ «٥» فالنور هو جنس معانى القرآن و الكتاب آيات ألفاظه و هو آى القرآن منزل

(١) الكهف: ١.

(٢) الطلاق: ١٠- ١١.

(٣) هو محمد بن ابراهيم صدر الدين الشيرازى الحكيم المتأله كان عالم أهل زمانه فى الحكمة صاحب الأسفار الاربعة- توفى بالبصرة و هو متوجه الى الحج سنة (١٠٥٠) ه يروى عن المحقق الداماد و الشيخ البهائى- قال صاحب تفسير الصراط المستقيم فى منظومته الرجالية:

ثم ابن ابراهيم صدر الأجل فى سفر الحج (مريض) ارتحل
قدوة أهل العلم و الصفاء يروى عن الداماد و البهائى

(٤) تفسير الصدر: ج ٣ ص ١٩١.

(٥) المائة: ١٥.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦١

من الله تعالى الى قلب النبى صلى الله عليه و آله أمرهم بالتصديق بهذا القرآن المنزل، و أخبرهم أن فى تصديقهم بالقرآن تصديقا منهم للتوراة و الإنجيل لأن الذى فى القرآن مصداق لهما و مؤكد للإيمان بهما. من حيث إنه مطابق لهما فى القصص، و المواعيد، و الدعاء الى التوحيد و الأمر بالعبادة، و العدل بين الناس، و النهى عن المعاصى و الفواحش.

و ما يخالفها من الأحكام الجزئية إنما هو بسبب تفاوت الأعصار فى المصالح من حيث إن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانه، مراعى فيها صلاح الأنام، و من خوطب بالكلام من الله، حتى لو نزل المتقدم من الأحكام فى الأيام المتأخر منهما لكان على وفقه بأبلغ وجه، و لذا قال صلى الله عليه و آله: «لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى». «١» و قيل: معنى مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ أَنَّهُ تصديق بالتوراة و الإنجيل لأنّ فيهما الدلالة على أنه حق، و أنه من عند الله، و فيهما البشارة ببعثه محمداً صلى الله عليه و آله، و بيان نعوته و صفاته، فكان الإيمان بمحمد صلى الله عليه و آله و بالقرآن تصديقا للتوراة و الإنجيل، و تكذيبه تكذيبا لهما.

و التفسير الثانى أولى لأن يكون حجة عليهم إذ على التفسير الأول لقائل أن يقول: التوافق فى بعض المعانى لا يوجب أن يكون القرآن من عند الله فلا يلزم عليهم وجوب الايمان به.

و أما على الثانى فيلزم عليهم الإيمان بحقيقة القرآن و تصديق الرسول صلى الله عليه و آله إذا

(١) البحار: ج ١٦ ص ٣٦٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٢

اشتمل الكتابان على كون محمد صلى الله عليه و آله صادقا، فالإيمان بهما يوجب الايمان بما يقوله صلى الله عليه و آله. و بالجملة فالدال على اثبات نبوته هاهنا وجهان: أحدهما: شهادة كتب الأنبياء عليها و هى لا تكون إلا حقا، و الثانى: إخباره عما فى كتبهم و لم يكن له معرفة بما فيها إلا من قبل الوحي. «١» مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ الظاهر أن مُصَدِّقًا حال من الضمير المحذوف العائد على الموصول، و هى حال مؤكدة، و العامل فيها «أنزلت» و اللام فى «لما» مقوية، و «ما» اسم موصول فى محلّ جرّ باللام، و الجارّ و

المجروح متعلقان بمصدقًا، و «معكم» ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له من الاعراب لأنه صلة الموصول. سؤال، و جواب، هل القرآن يصدق كل ما مع اليهود، أى يصدق العهد العتيق بأجمعه أى التوراة التى بأيديهم الآن، أم لا يصدق كله بل بعضه و ماذا هو البعض؟

هناك آيات تصرّح بأن اليهود و النصارى حرّفوا أقساما من آيات الوحى، قال تعالى: أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٢).

و قال تعالى: فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ... فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٣).

(١) تفسير صدر المتألهين: ج ٣ ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) البقرة: ٧٥.

(٣) البقرة: ٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٣

فلا يعقل أن يصدق القرآن الأكاذيب التى أدخلوها فى التوراة إذا فليس المراد تصديق كل ما معهم، بل المصدق بعض ما معهم، و ما هو إلّا البشارات الموجودة فى التوراة، كما قال تعالى: وَ لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (١).

و قال تعالى فى سورة النساء: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ (٢).

و قد يشير إلى ما معهم: الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَ إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٣).

ولا تكونوا أول كافر به لا- تسارعوا الى الكفر به من بين أهل الكتاب أو من بنى إسرائيل، فإنّ وظيفتكم أن تكونوا أول المؤمنين به لأنكم تعرفون حقيقته، و قد كنتم من قبل تقولون: إنّنا نكون أول تابع له.

و لا يكون المراد بالأول مطلقا، فإنّ كفار مكه كانوا قد سبقوهم الى الكفر به.

و نقل عن أبى العالیه «٤» أنه قال: معناه «لا تكونوا السابقين الى الكفر به، أى

(١) سورة البقرة: ٨٩.

(٢) سورة النساء: ٤٧.

(٣) سورة البقرة: ١٤٦.

(٤) هو رفيع بن مهران ابو العالیه الرياحى البصرى أدرك الجاهلية و أسلم بعد ارتحال النبى صلّى الله عليه و آله بسنتين، و روى عن جماعة من الصحابة، و روى عنه جماعة، كان عالما بالقرآن، و قال ابو بكر بن أبى داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبى العالیه، و بعده سعيد بن جبیر، مات يوم الثالث من شوال سنة (٩٠) ه تهذيب الكمال: ج ٦ ص ٢٢٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٤

لا- تكونوا أئمة فى الكفر به» (١) و لا- يبعد هذا الوجه فإنّ الناس فى المذاهب و الملل يتبعون أهل الكتاب و أهل العلم فى أكثر الأزمنة، و معلوم أنّ الخطاب فى الآية مع ائمة أهل الضلال و علمائهم الذين شأنهم كتمان الحق الذى فى الكتب، و تليسه بالباطل، و تحريف الكلم عن مواضعه كما هو عادة علماء السوء.

و عظم أول الكفر لأنهم إذا كانوا أئمة لهم و قدوتهم فى الضلالة كانت ضلالتهم أعظم و كفرهم أشدّ، إذ كما أنّ السابقين من

الإيمان أعظم قدرا في الثواب و أشدّ قربا من الله تعالى لقوله: وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ «٢» كذلك السابقون الى الكفر كانوا أعظم ذنبا ممن بعدهم و أشدّ ضلّالا و أكثر بعدا عن الحقّ.
و لما روى عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ أَنَّهُ قَالَ: «من سنّ سنّة حسنة فله أجرها و أجر من عمل بها الى يوم القيامة، و من سنّ سنّة سيئة كان عليه وزرها و وزر من عمل بها الى يوم القيامة» «٣».
و عن ابن جريح «٤»: أَنَّ المعنى: لا تكونوا أوّل جاحد جحد صفة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فِي

(١) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٤.

(٢) الواقعة: ١٠.

(٣) كنز العمال: ج ١٥ ص ١٨٠، بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٥٧.

(٤) هو أبو الوليد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الرومي المكي قيل: إِنَّهُ كَانَ أوّل من صفّ- الكتب بالحجاز. توفي سنة (١٥٠) هـ، العبر: ج ١ ص ٢١٣.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٥

كتابكم- فعلى هذا تعود الهاء في «به» الى النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

قال الطبرسي في «المجمع»: و ليس في نهيه عن أن يكونوا أوّل كافر به دلالة على أنه يجوز أن يكونوا آخر كافر، لأنّ المقصود النهي عن الكفر على كلّ حال، و خصّ أوّلا بالذكر لما ذكرناه من عظم موقعه كما قال الشاعر «١»:

من أناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش و لا سوء الجزع و ليس يريد أنّ فيهم فحشا آجلا «٢».

وَ لَا تُكُونُوا أوّل كافرٍ بِهِ قَالَ الرازي: فيه سؤالان: أحدهما: كيف جعلوا أوّل من كفر به و قد سبقهم الى الكفر به مشركوا العرب؟
و الجواب من وجوه:

أحدها: أنّ هذا تعريض بأنّه كان يجب أن يكونوا أوّل من يؤمن به لمعرفة به و بصفته، و لأنّهم كانوا هم المبشرون بزمان محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ المستفتحون على الذين كفروا به فلمّا بعث كان أمرهم على العكس لقوله تعالى: فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ «٣».

ثانيها: يجوز أن يراد و لا تكونوا مثل أوّل كافر به يعنى من أشرك من أهل مكّة، أى و لا تكونوا و أنتم تعرفونه مذكورا في التوراة و الإنجيل مثل من لم يعرفه

(١) هو سويد بن ابى كاهل شبيب بن حارثة بن حسل بن مالك أبو سعد شاعر متقدم من مخضرمى الجاهلية و الإسلام و كان من المعتمّرين مات بعد سنة (٦٠) هـ، خزائن البغدادى: ج ٢ ص ٥٤٧.

(٢) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٥.

(٣) سورة البقرة: ٨٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٦

و هو مشرك لا كتاب له.

ثالثها: و لا- تكونوا أوّل كافر به من أهل الكتاب، لأنّ هؤلاء كانوا أوّل من كفر بالقرآن من بنى إسرائيل و ان كانت قريش كفروا به قبل ذلك.

و رابعها: و لا تكونوا أوّل من كفر بكتابكم، يقول ذلك لعلمائهم، أى و لا تكونوا أوّل من كذب كتابكم من أمّتكم، لأنّ تكذيبكم

بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يوجب تكذيبكم بكتابكم.

خامسها: أن المراد منه بيان تغليظ كفرهم، وذلك لأنهم لما شاهدوا المعجزات الدالة على صدقه عرفوا البشارات الواردة في التوراة و الإنجيل بمقدمه فكان كفرهم أشد من كفر من لم يعرف إلا نوعا واحدا من الدليل.

سادسها: ولا تكونوا أول من جحد مع المعرفة، لأن كفر قريش كان مع الجهل لا مع المعرفة.

سابعها: ولا تكونوا أول كافر به عند سماعكم بذكره بل تثبتوا وراجعوا عقولكم فيه.

السؤال الثاني: أنه كان يجوز لهم الكفر إذا لم يكونوا أولا، والجواب من وجوه:

أحدها: أنه ليس في ذكر تلك الجملة دلالة على أن ما عداها بخلافها.

ثانيها: أن في قوله تعالى: وَآمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ دلالة على أن كفرهم أولا و آخره محذور.

و ثالثها: أن قوله تعالى: وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغْيٍ حَقٌّ * «١» لا يدل على وقوع قتل

(١) آل عمران: ١٨١.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٧

الأنبياء بحق، وقوله تعالى عقيب هذه الآية: وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا لَا يَدُلُّ عَلَى إِبَاحَةِ ذَلِكَ بِالْثَمَنِ الْكَثِيرِ، فكذا هاهنا، بل المقصود من هذه السياقة استعظام وقوع الجحد و الإنكار ممن قرأ في الكتب نعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَفَتِهِ.

رابعها: قال المبرّد «١»: هذا الكلام خطاب لقوم خوطبوا به قبل غيرهم، فقبل لهم: لا تكفروا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدَكُمْ الْكُفَّارُ فَلَا تَكُونُوا أَنْتُمْ أَوَّلَ الْكُفَّارِ، لأن هذه الأوليّة موجبة لمزيد الإثم، و ذلك لأنهم إذا سبقوا الى الكفر أولا، فإن اقتدى بهم

غيرهم في ذلك الكفر كان لهم وزر ذلك الكفر و وزر كل من كفر إلى يوم القيامة، و إن لم يقتد بهم غيرهم اجتمع عليهم أمران: أحدهما: سبق إلى الكفر، و الثاني: التفرد به و لا شك أنه منقصة عظيمة. «٢» و قال أبو حيان في «البحر المحيط»: النهي في قوله

تعالى: وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ لَا يَدُلُّ عَلَى إِبَاحَةِ الْكُفْرِ لَهُمْ ثَانِيًا أَوْ آخِرًا لِأَنَّ الصِّفَةَ لَا مَفْهُومَ لَهَا هُنَا.

و لما أشكلت الأوليّة هنا زعم بعضهم أن (أول) صلة يعنى زائدة، و التقدير:

و لا تكونوا كافرين به، و هذا ضعيف جدا.

و زعم بعضهم أن ثم محذوفا معطوفا تقديره: و لا تكونوا أول كافر به و لا آخر كافر، و جعل ذلك ممّا حذف المعطوف للدلالة المعنى عليه.

(١) هو أبو العباس المبرّد محمد بن يزيد الأزدي البصري إمام أهل النحو في زمانه، و صاحب التصانيف، أخذ عن أبي عثمان المازني، و أبي حاتم السجستاني و تصدّر ببغداد، من مصنفاته «الكامل» و «المقتضب» و «طبقات النحاة البصريين»، و «معاني القرآن»، توفي ببغداد سنة (٢٨٥) هـ، العبر ج ٢ ص ٨٠، هدية الأحباب: ص ٢٢٩.

(٢) التفسير الكبير للرازي: ج ٣ ص ٤١-٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٨

و تأوله بعضهم على حذف مضاف، أي و لا تكونوا مثل أول كافر به، أي و لا تكونوا و أنتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا، مثل من لم يعرفه و هو مشرك لا كتاب له.

و بعضهم على صفة محذوفة، أي أول كافر به من أهل الكتاب «١»

قوله تعالى: «أَوَّلَ كَافِرٍ قَالَ الْقَيْسِيُّ (٢) فِي «مَشْكَالِ أَعْرَابِ الْقُرْآنِ»: «أَوَّلُ» اسْمٌ لَمْ يَنْطِقْ مِنْهُ بِفِعْلِ عِنْدَ سَيَّبِيهِ «(٣)»، وَوَزْنُهُ (أَفْعَلٌ) فَأَوْهُ وَاوٌ، وَعَيْنُهُ وَاوٌ وَلِذَلِكَ لَمْ يَسْتَعْمَلْ مِنْهُ فِعْلٌ لِاجْتِمَاعِ الْوَاوَاتِ.
وَقَالَ الْكُوفِيُّونَ: هُوَ أَفْعَلٌ مِنْ (وَأَلٍ) إِذَا لَجَأَ، فَأَصْلُهُ (أَوَّلٌ) ثُمَّ خَفَّفَتِ الْهَمْزَةُ الثَّانِيَةُ بِأَنْ أُبْدِلَ مِنْهَا وَاوًا وَادْغَمَتِ الْوَاوُ فِيهَا كَمَا قَالُوا فِي تَخْفِيفِ «مَقْرُوءَةٍ»:
«مَقْرُوءَةٌ».

وَكَانَ الْأَحْسَنُ - لَوْ خَفَّفَ عَلَى الْقِيَاسِ - أَنْ يُقَالَ: (أَوَّلٌ) يَلْقَى حَرَكَةَ الْهَمْزَةِ

(١) البحر المحيط: ج ١ ص ١٧٧.

(٢) القيسى هو أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيروانى، ولد سنة (٣٥٥) و سكن قرطبة، ثم هاجر الى مكة المكرمة و مصر و حضر عند أساتذة الأدب و القرآن و الحديث و صنّف مصنفات قيمة إلى أن توفي سنة (٤٣٧) هـ، بغية الوعاة: ص ٣٩٦-٣٩٧.

(٣) هو أبو الحسن عمرو بن عثمان بن قنبر الفارسي البضاوى العراقى البصرى النحوى، كان من تلامذة الخليل، صنّف فى النحو «الكتاب» و مات على الصحيح سنة (١٨٠) هـ العبر: ج ١ ص ٢٧٨- هدية الأحباب: ص ١٥٣.
تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٦٩
على الواو.

و قيل: إنَّ «أَوَّلَ» أَفْعَلٌ مِنْ «أَلٍ يَأُولُ» فَأَصْلُهُ «أَعُولُ» ثُمَّ قَلْبٌ، فَردَّتِ الْفَاءُ فِي مَوْضِعِ الْعَيْنِ، فَصَارَ «أَوَّلٌ» فَصَنَعَ بِهِ مِنَ التَّخْفِيفِ وَ الْبَدَلِ وَ الْإِدْغَامِ مَا صَنَعَ فِي الْقَوْلِ الْأَوَّلِ، فَوَزَنَهُ بَعْدَ الْقَلْبِ «أَفْعَلٌ» «١» قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ يَتَخِيلُ هُنَا مَشْكَالُهُ وَ هِيَ أَنَّهُ لَمَّا ذَا قَالَ تَعَالَى: كَافِرٍ لَمْ يَقُلْ: «الْكَافِرِينَ»؟
وَ أُجِيبَتْ بِأَنَّ «كَافِرًا» وَصْفٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ وَ هُوَ مَفْرَدٌ لَفْظًا وَ جَمْعٌ مَعْنَى، وَ تَقْدِيرُهُ: «أَوَّلُ فَرِيقٍ كَافِرٍ» وَ هَذَا مِنْ تَأْوِيلِ الْمَفْضَلِ عَلَيْهِ.

وَ يُمْكِنُ تَأْوِيلُ الْمَفْضَلِ، أَى لَا يَكُنْ كُلٌّ وَاحِدًا مِنْكُمْ كَافِرًا وَ الْمُرَادُ عَمُومُ السَّلْبِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا تُطِغْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ» «٢». وَ بَعْضُ النَّاسِ لَا يَجُوبُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمِطَابَقَةِ بَيْنَ النِّكَرَةِ الَّتِي أُضِيفَ إِلَيْهَا أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ وَ بَيْنَ مَا جَرَى هُوَ عَلَيْهِ، بَلْ يَقُولُ: يَجُوزُ الْوَجْهَانِ، وَ اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:
وَ إِذَا هُمْ طَعَمُوا فَأَلَامَ طَاعِمٍ وَ إِذَا هُمْ جَاعُوا فَشَرَّ جِيَاعٍ وَ حَكَى سَيَّبِيهِ: هُوَ أَظْرَفُ الْفَتِيانِ وَ أَجْمَلُهُ.

(١) مشكل اعراب القرآن: ج ١ ص ٤٢.

(٢) سورة القلم: ١٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٠

وَ زَعَمَ الْأَخْفَشُ «١» وَ الْفَرَّاءُ «٢»: أَنَّهُ مَحْمُولٌ عَلَى مَعْنَى الْفِعْلِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى أَوَّلٌ مِنْ كَفَرٍ بِهِ «٣».

وَ هُنَا مَشْكَالَةٌ أُخْرَى: وَ هِيَ عَدَمُ تَطَابُقِ الْخَبَرِ وَ الْمَبْتَدَأِ فِي الْجَمْعِ وَ الْإِفْرَادِ فِي جَمْلَةٍ: «وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ» وَ أُجِيبَتْ بِأَنَّ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ إِذَا جَرَّدَ مِنْ «أَلٍ» وَ مِنَ الْإِضَافَةِ - أَوْ أُضِيفَ إِلَى نِكَرَةٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَفْرَدًا وَ مَذْكَرًا يَقُولُ ابْنُ مَالِكٍ فِي الْفَيْتَةِ:
وَ أَفْعَلُ التَّفْضِيلِ صَلَّهُ أَبْدَابُ «مَنْ» إِنْ جَرَّدَا وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ يَضِفُ أَوْ جَرَّدَا أَلْزَمَ تَذْكَيرًا وَ أَنْ يَوْحَدَا

تفسير الآية و باطنها و تأويلها

و فى تفسير العياشى عن جابر الجعفى «٤»، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن تفسير هذه الآية فى باطن القرآن: وَ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا

(١) هو الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المجاشعى بالولاء البلخى، ثم البصرى ابو الحسن، نحوى عالم باللغة و الأدب، و أخذ العربية عن سيويه و صنف كتباً منها «معانى القرآن» مات سنة (٢١٥) هـ، الأعلام: ج ٣ ص ١٥٤.

(٢) الفراء: يحيى بن زياد الديلمى ابو زكريا النحوى اللغوى كان اعلم الكوفيين فى النحو، مات سنة (٢٠٧) هـ هديّة الأحباب: ص ٢١٠. (٣) الجامع للقرطبي: ج ١ ص ٣٣٣.

(٤) هو جابر بن يزيد الجعفى أبو عبد الله رحمه الله لقي أبا جعفر و أبا عبد الله عليهما السلام، وثقه النجاشى و غيره توفى سنة (١٢٨) هـ، و قال يحيى بن معين: مات سنة (١٣٢). جامع الرواة: ج ١ ص ١٤٤.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧١

أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ يَعْنِي فَلَانَا وَ صَاحِبَهُ وَ مَنْ تَبِعَهُمْ وَ دَانَ بِدِينِهِمْ قَالَ اللَّهُ يَعْنِيهِمْ وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ يَعْنِي عَلَيْنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ «١». وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا لِاشْتِرَاءِ مَجَازٍ عَنِ الِاسْتِبْدَالِ لِاخْتِصَاصِهِ بِالْأَعْيَانِ، إِمَّا بِاسْتِعْمَالِ الْمُقْتِدِ فِي الْمَطْلُوقِ كَالْمَرْسَنِ فِي الْأَنْفِ، أَوْ تَشْبِيهِ الِاسْتِبْدَالِ الْمَذْكُورِ بِالِاشْتِرَاءِ الْحَقِيقِيِّ فِي كَوْنِهِ مَرْغُوبًا فِيهِ.

و المعنى و الله أعلم: و لا تستبدلوا بآياتى العظيمة أشياء حقيرة خسيسه، و لو أدخل الباء على الثمن دون الآيات لانعكس المعنى إذ كان يصير المعنة أنهم بذلوا ثمنًا قليلاً و أخذوا الآيات.

قال الشيخ الطوسى قدس سره فى «التبيان»: قوله تعالى: وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي تَمَنَّا قَلِيلًا فَأَدْخَلَ الْبَاءَ فِي الْآيَاتِ دُونَ الثَّمَنِ وَ فِي سُورَةِ يُوسُفَ فِي الثَّمَنِ فِي قَوْلِهِ:

وَ شَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ «٢» قال الفراء: إنما كان كذلك، لأنّ العوض كلّها أنت مخير فيها فى إدخال الباء، إن شئت قلت: اشترت الثوب بكساء، و إن شئت قلت اشترت بالثوب كساء، أيهما جعلته ثمنًا لصاحبه جاز، فإذا جئت إلى الدراهم و الدينار و وضعت الباء فى الثمن كقوله: «بثمن بخص» لأنّ الدراهم ثمن أبداً. «٣» و قال أبو حيان فى «المحيط»: نفس الآيات لا يشتري بها فاحتيج إلى حذف مضاف، فقبل: تقديره بتعليم آياتى، قاله أبو العالبيه، و قيل: بتغيير آياتى، قاله

(١) تفسير العياشى: ج ١ ص ٤٢ ح ٣١ و عنه البرهان: ج ١ ص ٩١ و إثبات الهداة: ج ٣ ص ٥٤٠.

(٢) سورة يوسف: ٢٠.

(٣) التبيان: ج ١ ص ١٨٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٢

الحسن «١»، و قيل: بكتمان آياتى، قاله السدى «٢»، و قيل: لا يحتاج إلى حذف مضاف، بل كنى بالآيات عن الأوامر و النواهى. و على الأقوال الثلاثة التى قبل هذا القول تكون الآيات ما أنزل من الكتب أو القرآن، أو ما أوضح من الحجج و البراهين، أو الآيات المنزلة عليهم فى التوراة و الإنجيل المتضمنة الأمر بالإيمان برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. و على الأقاويل فى ذلك المضاف و المقدر، و القول بعدها اختلفوا فى المعنى بقوله تعالى: تَمَنَّا قَلِيلًا.

فمن قال: هو التعليم قال: الثمن القليل هو الاجرة على التعليم، و كان ذلك ممنوعاً فى شريعتهم، أو الراتب المرصد لهم على التعليم فنهوا عنه.

و من قال: هو التغيير قال: الثمن القليل هو الرئاسة التي كانت في قومهم خافوا فواتها لو صاروا أتباعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و من جعل الآيات كناية عن الأوامر والنواهي جعل الثمن القليل هو ما يحصل لهم من شهوات الدنيا التي اشتغلوا بها عن إيقاع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه.

و وصف الثمن القليل لأن ما حصل عوضا عن آيات الله كأنها ما كان لا يكون

(١) المراد به الحسن بن ابي الحسن يسار ابو سعيد البصرى التابعى المولود بالمدينة سنة (٢١) هـ و المتوفى سنة (١١٠) هـ.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن ابو محمد المعروف بالسدى كان ممن يفسيرون القرآن بأرائهم نظير مجاهد، وقادة، والشعبي، والحسن، ومقاتل و كان كوفيا توفى سنة (١٢٨) هـ، هدية الأجاب: ص ١٤٨.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٣

إلا قليلا وإن بلغ ما بلغ، كما قال تعالى: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ «١». «٢» وقال الشيخ في «التبيان» و تقييده ب لا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا لا يدل على أنه إذا كان كثيرا يجوز مشترى به، لأن المقصود من الكلام أن أى شيء باعوا به آيات الله كان قليلا، وأنه لا يجوز أن يكون له ثمن يساويه، كقوله تعالى: وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ «٣».

إنما أراد بذلك نفى البرهان عنه على كل حال، وأنه لا يجوز أن يكون له برهان، ومثله قوله تعالى: وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ حَقٍّ «٤»، و إنما أراد أن قتلهم لا يكون إلا بغير حق، نظائر ذلك كثيرة. «٥» وقال الطبرسى في «المجمع» روى عن أبى جعفر عليه السلام فى هذه الآية قال: كان حبيى بن أخطب «٦»، وكعب بن الأشرف «٧» وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود فى كل سنة، فكرهوا بطلانها بأمر النبى صلى الله عليه وآله، فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره صلى الله عليه وآله فذلك الثمن الذى أريد فى الآية. «٨»

(١) سورة النساء: ٧٧.

(٢) البحر المحيط ج ١ ص ١٧٨-١٧٩.

(٣) المؤمنون: ١١٧.

(٤) آل عمران: ٢١.

(٥) التبيان ج ١ ص ١٨٩.

(٦) حبيى بن أخطب النضرى: جاهلى من الأشداء العتاة أسر يوم قريضة ثم قتلوه سنة (٥) هـ

(٧) كعب بن الأشرف الطائى من بنى تيهان: شاعر جاهلى كانت أمه من بنى نضير فدان باليهودية و أدرك الإسلام و لم يسلم قتل فى ظاهر حصنه سنة (٣) هـ، الأعلام: ج ٦ ص ٧٩.

(٨) مجمع البيان: ج ١ ص ٩٥ و عنه كتر الدقائق: ج ١ ص ٣٩٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٤

ولا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا روى عن ابن عباس أنه قال: إن رؤساء اليهود مثل كعب بن الأشرف و حبيى ابن أخطب و أمثالهما كانوا يأخذون من فقراء اليهود الهدايا، و علموا أنهم لو اتبعوا محمدا صلى الله عليه وآله لا نقطعت تلك الهدايا فأصروا على الكفر لئلا ينقطع عنهم ذلك القدر المحقر.

قال الرازى بعد ذكر هذا الكلام عن ابن عباس: و ذلك لأن الدنيا كلها بالنسبة الى الدين قليلة جدا، فنسبتها إليه نسبة المتناهى إلى غير

المتناهي، ثم تلك الهدايا كانت في نهاية القلّة بالنسبة الى الدنيا، فالقليل جدًا من القليل جدًا أى نسبة له الى الكثير الذى لا يتناهى؟
«١»

مسألة فقهية

استدل بعضهم بقوله تعالى: وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا عَلَى حَرْمَةِ أَخْذِ الْأَجْرَةِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، بل والعلم أيضا. قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»: قد اختلف العلماء فى أخذ الأجرة على تعليم القرآن والعلم لهذه الآية وما فى معناها، فممنع ذلك الزهرى، واصحاب الرأى وقالوا: لا يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن لأنّ تعليمه واجب من الواجبات التى يحتاج فيها الى نية التقرب والإخلاص فلا يؤخذ عليها أجره

(١) مفاتيح الغيب للرازى: ج ٣ ص ٤٢.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٥

كالصلاة والصيام، وقد قال تعالى: وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا.

وروى ابن عباس: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَعَلَمُوا صِبْيَانَكُمْ شَرَارَكُمْ أَقْلَهُمْ رَحْمَةً بِالْيَتِيمِ وَأَغْلَظَهُمْ عَلَى الْمَسْكِينِ».

وروى أبو هريرة، قال: قلت: يا رسول الله ما تقول فى المعلمين؟

قال: «درهمهم حرام، و ثوبهم سحت، و كلامهم رياء».

وروى عبادة بن الصامت «١» قال: علّمت ناسا من أهل الصفة القرآن و الكتابة، فأهدى إلى رجل منهم قوسا، فقلت: ليست بمال و

أرمى عنها فى سبيل الله، فسألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إن سرك أن تطوق بها طوقا من نار فاقبلها.

و أجاز أخذ الأجرة على تعليم القرآن مالك، و الشافعى، و أحمد «٢»، و أبو ثور «٣» و اكثر العلماء لقوله عليه السلام فى حديث ابن

عبّاس - حديث الرقيّة-: إن أحق ما أخذتم عليه أجرنا كتاب الله، أخرجه البخارى و هو نصّ يرفع الخلاف، فينبغى أن يعول عليه.

و أما ما احتجّ به المخالف من القياس على الصلاة و الصوم ففاسد، لأنّه فى

(١) عبادة بن الصامت بن قيس الانصارى الخزرجى أبو الوليد صحابى شهد العقبة، و كان أحد النقباء، و بدرًا، و سائر المشاهد مات

بالرملة، أو بيت المقدس سنة (٣٤) هـ، الأعلام: ج ٤ ص ٣٠

(٢) هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى المرونى الأصل المولود سنة (١٦٤) و المتوفى سنة (٢٤١) ببغداد.

(٣) هو ابو ثور ابراهيم بن خالد الكلبى البغدادى الفقيه أحد الأعلام، تفقّه بالشافعى، و سمع من ابن عيينة و غيره توفى سنة (٢٤٠) هـ،

العبر: ج ١ ص ٤٣١- الأعلام: ج ١ ص ٣٠.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٦

مقابلة النصّ، ثم إن بينهما فرقا، و هو أنّ الصلاة و الصوم عبادات مختصة بالفاعل، و تعليم القرآن عبادة متعدية لغير المعلم، فتجوز

الأجرة على محاولته النقل كتعليم كتاب القرآن.

قال ابن منذر «١»، و ابو حنيفة: يكره تعليم القرآن بأجرة.

ثم قال القرطبي: أما الجواب عن الآية فالمراد بها بنو إسرائيل.

و شرع من قبلنا هل هو شرع لنا فيه خلاف، و هو لا يقول به؟

جواب ثان، و هو أن تكون الآية فيمن تعين عليه التعليم فأبى حتى يأخذ عليه أجرا، فأما إذا لم يتعين فيجوز له أخذ الأجرة بدليل السنّة

فى ذلك، و قد يتعين عليه إلاً ليس عنده ما ينفقه على نفسه و لا على عياله فلا يجب عليه التعليم، و له أن يقبل على صنعة و حرفته، و يجب على الامام أن يعين لإعانة الدين إعانته، و إلاً فعلى المسلمين ...
و أما الجواب عن الأحاديث المتقدمة فليس شىء منها على ساق، و لا يصحّ منها شىء عند أهل العلم بالنقل، أما حديث ابن عباس فرواه سعيد بن طريف عن عكرمة «٢» عنه و سعيد متروك.

(١) هو محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابورى فقيه من الحفاظ، كان شيخ الحرم بمكة المكرمة له مصنفات فى الفقه و التفسير ولد سنة (٢٤٢) هـ، و توفى بمكة سنة (٣١٩) هـ، طبقات الشافعية:
ج ٢ ص ١٢٦.

(٢) هو عكرمة بن عبد الله البربرى مولى ابن عباس مات سنة (١٠٧) ترجمه غير واحد من اصحاب التراجم منهم ابن حجر العسقلانى فى تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٢٢٨ الى ص ٢٣٤ و فيه: عن مصعب الزبيرى قال: كان عكرمة يرى رأى الخوارج، و كذبه سعيد بن جبير، و قال مالك بن انس فى عكرمة: لا أرى لأحد أن يقبل حديثه، و قال أبو الأسود: كان عكرمة قليل العقل خفيفا.
تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٧

و أما حديث أبى هريرة فرواه على بن عاصم «١»، عن حماد بن سلمة «٢»، عن أبى جهم، عنه، و أبو جهم مجهول لا يعرف، و لم يرو حماد بن مسلمة عن أحد يقال له أبو جهم، و إنما رواه عن أبى المهزّم، و هو متروك الحديث أيضا فهو حديث لا أصل له.
و أما حديث عبادة بن الصامت رواه أبو داود من حديث المغيرة بن زياد الموصلى «٣»، عن عبادة بن حسي، عن الأسود بن ثعلبة، عنه، و المغيرة معروف عند أهل العلم، و لكنّه له مناكير، هذا منها، قاله أبو عمر ثم قال: و أما حديث القوس فمعروف عند أهل العلم ... الى أن قال: و ليس فى الباب حديث يجب العمل به من جهة النقل، و حديث عبادة يحتمل التأويل، لأنه جائز أن يكون علمه لله، ثم أخذ عليه أجرا.

و روى عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال: «خير الناس من يمشى على جديد الأرض المعلمون كلما خلق الدين جدّوه، أعطوهم و لا تستأجروهم فتحرجوهم فإنّ المعلم إذا قال للصبي: قل بسم الله الرحمن الرحيم، فقال الصبي: بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبي و براءة للمعلم، و براءة لأبويه من النار» «٤».

(١) على بن عاصم بن صهيب الواسطى التيمى مولا هم، قال ابن حجر: صدوق يخطى و يصرّ، و رمى بالتشيع، مات سنة (٢٠١) هـ، تقريب التهذيب: ج ١ ص ٦٩٧.

(٢) حماد بن سلمة بن دينار البصرى أبو سلمة قال ابن حجر: تغير حفظه بآخره، من كبار الثامنة، مات سنة (١٥٧) هـ، التقريب: ج ١ ص ٢٣٨.

(٣) المغيرة بن زياد البجلي، أبو هشام أو هاشم الموصلى، قال ابن حجر: له أوهام مات سنة (١٥٢) هـ، التقريب: ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ١ ص ٣٣٥-٣٣٦.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٨

فما قاله أصحاب الرأى و أبو حنيفة من حرمة الاجرة على تعليم القرآن أو كراهته خلاف الحق و لا وجه له حتى عند أهل السنة كما عرفت نعم يستفاد الكراهة من الأحاديث الواردة إذا اشترط الأجر و أميا فى أخبارنا عن أهل البيت عليهم السلام المذكورة فى الوسائل و غيره و هى بين الناهية عن كسب التعليم بالاجرة و بين ما يدل على خلافها بل يدل على نهاية المطلوية، مثل ما رواه الفضل بن أبى قرّة قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: هؤلاء يقولون إنّ كسب المعلم سحت، فقال عليه السلام:

كذب أعداء الله، إنما أرادوا أن لا يعلموا أولادهم القرآن، لو أن المعلم أعطاه رجل دية ولده لكان للمعلم مباحا «١». فمقتضى الجمع مع ذهاب أهل الآراء والمخالفين الى الحرمة أو الكراهة حمل النواهي في أخبارنا على التقية. وَإِيَّائِي فَاتَّقُونَ الكلام فيه كالكلام على قوله تعالى: فَإِيَّائِي فَارْهَبُونِ «٢» و يقرب معنى التقوى معنى الرهبة، قال صاحب «المنتخب» «٣» والفرق أن الرهبة عن الخوف، و أما الاتقاء فإنه يحتاج إليه عند المجزم بحصول ما يتقى منه، فكأنه تعالى أمرهم بالرهبة لأجل أن جواز العقاب قائم، ثم أمرهم بالتقوى لأن تعين العقاب قائم، انتهى كلامه. و معنى جواز العقاب هناك و تعينه هنا أن ترك ذكر

(١) الوسائل ج ١٢ ص ١١٣ ح ٢.

(٢) سورة البقرة: ٤٠.

(٣) المنتخب لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجزري المتوفى (٥٩٧) هـ

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٧٩

النعمة و الإيفاء بالعهد ظاهره أنه من المعاصى التى تجوز العقاب، إذ يجوز أن يقع العفو عن ذلك، و أما ترك الإيمان بما أنزل الله تعالى، و شراء الثمن اليسير بآيات الله من المعاصى التى تحتم العقاب و تعينه، و لذلك قيل هناك: «فارهبون» و فى هنا: «فاتقون». «١»

(١) البحر المحيط: ج ١ ص ١٧٩.

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٠

قد وقع الفراغ من تسويده على يد مؤلفه العبد الواثق بربه الغنى الحسين بن رضا الحسينى الفاطمى العلوى البروجردى فى الساعة الثالثة من الليلة الثالثة من العشر الثالث من الشهر الثالث من السنة الثامنة من العشر الثامن من المائة الثالثة من الألف الثانى من الهجرة النبوية المصطفوية على صاعدها ألف ألف صلاة و سلام و تحية و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على نبينا محمد و آله الطيبين الطاهرين و لعنة الله على أعدائهم أجمعين ابد الأبدين و دهر الدهارين و قد اتفق الفراغ من تسويده فى الساعة الرابعة من اليوم الخامس من العشر الأول من الشهر الرابع من السنة الثامنة من الشهر الثامن من المائة الثالثة من الألف الثانى من الهجرة النبوية المصطفوية عليه آلاف التحية.

تم و بحمد الله الجزء الخامس من تفسير الصراط المستقيم و سيأتى بعون الله و مشيئة الجزء السادس منه طبع على نفقة السيدة المؤمنة الحاجة المحسنة مريم بنت الحاج على اللارى

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨١

فهرس الموضوعات

تفسير الآية (٢٨) ... ٥ تفسير الآية (٢٩) ... ١٥ تفسير الآية (٣٠) ... ٥٠ فى حقيقة الملائكة ... ٧٢ الملائكة عند الفلاسفة ... ٧٨ الملائكة عند النصرارى و المجوس ... ٨٠ الملائكة عند أرباب الهياكل ... ٨١ قول المشركين فى الملائكة ... ٨٢ بسط فى المقام للإشارة الى عصمة الملائكة عليهم السلام دفعا لبعض الأوهام ... ١٠٤ عصمة الملائكة و حقيقتها ... ١١٧ وجه تسمية آدم ... ١١٩ تفسير الآية (٣١) ... ١١٩ الأسماء التى علمها الله سبحانه آدم ... ١٢٩ تفسير الآية (٣٢) ... ١٣٨ تفسير الآية (٣٣) ... ١٤٠ الأقوال فى نبوة آدم حين تعلم الأسماء ... ١٤١ أسئلة و أجوبة ... ١٤٦ فضل الأنبياء على الملائكة ... ١٥٥ نقض و إبرام على دفع حجج مفضلى الملائكة على الأنبياء عليهم السلام ... ١٨٠ دلالة الآيات الى المذهب الحق ... ١٩٦ الخلافة من الله سبحانه ... ١٩٨ التناسب بين اللفظ

و المعنى ... ٢٣٦ تفسير الآية (٣٤) ... ٢٤٠

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٢

وقت الأمر بالسجود ... ٢٤١ فى معنى السجود ... ٢٤٢ فلسفة سجود الملائكة لآدم ... ٢٤٤ الوجوه المحتملة فى «خلق الله آدم على صورته» ... ٢٥٢ إبليس كان من الجن ... ٢٦٤ ما يستفاد من الآية الكريمة ... ٢٧٤ تفسير الآية (٣٥) ... ٢٧٨ فى معنى الشجر لغه ... ٢٩٦ المراد بالشجرة ... ٢٩٧ القراءة ... ٢٩٧ تفسير الآية (٣٦) ... ٣٠١ كيفية دخول إبليس الجنة ... ٣٠٣ مدّة مكث آدم فى الجنة ... ٣١٠ تعدّد الأيام و تغايرها ... ٣١١ مكان هبوط آدم و حواء ... ٣١٢ تفسير الآية (٣٧) ... ٣٢٩ توبه آدم بواسطة الكلمات ... ٣٢٩ الكلمات و إطلاقاتها ... ٣٣١ الكلمات التى تلقّياها آدم (ع) ... ٣٣٦ تفسير الآية (٣٨) ... ٣٤٩ تفسير الآية (٣٩) ... ٣٥٨ بسط فى المقام للتنبه على عصمة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ... ٣٦٠ مستطرف من الكلام فى طرف من احوال آدم (عليه السلام) ... ٤٠٥ تفسير الآية (٤٠) ... ٤٣٣ إسرائيل فى اللغة ... ٤٣٧ تفسير الآية (٤١) ... ٤٥٧

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٣

بحث صرفى لغوى نحوى ... ٤٦٨ تفسير الآية (٤١) و باطنها و تأويلها ... ٤٧٠ تفسير الآية (٤١) / مسألة فقهية ... ٤٧٤

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٤

فهرس الأعلام

١ ابن الأنبارى محمد بن القاسم النحوى: ٥٤ ابن ابى عمير: محمد: ٤٥٠ ابن بابويه: ٤٣٩ ابن الجريج الرومى: ٤٦٤ ابن حنبل: احمد بن حنبل: ٤٧٥ ابن درستويه النحوى: ٤٣٥ ابن دريد البصرى: ٢٢٩ ابن السكيت: ٥٤ ابن عامر القارى: ١٤٠ ابن كثير القارى: ٤٥٥ ابن كيسان محمد بن أحمد النحوى: ٥٥ ابن المنادى: ٣٢٥ ابن المنذر: ٤٧٦ ابن الوليد محمد بن الحسين: ٣٦٤ ابن الهيثم داود النحوى الأنبارى: ٥٥ ابو ثور الكلبي: ٤٧٥ ٢ ابو جعفر الطوسى: ٤٤٠ ابو جعفر القارى: ٢٥٦، ٤٣٦.

أبو حامد الغزالي: ٣٦٥.

ابو الحسن الأشعري: ٢١٢.

ابو حمزة الثمالى ثابت بن دينار:

٤٣٤.

ابو حيان الاندلسى: ٤٣٧ ابو مسهل البصرى: ٢٣٥ ابو العالية رفيع بن مهران: ٤٦٣ ابو العباس المبرد: ٤٦٧ ابو على الجبائى: ٢١٢، ٣٦٥.

أبو عمرو القارى البصرى: ٤٩.

ابو الفرج ابن الجوزى: ٤٧٨ ابو هاشم الجبائى: ٢١١ ابو يزيد البسطامى: ٢١٤ ابى بن كعب: ١٣٤

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٥

١ اخطب خوارزم موفق بن أحمد: ٢٠٢ الأخفش الأوسط: ٤٧٠ الأعرج عبد الرحمن: ٣٥٨ الأعمش سليمان: ٤٣٦ الأعشى الشاعر عامر بن حارث: ١٢٩ الباقلانى القاضى: ٣٦٢ البكرى أحمد بن عبد الله: ٦١ البيضاوى: ٥٣ البيهقى: ٤٣٩ ثعلب النحوى أحمد بن يحيى: ٢٣ جابر الجعفى: ٤٧٠ جرير بن عطية الشاعر: ٩٩ جعفر النجفى: ٤٣ جميل بن درّاج: ٤٥٠ الجواليقى إسماعيل: ١٢٣ الجوهرى ابو نصر: ٥٥ حسان بن ثابت الشاعر: ٢٤٤ الحسن البصرى: ٤٤٦ حماد بن سلمة: ٤٧٧ حى بن أخطب: ٤٧٣ الخليل بن أحمد العروضى: ٤٣٩ دحية الكلبي: ٢٣.

الراجز العجاج بن رؤبة: ٢٥٨ الراغب الأصبهانى: ٤٣٢ الزهرى محمد بن مسلم: ٤٤٩ سلالر أبو يعلى الديلمى: ٤٧ السمعانى النيسابورى:

٢٠٣ سويد الشاعر: ٤٦٥ السيد الرضى: ٤٥١ السيد المرتضى: ٤٧ الشيخ الانصارى: ٤٤ الشيخ جعفر النجفى: ٤٣ صدر الشيرازى: ٤٦٠

ضحّاك بن مزاحم: ٤٧٥ عبادة الصامت: ٤٧٥ عبد الرحمن بن سابط: ٥٧ عبد الله بن سلام: ١٤١ عكرمة البربري: ٤٧٦ العلامة الحلبي: ٤٤ علي بن عاصم: ٤٧٧

تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٦

١ عمرو بن ابي المقدم: ٧٢ الفخر الرازي: ٤٣٣ الفراء النحوي: ٤٧٠ الفيض الكاشاني: ٤٦ قالون القاري: ٤٩ قتادة بن دعامة: ٤٥٩ القرطبي الأنصاري: ٤٣٧ قطرب: ٤٣٦ القيسي القيرواني: ٤٦٨ الكسائي النحوي القاري: ٤٩ كعب الأخبار: ٤٣٨ كعب بن الأشرف: ٤٥٨ لبيد بن ربيعة: ٣٣١ الليث بن خالد: ٥٤ معمر بن المثنى: ٥٢ المغيرة بن زياد الجلي: ٤٧٧ موسى بن القاسم: ٤٥٢ نابغة الجعدي: ٤٣٤ نافع بن الأزرق: ٣٦١ نافع القاري المدني: ٤٩ ورش القاري: ٤٣٦ يعقوب بن إسحاق البصري: ٨ تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٧

فهرس مصادر التحقيق

القرآن الكريم الاحتجاج للطبرسي احقاق الحق للتستري إرشاد القلوب للديلمي الاستيعاب الأمالي للسيد المرتضى الأمالي للصدوق الأنوار النعمانية البحر المحيط لأبي حيان الاندلسي بصائر الدرجات للصفار التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام تفسير البرهان للبحراني تفسير التبيان للطوسي تفسير جامع البيان للطبري تفسير الفخر الرازي تفسير فرات بن ابراهيم تفسير القرطبي تفسير القمي تفسير الكشاف للزمخشري تفسير كنز الدقائق تفسير مجمع البيان للطبرسي التوحيد للصدوق جامع البيان للطبري جامع الصغير للسيوطي جواهر الكلام في الفقه الخصال للصدوق الدر المنثور للسيوطي سعد السعود لابن طائوس شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد صحيفة الرضا عليه السلام علل الشرائع للصدوق عوالي اللثالي تفسير الصراط المستقيم، ج ٥، ص: ٤٨٨

عيون الأخبار للصدوق فرحة الغري لابن طائوس الكافي للكليني كامل الزيارات لابن قولويه الكشاف للزمخشري كشف الظنون كنز الدقائق للمشهدي كنز العمال للمتقي الهندي لسان العرب لابن منظور مجمع البيان للطبرسي المحاسن للبرقي مرآة العقول للمجلسي المزهر للسيوطي مشكل اعراب القرآن مطالب السؤل لابن طلحة معاني الاخبار للصدوق ملحقات احقاق الحق المفردات للراغب الأصبهاني الملاحم لابن المنادي المناقب للخوارزمي المناقب لابن شهر آشوب المناقب لابن المغازلي المنتخب لابن الجزري النهاية للجزري نهج البلاغة للسيد الرضي الوافي لفيض الكاشاني الوسائل للشيخ الحر العاملي ينابيع المودة للنقشبندی الحنفي

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (التوبة/٤١).
قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رجم الله عبداً أحمياً أهرناً... يتعلم علومنا و يعلمها الناس؛ فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لأتبعونا... (بناذر البحار - في تليخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رحمه الله - كان أحداً من جهايدة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشغفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفي مصباحها، بل تتبع بأقوى و أحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمة" للتحرى الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافه الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرى الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايتي المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامع ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و...

- منها العداة الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكناف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانيه - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى.
- من الأنشطة الواسعه للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينيه، السياحيه و...

(د) إبداع الموقع الانترنتى "القائمة" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية

(و) الإطلاع و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقيه و الاعتقاديه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كاشك، و الرسائل القصيره SMS

(ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسه" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين فى الجلسه

(ى) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه

المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان "ومفترق" وفائى/ "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهويه الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجاريه و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكوميته، و غير ربحيته، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحالية و مشاريع التوسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الاعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

